

069E
CM
22
1939

13977806
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



* 0113977806 *

BUTLER STACKS

OCT 5 1966

DUE DATE

DEFIC JAN 5 1988

201-6503

Printed
in USA

BRITTLE DO NOT
PHOTOCOPY

جامعة فؤاد الاول - كلية الآداب

المؤلف رقم ٢٢

رسائل فيلسوفية^{٢٩}

لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازي

مع قطع بقيت من كتبه المفقودة

جميعها وصحها

ب . كراوس

الجزء الأول

مصر ١٩٣٩

جامعة فؤاد الاول - كلية الآداب

المؤلف رقم ٢٢

رسائل فيلسوفية^{٢٩}_٣

لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازي

مع قطع بقيت من كتبه المفقودة

جمعها وصحها

ب . كراوس

الجزء الأول

غرضنا أن نجمع في هذا الكتاب ما بقي من التراث
الفلسفى للطبيب والفيلسوف الإسلامى الكبير أبى بكر
محمد بن زكرياء الرازى المتوفى حوالى عام ٣٢٠ هـ . وقد
نشرنا فيه رسائله الفلسفية التى عثرنا عليها مخطوطة فى مختلف
المكتبات وأضفنا إليها القطع التى انتخبها المتأخرون من
تأليفه المفقودة . ومن هذه القطع ما لم يصل إلينا فى لغته
الأصلية بل مترجماً إلى اللغة الفارسية لا سيما الفصول التى
أوردها ناصر خسرو فى كتابه المعروف بزداد المسافرين .
ورأينا من واجبنا أن نردّها إلى العربية غير مدّعين بهذه
المحاولة أننا وفقنا تماماً إلى النص الذى كتبه الرازى

وقد دعنا الظروف المحيطة بنا إلى أن ننشر فقط
هذا الجزء المحتوى على أحد عشر فصلاً دون بقية الكتاب .
ونرجو أن يتبعه عن قريب بالجزء الثانى الذى يضم طائفة
أخرى من رسائل الرازى الفلسفية . وسنضيف إليه ثباتاً
كاملاً للمراجع المتصلة بسيرة الرازى وتأليفه وفهرساً

للاصطلاحات الفلسفية الواردة في كتبه . وسنعمل على ان
نذكر فيه بعض تصحيحات للنصوص المشتمل عليها هذا الجزء
لا سيما لكتاب الطب الروحاني الذي عرنا على نسخة
مخطوطة جديدة منه

هذا وإني أعرب عن شكرى الجزيل لكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول التى تفضلت ونشرت هذا الكتاب على
نفقتها كما أنى أشكر أساتذتها لتشجيعهم إياى على السير فيه
لا سيما صديقى إبراهيم أمين الذى رجعت إليه فى ترجمة
بعض ما استغلق من النصوص الفارسية

توبيخ

١		كتاب الطب الروحاني	١
٩٧		كتاب السيرة الفلسفية	٢
١١٣		مقالة فيما بعد الطبيعة	٣
١٣٥		مقالة في أمارات الاقبال والدولة	٤
١٣٩		من كتاب اللذة	٥
١٦٥		من كتاب العلم الإلهي	٦
١٩١		القول في القدماء الخمسة	٧
٢١٧		القول في الهيمولي	٨
٢٤١		القول في الزمان والمكان	٩
٢٨١		القول في النفس والعالم	١٠
٢٩١		المناظرات بين أبي حاتم الرازي وأبي بكر الرازي	١١

ننبه القارئ إلى بعض الرموز التي استعملناها في هذه النشرة

[] : كذا في الأصل وتقتصر حذف ما بين المربعين

< > : سقط من الأصل وأضيفناه

خ : نسخة

أما سائر الرموز فهي مفسرة في أماكنها

كتاب الطب الروحاني

توطئة

ورد ذكر هذا الكتاب في اكثر مصادرنا لسيرة الرازي ، منها تاريخ الحكماء لابن القفطي^(١) و « رسالة في فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازي » لابي ريحان البيروني^(٢) . اما ابن ابي اصيبعة فقد ذكره في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء^(٣) قائلا : « كتاب الطب الروحاني ويعرف ايضا بطب النفوس غرضه فيه اصلاح اخلاق النفس وهو عشرون فصلا »^(٤) . وقد الف العلامة الهولندي Tj. de Boer

(١) طبعة ليزيك ١٩٠٢ ، ص ٢٧٢ س ١٢ ، راجع ايضا Casiri, *Bibliotheca Arabico-Hispana* (Madrid 1760), vol. I 264

(٢) في قسم كتبه الالهة رقم يب ، راجع
Epître de Bêrûni contenant le répertoire des ouvrages de Muhammad b. Zakariyyâ ar-Râzi, publié par P. Kraus, Paris, 1936, p. 19. J. Ruska, *Al-Bîrûnî als Quelle fuer das Leben und die Schriften al-Râzi's*, Isis V (1922), p. 46.

(٣) طبعة مصر ج ١ ، ص ٣١٥ ، راجع ايضا G.S.A. Ranking, *The Life and Works of Rhazes* (XVIIth Intern. Congr. of Med. London 1913, Sect. XXIII (London 1914).

(٤) راجع ايضا Wuestenfeld, *Geschichte der arabischen Aerzte*, p. 46
n° 73; Brockelmann, *Supplement I* 420, No. 44.

مقالة موجزة (١) بحث فيها عن المصادر اليونانية لكتاب الطب الروحاني ونشر بضع فقرات منه . اما الكتاب بتمامه فهذه اول نشرة له
لا يعرف تاريخ تأليف الكتاب بدقة الا أن الرازي يقول في مقدمته انه الفه بعد مغادرته لبغداد . والراجح ان الامير الذي قدم اليه الرازي كتابه «الطب الروحاني» لم يكن غير الذي قدم اليه كئناسه الطبي المعروف بالمنصوري ، وهو منصور بن اسحق بن احمد بن اسد حاكم الري الذي تولى من سنة ٢٩٠ الى سنة ٢٩٦ قبل أن يتمرد على نصر بن احمد ثالث ملوك السامانيين (٢)

كان لكتاب الطب الروحاني اثر غير قليل في الادب العربي فقد نقضه على الرازي معاصر له يسمى ابن اليمان ، والاصح ابن التمار (٣) ، واضطر الرازي للرد عليه (٤) . واقتبس منه ايليا النصيبيني مطران نصيبين (المتوفى سنة ١٠٤٩ م) في رسالة

(١) *De « Medicina Mentis » van den Arts Râzî (= Mededeelingen der Koninklijke Akademie van Wetenschappen, Afdeling Letterkunde, deel 53, Serie A), Amsterdam 1920, 17 pp.*

(٢) راجع ما قاله العلامة محمد بن عبد الوهاب قزويني في شرح نشرته لكتاب « جهار مقالة » لاحمد بن عمر العروضي السمرقندي (Gibb Memorial Series, XI)، ص ٢٣٢

(٣) نرجع ان هذا الرجل هو ابو بكر حسين التمار الدهري المتطبب المعروف بمناظراته مع الرازي وهو الذي ورد ذكره فيما اتخذه من كتاب اعلام النبوة لابن حاتم الرازي . اما Fluegel (في نشرته لفهرست ابن النديم ج ٢ ص ١٤٦) و Brockelmann (*Supplement, I 342*) فقد وها في ظنهما ان ابن اليمان هذا هو ابو بكر محمد بن اليمان السمرقندي المتوفى سنة ٢٦٨ ، راجع ايضا ما كتبناه في مجلة *Orientalia* ج ٦ (١٩٣٧) ص ٢٨٧

(٤) قال ابن النديم في فهرسته (طبعة ليزيك) ص ٣٠١ عند ذكر كتب الرازي ما نصه : «كتاب في نقض الطب الروحاني على ابن اليمان» (كذا في نسخة وفي نسخة اخرى : ابن التمار) ، راجع ايضا ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٣١٦ (السطر الثاني من تحت) . اما ابن الفطحي (طبعة مصر، ص ١٨٠) فقد قال « كتاب نقض الطب الروحاني » وهذا غلط . راجع ايضا Wüstenfeld, *Geschichte der Arabischen Aerzte*, p. 46.

له (١) المناقشة التي جرت بين الرازي والرجل المتوغل في علم النحو وهي التي ستأتي في الفصل الخامس من كتاب الطب الروحاني . وكذلك فقد رد على كتاب الرازي حميد الدين الكرماني الداعي الاسماعيلى كما نرى فيما بعد

ويوجد في الادب العربى كتب اخرى بهذا العنوان لكنها لغير الرازي ، منها كتاب الطب الروحاني لابي اسحق ابراهيم بن يوسف الشيرازى الفيروزابادى الشافعى (المتوفى سنة ٤٧٦) (٢) وهو مؤلف في المواعظ والاخلاق ليس له اية علاقة بالكتاب الذى نحن بصده . ومنها ايضا كتاب الطب الروحاني لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧) (٣) وهو رسالة صغيرة ذات ثلاثين بابا مقتبس اكثرها من كتاب الرازي ، وذلك أن مؤلفها نقل من كل باب في كتاب الرازي عدة جمل واضاف اليها احاديث نبوية واشعارا ومنتخبات من حكم العرب دون أن ينسبها للقارى الى نقله او يذكر اسم الرازي فى اى موضع من تأليفه . فان اردت دليلا على ما اقول فهناك بعض منتخبات من كتاب ابن الجوزى (٤) . قال فى الباب الاول « فى فضل العقل » مستعيراً اكثر معانيه والفاظه من الفصل الاول لكتاب الرازي ومضيفا اليها شيئاً ضئيلاً من عنده :

(١) رسالة ايليا النصيبى مطران نصيبين التي انشأها للاستاذ ابي العلاء صاعد بن سهل الكاتب وذكر بها ما جرى من المناظرات بينه وبين ابي القاسم الحسين بن على المعروف بالوزير المغربى (نسخة الفاتيكان ١٣٤٣ ويوجد لها صورة شمسية فى الخزنة التيمورية بدار الكتب المصرية ، عقائد ٦٦٤ ، اما الموضوع الذى نشير اليه فقد ورد فى هذه النسخة فى ورقة ٣١ و) . راجع الترجمة الايطالية لهذا الفصل التى نشرها الاب بطرس عزيز فى مقاله *Della differenza fra la grammatica e la scrittura araba e la grammatica e scrittura siriana*,

فى مجلة Anthropos ج ٥ (١٩١٠) ص ٤٤٩

(٢) مطبعة جريدة المفيد بمصر سنة ١٢٩٩

(٣) طبعة دمشق ١٣٤٨

(٤) ومما يدل ايضاً على سرقة ابن الجوزى عناوين الابواب التى اختارها لكتابه وهى : فى فضل العقل ، فى ذم الهوى ، فى دفع العشق عن النفس ، فى دفع الشره ، فى رفض رياسة الدنيا ، فى دفع البخل الخ

« انما يعرف فضل الشيء بشمرته ، ومن ثمرات العقل معرفه الخالق سبحانه ، فانه استدل عليه حتى عرفه ، وعلى صدق الانبياء حتى علمه ، وحث على طاعة الله وطاعة رسوله ، ودبر في نيل كل صعب حتى ذل البهائم ، وعلمه صناعة السفن التي بها يتوصل الى ما حال بيننا وبينه البحر ، واحتال على طير الماء حتى صيدت ، وعينه ابدأ تراقب العواقب وتعمل بمقتضى السلامة فيها والعوز ، ويترك العاجل للآجل ، وبه فضل الآدى على جميع الحيوان الذي فقده ، وبه تأهل الآدى لخطاب الله سبحانه وتكليفه ، وبه يبلغ الانسان غاية ما في جوهر مثله ان يبلغه من خير الدنيا والآخرة من العلم والعمل » وقال مثلاً في الباب العاشر « في ذم الكذب » مقتبسا من الفصل التاسع لكتاب الرازي : « هذا من العوارض التي يدعو اليها الهوى وذلك ان الانسان لمحبه الرياسة يؤثر ان يكون مخبراً معلماً لعلمه بفضل المخبر على المخبر »

وقال في الباب الثالث عشر « في دفع الغضب » (= الفصل الثامن من كتاب الرازي) : « لقد بينا ان الغضب انما ركب في طبع الآدي ليحثه على دفع الاذى عنه والانتقام من المؤذي له وانما المذموم افراطه فانه حينئذ يزيل التماسك ويخرج عن الاعتدال فيحمل على تجاوز الصواب ، وربما كانت مكاتته (والصحيح : نكايته) في الغضب ان اكثر من مكاتته (كذا) في المغضوب عليه الخ » . وقال بعد ذكر آيات واحاديث وحكم اضافها الى ذلك النص : « فان رجلاً غضب مرة فصاح فنفت الدم في الحال وأدى به الامر الى الهلاك فأت ، ولكم رجل رجلاً فانكسرت اصابع الالام ولم يستنصر الملكوم الخ » . وهذا كله مأخوذ من كتاب الرازي

اما المخطوطات التي اعتمدنا عليها في نشرتها هذه فهي :

ل = نسخة المتحف البريطاني رقم ٢٥٧٥٨ من الاضافات الشرقية (Add.)

ف = نسخة مكتبة الفاتيكان بروما رقم ١٨٢ من المخطوطات العربية

ق = نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٤١ من قسم التصوف والاخلاق الدينية

ك = النبذ التي وردت في كتاب الاقوال النهيية لحمد الدين الكرمانى

وهالك وصفا مفصلاً لهذه النسخ :

نسخة ل

قيدت هذه النسخة في فهرست المخطوطات العربية المحفوظة بالمتحف البريطاني (١) تحت رقم ١٥٣٠ ، وهي مشتملة القطع مكتوبة بخط نسخي متأخر وعدد اوراقها ٨٨ ، وفي كل صفحة نحو ٢٣ سطراً ، وهي مجموعة تحتوي على عدة رسائل منها : كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع لمحمد بن عبد الله بن ظفر (ورقة ١ — ٤٣) ، وكتاب الطب الروحاني للرازي (ورقة ٤٤ — ٧٠) ، وكتاب الادب لابن المعتز (ورقة ٧١ — ٨١) ، وكتاب بيان كشف الالفاظ لم يعرف مؤلفه (ورقة ٨٢ — ٨٨) . اما تاريخ النسخة فقد ورد بصدده بعد تمام نسخ كتاب الطب الروحاني ما نصه :

« وافق الفراغ من كتابته العبد الضعيف المقتقر الى عفو ربه الهادي على بن احمد ابن محمد النوشبادي الحنفي الكاتب غفر الله له ولوالديه ولمن ترحم عليه وجميع المسلمين آمين وذلك في ذى القعدة الحرام من سنة تسع وخمسين وسبعمائة الهلالية بمدينة السلام بغداد امنها الله تعالى من السوء »

وهذه النسخة اكمل واصح من جميع النسخ التي وصلت الينا وان ورد فيها بعض التحريف والتصحيف . وتستطيع ان تحكم على قيمتها اذا علمت ان اكثر قرأتها توافق المنتخبات القديمة التي اوردها الكرماني في كتابه . لذلك فقد اعتمدنا في نشرتنا عليها وكتبنا ارقام اوراقها على هامش المتن

نسخة ف

هي محفوظة في قسم المخطوطات العربية بمكتبة الفاتيكان (٢) تحت رقم ١٨٢ ، وهي نسخة من القطع الصغير مكتوبة بخط نسخي غليظ وفي كل صفحة من صفحاتها نحو ١٢ سطراً ، وهي غير مؤرخة ونظن انها من القرن الثامن ، وهي ايضا ضمن مجموعة

(١) *Catalogus codicum manuscriptorum orientalium qui in Museo Britannico asservantur* (London 1871), II 695.

(٢) ارسل الى الاستاذ Levi della Vida صورة شمسية من هذه النسخة وافادني بمعارفه الواسعة عن مخطوطات مكتبة الفاتيكان ، واخبرني ايضا ان العلامة G. Graf سينشر عن قريب فهرساً للمخطوطات العربية المسيحية المحفوظة في تلك المكتبة وان النسخة التي نحن بصدددها ستوصف فيه وصفاً مفصلاً

تحتوى على الرسائل الآتي ذكرها : (١) كتاب الطب الروحاني ، (٢) كتاب تهذيب الاخلاق لابن زكرياء يحيى بن عدى (١) ، (٣) رسالة هرمس في توبيخ النفس (٢) ، (٤) مريثة تقرأ في تخزين الاموات

وهذه النسخة مسيحية الاصل (٣) والظاهر أنها حررت في مصر اذ كانت صفحاتها مرقمة بارقام قبطية او بعبارة أدق بحروف يونانية قبطية (٤) . اما كتاب الطب الروحاني فقد كان يشغل في هذه النسخة الورقات ١ — ٨٢ الا انه قد سقط قديما من الاصل الورقات ١١ — ٣٩ فضاع بذلك جزء كبير من الكتاب (من منتصف الفصل الثاني الى الفصل السابع) . وقيمة هذه النسخة أقل بكثير من نسخة ل وهي تقرب في جميع التفاصيل من نسخة ق

نسخة د

هي المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية في قسم التصوف والاخلاق الدينية تحت رقم ٢٢٤١ (٥) ، وهي مكتوبة بخط نسخي غليظ وعدد صفحاتها

(١) هو الفيلسوف المنطقي المسيحي الشهير تلاميذ ابن نصر الفارابي وكانت وفاته في سنة ٣٦٣ او ٣٦٤ (راجع Brockelmann, Suppl. I 370) . اما كتاب تهذيب الاخلاق فقد طبع عدة مرات ، راجع ايضاً ما قلته في مجلة Orientalia ج ٦ ص ٢٨٧

(٢) هي الرسالة المعروفة ايضاً باسم « معاتبة النفس » لهرمس الحكيم نشرها العلامة O. Bardenhewer وقد كان النساخ المسيحيون يحبون نسخها

(٣) يدل ايضاً على مسيحية النسخ ما ورد بعد اتمام نسخ كتاب الطب الروحاني : « كل كتاب الطب الروحاني بمعونة الله تعالى والشكر لله دائماً ابداً مستمراً وناقله المسكين الغارق في بحر خطاياها الجمة يتضرع لكل من وقف عليه ان يذكره بالرحمة والمغفرة في يوم موقفه المرهوب والسبح لله دائماً ابداً »

(٤) وردت مثل هذه الارقام في كثير من المخطوطات العربية المحررة في مصر على ايدي نساخ مسيحيين واقدمها على ما يظهر نسخة لكتاب المدخل لابن معشر محفوظة بمكتبة جاز الله باستانبول وتاريخها ٣٢٧ هـ . ويحتوى اكثر هذه المخطوطات على كتب في علوم الاوائل غير متعلقة بالدين الاسلامي . راجع ما قاله العلامة Levi della Vida في مجلة Rivista degli Studi Orientali ج ١٤ ص ٢٤٩ والعلامة H. Ritter في نفس هذه المجلة ج ١٦ (سنة ١٩٣٦) ص ٢١٢ — ٢١٣

(٥) راجع الجزء الاول من فهرست الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية لغاية ١٩٢١ (القاهرة ١٩٢٤) ص ٤٤ من الملحق

(لا اوراقها ١) ١٣٩ وفي كل صفحة نحو ١٤ سطراً ، وورد تاريخها في نهايتها بهذه العبارة : « كمل في يوم السبت المبارك الثالث من شهر جمادى الاول سنة اثني (كذا) وثلثين وسبعمائة » . وهي مجموعة تحتوي على رسالتين الاولى (ص ١ - ١٠١) كتاب الطب الروحاني ، والثانية (ص ١٠٢ - ١٣٩) كتاب تهذيب الاخلاق ليجي بن عدى . وهذه النسخة ايضا ليست بكاملة اذ سقطت منها الصفحات ٢٥-٣٠ (اى من ابتداء الفصل الرابع الى منتصف الفصل الخامس) وغلط مجلدتها في وضعه مكانها بعض صفحات من كتاب تهذيب الاخلاق . وسقط ايضا نحو اربع صفحات في الفصل الثامن عشر

تتفق نسخة ق مع نسخة ف في اكثر قرآتها لا في الصحيح فقط بل في الغلط ايضا حتى ليكن الاطمئنان الى انهما نسختا عن اصل واحد ، وان ذلك الاصل كان محرّفا في غاية السقم . ولا يخفى عليك اذا قرأت مقدمة الكتاب وقابلت قرأت ق و ف بقرأت نسخة ل أن الاصل الذي اشتق النسختان منه كان مخروم الاول وان الناسخين حاول كل منهما تصحيحه وتكملته بقدرما استطاع . وكذلك تلاحظ انه ينقصهما فقرة طويلة من الفصل السادس عشر من الكتاب تكلم فيها الرازي عن النجاسة والطهارة بكلام لعل الناسخ تركه رغبة عن الخوض في المسائل الدينية . وهاتان النسختان مع ما ورد فيهما من تحريف وتصحيف وحذف وتصحيح عمدي تفيداننا كثيراً في اصلاح نسخة ل ولولاهما لما استطعنا تحقيق النص الاصل على الوجه الذي نتمنى

النسخ المرمودة في كتاب الاقوال الزهنية للمكرمانى

اما الكرماني هذا فهو حميد الدين احمد بن عبد الله الكرماني الملقب بحجة العراقين كبير الدعاة الاسماعيليه بجزيرة العراق في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بالله وصاحب التأليفات العديدة في الاشادة بالمذهب الاسماعيلي واثبات امامة الحاكم والرد على مخالفى الفاطميين (١) .

W. Ivanow, A Guide to Ismaili Literature (Prize

(١) راجع

Publication Fund, vol. XIII), London 1933, p. 43.

وايضاً المقالة التي نشرتها في مجلة Der Islam ج ١٩ (١٩٣١) ص ٢٤٣ — ٢٦٣ .

اعتمدت في جميع المعلومات التي نشرتها فيما يلى عن الكتب الاسماعيليه على المخطوطات التي

اطلعت عليها صديقي الدكتور حسين الهمداني نزيل بجاي

اما سيرته فلا يعرف منها الا انه غادر العراق حول سنة ٤٠٠ هـ وجاء مصر للتدريس فيها . قال ادريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله (المتوفى سنة ٨٧٢) (١) في تاريخه للدعوة الاسماعيلية الذي عنوانه «كتاب عيون الاخبار وفنون الآثار» في الجزء السادس منه معتمداً في معلوماته على مقدمة كتاب «مباسم البشارات» للكرماني: «وظهرت لامير المؤمنين الحاكم بأمر الله عليه السلام فضائل لم يسمع بمثلا ، ودلائل ظاهر بيان فضلها ، ومعجزات بهرت الالباب ، وآيات لا يشك فيها الا اهل الزيف والارتباب . فغلا فيه صلى الله عليه من غلا ، وسفل بذلك من حيث ظن انه علا ، ووقع في اهل الدعوة والمملكة الاختباط ، وكثر الزيف والاختلاط ، فجرد امير المؤمنين صلى الله عليه السيف في الغالين والمقصرين ، واشتدت الظلمة على الشاكن المحيرين ، واعرض ولى الله عنهم ، واغلق ابواب رحمته عليهم ، فعم الامتحان في حضرته ، وشملت مع قرب النور عظيم ظلمته ، حتى ورد الى الحضرة الشريفة النبوية الامامية ، ووفد الى الابواب الزاكية الحاكمة ، باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب ، ولسانها الناطق بفضل الجواب ، ذو البراهين المضيئة ، والدلائل الواضحة الجليلة ، مبين سبل المهدي للمهتدين ، حجة العراقيين احمد بن عبد الله الملقب بحميد الدين ، الكرماني قدس الله روحه ورضي عنه ، ولا حرمنا نور بيانه واقتباس منه ، مهاجراً عن اوطانه ومحله ، ووارداً كورود الغيث الى المرعى بعد غلله ، فجلى ببيانه تلك الظلمة المدهمة ، وابان بواضح علمه ونور هداه فضل الأئمة »

وقال ايضا : « ثم ان امير المؤمنين الحاكم بأمر الله سلام الله عليه بعد ان اعرض عن اهل دعوته ، واغلق عنهم ابواب رحمته ، جزاء بما كسبت ايديهم ، وعملا بمقتضى الحكمة فيهم ، ليمتحنهم بذلك فيتميز المؤمنون بالاخلاص ، ويبقى المنافقون في الحيرة والانتكاص ، نظرا اليهم نظرة نعشهم بها من الخمول ، وافاض عليهم من فضله وكرمه المأمول ، وفتح لهم ابواب علومه وحكمته ، واسجل لهم سجل رحمته ، ونصب ختكن الضيف في الدعوة لهداية اولي الشك والارتباب ، وافادة من هداه الله بقدر الاستحقاق والاستيجاب ، ولقبه بالصادق المأمون ، والداعي حميد الدين

(١) راجع Ivanow في الكتاب المذكور ، ص ٦٢

احمد بن عبد الله هو اساس الدعوة التي عليه عمادها ، وبه علا ذكرها واستقام منأدأها ، وبه استبان المشكالات ، وانفرجت المعضلات الخ »

اما وفاة الكرماني فقد كانت بعد سنة ٤١١ كما يظهر من التاريخ الوارد في ابتداء كتابه « راحة العقل » (١) . وهذا كل ما عثرنا عليه من سيرته

اما « كتاب الاقوال الذهبية في الطب النفساني » فقد رد فيه مؤلفه على فلسفة محمد بن زكرياء الرازي وذلك من جهتين ، اولاً بتصحيحه موقف الداعي الاسماعيلي ابي حاتم الرازي في مناظرته مع محمد بن زكرياء الرازي ، وهى المناظرة التي سننشرها في اثناء هذا الكتاب ، وثانياً بنقده لكتاب الطب الروحاني الذي نحن بصده . وهاك مقدمة كتاب الاقوال الذهبية بتمامها لتقف على موقف الكرماني فيه :

« قال الشيخ الأجل حميد الدين عماد المؤمنين احمد بن عبد الله الداعي بجزيرة العراق رفع الله درجته تقديساً :

الحمد لله رب الانوار والظلم ، وجاعل اللوح محلاً للبركات وفيض القلم ، الذى تسبح عن مناسبة ما ابدعه ، وتقصد عن نعوت ما خلقه واخترعه ، سبحانه من إله ليست الا مثلية إلا له ، خالق الامثال ، وفاطر الاشياء والاشكال ، وتعالى عما يقول الظالمون والمشبهون الجاهلون علواً كبيراً . . .

اما بعد فان النفس باتباعها احكام هواها علية ، والقضايا منها بحسبها في المعلومات فاسدة مستحيلة ، والمفلح من اغاثها بسنن الدين ومناسكه رياضة ، واحياها قبل فقد الامكان في معالم التوحيد تربية وعليها افاضة . فالموت بادراكه هاجم آت ، والحين بسلطانه لمباني الحلقة هادم وهات . ولكل حفرة تواريه هى تربته ، ورب غفور هو معاده واليه اوبته ، والعاقبة لمن ثقل بالحسنات ميزانه ، وثخن في دين الله رغبته وإيمانه وإني لما اعان الله تعالى وأتينا في كتاب « اكليل النفس وتاجها » بما وعدنا به في صدره وماتبعه من كلامنا على السياسة الكلية والجزئية وعلى المفاخرة القائمة بين انواع الحيوان ونوع الانسان بياناً للموجودات ، وما اليه مصير النفس بعد الممات ، في كتاب « المقاييس » و « الرسالة الوحيدة » ، ووقع الينا كتاب لمحمد بن زكرياء الرازي موسوم

(١) وهو تاريخ تأليف كتاب « تنبيه الهادى والمستهدى » الذى الفه الكرماني في السنة

المذكورة بعد رجوعه الى « ديار العراق »

بالطب الروحاني ، وتأملت ابوابه واستوعبت فيما نحاه خطابه ، ووجدته فيما تصدى له بزعمه من الطب الروحاني ، لا كهو فيما نشأ عليه من الطب الجسماني ، لكونه في هذا كفارس ذي مرة ، في ميدانه يحضر ويحري ، وفي ذاك كخطاب ذي غرة ، يخوض ويروى مالا يعلم ولا يدرى ، قصوراً في تأليفه عما عليه وجب ذكره من الامر الذي له تقع الحاجة الى الطب الروحاني : العليل ماهو والعالمة ودواءها ما هما وسلوك الطريق في المداواة والطب كيف هو ، واختصاراً منه في كلامه المورد على ما لا يوجب مبتغاه ولا يقتضيه بل يوجب اموراً هو منكرها ولا يوجب اعتقاده شيئاً منها على ما نبينه ، وذهاباً للامر عليه في ذلك واستمراراً للخطأ عليه فيما وسم به كتابه ، وفيما جرى بينه وبين الشيخ ابى حاتم الرازي صاحب الدعوة بجزيرة الرى في أيام مرداوج وحضرته في النبوة والمناسك الشرعية . وكان ما تعرض له من الكلام على النفس تقويماً لها وطباً بزعمه مبتغى يصغر عنه قدره ، ويعسر عليه فيه امره ، بكونه رتبة المؤيدين من السماء ، المختارين على من دونهم بما أوتوه من نور العلم والضياء ، الهادين امثالنا الى طريق النجاة والبقاء ، التى لاتنال باجتهاد وابتغاء ، بل بعناية إلهية من فوقها واصطفاء وهو دونها ، وما سطره فيه وزبره مخيلاً الى قارئه مثل ما تخيل اليه من بطلان مقامات الانبياء عليهم السلام واختصاصهم من بين العالمين من جهة الله بفيض البركات ، ووقوع استغناء البشر عنهم بالمنوح لهم من العقول والقدرة على فعل الخيرات ، وجب في حكم الاعتقاد ، وشرط ماندبنا له من لقاء ذوى العناد ، واصطفينا له من هداية العمى عن الضلالة ، واستنقاذ المرتبك فى أسر العمى والجهالة ، كشفاً للبس بالكلام المبين ، ودلالة على الحق بالامر اللامع المستبين ، أن نبين الخطأ فيما اورده ، ونوضح الحق المبتغى فيما خاض فيه وسرده ، لتظهر راحة اولى الايمان ، واتباع اهل بيت الوحي الائمة الهادين الى الفوز بالمغفرة والرضوان ، صلوات الله عليهم صلاة تجمع لهم نعيم الجنان ، ونقص من يتظاهر بالاستغناء عنهم فى نيل الملكوت ، فيكون للتابعين طريقاً في معرفة دين الله على وجهه ، ويعينهم على تصور الحق فى توحيد الله وفقهه . ففعلنا وتكلمنا على فصول الكتاب والمبتغى فيها ابانة عن الباطل فى قوله المستحيل وازارة للحق بالقول المستبين ، وجعلناه فى باين يشتملان على اثني عشر قولاً احدهما فى ابانة الخطأ المستمر

على ابن زكرياء في طبه الروحاني ، وثانيهما في ابانة الحق المستقر فيما هو حق الطب النفساني ، وجعلتهما في هذا الكتاب وسميته بكتاب « الاقوال الذهبية » لكونه فيما يصوره من محاسن العلوم النفسانية ، كالذهب فيما يحوزه من مزاين الامور الجسمانية . وبالله استعين في اتمام ما نحوته وأقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وبولي في ارضه وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب الاول في ابانة الخطأ المستمر على ابن زكرياء الرازي

في طبه الروحاني يجمع ستة اقوال

القول الاول — فيما جرى بين الشيخ ابي حاتم الرازي وابن زكرياء المتطرب من الكلام على النبوة والامامة والجواب عما اهمل ابو حاتم الجواب عنه من سؤال ابن زكرياء الرازي

القول الثاني — في بيان الخطأ المستمر على محمد بن زكرياء الرازي فيما وسم به كتابه المنسوب اليه بالطب الروحاني

القول الثالث — فيما ذكره في الفصل الاول من كتاب الطب الروحاني من فضل العقل ومدحه وبيان ما ينطوى فيه من اثبات النبوة

القول الرابع — فيما ذكره في الفصل الثاني من كتابه في ذم الهوى وقعه فجعله طباً روحانياً وبيان بطلان كونه كذلك على النحو الذي اوردته وامتناع وقوع الانتفاع بمثله

القول الخامس — في ذكر ما اوردته تماماً للفصل الثاني من كتابه في الطب الروحاني وانه ليس بطب وبيان فساد قول افلاطون ومن يرى رأيه ان للانسان انفساً ثلاثاً نامية وحسية وناطقة ، وان للنفس بعد مفارقتها جسمها تعلقاً بشخص آخر وورودها الاجسام من خارجها

القول السادس — فيما تضمنته فصول كتابه مما جعله طباً والكلام عليه بما يبين كونه غير طب

الباب الثاني في انارة الحق المستقر فيما هو حق الطب النفساني

يجمع ستة اقوال

القول الاول — في شرف صناعة الطب النفساني وانها أشرف الصناعات وان القائم بها الموضح لمبانيها الهادي الى طرقها واقسامها رئيس عالم النفس ومالكها من جهة الله تعالى وانه اشرف البرية

القول الثاني — في وجود النفس التي هي العلية والمحتاجة الى الطب والادوية واحوالها في ذاتها وماهيتها وانها حياة وحي وانها ناقصة في ذاتها وانها ليست بجسم ولا عرض وانها قائمة بالقوة جوهرًا وانها واحدة في ذاتها لا ثلاث

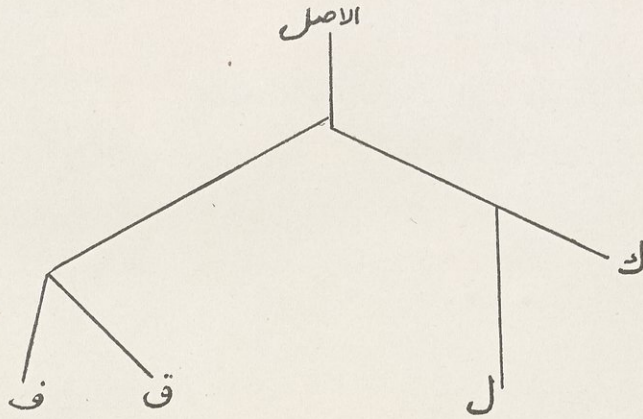
القول الثالث — في مناسبة النفس جسمها في احوالها وما تلك الاحوال وماتلك المناسبات وانها في وجودها من جسمها كالولد من والده وانها المعلول الاخير من الموجودات الواقعة تحت الاختراع ككون جسمها معلولا اخيراً في الجسمانيات وان وجودها عن امور اربعة كوجود جسمها كذلك وما تلك الامور وان ما لجسمها من الامور فلها مثله على توازن لا يغادر منها شيئاً الى الذات ولا في الاحوال وماتلك الامور

القول الرابع — فيما يحدث فيها من الامور التي تجري منها مجرى الاعلال من جسمها وما تلك الاعلال وما مبادئها وانها تنقسم وما تلك الاقسام وان جملة علتها علتان ذاتية ومكتسبة وما تلك علتان

القول الخامس — فيما يجري من النفس مجرى الادوية في ازالة عللها وما تلك الادوية وما افعالها وما الذي يمجدها وما الذي يقومها وما الذي يجري منها مجرى قول الطبيب وبعث العليل على الحمية وما الذي يجري منها مجرى القارورة والنبض من العليل المستدل منهما على الصحة والمرض وشهادتهما بالاقبال في الابلال والاستعلاء في الاعتلال وما يجري منها مجرى العلامات الدالة في الاعلال الحادة على الهلاك او الخلاص وما هي وما يجري منها مجرى الاشربة والفواكه والمشروبات في استجلاب الصحة وما هي

القول السادس — فيما يجري من النفس مجرى الصحة من جسمها وما تلك الصحة وما الذي تناله بها وما الذي يحفظ عليها صحتها الى وقت انتقالها وما الذي يكسبها انبعاشها للقيام باوامر الله »

اما المنتخبات العديدة التي اوردها الكرمانى من كتاب الطب الروحاني للرازى فقد ساعدتنا على تحقيق نص ذلك الكتاب ، ولعلك تشاركنا الراى فى ان قيمة قرأتها عظيمة اذ كان الاصل الذى اعتمد الكرمانى عليه اقدم بقرون من جميع المخطوطات التي وصلت الينا . وترى ايضا مما ذكرناه فى حواشى الكتاب ان نص الكرمانى يوافق فى اكثر الاحيان نسخة لندن ويثبت قرأتها . اما نقد الكرمانى لمعانى كتاب الطب الروحاني فقد اقتبسنا منه بعض شىء وجعلناه تعليقات على المتن وفى الختام نعود على نتيجة بحثنا عن المخطوطات ونمثلها فى الشكل الآتي



قال محمد بن زرياء الرازي : أكمل الله للأمر السعادة وأتمّ عليه النعمة .
 جرى بحضرة الأمير — أطال الله بقاءه — ذكر مقالة عملتها في إصلاح الأخلاق ٣
 سألتها بعض إخواني بمدينة السلام أيامَ مقامي بها ، فأمر سيدي الأمير —
 أيده الله — بإنشاء كتابٍ يحتوي على جُمْل هذا المعنى بغاية الاختصار والابحاز
 وأن أسمه بالطب الروحاني ، فيكون قريناً للكتاب المنصوري الذي غرضه في ٦
 الطب الجسماني وعديلاً له ، لما قدّر — أدام الله عزّه — في ضمه إليه من عموم
 النفع وشموله للنفس والجسد . فاتممتُ إلى ذلك وقدّمته على سائر شغلي ، والله
 أسأل التوفيق لما يرضى سيدي الأمير ويقرب إليه ويدني منه * ١

(٢) نبتدي بعون الله وحسن توفيقه نكتب كتاب الطب الروحاني ق — قال محمد بن
 زكرياء الرازي في صدر كتابه الموسوم بالطب الروحاني ك — قال ابو بكر محمد ... الرازي
 ف ق — اكمل ... النعمة ل : سقط ف ق ك — (٣) كان جرى ل — أطال الله بقاءه ل :
 أسعده الله تعالى ك ، سقط ف ق — (٣-٦) بحضرة الأمير الكلام في إصلاح الأخلاق
 فسألني ان اعمل مقالة في كتاب وان اسميه ق — (٤) كان سألتها ف — (٤-٥)
 بعض اخواني ... الاختصار : سقط ف ق — (٤) سيدى ل : سقط ك — (٥) ايده الله ل :
 أسعده الله ك — (٦) اسميه ف ق — (٧) الطب الجسماني ف ق — لما قدّر .. من
 عموم : فيه من عموم ق — أدام الله عزّه ل : سقط ف ق ك — (٨) سائر اشغالي ف — (٨-٩)
 وبالله التوفيق الى ما يرضى ف ق — (٩) سيدى الأمير ل : الأمير أسعده الله ك ، سقط ف ق

* قال حميد الدين الكرماني في القول الثاني من الباب الاول من كتابه بعد ذكره مقدمة
 كتاب الطب الروحاني : هذا فس قوله ومحصوله ان ما كان تكلم عليه في إصلاح الأخلاق جعله
 كما رسم له في كتاب موجز موسوم بالطب الروحاني ليكون قريناً لكتابه المنصوري في الطب
 الجسماني وعديلاً له لما فيه من عموم النفع وشموله . وتأملنا الكتاب المنصوري الذي جعل ما أنشأه
 من الكتاب في الطب الروحاني قريناً له وعديلاً ووجدناه مشتملاً من صنعة التأليف وحسن الترتيب
 ذكراً للاعلال على ترتيبها وتشفيها بذكر الادوية التي تداوى بها على نظام وتأليف ليس كما جعله

وقد فصلت هذا الكتاب عشرين فصلاً :

- الأول في فضل العقل ومدحه
 ٣ الثاني في قمع الهوى وردعه وجملة من رأى افلاطون الحكيم
 الثالث جملة قُدمت قبل ذكر عوارض النفس الرديّة على انفرادها
 الرابع في تعرّف الرجل عيوب نفسه
 ٦ الخامس في دفع العشق والالف وجملة من الكلام في اللذة
 السادس في دفع العجب
 السابع في دفع الحسد
 ٩ الثامن في دفع المفرط الضارّ من الغضب

(١ — ص ١٧ س ١٣) سقط ك — (١) فصلاً وهم ف — (٢ — ص ١٧ س ١٣) الفصل الاول...
 الفصل الثاني الخف ق — (٣) في ردع الهوى وقعه ف ق — وجملة... الحكيم ف ق: سقط ل —
 (٤) جملة قدمت قبل ذكر ل: في ذكر ف ق — اعراض النفس ف ق — (٦) وجملة...
 اللذة ف ق: سقط ل — (٧) العجب وغيره ف ق — (٩) في دفع الغضب ف ق

قريناه وعديلا فكان ذلك منادياً عليه وناطقاً من قلة العلم والمعرفة بما تصلق له من الكلام على الامور النفسانية ومن استمرار الخطأ عليه فيما وسم به كتابه من الطب الروحاني واشتباه الامر عليه فيما اودعه من كلامه بما تقول بياناً له : إن العديل انما يجعل عديلا لما عادله بموازنة ومشابهة يجمعانها . ولما كان ما جعله عديلا للكتاب المنصوري من كتابه في الطب الروحاني غير مشابه له لا في التأليف والتبويب ولا فيما يكون طبيا في التنويع والترتيب يوازنه ويناسبه كان تسميته للكتاب بالطب الروحاني خطأ كبيراً ... واذا كان الخطأ مستمراً عليه فيما وسم به كتابه لخلوه مما يكون به من ذكر الامراض النفسانية والامور المزيلة لها عديلا للكتاب المنصوري الجامع لذكر الاعلال وادويتها غير واقع ما ضمن وقوعه من الانتفاع به وشموله ولا فائدة في قراءته ... فاما ما استمر عليه من الخطأ في نفس ما اودعه كتابه في ابوابه فيأتى عليه البيان باذن الله قبل ، ثم يأتى بمعونة الله من ذكر ما وجب عليه ذكره ولم يذكره من اعلال النفس وادوائها وما تعالج به تقويماً لها من دوائها ومن الامور النفسانية ما يعلم معه كيفية صناعة التأليف بعد ويتصور كيف يكون الطب الروحاني الحق الآتي به محمد النبي والمبين له باب العلم على الوصي صلوات الله عليهما بقوة الله العلي

	التاسع	في أطراح الكذب
	العاشر	في أطراح البخل
٣	الحادى عشر	في دفع الفضل الضار من الفكر والهم
	الثانى عشر	في صرف الغم
	الثالث عشر	في دفع الشره
٦	الرابع عشر	في دفع الانهماك في الشراب
	الخامس عشر	في دفع الاستهتار بالجماع
	السادس عشر	في دفع الولع والعبث والمذهب
٩	السابع عشر	في مقدار الاكتساب والاقتناء والإنفاق
	الثامن عشر	في دفع المجاهدة والمكادحة على طلب الرتب والمنازل الدنيائية
		والفرق بين ما يرى الهوى وبين ما يرى العقل
١٢	التاسع عشر	في السيرة الفاضلة
	العشرون	في الخوف من الموت

الفصل الأول

١٥

في فضل العقل ومدحه *

أقول : إنَّ الباري عزَّ اسمه إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه ، وإنه أعظم | نِعَم الله ٤٥ و

- (٢) اطراح : سقط ف ق — (٣) دفع : سقط ف ق — (٤) في دفع الغم ف ق —
 (٦) في (دفع) السكر وعواقبه ف (ق) — (٧) في افراط الجماع ف ق — (٩) والانفاق :
 سقط ف — (١٠) دفع ... على : سقط ف ق — (١١) والفرق ... العقل : سقط ف ق —
 (١٦) أقول : قال محمد بن زكريا ل — وجبانا لننال ك — من ل : سقط ق ف ك —
 (١٧) ما : سقط ل — في جوهرنا مثلنا أن يناله وبلغه ق ف

* ورد هذا الفصل بتمامه في كتاب الكرماني

عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا . فبالعقل فضّلنا على الحيوان غير الناطق
حتى ملكناها وسُسناها وذلّلناها وصرّفناها في الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها ،
وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا ونصل الى بغيتنا ٣
ومرادنا . فإنّا بالعقل أدركنا صناعة السفن واستعمالها حتى وصلنا بها إلى ما قطع
وحال البحر دوننا ودونه ، وبه نلنا الطب الذي فيه الكثير من مصالح أجسادنا
وسائر الصناعات العائدة علينا النافعة لنا ، وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة ٦
منّا الخفية المستورة عنّا ، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك وعظم الشمس
والقمر وسائر الكواكب وأبعادها وحركاتها ، وبه وصلنا إلى معرفة البارئ
عز وجل الذي هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أصبنا . وبالجملة فإنه الشئ الذي ٩
لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين ، والذي به تتصور أفعالنا
العقلية قبل ظهورها للحس فنزاهها كأن قد أحسسنها ثم تتمثل بأفعالنا الحسية
صورها فتظهر مطابقة لما تمثّلناه وتخيّلناه منها . وإذا كان هذا مقداره ومحله ١٢
وخطره وجلالته فحقيق علينا أن لا نحطه عن رتبته ولا ننزله عن درجته ،
ولا نجعله وهو الحاكم محكوماً عليه ، ولا وهو الزمام مزموماً ، ولا وهو المتبوع
تابعاً ، بل نرجع في الأمور إليه ونعتبرها به ونعتمد فيها عليه ، فنمضيها على ١٥
إمضاءه ونوقفها على إيقاقه ، ولا نسلط عليه الهوى الذي هو آفته ومكدره

(١) واجداها علينا نفعاً ق ف — الغير الناطق ل ، الغير ناطق ق ف — (٢) ملكناها و : سقط ق ف ك — وذلّلناها وملكناها وصرّفناها ق ف — (٣) جميع : سقط ق ف — (٤) وانا ق ف — واستعملناها — (٥) ودونها ق ف — وبه نلنا الطب ك : والطب ل ق ف — المصالح لأجسادنا ق ف — (٨) معرفة : سقط ك — (٩) هو من ك — ما اصلنا واصبنا ق ف — وفي الجملة ق ف — (١٠) حالنا وحال ق ف — والذي فيه ك ، وبه ق ف — (١٢) صورتها ق ف — وتخيّلناه منها : سقط ك — منها : سقط ق ف — هذا : سقط ك — ومحله : سقط ق ف — (١٣) وجلالته هذا ك — علينا : سقط ل — مرتبته ق ف — (١٥) بل نرجع ق ف ، ثم نرجع ك — ونعتبرها به : سقط ق ف — عليه فيها ك — عن امضاءه ل — (١٦) عند إيقاقه ل

والخائذ به عن سنّته ومحبّته وقصده واستقامته ، والمانع من أن يصيب به العاقل رشده وما فيه صلاح عواقب أمره ، بل نروضه ونذلّه ونحمّله ونجبره على الوقوف عند أمره ونهيه . فإنّا إذا فعلنا ذلك صفاً لنا غاية صفائه وأضاء لنا غاية إضاءته وبلغ بنا نهاية قصد بلوغنا به ، وكسنا سعداء بما وهب الله لنا منه ومنّ علينا به *

(١) من : سقط ل — (٢) عواقبه في اموره ق ف — (٣) واضى لنا ق ف — (٤) نهاية قصدنا بلوغنا به ك ، غاية ما قصد بلوغنا به ق ف — بما وهب لنا ل — به علينا ق ف — لنا ومنّ علينا به منه ل

* قال الكرمانى في القول الثالث من الباب الأول من كتابه بعد إيراده قول الرازى بنصه : فنقول لما كان المحبو لنا من العقل الذى هو أعظم نعم الله عندنا وبه تنال من منافع دنيانا وآخرتنا غاية لما أن نتاله... ولولاه لكننا كالبهائم والمجانين ، الحقيق بأن يكون بما له ممدوحاً ، وباباً للبركات والرحمة لنا مفتوحاً ، واليه فصل الخطاب لا يخلو في كونه « ما هو » أن يكون إما جسمنا ، أو ما كان لجسمنا كمالاً به نحن نوع من الحيوان وهو نفسنا ، أو هو غيرنا وبه تتعلق مصالحنا ، وبطل أن يكون جسمنا بيطلان كونه قادراً على حركة بذاته فضلاً عن إحاطة علم ومعرفة ، وبطل أيضاً أن يكون ما كان لجسمنا كمالاً بيطلان كونه في وجوده عالماً بالامور الموصوف بها العقل وخالياً من المعارف التى تعدو ما به يصح كونه نوعاً من الحيوان ... ثبت أنه غيرنا الذى به يتعلق كمالنا ، ولم يكن غيراً يفيد العلم ويعلم وبه وتعليمه نكون علماء وعقلاء غير من يكون نبياً مؤيداً في نفسه بأنوار الملكوت متوجّاً بتاج العزة والجبروت حائزاً بذلك رتبة الكمال فصار عقلاً كاملاً به تنال ونبلغ منافعنا في دنيانا وآخرتنا ... صح وثبت أن العقل المحبو لنا الذى هو أعظم نعم الله عندنا المستحق لأن يكون بما له ممدوحاً وباباً للبركات والرحمة لنا مفتوحاً لا عقولنا يكون كونها حياة طبيعية ناقصة عن كمالها محتاجة إلى ما به تصير عقلاً كاملاً فاعلاً في غيره كمالاً ... بل عقول الأنبياء كونهم هم المؤيدون من السماء ، المصطفون من عالم النفس والاحياء ، المخصوصون منها بالكرامة ، المنوحيون في عالم النفس شرف الامامة ، المبلغون رتبة الكمال للتعليم والإكمال ، الكاثنون بكمالهم كمالاً لأنفسنا في كونها حيواناً إلهياً كما كانت أنفسنا كمالاً لأجسامنا في كونها حيواناً طبيعياً ... وإذا كان القول على عقولنا بما هو صفة لعقول الأنبياء صلوات الله عليهم ضللاً عن الحق فقد ظهر الخطأ في قول من يرى ويعتقد أن العقل المحبو لنا ... هو عقولنا ... وإذا بطلت المعارضة وثبت ما أوجبه الحكمة من كون من يقبل أنوار القدس من عالم النفس نفساً واحدة هي العقل الواجب عليه تفخيم أمره وإعلاء ذكره وقبول قوله والافتداء بسنته وفعله فقد ثبتت النبوة المنطوية فيما أورده صاحب الكتاب في مقالته والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني

في قمع الهوى وردعه وجملة من رأى فلاطن الحكيم*

٣ أمّا على أثر ذلك فإنّا قائلون في الطبّ الروحاني الذي غايته إصلاح أخلاق النفس وموجزون غاية الإيجاز. والقصد والمبادرة إلى التعلّق بالنكت والعيون والمعاني التي هي أصول جملة هذا الغرض كله . فنقول : إنا قد صدرنا وقدّمنا من ذكر | العقل والهوى ما رأينا أنه لجملة هذا الغرض كله بمنزلة المبدأ ، ونحن متّبِعوه ٤٥ ظ من أصول هذا الشأن بأجلّها وأشرفها

فنقول : إنّ أشرف الأصول وأجلّها وأعونها على بلوغ غرض كتابنا هذا قمع الهوى ومخالفة ما يدعو اليه الطباع في أكثر الأحوال وتمارين النفس على ذلك ٩ وتدريبها إليه ، فإنّ أوّل فضل الناس على البهائم هو هذا ، أعنى ملكة الإرادة وإطلاق الفعل بعد الرويّة . وذلك أنّ البهائم غير المؤدّبة واقعة عند ما يدعوها اليه الطباع عاملة به غير ممتنعة منه ولا مرويّة فيه . فإنك لا تجد بهيمة غير مؤدّبة ١٢ تمسك عن أن تروث أو تتناول ما تغتذى به مع حضوره وحاجتها إليه ، كما تجد الإنسان يترك ذلك ويقهر طباعه عليه لمعانٍ عقلية تدعوه إلى ذلك ، بل تأتي منها ما يبعثها عليه الطباع غير ممتنعة منه ولا محتارة عليه . وهذا المقدار ونحوه من ١٥ الفضل على البهيمة في زمّ الطبع هو لآكثر الناس وإن كان ذلك تأديبا وتعلّيماً ،

(٢) في ردع الهوى وقمعه ف ق — وجملة ... الحكيم : سقط ل (ك) — افلاطون ف ق — (٤) والعيون ل : سقط ف ق ك — (٥) صدرنا : وصفنا ك — (٦) كله : سقط ف ق — (٨) ونقول ف ق — ان اجل الاصول وأشرفها ف ق — (١١) الغير ل — غير موزية ف ق — تدعوا اليه ف ق — (١٤) عليه : سقط ف ق — تدعوا ف ق — (١٥) منه : سقط ك — (١٦) زم ك : زم ل ف ق — الطبع : الهوى و (الطبع) ، على هامش ك

* ورد ذكر أكثر هذا الفصل في القول الرابع من الباب الأول من كتاب الأقوال الذهبية للكرماني

إلا أنه عام شامل وقريب واضح يعتاده الطفل وينشأ عليه ، ولا يُحتاج إلى الكلام فيه ، على أن في ذلك بين الأمم تفاضلاً كثيراً وبوناً بعيداً . وأمّا البلوغ من هذه الفضيلة أقصى ما يتهيأ في طباع الإنسان فلا يكاد يكمله إلا الرجل الفيلسوف^٣ الفاضل^٤ . وبمقدار فضل العوام من الناس على البهائم في زمّ الطبع والملكة للهوى ينبغي أن يكون فضل هذا الرجل على العوام . ومن هاهنا نعلم أن من أراد أن يزين نفسه بهذه الزينة ويكمل لها هذه الفضيلة فقد رام أمراً صعباً شديداً ويحتاج أن يوطن نفسه على مجاهدة الهوى ومجادلته ومخالفته . ولأن بين الناس في طباعهم اختلافاً كثيراً وبوناً بعيداً صار يسهل أو يعسر على البعض دون البعض منهم اكتساب بعض الفضائل دون بعض واطراح بعض الرذائل دون بعض . وأنا مبتدئ بذكر كيفية اكتساب هذه الفضيلة — أعني قمع الهوى ومخالفته — إذ كانت أجل هذه الفضائل وأشرفها وكان محلها من جملة هذا الغرض كله محلّ الاسطقس التالي للمبدأ^{١٢}

فأقول: إنّ الهوى والطباع | يدعوان أبدأ إلى اتباع اللذات الحاضرة وإشارها ٤٦ و من غير فكر ولا رويّة في عاقبة ويحثّان عليه ويُعجلان إليه ، وإن كان جالباً

(٢) بين الأمم في ذلك ل — (٤) من الناس : سقط ف ق — ذم ل ف ق — (٥) يعلم ك — (٦) في هذه الزينة ف ق — شديداً : سقط ف ق — (٧) ومجادلته : سقط ف ق ، ومجادلته ك على الهامش — ومخالفته : سقط ك — في طبائعهم ل — (٩) بعض هذه الفضائل ل — (١١) جملة : سقط ف ق — (١٢) الثاني للمبدء ك ، التالي للمبتدأ ف ق — (١٣) ابدأ : سقط ل — (١٤) عليه : سقط ف ق ك

* قال الكرمانى فى انتهاء القول الرابع من الباب الأول لكتابه : فنقول إن الفيلسوف الذى ذكره وعلق قمع هواه بذاته هو من البشر ، والبشر فمن نفس وجسم ... فمن أين يكون للفيلسوف استكمال الفضيلة المرهون وجودها بالباعث من خارجها والمأخذ لها ، ام كيف يتهيأ لنفسه أن تقمع هواها بذاتها وهى خالية مما يكون انبعاثها عنه فيه ، وهل قوله ذلك إلا قول صادر عن غير بيان . ولا بعد الحق إلا الضلال ، ولا بعد الصدق إلا الكذب والحال

للألم من بعد ومانعاً من اللذة ما هو أضعافٌ لما تقدّم منها . وذلك أنهما لا يريان
 إلاّ حالتهما في الذي هما فيه لا غير ، وليس بهما إلاّ أطراح الألم المؤذى عنهما
 ٣ وقتهما ذلك ، كما يثار الطفل الرمد حكّ عينه وأكل التمر واللعب في الشمس .
 ومن أجل ذلك يحقّ على العاقل أن يردعهما ويقمعهما ولا يُطلقهما إلاّ بعد
 الثبّت والنظر فيما يُعقبانه ويمثّل ذلك ويزنه ثم يتبع الأرجح لئلاّ يألم من
 ٦ حيث ظنّ أنه يلتدّ ويخسر من حيث ظنّ أنه يربح . فإن دخلت عليه من هذا
 التمثيل والموازنة شبهة لم يُطلق الشهوة لكن يقيم على ردعها ومنعها . وذلك أنه
 لا يأمن أن يكون في إطلاقها من سوء العاقبة ما يكون إيلاّله واحتمال مؤوته
 ٩ أكثر من احتمال مؤونة الصبر على قمعها أضعافاً مضاعفةً ، فالحزم إذاً في منعها .
 وإن تكفأت عنده المؤوتتان أقام أيضاً على ردعها ، وذلك أن المرارة المتجرّعة
 أهون وأيسر من المنتظرة التي لا بدّ من تجرّعها على الأمر الآكثر . وليس
 ١٢ يكتفى بهذا فقط بل قد ينبغي أن يقمع هواه في كثير من الأحوال - وإن لم ير
 لذلك عاقبةً مكروهةً - ليرنّ نفسه ويروضها على احتمال ذلك واعتياده فيكون ذلك
 عليها عند العواقب الرديّة أسهل ، ولئلاّ تتمكن الشهوات منه وتتسلط عليه . فإنّ
 ١٥ لها من التمكن في نفس الطبيعة والجملة ما لا يحتاج أن يزاد فضل تمكّن بالعادة أيضاً
 فيصير بحالٍ لا يمكن مقاومتها بتهّة* . وينبغي أن تعلم أن المؤثرين للشهوات المدمنين
 لها المنهمكين فيها يصيرون منها إلى حالة لا يلتذّونها ولا يستطيعون مع ذلك

(٢) في وقتها الذي هما فيه ك — (٣) وقتها ذلك : سقط ف ق — الرمد : سقط ف ق —
 لحك عينه ك ، يحك عينه الرمد ف ق — التمرة ف ق — (٦) يظن ف ق ك (مرتين) —
 ولا يخسر ك — (٨) من أن يكون ف — (١٠) تكفّت ف ق — (١١) في الأمر ل —
 (١٢) قد : سقط ك — احواله ل — (١٤) عند ما يرى له فيها من العواقب الرديّة ف ق —
 (١٥) أن يرى فضل ف ق — (١٦) البتة ك — المدمنين عليها التمكنين فيها ف ق —
 (١٧) يصيرون فيها ف ق

* انتهت إلى هنا رواية الكرمانى ويوجد في إثرها ما يلي : هذا فص قوله ، وما يعدو

تركها . فإنّ المدمنين لغشيان النساء وشرب الخمر والسماع — على أنها من أقوى الشهوات وأوكدها غرّاً في الطباع — لا يلتذونها التذادّ غير المدمنين لها لأنها تصير * عندهم بمنزلة حالة كل ذي حالة عنده ، أعنى المألوفة المعتادة ، ولا يتهيأ لهم الإقلاع عنها لأنها قد صارت عندهم بمنزلة الشيء الاضطرابي في العيش لا بمنزلة ما هو فضل وتترّف . | ويدخل عليهم من أجلها التقصير في دينهم ٦ وديارهم حتى يضطروا إلى استعمال صنوف الحيل واكتساب الأموال بالتغريب بالنفس وطرحها في المهالك ، فإذا هم قد شقوا * من حيث قدروا السعادة واغتموا من حيث قدروا الفرح وألموا من حيث قدروا اللذة . وما أشبههم في هذا الموضع بالحاطب على نفسه الساعي في هلاكها ، كالحيوان المخدوعة بما ينصب لها في مصايدها ، حتى إذا حصلت في المصيدة لم تنل ما خدعت به ولا أطاقت التخلص مما وقعت فيه . وهذا المقدار من قمع الشهوات مقنع ، وهو أن يُطلق

(١) على غشيان ف ق — على انهما ف — (٥) وشرف ف — النقص في دينهم ل — (٩) كالحيوان ك : كالحيوانات ل ف

ما يكون صحيحاً وحسنّاً من قول لولا نداؤه ببطلان كون ما أوجه من الطب طباً وباستمرار الخطأ في تعليق قمع الهوى بالنفس وإيجاب اكتفائها فيه اكتساباً للفضيلة بذاتها ... إنه لما كانت النفس قد جعلت لجسمها كمالاً به يكون نوعاً من الحيوان وكان كونها في وجودها لجسمها كمالاً لأن تكون في فعلها دائرة عليه كأخواتها من أنواع الحيوان حفظاً له وقياماً بمصلحته ... كان الامتناع منها أن تفعل ما يضاد هواها ويوجه اختيارها قائماً وبطلان وجود فعل منها لا تهواه ثابتاً ... فتعلق قمع النفس هواها بذاتها الممتنع كونه منها إلا يباعث من خارجها ترغيباً وترهيباً خطأ كبير وضلال بعيد . وإذا كان قوله في الطب الروحاني باطلاً والخطأ في تعليق قمع الهوى بالنفس مستمراً جارباً فكلامه الذي أورده ليس ببط ولا كتابه بمرتج للنفس ولا بأب ، وله قلنا إنه في الطب الجسدي كغصن مائس خضروفي طبه الروحاني كجلد خائس قدره — وأما بقية فصل الكتاب الى ص ٢٤ س ٣ (« وهذا يراه ») فقد لخصه الكرماني دون إيراده بنصه :

* سقطت هنا ورقة من نسخة ق وتستأنف روايتها ص ٢٤ س ١٤ (« والمنكح »)

* سقطت هنا عدة ورقات في نسخة ف ولا تستأنف روايتها إلا في الفصل السابع من الكتاب

منها ما علم أن عاقبته لا تجلب أَلَمًا ولا ضَرَرًا دنيائيًا موازيًا للذة المُصابة منها
 فضلًا عما تجلب مما يُؤني ويرجع على اللذة التي أُصِبت في صدرها . وهذا
 ٣ يراه * ويقول به ويوجب حمل النفس عليه من كان من الفلاسفة لا يرى أن
 للنفس وجوداً بذاتها ، ويرى أنها تفسد بفساد الجسم الذي هي فيه . فأما من يرى
 أن للنفس أُنْيَّةً وذاتاً مَّا قائمة بنفسها وأنها تستعمل الجسم الذي لها بمنزلة
 ٦ الأداة والآلة وأنها لا تفسد بفساده فيرتقون من زمّ الطباع ومجاهدة الهوى
 ومخالفته إلى ما هو أ كثر من هذا كثيراً جداً ، ويرذلون ويستنقصون المنقادين له
 والمائلين معه تنقُصاً شديداً ويحملونهم محلّ البهائم ، ويرون أن لهم — في اتباع
 ٩ الهوى وإيثاره والميل مع اللذات والحبّ لها والأسف على ما فات منها وإيلام
 الحيوان لبلوغها ونيلها — عواقبَ سوءٍ بعد مفارقة النفس للجسد يكثر ويطول لها
 ألمها وأسفها وحسرتها . وقد يستدلّ هؤلاء من نفس هيئة الإنسان على
 ١٢ أنه لم يتهيأ للشغل باللذات والشهوات بل لاستعمال الفكر والروية من تقصيره
 في ذلك عن الحيوان غير الناطق . وذلك أن البهيمة الواحدة تُصيب من لذة
 المأكّل * والمنكح ما لا يصيبه ولا يقدر عليه عدد كثير من الناس . فأما حالها
 ١٥ في سقوط الهمّ والفكر عنها وهناءة عيشها وطيبها بذلك فخالّة لا يصيب الإنسان
 ولا يقدر على مثلها بتّة ، وذلك أنها من هذا المعنى في الغاية والنهاية . فإننا نرى البهيمة

(٢) مما ، صححنا : ما ل — (٥) للنفس ك : النفس ل — وذواتا قائمة ك — (٦) ذم ل —
 (٧) ومقابلته ك — من ذلك ك — (٩) مع ك : الى — ما : سقط ل — (١٠) الجسد
 ك — تكثر ل — (١١) وحسراتها ك — (١٢) للشغل بالشهوات ك — من ك : في ل —
 (١٣) الغيرل — (١٤) عدد : سقط ك — (١٥) السقوط للهمق — وطيله ل ، وطيبته ق —
 بذلك : سقط ق — لا يصيبها ل — (١٦) البتة ك ، سقط ق — في هذا ل

* من هنا تستأنف رواية ك

* من هنا استأنفت رواية ق بعد سقط ورقة من النسخة

- ٤٧ و قد حضر وقت ذبحها وهي منهمكة مقبلة على ما كلفها ومشر بها . | قالوا : فلو كانت إصابة الشهوات والميل مع دواعي الطباع هو الأفضل لم يكن يبخس الإنسان ويُعطاه ما هو أخس منه من الحيوان . وفي بخس الإنسان وهو أفضل الحيوان ٣ المائت لحظة من هذه الأشياء وتوفّر الحظّ له من الروية والفكر ما يعلم منه أن الأفضل له استعمال النطق وتركيبته لا الاستعباد والانقياد لدواعي الطباع . قالوا : ولئن كان الفضل في إصابة اللذات والشهوات ليسكون من له الطباع ٦ المتهيّئ لذلك أفضل ممّن ليس له ذلك ، فإن كان كذلك فالثيران والحير أفضل من الناس لا بل ومن الحيوان غير المائت كله ومن الباري عزّ وجلّ إذ ليس بنى لذة ولا شهوة . قالوا : ولعلّ بعض الناس ممّن لا رياضة له ولا يروى ٩ ولا يفكر في أمثال هذه المعاني لا يُسلم لنا أنّ البهائم تصيب من اللذة أكثر ممّا يصيبه الناس . ويحتجّ علينا بملك ما ظفر بعدوّ منازع ثم جلس من وقته ذلك للهو واحتشد في إظهار جميع زينته وهيئته حتى بلغ من ذلك غاية ما يمكن ١٢ الناس بلوغه ، فيقول أين التذاذ البهيمية من التذاذ هذا وهل له عنده مقدار وله إليه نسبة ؟ فليعلم قائل هذا أنّ كمال اللذة ونقصانها ليس يكون بالإضافة من بعضها إلى بعض بل بالإضافة إلى مقدار الحاجة إليها . فإنّ من لا يصلح حاله إلّا ١٥ ألف دينار إن أُعطِيَ منها تسع مائة وتسعة وتسعين ديناراً لم يتمّ له صلاح حاله تلك . ومن كان يصلح حاله الدينار الواحد يتمّ له صلاح حاله بإصابة ذلك

(١) قالوا : سقط ق — (٣) ويعطى ق — من هو ل — ما هو أفضل من الحيوان ق —
 (٤) له ك : منه ل ، سقط ق — وركسه ك ق — (٥) لا استعمال الاقياد ك — (٦) كانت
 الفضيلة ك — (٧) التهيئة ل — وان ك — (٨) من الناس : سقط ق — إذ كان ليس
 ك — قالوا : سقط ق — (٩) ولم يرو ولم ك — (١١) بملك ظفر بامر من منازع ق —
 (١٢) وهيئته ل — (١٤) او له اليه ق ، واليه ل — باضافة ك — (١٥) لم يصلح ل —
 (١٦) صلاح حالته تلك ك — (١٧) يصلح حالته ك — تمّ حالته وصلاحها ق

الدينار الواحد ، على أن الأول قد أُعطيَ أضعاف هذا فلم يكمل له صلاح حالته .
 والبهيمة إذا تَوَقَّرَ عليها ما يدعوها إليه الطباع كمل وتمّ التذاذها بذلك ، ولا
 ٣ يضُرُّها ولا يؤلمها فوت ما وراء ذلك إذ كان لا يخطر لها ببال بَتَّةَ . على أن للبهيمة
 فضل اللذة أبداً على كل حال . وذلك أنه ليس أحد من الناس يقدر أن يبلغ كل
 أمانيه وشهواته ، لأن نفسه لمّا كانت نفساً مفكرةً مرويةً متصورةً للغائب عنه
 ٦ وكان في طباعها أن لا تكون لذي حال حالة إلاّ وتكون حالتها هي الأفضل ، لا تخلو
 ٧٤ظ في حالة من الأحوال من التشوّق والتطلّع إلى ما لم تحوّه والخوف | والإشفاق على
 ما قد حوته ، فلا تزال لذلك في نقص من لذتها وشهوتها . فإنّ إنساناً لو ملك
 ٩ نصف الأرض لنازعت نفسه إلى ما بقي منها وأشفقت وخافت من تفلّت
 ما حصل له منها ، ولو ملك الأرض بأسرها لتمتّ دوام الصحة والخلود
 وتطلّعت نفسه إلى علم خبر جميع ما في السموات والأرضين . ولقد بلغني عن
 ١٢ بعض الملوك الكبار الأنفس أنه ذُكِرَ عنده ذات يوم الجنة وعظيم ما فيها
 من النعيم مع الخلود ، فقال أمّا أنا فإني أتغنّى هذا النعيم وأستمرّه إذا فكرت
 بأنّي منزل فيها منزلة المُفضَّل عليه المُحسِن إليه . فتى يتمّ التذاذ هذا واغبطاه
 ١٥ بما هو فيه ، وهل المغتبط عند نفسه إلاّ البهائم ومن جرى مجراها ؟ كما قال الشاعر
 وهل يَنَعَمَنَّ إلاّ سعيد مخلّد قليل الهموم ما يبيت بأوجال
 وهذه العصابة من المتفلسفة تترقّى من زمّ الهوى ومخالفته بل من إهاتته

(٢) تدعوها ل — (٣) اذ كانت ك — البتة ق ، سقط ك — (٤) أبدا : سقط ل —
 (٥) عنها ق — (٦) حال حال بته ل — (٧) التطلع والتشوق على ق — وخوف
 وإشفاق ك (ق) — (٨) كذلك ق ، كذلك لذلك ك — لذاتها وشهواتها ق — (٩) نصف
 الدنيا ق — (١١) وتطلعت : ونازعت ل — خبر : سقط ق — في الارض والساء ق —
 (١٢) ذكرت له وعنده ق — (١٣) أبغض ل — (١٤) الالتذاذ لهذا والاعتباط
 لما هو فيه ق — (١٥ — ١٦) كما ... باوجال : سقط ق — (١٧) ذم ل ق

وإماتته إلى أمر عظيم جداً ، حتى إنها لا تنال من الماء كل والمشرب إلا قوتاً وبلغةً ولا تقتنى مالا ولا عقاراً ولا داراً . وربما أقدم الموعِّل منهم في هذا الرأي على اعتزال الناس والتخلِّي منهم ولزوم المواضع الغامرة . وبهذا ونحوه يحتجُّون^٣ لصحة رأيهم من الأشياء الحاضرة المشاهدة . فأما ما يحتجُّون به له من أحوال النفس بعد مفارقتها للبدن فإنَّ الكلام فيه يجاوز مقدار هذا الكتاب في شرفه وفي طوله وفي عرضه . أمَّا في شرفه فإنه يُبحث فيه عن النفس ما هي ولم هي^٦ مع الجسم ولم تفارقه وما تكون حالها بعد مفارقتها ، وأمَّا في طوله فلا نَّ كل واحد من هذه البحوث يحتاج في تعبيره وحكايته إلى أضعاف أضعاف ما في هذا الكتاب من الكلام ، وأمَّا في عرضه فلا نَّ قصد هذه المباحث هو إلى صلاح حال^٩ النفس بعد مفارقتها للجسد وإن كان قد يعرض فيه باشتراك الكلام أكثر إصلاح الأخلاق . ولا بأس أن نحكي منه جملة وجيزة من غير أن نلبس فيه باحتجاج لهم أو عليهم ، ونقصد منه خاصَّة للمعاني التي نظنَّ أنها تُعين على بلوغ^{١٢} غرض كتابنا هذا وتقوى عليه

فنعول : إن فلاتن شيخ الفلاسفه وعظيمها يرى أن في الإنسان | ثلاث^{٤٨ و} أنفس يسمَّى إحداها النفس الناطقة والإلهية والأخرى يسميها النفس الغضبية والحيوانية والأخرى يسميها النفس النباتية والنامية والشهوانية* . ويرى أن النفسين الحيوانية والنباتية إنما كوتتا من أجل

(١) والمشارب ك — (٢) ولا دارا : سقط ك — (٣) الاعتزال من ق — الغامرة من الأرض ك — وبلزوم هذا ونحوه ق — (٤) في الأشياء ق — له : سقط ك — (٦) وطوله وعرضه ق — (٧) مفارقتها ك ، المفارقة ق — (٨) أضعاف : سقط ق — (٩) إصلاح ك ق — (١٠) يعرض منه ل ، تقدم منه ك — بإسترسال الكلام ق — (١١) نلبس ل — (١٢) منها ق ، فيها ك — بلوغ : سقط ل — (١٤) افلاطون ك — المتفلسفة ك ، الفلسفة ق — (١٧) أن النفس ك ق — النباتية والغضبية ل

* قال الكرمانى فى القول الخامس من الباب الأول عند تقديمه لكلام الرازى : وإذا كان

النفس الناطقة . أمّا النباتيّة فلتغذو الجسم الذي هو للنفس الناطقة بمنزلة آلة وأداة إذ ليس هو من جوهر باق غير متحلّل بل من جوهر سيّال متحلّل ، وكان كل متحلّل لا يبقى إلّا بأن يخلف فيه بدلاً ممّا تحلّل منه . ٣

فأمّا الغضبيّة فلتستعين بها النفس الناطقة على قمع النفس الشهوانيّة ومنعها من أن تشغل النفس الناطقة بكثرة شهواتها عن استعمال نطقها الذي إذا استعملته كمالاً كان في ذلك تخلّصها من الجسم المشتبكة به . وليس لهاتين النفسين — أعنى النباتيّة والغضبيّة — عنده جوهر خاصّ يبقى بعد فساد الجسم كجوهر النفس الناطقة ، بل إحدهما وهي الغضبيّة هي جملة مزاج القلب والأخرى وهي الشهوانيّة هي جملة مزاج الكبد . وأمّا جملة مزاج الدماغ فإنها عنده أوّل آلة وأداة تستعملها النفس الناطقة . والاعتناء والنموّ والنشوء للإنسان من الكبد ، والحرارة وحركة النبض من القلب . وأمّا الحسّ والحركة الإراديّة والتخيّل والفكر والذكر فمن الدماغ ، لا على أنّ ذلك من خاصيّته ومزاجه بل من الجوهر الحالّ فيه المستعمل ١٢

(١) البدن ك — (٢) أداة وآلة ك — غير متحلّل : سقط ك — (٣) بدل ل — (٤) فأمّا النفس الغضبية ق — (٦) من الجسد ق — (٩) وأداة : سقط ك ق — (١١) والارادة ق — (١٢) ذلك له ومن خاصته ق

كذلك فليس (أى كلامه في هذا الفصل) بطب ولا ما أورده حكاية عن قول افلاطون إن للانسان أنفساً ثلاثاً ناطقة وغضبية ونامية الكائن سقيماً وخطأ من الآراء والأقوال بكون النامية الشهوانية والغضبية الحيوانية والناطقية الالهية أسماء لأفعال صادرة عن فاعل واحد ، قياماً بما له جعل كمالاً للشخص يستحق بكل فعل منها اسماً ، فاذا فعل بآلات التغذية وتعويض البدن عما يتحلّل منه قيل إنه النامية ، وإذا فعل بآلات الاحساس طلباً للملاذ والغلبة والفهر وحفظاً للشخص قيل إنه الحسية ، وإذا فعل بآلات التصور طلباً للعلوم وفضيلة الذات قيل إنه الناطقة ، كالنجار الذي تصدر عنه أفعال بآلاته ويقال إذا ثقب بالثقب إنه ثاقب وإذا نشر بالمنشار إنه ناشر وإذا نجر بالقادوم إنه نجار وهو واحد وتبطل منه هذه الأفعال إذا ترك الآلة ، وكالربان في السفينة الذي يأمر برفع الشراع وحطه وإرساء الانحر وجذبه ونزف الماء من الجثة وقذفه والنوص في الماء لسدّ منفذه إلى السفينة وإصلاحه ، وتبطل منه هذه الأفعال والأمر بها إذا خرج إلى البر وهو واحد

له على طريق استعمال آلة وأداة ، إلا أنه أقرب الآلات والأدوات إلى هذا الفاعل .
ويرى أن يجتهد الإنسان بالطب الجسداني وهو الطب المعروف ، والطب الروحاني
وهو الإقناع بالحجج والبراهين في تعديل أفعال هذه النفوس لئلا تقصّر عما
أريد بها ولئلا تتجاوزها . والتقصير في فعل النفس النباتية أن لا تغزو ولا
تُمنى ولا تُنشئ بالكيفية والكيفية المحتاجة إليها جملة الجسد ، وإفراطها أن تتعدى
ذلك وتجاوزها حتى يخضب الجسد فوق ما يحتاج إليه ويفرق في الذات
والشهوات . وتقصير فعل النفس الغضبية أن لا يكون عندها من الحمية والألفة
والنجدة ما يمكنها أن تزمّ وتقهر النفس الشهوانية في حال اشتهاؤها حتى تحول
دونها ودون شهواتها ، وإفراطها أن يكثّر فيها الكبير وحُب الغلبة حتى تروم
قهر الناس وسائر الحيوان ولا يكون لها هم إلا الاستعلاء والغلبة كالحالة التي كان
عليها الاسكندر الملك . وتقصير فعل النفس الناطقة أن لا يخطر ببالها استغراب
هذا العالم واستكباره والفكر فيه والتعجب منه والتطلع والتشوق إلى معرفة
جميع ما فيه وخاصة علم جسدها الذي هي فيه وهيئته وعاقبته بعد موته ، فإن
من لم يستكبر ويستغرب هذا العالم ولم يتعجب من هيئته ولم تتطلع نفسه إلى
معرفة جميع ما فيه ولم يهتم ويعنّ بتعرّف ما تؤول إليه الحال بعد الموت فنصيبه
من النطق نصيب البهائم لا بل الحفّاش والحيتان والحُشار التي لا تتفكر ولا
تتذكر البتة . وإفراطها أن يميل به ويستحوذ عليه الفكر في هذه الأشياء ونحوها
حتى لا يمكن النفس الشهوانية أن تنال من الغذاء وما به يصلح الجسم من النوم

(٢) في الطب ق — وبالطب ل — (٤) عن فعل ل — (٥) تنشأ ك ق — (٧) والألف
ل — (٨) تنم ل — وتقهر وتقهر ق — (٩) بينها وبين ل — ودون إرادتها وشهواتها
ق — وإفراطها ك — (١٣) على علم ق — (١٤) لم يكن يستكبر ق — تطلع ك ق —
(١٦) ثم لا بل ك — لا بل ... الحُشار : سقط ق — الحفّاش والحُشار والهمج ك —
(١٧) بته ق — (١٨) وما يصلح به الجسد ك

وغيره مقدار ما تحتاج إليه في بقاء مزاج الدماغ على حالة الصحة ، لكن يبحث ويتطلع ويجهد غاية الجهد ويقدر بلوغ هذه المعاني والوصول إليها في زمان أقصر من الزمان الذي لا يمكن بلوغها إلا فيه ، فيفسد حينئذ مزاج جملة الجسد حتى يقع في الوسواس السوداوى والمالنخوليا ويفوته ما طلب من حيث قدر سرعة الظفر به . ويرى أن المدة التي جعلت لبقاء هذا الجسد المتحلل الفاسد بالحال التي يمكن النفس الناطقة استعمالها فيما تحتاج إليه لصلاح أمرها بعد مفارقتها . — وهى المدة التي منذ حين يولد الإنسان إلى أن يهرم ويذبل — مدة يقضى فيها كل أحد ، ولو كان أبداً الناس بعد أن لا يضرب عن الفكر والنظر البتة ، بالتطلع على المعاني التي ذكرنا أنها تخص النفس الناطقة وبأن يرذل هذا الجسد والعالم الجسدانى البتة ويشنأه ويغضه ، ويعلم أن النفس الحساسة ما دامت | متعلقة بشيء منه لم تنزل في أحوال مؤذية مؤلمة من أجل تداول الكون والفساد إياه ، ولا يكره بل يشفق إلى مفارقتها والتخلص منه . ويرى أنه متى كانت مفارقة النفس الحساسة للجسد الذى هى فيه وقد اكتسبت هذه المعاني واعتقدتها صارت فى عالمها ولم تشتق إلى التعلق بشيء من الجسم بعد ذلك البتة ، وبقيت بذاتها حية ناطقة غير مائتة ولا آلمة مغتبطة بموضعها ومكانها . أمّا الحيوية والنطق فلها من ذاتها ، وأمّا بعدها عن الألم فليبعدها عن الكون والفساد ، وأمّا اغتباطها بمكانها وعالمها فلتخلصها من مخالطة الجسم والكون فى العالم الجسدانى . وأنه متى كانت مفارقتها للجسد وهى لم تكتسب هذه المعاني ولم تعرف العالم الجسدانى حق معرفته بل كانت تشتاق

(١) على حالته الصحيحة ك — (٢) غاية الاجتهاد ل — (٤) والمالنخوليا ك ق — (٥) قد جعلت لهذا ق — (٧) حين : سقط ك — (٨) إلى المعاني ق — (٩) البتة : سقط ل — (١١) إياها ق — (١٣) هذا المعنى واعتقدته ق — وصارت ك ، فخلصت وصارت ق — لم تشتق ق — (١٤) الجسد ق — بقيت ك — (١٥) عن : من ق — (١٦) من الكون ق — فاكتسبت من مخالطة ل

إليه وتحرص على الكون فيه لم تبرح مكانها ولم تزل متعلقة بشيء منه ، ولم تزل — لتداول الكون والفساد للجسد الذي هي فيه — في آلام متصلة مترادفة وهموم جمّة مؤذية * . ف هذه جملة من رأى فلاطن ومن قبله سقراط المتخلى المتأله . وبعد^٣ فما من رأى دنيائى قط إلا ويوجب شيئاً من زَمِّ الهوى والشهوات ولا يُطلق إهمالها وإمراجها ، فزَمُّ الهوى وردعه واجب في كل رأى وعند كل عاقل وفي كل دين . فليلاحظ العاقل هذه المعانى بعين عقله ويجعلها من همّه وباله . وإن هو لم^٦ يكتسب من هذا الكتاب أعلى الرُتب والمنازل في هذا الباب فلا أقلّ من أن يتعلّق ولو بأخسّ المنازل منه ، وهو رأى من رأى زَمِّ الهوى بمقدار ما لا يجلب

(١) مكانه ك — (٢) وفي هموم ق — (٣) افلاطن ق ، افلاطون ك — المتخلى عن الدنيا ك — (٤) من : سقط ك — من راء رأياً إلال — شيئاً من : سقط ل — (٥) في كل رأى ودين ك — (٦) فينبغى للعاقل أن يلاحظ ك ق — (٨) ولو : سقط ق — يرى ك

* قال الكرماني في القول الخامس من الباب الأول عند نقده لكلام الرازي : وأما القول بإيجاب المسك النفس بعد مفارقة الشخص وتعلقها بشخص آخر فنقول : إن الأمر في تعلقها بجسم آخر لا يخلو إما أن يكون من تلقاء ذاتها أو من تلقاء غير يقهرها على التعلق . فإن كان تعلقها من تلقاء ذاتها فيمتنع وبطل من وجهين أحدهما من قبل الجسم الذى تتعلّق به وتتحول إليه بعد مفارقتها ما كانت فيه ، يكون كل جسم إن كان ركناً من الأركان الأربعة التى هي مواد المواليد الثلاثة مستغنية مادته بصورتها الفاعلة بها التى بها هو ركن عن صورة أخرى ، وإن كان نباتاً كذلك مستغنية مادته بما لها من الصورة الفاعلة بها من النامية التى بها هو نبات عن غيرها ، وإن كان معدناً أو حيواناً كذلك الحال في مادة كل منهما مشغولة بصورتها الفاعلة فيها التى بها هي معدن وحيوان وامتناع وجود مادة خالية من صورة فاعلة بها فتكون صورة لها في تعلقها بها ... وإن كان تعلقها من تلقاء غير قاهر لها على التعلق والتحول فمتنع باطل كذلك فلا يخلو القاهر أن يكون إما حكيماً أو غير حكيم ، وإن كان غير حكيم فيكون النقل منه لاصلاح واستصلاح من الأفعال التى توجبها الحكمة وتقتضيها يبطل أن يكون غير حكيم فكونه حكيماً ثابت . وإذا كان حكيماً فنقله إياها إما لسلها رذيلة أو لكسبها فضيلة ، وبطل الوجهان بامتناع الامر فيهما واستحالتة من قبيلهما إذا كان نقلها الى أجسام البهائم والوحوش لو كان ممكناً ... فقد ثبت أن النفس بعد مفارقتها جسمها باقية على حال ما اكتسبتها بأفعالها بحسب هواها أو تقواها من غير اتصال بجثة أخرى ، وخيرها وشرها بمقدار أعمالها وأفعالها على ما عليه اعتقاد الديانين التابعين للأنبياء عليهم السلام

ضرراً عاجلاً دنيائياً . فإنه وإن تجرّع في صدور أموره من زَمّ الهوى وقمعه
مرارة وبشاعة فستُعقبه أردافها حلاوةً ولذاذةً يغتبط بها ويعظم سروره
٣ وارتياحه عندها ، مع أنّ المؤونة في احتمال مغالبة الهوى وقمع الشهوات ستخفّ
عليه بالاعتیاد ولا سيّما إذا كان ذلك على تدریج بأن يعود نفسه ويأخذها أولاً
بمنع اليسير من الشهوات وترك بعض ما تهوى لِمَا يوجب العقل والرأى ، ثم
٦ يروم من ذلك ما هو أكثر حتى يصير ذلك فيه مقارناً للخلق والعادة وتذلّ نفسه
الشهوانية وتعتاد الانقياد للنفس الناطقة ، ثم يزداد | ذلك ويتأكد عند سروره
٩ بالعوّاقب العائدة عليه من زَمّ هواه وانتفاعه برأيه وعقله وسياسة أموره بهما
١ ومدح الناس له على ذلك واشتياقهم إلى مثل حاله *

الفصل الثالث

جملةً قدّمت قبل ذكر عوارض النفس الرديّة على انفرادها *

أما وقد وطّأنا لما يأتي بعدُ من كلامنا أسّسه وذكرنا أعظم الأصول في ذلك
١٢ ممّا فيه غنى وعليه معونةٌ فإنّا ذاكرون من عوارض النفس الرديّة والتلّطف
لإصلاحها ما يكون قياساً ومثالاً لما لم نذكره منها . ونستحرى الإيجاز والاختصار

(١) صدور أمره كـ ، صدر أموره ق — ومنعه ك — (٤) عنده ق — (٨) من ذم
الهوا ق — (١١) اعراض النفس ق — (١٢) انا قد وطّأنا ك — (١٣) ممّا فيه : سقط
ل ق — من ذكر عوارض ك — (١٤ - ص ٣٣ ، ١) لم ... فيها : سقط ق — الاختصار ك

* قال الكرمانى فى القول الخامس من الباب الأول من كتابه بعد إبراده للفصل الثانى من
كتاب الرازى : هذا فص قوله وهو من الحسن فى معانيه ، والجودة فى مبانيه ، على أمر قويم ،
وصراط فى العظة والتنبية مستقيم ، لكنه مع كونه كذلك مما يكون طباً ذو امتناع ، والغرض
فى الكتاب معدول به عنه لا يُقع به انتفاع الخ . (تتلو فى أثناء نقد الكرمانى الفصول المذكورة
فى ص ٢٧ و ٣١)

* ورد هذا الفصل بتمامه فى ابتداء القول السادس من الباب الأول من كتاب الكرمانى

ما أمكن في الكلام فيها ، إذ قدّمنا السبب الأعظم والعلة الكبرى التي منها نستقى وعليها نبني جميع وجوه التلطف لإصلاح خُلق ما ردى . حتى إنه لو لم يُفرد ولا واحدٌ منها بكلام يخصّه بل أُغفل ولم يُذكر بتّةً لكان في التحفظ^٣ والتمسك بالأصل الأوّل غنى وكفاية لإصلاحها ، وذلك أنّ جُلّها بما يدعو إليه الهوى وتحمل عليه الشهوات ، وفي زمّ هذين وحفظهما ما يمنع التمسك والتخلّق بهما . إلّا أنّنا على كل حال ذاكرون من ذلك ما نرى أنّ ذكره أوجب وألزم^٦ وأعون على بلوغ غرض كتابنا هذا ، وبالله نستعين

الفصل الرابع

في تعرّف الرجل عيوب نفسه^{*}

من أجل أنّ كل واحد منّا لا يمكنه منع الهوى محبةً منه لنفسه واستصواباً واستحساناً لأفعاله ، وأن ينظر بعين العقل^{*} الخالصة المحضة إلى خلّاقته وسيرته — لا يكاد يستبين ما فيه من المعاييب والضرائب الذميمة ، ومتى لم يستبين ذلك^{١٢} فيعرفه لم يُقلع عنه إذ ليس يشعُر به فضلاً عن أن يستقبّحه[×] ويعمل في الإقلاع

(١) إذ قدّمت ق — (٢) التلطف بخلق ق — (٥) ذم ل ق — التخلّق والتمسك ل — (٦) كل : سقط ل ق — (٧) وبالله التوفيق وإياه نسأل السداد والصواب ك — (١٠) من أجل : سقط ك — منع : سقط ل — منه : سقط ل — (١١) وسيره ك — (١٢) وأنه لا يكاد يتبين ك — وأنه متى لم يتبين ذلك ولم يعرفه ك — (١٣) يشعُر به ك : يستغربه ل

^{*} ورد ابتداء هذا الفصل (حتى «عاقِل» ص ٣٤ س ١) في القول السادس من الباب الأول من كتاب الكرمانى . أما باقى الفصل فقد أورده الكرمانى ملخصاً فحسب

^{*} سقطت هاهنا بعض صفحات (إلى ص ٣٨ س ٤) من نسخة ق

× قال الكرمانى في القول السادس من الباب الأول لكتابه : وقوله « ولينظر بعين العقل ... فضلاً عن أن يستقبّحه » فننادٍ عليه باختلال مسالك نخلته . فمن المعلوم أن النفس إذ كانت مقبلة على الأفعال التي تهواها وتستحسنها فن أين لها أن تنظر بعين العقل الخالصة المحضة التي

عنه — فينبغي أن يُسند الرجل أمره في هذا إلى رجل عاقل كثير اللزوم له والكون معه ، ويسأله ويضرع إليه ويؤكد عليه أن يُخبره بكل ما يعرفه فيه من المعايير ،
 ٣ ويُعلمه أن ذلك أحب الأشياء إليه وأوقعها عنده ، وأن المنّة عليه منه تعظم في ذلك والشكر يكثر ، ويسأله أن لا يستحييه في ذلك ولا يحامله ، ويُعلمه أنه متى تساهل وضجع في شيء منه فقد أساء إليه وغشّه واستوجب منه اللائمة عليه * .
 ٥٠ فإذا أخذ | الرجل المشرف يُخبره ويُعلمه ما فيه وما ظهر وبان له منه لم يُظهر له اغتناماً ولا استخزاءً ، بل أظهر له سروراً بما يستمع وتشوقاً إلى ما لم يستمع منه .
 ١ فإن رآه في حال ما قد كتمه شيئاً استحياءً منه أو قصر في العبارة عن تقييح ذلك أو حسنها لأمه على ذلك وأظهر له اغتناماً به ، وأعلمه أنه لا يحب ذلك منه ولا يريد إلا التصريح وإعلامه ما يراه على وجهه . فإن وجده في حال أخرى قد زاد

(١) وأنه ينبغي ك — الرجل : سقط ك — في هذا : سقط ك — (٧) استخزاء ،
 صححنا : الجزاء ل

لو كانت لها لكانت لا تتبع هواها ، وهل ذلك إلا كلام صادر عن غير بيان . وقوله « إنه ينبغي أن يسند أمره إلى رجل عاقل يعرف ما فيه من المعايير والمذام » ويلزم له المنّة على ذلك « قول موجب ما أوجبناه من حاجة النفس إلى العلم المسدّد المؤاخذ بحقائق التعليم الذي أنكر أولاً أن يكون في عالم النفس من جهة الله تعالى من يعلم ويعرف ، ويقرّ به الآن بقوله . وإذا كان الأمر على ما أوجبناه فلا فائدة فيما كتبه

* قال الكرمانى : والذي ذكره في هذا الفصل ليس يتعلق بطب ولا ما أوجهه بإسناد المرء أمره في معرفة معايير ومذامه إلى غير يعرفه إيها من حصول العلم بكاف في برآة الذات منها ، مع كونه غير فاعل إلا ما يزداد به عيباً ، كالعليل الزمن المستسقى الذي لا يطلب إلا الأكل الذي يزداد به علة . وما ينفع هذا العليل قول طبيب له اعلم أن هذه علة خبيثة صعبة مزمنة غير مفارقة إلا بالعناء والحمية من غير أن يحفظه من خارجه ولا يكله إلى نفسه ويمتنعه عن الأكل ويلزمه شربة الأدوية المكروهة إليه أن يشرّبها ويعزم عليه أن يقتصر عليها . وإذا كان ذلك كذلك فلا فائدة في تعريف معرف غير معايير وهي التي يهواها ويستحسنها ويميل إليها

وأُسرف في تقييح شيء رآه منه وتهجينه لم يغضبه ذلك بل حمده عليه وأظهر له
بشراً وسروراً بما رآه منه . وينبغي أن يجدد سؤال هذا المشرف عليه حالاً بعد
حال . فإنَّ الأخلاق والضرائب الرديّة قد تحدث بعد أن لم تكن . وينبغي ٣
أن يستخبر ويتحسس ما يقول فيه جيرانه ومعاملوه وإخوانه وبما ذا يمدحونه
وبما ذا يعيبونه ، فإنَّ الرجل إذا سلك في هذا المعنى هذا المسلك لم يكد يخفى عليه
شيء من عيوبه وإن قلّ وخفى . فإن اتّفق له ووقع عدوّ ومنازع حُبّ لإظهار ٦
مساويه ومعايبه لم يستدرِك من قبله معرفة عيوبه ، بل اضطرَّ وأُلجئ إلى الإقلاع
عنها ، إن كان ممن لنفسه عند نفسه مقدار وممن يحب أن يكون خيراً فاضلاً . وقد
كتب في هذا المعنى جالينوس كتاباً جعل رسمه « في أن الأخيار ينتفعون بأعدائهم » ،
فذكر فيه منافع صارت إليه من أجل عدوّ كان له . وكتب أيضاً « في تعرف الرجل
عيوب نفسه » مقالةً قد ذكرنا نحن جوامعها وجمالها هنا . وفيما ذكرنا من هذا
الباب كفاية وبلاغ ، ومن استعمله لم يزل كالقِدح مقوِّماً مثقّقاً ١٢

الفصل الخامس

في العشق والإلف وجملة الكلام في اللذة*

أمّا الرجال المذكورون الكبار الهمم والأنفس فإنهم يبعدون من هذه ١٥
البليّة من نفس طبائعهم وغرائزهم . وذلك أنه لا شيء أشدّ على أمثال هؤلاء من

(٤) ويتجسس ل — (٦) ووقع ، صححنا : او وقع ل — (١٤) وجملة الكلام في اللذة:

سقط ك — (١٥) بعيدون من ك

* ورد ابتداء هذا الفصل في القول السادس من الباب الأول من كتاب الكرمانى ، وقال
الكرمانى رداً على كلام الرازى : وقوله في الفصل الخامس في العشق وكيفية اللذة والإلف وأنه
يجب الاحتراس منه بتمرين العادة بمفارقة المألوف والتجافى عنه لا منفعة فيه . وكيف تفارق النفس
ما قد ألفته وتحترس منه ، وعندها أنه هو المأثور والخير المطلوب وأن الذى هى فيه هو خير لها من

٥٠ ظ التذلل والخضوع والاستكانة وإظهار الفاقة والحاجة واحتمال التجنى | والاستطالة . فهم إذا فكروا فيما يلزم العشاق من هذه المعاني نفروا منه ٣ وتصابروا وأزالوا الهوى عنه وإن بلوا به ، وكذلك الذين تلزمهم أشغال وهموم بليغة اضطرابية دنيائية أو دينية . فأما الخشون من الرجال والغزلون والفراغ والمترفون والمؤثرون للشهوات الذين لا يهتمهم سواها ولا يريدون من الدنيا ٦ إلا إصابتها ، ويرون قوتها قوتاً وأسفاً ، وما لم يقدرُوا عليه منها حسرةً وشقاءً ، فلا يكادون يتخلصون من هذه البلية ، لا سيما إن أكثرُوا النظر في قصص العشاق ورواية الرقيق الغزل من الشعر وسماع الشجي من الألحان والغناء . فلنقل ١ الآن في الاحتراس من هذا العارض والتنبيه على مخاتله ومكائمه بقدر ما يليق بغرض كتابنا هذا . ونقدم قبل ذلك كلاماً نافعاً معيناً على بلوغ غرض ما مرّ من هذا الكتاب وما يأتي بعده ، وهو الكلام في اللذة

١٢ فنقول : إنّ اللذة ليست بشيء سوى إعادة ما أخرجه المؤذي عن حالته إلى حالته تلك التي كان عليها . كرجل خرج من موضع كنين ظليل إلى صحراء ثم سار في شمس صيفية حتى مسّه الحرّ ثم عاد إلى مكانه ذلك ، فإنه لا يزال يستلذ

(٢) نفروا عنها ك — (٣) وأزالوا الهوى : سقط ل — به ل : هوا عنه ك — الذين يشغلهم هموم بليغة ك — (٤) الخشون ك — والغزلون صحنا : والغزلون ك ، والغزلان ل — (٦) قوتها أسفاً ل — (٨) الألحان و : سقط ك — (٩) الآن : سقط ك — (١٠) غرض : سقط ل — (١٢ — ١٣) إلى حالته : سقط ك — إلى صحراء : سقط ك — (١٤) يلتذ

غيره . وقد شهد بصحة ذلك قوله في هذا الفصل في معنى الخشون والغزلين من الرجال وكون من ميزهم من هذه الرذيلة كهم من حيث الطبيعة . فالنفس ما دامت في رتبة النفسية لا ترى إلا فعل ما تهواه . وإذا كانت النفس لا تتبع في أفعالها من ذاتها إلا فيما يجرى هذا المجرى من محبة معشوق ومألوف ومحسوس ونيل لذة وغلبة وقهر وسلب وتمول وكذب ومكر وحيلة في التوصل إلى إقامة غرض ، بحسب ما جعل إليها من عمارة جسمها وحفظه فتكون حيواناً طبيعياً ، فمتنع أن يكون منها فعل من ذاتها يخالف هذه الأمور إلا يباعث هو غيرها . وفي امتناع الأمر أن يكون إلا كذلك بطلان قوله في غرضه المقصود

ذلك المكان حتى يعود بدنه إلى حالته الأولى^٣ ، ثم يفقد ذلك الاستلذاذ مع عود بدنه إلى الحالة الأولى ، وتكون شدة التذاذه بهذا المكان بمقدار شدة إبلاغ الحر إليه وسرعة هذا المكان في تبريده . وبهذا المعنى حدّ الفلاسفة الطبيعيّون اللذة^٣ ، فإنّ حدّ اللذة عندهم هو أنّها رجوع إلى الطبيعة . ولأنّ الأذى والخروج عن الطبيعة ربما حدث قليلاً قليلاً في زمان طويل ، ثم حدث بعقبه رجوع إلى الطبيعة دفعةً في زمان قصير صار في مثل هذه الحال يفوتنا الحسّ بالمؤذى ويتضاعف^٦ بيان الإحساس بالرجوع إلى الطبيعة ، فنسمّى هذه الحال لذّة . ويظنّ بها من لا رياضة له أنّها حدثت من غير أذى تقدّمها ، ويتصوّرُها مفردةً خالصةً بريةً من الأذى . وليست الحال على الحقيقة كذلك بل ليس يمكن أن تكون لذّة بتّة^١ إلّا بمقدار ما تقدّمها من أذى الخروج عن الطبيعة . فإنّه بمقدار أذى الجوع

(١) إلى الحالة ك — (٩) بّة ، صححنا : منه ل

* إلى هاهنا انتهت رواية ك وهي تستأنف ص ٤٥ ، وقال الكرمانى في تقده لكلام الرازى : وقوله في هذا الفصل في اللذة « إنّها ليست شيئاً سوى ... إلى الحالة الأولى » قول موجب ما هو محال ذلك بإيجابه أن اللذة هي الحالة الأولى التي عاد إليها المتأذى بحرّ الشمس وكون الكائن في تلك الحالة الذي هو المستكنّ في الموضع الكئين الذي لم يلق حرّ الشمس غير واجد ما يجده الذي مسه حرّ الشمس وعاد إليها من اللذة . فان من المعلوم أن الذي لم يلق حرّ الشمس ولا يجد الأذى لا يحنّ إلى الظل ولا يستلذ الماء البارد كما يستلذه المتأذى بالحرّ . وإذا كان ذلك كذلك فقد ظهر كون ما قاله إن اللذة هي تلك الحالة الأولى محالاً . ثم أوجب بقوله ما قاله أن اللذة لا توجد إلّا بعد تقدم ما يكره وأنّها تزول ولا تثبت ، وذلك أمر غير مستمرّ في كل اللذات . فمن اللذات ما هو سرمدى لا يزول ويوجد لا عن مكروه يتقدمه ، مثل لذات الآخرة الموعود بها في الجنة التي لا مكروه فيها ولا زوال لها . والذي نقوله في اللذة إنّما هي مصير اللذات بما كان كاملاً لها أمراً كاملاً له الغنية ، وهي فيما كان محسوساً بعد وجودها زائلة يكون ما كان به كمالها مفارقاً متغيّراً ، كلذة الثقاء الحاس بالمحسوس وزوالها بالمفارقة ، وكلذة الحبيب بالاجتماع مع المحبوب وزوالها بالمفارقة ، وفيما كان معقولاً غير زائلة ولا مفارقة يكون ما كان كاملاً لها غير مفارق ولا متغيّر ، كلذة النفس في تصوّر ما هو كمال لذاتها وبقاءها على حالتها يكون ما فيه كمالها في ذاتها باقياً غير زائل

- والعطش يكون الالتذاذ بالطعام والشراب ، حتى إذا عاد الجائع والعطشان إلى حالته الأولى لم يكن شيء أبلغ في عذابه من إكراهه على تناولها | بعد أن كانا ألدّ الأشياء عنده وأحبّها إليه . وكذلك الحال في سائر الملاذ فإنّ هذا الحدّ بالجملة لازم لها ومحتوٍ عليها * ، إلا أنّ منها ما نحتاج في تبين ذلك منه إلى كلام أدقّ والطف وأطول من هذا . وقد شرحنا هذا في مقالة كتبناها « في مائة اللذة » ، وفي هذا المقدار الذي ذكرناه هاهنا كفاية لما نحتاج إليه . وأكثر المائلين مع اللذة المنقادين لها هم الذين لم يعرفوها على الحقيقة ولم يتصوّروا منها إلاّ الحالة الثانية ، أعنى التي من مبدأ انقضاء فعل المؤذّي إلى استكمال الرجوع إلى الحالة الأولى . ومن أجل ذلك أحبّوها وتمنّوا أن لا يخلوا في حال منها ، ولم يعلموا أنّ ذلك غير ممكن لأنّها حالة لا تكون ولا تُعرف إلاّ بعد تقدّم الأولى لها
- وأقول : إنّ اللذة التي يتصوّرها العشاق وسائر من كلفَ شيء وأغرم به — كالعشاق للتروّس والتملّك وسائر الأمور التي يفرط ويتمكّن حبّها من نفوس بعض الناس حتى لا يتمنّوا إلاّ إصابتها ولا يروا العيش إلاّ مع نيلها — عند تصوّرهم نيل مرادهم عظيمة مجاوزة للمقدار جدّاً . وذلك أنهم إنمّا يتصوّرون إصابة المطلوب ونيله مع عظم ذلك في أنفسهم من غير أن يخطر ببالهم الحالة الأولى التي هي كالطريق والمسلك إلى نيل مطلوبهم . ولو فكروا ونظروا في وعورة هذا الطريق وخشونته وصعوبته ومخاطره ومهاويله ومهالكه لمّر عليهم ما حلا وعظم

(٢) عذابه صبح : غذائه ل (ولعل الأصح : إيذائه) — (٥) والطف ومع ذلك فأطول من هذا شرحنا ذلك — ماهية ق — (٧) والمنقادين ل — لا يعرفونها ولن يتصوّروا ق — (٨) التي منذ انقضى فعل ق — (٩) في جميع الأحوال منها ولن ق — (١٠) بعد ما تقدم لها ق — (١١) العاشق ق — (١٢) كالعاشق ق — في نفوس ق — (١٣) غير إصابتها ق — (١٤) مراداتهم ق — جدّاً : سقط ق — (١٦) ولو نظروا وفكروا ق — هذه ق — (١٧) لأمر ما حلال

* هنا استأنفت رواية ق بعد سقط في النسخة (راجع ص ٣٣ س ١١)

ما صغر عندهم في جنب ما يحتاجون إلى مقاساته ومكادحته
وإذ قد ذكرنا جملة مائة اللذة وأوضحنا من أين غلط من تصوّرها محضة
بريّة من الألم والأذى فإنّا عائدون إلى كلامنا ومنبهون على مساوى هذا^٣
العارض أعنى العشق وخساسته

فنقول : إنَّ العُشَّاق يجاوزون حدَّ البهائم في عدم ملكة النفس وزمَّ الهوى
وفي الانقياد للشهوات . وذلك أنهم لم يرضوا أن يصيبوا هذه الشهوة ، أعنى لذة^٦
الباه — على أنها من أسمى الشهوات وأقبحها عند النفس الناطقة التي هي الإنسان
على الحقيقة — من أى موضع يمكن إصابتها منه ، حتى أرادوها من موضع ما
بعينه فضمّوا شهوةً إلى شهوة وركبوا شهوةً على شهوة وانقادوا وذلّوا للهوى^٩
ذلّاً على ذلّ وازدادوا له عبوديّةً إلى عبوديّة . | والبهيمة لا تصير من هذا الباب^{٥١}
إلى هذا الحدّ ولا تبلغه ، ولكنها تصيب منه بقدر ما لها في الطبع بما تطرح به
عنها ألم المؤذى المهيّج لها عليه لا غير ، ثم تصير إلى الراحة الكاملة منه . وهؤلاء^{١٢}
لما لم يقتصروا على المقدار البهيميّ من الانقياد للطباع ، بل استعانوا بالعقل — الذى
فضّلهم الله به على البهائم وأعطاهم إياه ليروا مساوى الهوى ويزمّوه ويمسكوه —
فى التسلّق على لطيف الشهوات وخفيّاتها والتحيز لها والتشوّق فيها ، وجب عليهم^{١٥}
وحقّ لهم ألاّ يبلغوا منها إلى غاية ولا يصيروا منها إلى راحة ، ولا يزالوا متأذّين
بكثرة البواعث عليها ومتحسّرين على كثرة الفاتت منها غير مغتبطين ولا
راضين — لنزوع أنفسهم عنها وتعلّق أمانيتهم بما فوقها وبما لا نهاية له منها — بما^{١٨}
نالوه أيضاً وقدروا عليه منها

(١) وصغر وعظم عندهم ل — (٥) فنقول : سقط ق — وذم ل ق — (١٠) إلى

عبودية : سقط ق — (١١) من الطبع ق — (١٣) لما : سقط ل — بل : ولو ل —

(١٤) على البهائم : سقط ل — ليزول به مساوى ق — (١٦) وجب عليهم و : سقط ل —

منها إلى : سقط ل — يزالوا متألمين لكثرة ق — (١٧) كثرة : سقط ل — (١٨) منها بما : مالم

ونقول أيضاً : إنَّ العُشَّاقَ مع طاعتهم للهوى وإيثارهم اللذة وتعبُّدُهم لها
يُحزنون من حيث يظنون أنهم يفرحون ، ويألمون من حيث يظنون أنهم يلدنون .
وذلك أنهم لا ينالون من ملاذِّهم شيئاً ولا يصلون إليه إلاَّ بعد أن يمَسُّهم الهم
والجهد ويأخذ منهم ويبلغ إليهم . وربما لم يزالوا من ذلك في كُربٍ مُنْصِبَةٍ وَغُصَصٍ
متَّصلة من غير نيل مطلوبٍ بَتَّةً . والكثير منهم يصير لِدوامِ السهر والهم وفقد
الغذاء إلى الجنون والوسواس وإلى الدِقِّ والذبول ، فإذا هم قد وقعوا من حِبال
اللذة وشبها بها في الردى والمكروه ، وأدَّتْهم عواقبها إلى غاية الشقاء والهلكة . وأمَّا
الذين ظنوا أنهم ينالون لذة العشق كَمَلًّا ويصيبونه مَن ملكوه وقدروا عليه فقد
غلطوا وأخطأوا خطأً بيِّناً . وذلك أنَّ اللذة إنما تكون إذا نيلت بمقدار بلاغ
ألم المؤذى الباعث عليها الداعى إليها ، ومَن ملك شيئاً وقدر عليه ضعف فيه هذا
الباعث الداعى وهدأ وسكن سريعاً . وقد قيل قولاً حقّاً صدقاً إنَّ كل موجود
مملوك وكل ممنوع مطلوب ١٢

ونقول أيضاً : إنَّ مفارقة المحبوب أمر لا بدَّ منه اضطراراً بالموت ، وإن
سَلِمَ من سائر حوادث الدنيا وعوارضها المبددة للشمل المفرقة بين الأحبة .
وإذا كان لا بدَّ من إساعة هذه الغُصَّة وتجرُّع هذه المرارة فإنَّ تقديمها والراحة
منها أصلح من تأخيرها | والانتظار لها ، لأنَّ ما لا بدَّ من وقوعه متى قُدِّمَ أزيح
مؤونةُ الخوف منه مدَّة تأخيره . وأيضاً فإنَّ منع النفس من محبوبها قبل أن
يستحكم حُبُّه ويرسخ فيها ويستولى عليها أيسرُ وأسهل . وأيضاً فإنَّ العشق متى
١٥ و ٥٢ ١٨

(١) اللذة ق — (٤) ومصيبة ق — (٥) من مطلوب ق — الهم والسهر ق —
(٦) محابل ق — (٧) شبكتها ل — وأدت بهم ق — الشقوة ق — (٨) العشاق ق —
(٩) بلاغ : سقط ل — (١٠) الهم المؤذى ق — فان ملك ق — (١١) قول حق ان ق —
(١٣) وأقول إن ق — (١٤) سائر : سقط ق — (١٦) ازيح ، صححنا (راجع ص ٤١ س
(١٠) : زيج ل ، ريج منه الخوف ق

- انضم إليه الإلف عسر النزوع عنه والخروج منه ، فإن بلية الإلف ليست بدون بلية العشق ، بل لو قال قائل إنه أوكد وأبلغ منه لم يكن مُحْتَطاً ، ومتى قصرت مدة العشق وقلّ فيه لقاء المحبوب كان أخرى أن لا يخالطه ويعاونه الإلف . ٣
- والواجب في حكم العقل من هذا الباب أيضاً المبادرة في منع النفس وزمها عن العشق قبل وقوعها فيه ، وفطمها منه إذا وقعت قبل استحكامه فيها . وهذه الحجة يقال إن فلاطن الحكيم احتج بها على تلميذ له بلى بحب جارية فأخل بمركزه من مجلس مدارس فلاطن . فأمر أن يطلب ويؤتى به ، فلما مثل بين يديه قال أخبرني يا فلان هل تشك في أنه لا بد لك من مفارقة حبك هذه يوماً ما ؟ قال ما أشك في ذلك . فقال له فلاطن فاجعل تلك المرارة المتجرعة في ذلك اليوم في هذا اليوم ، وأزح ما بينهما من خوف المستظر الباقي بحاله الذي لا بد من مجيئه وصعوبة معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام الإلف إليه وعصده له . فيقال إن التلميذ قال لفلاطن إن ما تقول أيها السيد الحكيم حق ، لكنني أجد انتظاري له سلوة بمرور الأيام عني أخف علي . فقال له فلاطن وكيف وثقت بسلوة الأيام ولم تخف إلفها ، ولم أمنت أن تأتيك الحالة المفرقة قبل السلوة وبعد الاستحكام ، فقتدت بك الغصة وتتضاعف عليك المرارة . فيقال إن ذلك الرجل سجد في تلك الساعة لفلاطن وشكره ودعا له وأثنى عليه ، ولم يعاود شيئاً مما كان فيه ولم يظهر منه حزن ولا شوق ، ولم يزل بعد ذلك لازماً لمجالس فلاطن غير مُخْلِ بها بته . ويقال إن

(١) عنه : سقط ل — (٢) ابلغ واوكد ق — (٣) ويعاونه : سقط ق — (٦) افلاطن (كذا دائماً) ق — كان بلى ق — فأخل فكره ق — (٧) مجلس : سقط ل — (٧ — ٨) قال له يا فلان أخبرني ق — (٨) حبيبك ق — (١٠) وأزح ، صححنا : وأزح ل ق — للحال ق — مجيئها ق — معالجتها ق — (١١) ذلك التلميذ ق — لفلاطن ق — (١٢) أما ما تقول ... فهو حق ق — به سلوة من وراء الأيام ل — (١٣) عني : سقط ل — (١٤) وامنت ق — (١٥) في تلك الحالة ل — (١٧) شوق البتة ق

فلاطن أقبل بعد فراغه من هذا الكلام على وجوه تلامذته فلامهم وعظلم في تركهم وإطلاقهم هذا الرجل وصرف كل همته إلى سائر أبواب الفلسفة قبل إصلاح نفسه الشهوانية وقمعها وتذليلها للنفس الناطقة ٣

ولأنّ قوماً رُعنًا | يعاندون ويناصبون الفلاسفة في هذا المعنى بكلامٍ سخيّف ٥٢ ظ

ركيك كسخاقهم وركاكتهم — وهؤلاء هم الموسومون بالظرف والأدب — فإنّا

نذكر ما يأتون به في هذا المعنى ونقول فيه من بعده . إنّ هؤلاء القوم يقولون ٦

إنّ العشق إنّما يعتاده الطبائع الرقيقة والأذهان اللطيفة ، وإنه يدعو إلى النظافة

واللباقة والزينة والهيئة . ويشيعون هذا ونحوه من كلامهم بالغزل من الشعر البليغ

في هذا المعنى ، ويحتجّون بمن عشق من الأدباء والشعراء والسراة والرؤساء ٩

ويتخطّونهم إلى الأنبياء . ونحن نقول : إنّ رقة الطبع ولطافة الذهن وصفاء

يعرفان ويعتبران بإشراف أصحابهما على الأمور الغامضة البعيدة والعلوم اللطيفة

الدقيقة وتبيين الأشياء المشكّلة المتبسّسة واستخراج الصناعات المجدية النافعة . ١٢

ونحن نجد هذه الأمور مع الفلاسفة فقط ، ونرى العشق لا يعتادهم ويعتاد اعتياداً

كثيراً دائماً أجلاف الأعراب والأكراد والأعلاج والأنباط . ونجد أيضاً من ١٥

الأمم العامّة الكليّ أنّه ليست أمة من الأمم أرقّ فطنةً وأظهر حكمةً من اليونانيين ،

ونجد العشق في جملتهم أقلّ ممّا في جملة سائر الأمم . وهذا يوجب ضدّ ما ادّعوه ،

أعني أنّه يوجب أن يكون العشق إنّما يعتاد أصحاب الطبائع الغليظة والأذهان

البليدة ، ومن قلّ فكره ونظره ورويته بادر إلى الهجوم على ما دعت إليه نفسه ١٨

(١) تلاميذه ق — (٢) همه ل — (٥) لسخاقهم ق — بالظرفاء والأدباء ق —

(٦) ونقول فيه من أجل أن ق — (٧) يعتاد بالطبائع ق — فانه ل — (٨) ونحوه :

سقط ل — والبليغ ق — (١٠) الأنبياء عليهم السلام ل — (١١) يعلمان ق —

(١٢) الصنائع المحدثّة ق — (١٣) فقط: سقط ل — (١٤) جلف ق — والأكراد والأعاجم

ق — (١٥) العامي ق — وأظهر حكمة: سقط ق — (١٦) مما هو في سائر ق — موجب ل

ومالت به إليه شهوته . وأما احتجاجهم بكثرة من عشق من الأدباء والشعراء
والسراة والرؤساء فإننا نقول : إنَّ السَّروَ والرياسة والشعر والفصاحة ليست بما
لا يوجد أبداً إلاَّ مع كمال العقل والحكمة ، وإذا كان الأمر كذلك أمكن أن^٣
يكون العُشَّاق من هؤلاء من أهل النقص في عقولهم وحكمتهم . وهؤلاء القوم
لجهلهم ورعوتهم يحسبون أنَّ العلم والحكمة إنما هو النحو والشعر والفصاحة
والبلاغة ، ولا يعلمون أنَّ الحكماء لا يَعُدُّون ولا واحداً من هذه حكمةً ولا^٦
الحاذق بها حكيماً ، بل الحكميم عندهم من عرف شروط البرهان وقوانينه واستدرك
وبلغ من العلم الرياضي والطبيعيِّ والعلم الإلهيِّ مقدار ما في وسع الإنسان بلوغه .
ولقد شهدت ذات يوم رجلاً من متحذلقهم | عند بعض مشايخنا بمدينة السلام ،^{٥٣} و
وكان لهذا الشيخ مع فلسفته حظاً وافراً من المعرفة بالنحو واللغة والشعر ، وهو
يجاريه وينشده ويبدخ ويشمخ في خلال ذلك بأنفه ويطنب ويبالغ في مدح أهل
صناعته ويرذل من سواهم ، والشيخ في كل ذلك يحتمله معرفةً منه بجهره^{١٢}
وعجبه ويتبسَّم إلى . إلى أن قال فيما قال : هذا والله العلم وما سواه ريح ، فقال له
الشيخ يا بني هذا علم من لا علم له ويفرح به من لا عقل له . ثم أقبل على وقال
سل فتانا هذا عن شيء من مبادئ العلوم الاضطرابية ، فإنه ممن يرى أنَّ من^{١٥}
مهر في اللغة يمكنه الجواب عن جميع ما يُسأل عنه . فقلت خبرني عن العلوم
أضطرابية هي أم اصطلاحية ؟ ولم أتمِّ التقسيم على تعمد ، فبادر فقال العلوم
كلها اصطلاحية . وذلك أنه كان سمع أصحابنا يعيرون هذه العصابة أنَّ عليهم^{١٨}

(١) به: سقط ل — (٢) والسراة ... والشعر: سقط ق — (٤) من هؤلاء أهل ق —

(٥) والحكم إنما هي ق — (٦) واحدة ق — (٨) والالهى ق — (٩) من متخلفيهم ل —

(١٠) هذا الشيخ له مع ق — والشعر: سقط ل — (١١) ويبالغ : ويبلغ ل ، سقط ق —

ويمدح ق — (١٣) إلى ثم قال والله إن هذا العلم ق — (١٤) وقال لى اسئل ق —

(١٥) هذا: سقط ل — (١٦) أمكنه ق — فقلت له أخبرني ق — (١٧) العلوم: سقط ق —

اصطلاحاً ، فأحب أن يعيهم بمثل ما عابوه جهلاً منه بما لهم دونه في هذا الباب .
 فقلت له فمن علم أن القمر ينكسف ليلة كذا وكذا ، وأن السقمونيا يُطلق البطن
 متى أخذ ، وأن المرءاسنج يذهب بحموضة الخل متى سُحق وطُرح فيه إنما صحَّ ٣
 له علم ذلك من اصطلاح الناس عليه ؟ فقال لا . فقلت فمن أين علِمَ ذلك ؟ فلم يكن
 فيه من الفضل ما يبين عمّا به نحوتُ . ثم قال فإني أقول إنها كلها اضطرارية ،
 ظناً منه وحسباناً أنه يتهيأ له أن يُدرج النحو في العلوم الاضطرارية . فقلت له ٦
 خبرني عن علم أن المنادى بالنداء المفرد مرفوع وأن المنادى بالنداء المضاف
 منصوب ، أعلم أمراً اضطرارياً طبيعياً أم شيئاً مصطلحاً باجتماع من بعض الناس
 عليه دون بعض ؟ فلجلج بأشياء يروم بها أن يُثبت أن هذا الأمر اضطراريّ بما ٩
 كان يسمعه من أستاذه ، فأقبلت أريه تداعيه وتهافتته مع ما لحقه من استحياءٍ
 وخجل شديد واغتمام . وأقبل الشيخ يتضاحك ويقول له ذُق يا بنيّ طعم
 العلم الذي هو على الحقيقة علم . وإنما ذكرنا من هذه القصة ١٢ ما ذكرنا ليكون
 أيضاً من بعض المنبهات والدواعي إلى الأمر الأفضل ، إذ ليس لنا غرض في هذا
 الكتاب إلاّ ذاك . ولسنا نقصد — بما مرّ من كلامنا هذا من | الاستجبال
 والاستنقص — لجمع من عني بالنحو والعريّة واشتغل بهما وأخذ منهما ، فإنّ ١٥
 فيهم من قد جمع الله له إلى ذلك حظاً وافراً من العلوم ، بل للجهال من هؤلاء الذين
 لا يرون أن علماً موجود سواهما ولا أنّ أحداً يستحقّ أن يسمّى عالماً إلاّ بهما

٥٣ ظ

١٥

(١) فاحب ... الباب : سقط ق — (٢) في ليلة ق — (٤) علم ذلك : سقط ل —
 (٥) يبين عن شيء من ذلك ثم ق — إن كلها ق — (٦) أنه يتهيأ : سقط ق — يدرج : سقط
 ق — من العلوم ق — (٧) أخبرني ق — (٨) أو اصطلاح وشيء مصطلح ق — (٩) عليه : سقط
 ق — (١٠) أريه عجزه مع ما ق — ما لحقه من : سقط ل — (١٠-١١) الاستحياء
 والحجل وأقبل ق — (١٢) ذكرت ق — (١٣) المنبهات و : سقط ق — (١٦) قد : سقط ق —
 مع ذلك ق — من العلم ق — (١٧) موجود سواهما : سقط ل

وقد بقي علينا من حجاج القوم شيء لم نقل فيه قولاً ، وهو احتجاجهم
لتحسين العشق بالأنبياء وما بُلوا به منه . فنقول : إنه ليس من أحد يستجيز أن
يُعدَّ العشق منقبةً من مناقب الأنبياء ولا فضيلةً من فضائلهم ولا أنه شيء ^٣
آثروه واستحسنوه ، بل إنما يُعدَّ هفوةً وزلةً من هفواتهم وزلاتهم .
وإذا كان ذلك كذلك فليس لتحسينه وتزيينه ومدحه وترويضه بهم وجه بته ،
لأنه إنما ينبغي لنا أن نحثَّ أنفسنا ونبعثها من أفعال الرجال الفاضلين على ^٦
ما رضوه لأنفسهم واستحسنوه لها وأحبوا أن يُقتدى بهم فيه ، لا على هفواتهم
وزلاتهم وما تابوا منه وندموا عليه وودّوا أن لا يكون ذلك جرى عليهم وكان
منهم . * فأمّا قولهم إنَّ العشق يدعو إلى النظافة واللباقة والهيئة والزينة ، ^٩
فما يُصنع بجمال الجسد مع قبح النفس ، وهل يحتاج إلى الجمال الجسداني ويحتد
فيه إلا النساء وذوو الخنث من الرجال ؟ ويقال إنَّ رجلاً دعا بعض الحكماء إلى
منزله ، وكان كل شيء له من آلة المنزل على غاية السرو والحسن ، وكان الرجل في ^{١٢}
نفسه على غاية الجهل والبله والقدامة . ويقال إنَّ ذلك الحكيم تأمل كل شيء في
منزله ثم إنه بصق على الرجل نفسه . فلما استشاط وغضب من ذلك قال له
لا تغضب ، فإنني تأملت جميع ما في منزلك وتفقدته فلم أر فيه أسميج ولا أرذل ^{١٥}
من نفسك ، فجعلتها موضعاً للبصاق باستحقاق منها لذلك . ويقال إنَّ ذلك الرجل
بعد ذلك استخفَّ بما كان فيه وحرص على العلم والنظر

(١) قولاً : سقط ل — (٢) الانبياء عليهم السلام ل — (٣) الانبياء عليهم السلام ق —
(٥) بهم فيها ق — (٨) ولا على زلاتهم ق — (١٠) الجسد ك — ويحتد فيه : سقط
ق — (١٢) السرو ك ، الشر ف ق — (١٣ — ١٤) الحكيم أراد أن يبصق وتأمل كل ما في
المنزل فلم ير أقبح من صاحب المنزل فبصق عليه ق — (١٤) فاستشاط الرجل ل — فقال له
ل — (١٥) شيئاً أسميج ل — (١٧) استخف بعد ذلك ك ، بعد تلك الحال انعطق — بما
كان فيه : سقط ق — على طلب العلوم والنظر ل

* استأنفت هاهنا رواية ك بعد حذف أكثر الفصل الخامس من الكتاب (راجع ص ٣٧)

ولأنّا قد ذكرنا فيما مرّ من كلامنا فَيُبَيِّلُ الْإِلْفَ فَإِنَّا قائلون في مائيته
والاحتراس منه بعض القول ، فنقول : إنّ الإلف هو ما يحدث في النفس عن
٣ طول الصّحبة من كراهة مفارقة المصحب ، وهي أيضاً بليّة عظيمة تنمى وتزداد
٥٤ و على الأيّام ولا يُحَسَّ بها إلاّ عند مفارقة المصحب ، ثم يظهر منها حينئذٍ | دفعةً
أمرٌ مؤذٍ مؤلم للنفس جدّاً . وهذا العارض يعرض للبهائم أيضاً إلاّ أنّه في بعضها
٦ أوكد منه في بعض . والاحتراس منه يكون بالتعرّض لمفارقة المصحب حالاً
بعد حال ، وأن لا يُنسى ذلك ويُغفل البتّة بل تُدرّج نفسه إليه وتُمرّن عليه .
وقد بينّا من هذا الباب ما فيه كفاية ، ونحن الآن قائلون في العُجب

الفصل السادس

في العُجب

أقول : إنّ من أجل محبة كل إنسان لنفسه يكون استحسانه للحسن منها فوق
١٢ حقّه واستقباحه للقيح منها دون حقّه ، ويكون استقباحه للقيح واستحسانه
للحسن من غيره — إذ كان بريئاً من حبه وبُغضه — بمقدار حقّه ، لأنّ عقله
حينئذٍ صافٍ لا يشوبه ولا يجاذبه الهوى . ومن أجل ما ذكرنا فإنه إذا كانت
١٥ للإنسان أدنى فضيلة عظمت عند نفسه وأحبّ أن يُمدح عليها فوق استحقاقه .
وإذا تأكّدت فيه هذه الحالة صار عجباً ، ولا سيما إن وجد قوماً يساعدونه على

(٣) المحبوب لـ ق — (٤) المحبوب ق — دفعة واحدة ق — (٦) في بعض بكثير
ك — المحبوب ق — (٧) ولن ينساق — (٨) وقد أتينا — (١٠) في دفع العجب وغيره
ق — (١١) أقول إنه : سقط ق — (١٢—١٣) دون ... للحسن : سقط ق —
(١٤) لا يشوبه شيء ك — (١٤—١٥) ما قد ذكرناه فإن كانت لنفس الإنسان أدنى حسنة
عظمت ق — (١٦) هذه الحاصل ك — صار ذلك ق — لا سيما ق

* ورد ابتداء هذا الفصل (إلى ص ٤٧ س ١٠ « حيث ذكرنا ») في القول السادس من
الباب الأول من كتاب الكرمانى

ذلك ويبلغون من تزكيتهم ومدحه ما يجب . ومن بلايا العُجب أنه يؤدّي إلى
 النقص في الأمر الذي يقع به العُجب ، لأنّ المُعجَب لا يروم التزيّد ولا الاقتناء
 والاقتباس من غيره في الباب الذي منه يُعجَب بنفسه . لأنّ المُعجَب بفرسه ٣
 لا يروم أن يستبدل به ما هو أفره منه لأنّه لا يرى أن فرساً أفره
 منه ، والمُعجَب بعمله لا يتزيّد منه لأنّه لا يرى أن فيه مزيداً . ومن لم يستزد
 من شيءٍ ما نقص لا محالة وتخلّف عن رتبة نظرائه وأمثاله ، لأنّ هؤلاء — ٦
 إذا كانوا غير مُعجَبين — لم يزالوا مستزيدين ولم يزالوا لذلك متزيّدين مترقّين ،
 فلا يلبثوا أن يجاوزوا المُعجَب ولا يلبث المُعجَب أن يتخلّف عنهم . ومما
 يُدفع به العُجب أن يكلّ الرجلُ اعتبارَ مساويه ومحاسنه إلى غيره على ما ذكرنا ١
 قبل حيث ذكرنا تعرّف الرجل عيوب نفسه ، وأن لا يعتبر ولا يقيس نفسه
 بقومٍ أخسّاء أدنياء ليس لهم حظّ وافر من الشيء الذي أُعجب به من نفسه ، أو
 يكون في بلدٍ هذه حاله أهله . فإنه من احتس من هذين البابين لم يزل يردّ عليه ١٢
 كلّ يوم ما يكون به إلى تنقّص نفسه | أميلَ منه إلى العُجب بها . وفي الجملة ٥٤ ظ
 فإنه ينبغي أن لا تكبر وتعظم نفسه عنده حتى يجاوز مقدار نظرائه عند غيره ،
 ولا تصغر ولا تقلّ حتى ينحطّ عنهم أو عمّن هو دونه ودونهم عند غيره . فإنه ١٥
 إذا فعل ذلك وقوم نفسه عليه كان بريئاً من زهو العُجب وخسة الدناءة ، وسماء
 الناس العارف بقدر نفسه . وفيما ذكرنا أيضاً في هذا الباب كفاية ، فلنقل
 الآن في الحسد

١٨

(٣) الذي فيه ل — (٤) أن الفرس ك — (٤—٥) أن فرساً... أن فيه : سقط ق — يتزيّد
 فيه ل — (٦) نقص منه ق — (٧) لذلك : سقط ل — مستزيدين ل — مترقّين : سقط
 ق — (٨) فلا يلبثون ل — (٩) اختبار محاسنه ومساويه ق — (١٠—١١) وأن لا ...
 من نفسه : سقط ق — (١٤) فانه لا ينبغي أن يكبر ق — (١٦) عليه : سقط ل —
 (١٧—١٨) فلنقل ... الحسد : سقط ق

الفصل السابع

في الحسد *

- ٣ أقول : إن الحسد أحد العوارض الرديّة ويتولّد من اجتماع البخل والشرّ في النفس . والمتكلمون في إصلاح الأخلاق يستمون الشرّير من يلتذّ طباعاً مضارّاً تقع بالناس ويكره ما وقع بموافقتهم وإن كانوا لم يتروّه ولم يسوّوه ، كما
- ٦ أنهم يستمون الخير من أحبّ والتذّ ما وقع بوفاق الناس ونفعهم . والحسد شرّ من البخل لأنّ البخل إنما لا يحبّ ولا يرى أن يُنيل أحداً شيئاً ممّا يملكه ويحويه ، والحسود يحبّ أن لا ينال أحد خيراً بثّة ولو ممّا لا يملكه ، وهو
- ٩ داء من أدواء النفس عظيم الأذى لها . وممّا يدفع به أن يتأمّل العاقل الحسد ، فإنّه سيجد له من رسم الشرّير حظّاً وافراً إذ كان الحسود يرسم بأنّه الكاره لما وقع بوفاق من لم يتروّه ولم يسوّه به . وهذا شطر من حدّ الشرّير ، والشرّير
- ١٢ مستحقّ للمقت من البارئ ومن الناس . أمّا من البارئ فلاّنه مضادّ له في إرادته إذ هو عزّ اسمه المفضّل على الكل المريد الخير لكل . وأمّا من الناس فلاّنه مبغض ظالم لهم ، فإنّ من أحبّ وقوع المكروه بإنسان ممّا أو لم يحبّ وصول خير إليه مبغض له . فإن كان هذا الإنسان ممن لم يتروّه ولم يسوّه به فإنه مع ذلك ظالم له . وأيضاً فإنّ المحسود لم يُزل عن الحاسد شيئاً ممّا هو في يديه ولا منعه من

(٢) في دفع الحسد ق — (٤) طباعاً : سقط ق — (٥) بمضارق — في الناس ق —
 ما يقع ق — من موافقتهم ل — لم يبروه ولم يسوّه ق — (٦) باتفاق ق — فالحسد أشر
 ق — (٧) لا يحبّ و : سقط ق — شيئاً... أحد : سقط ق — (٨) البتة ق — (٩) جداً
 لها ق — للحاسد ق — (١٠) كان : سقط ل — (١١) بوفاق الناس ممن ق — (١٢) من
 الله ق (مرتين) — (١٣) الخير الكلي ل — (١٥) ممن : سقط ل — (١٦) في يده ق

* أورد الكرماني هذا الفصل في القول السادس من الباب الأول من كتابه في غاية الاختصار

بلوغ شيء كان يقدر عليه ولا استعان به على شيء من أمره . وإذا كان ذلك كذلك فما هو — أعنى المحسود — إلا بمنزلة سائر من نال خيراً وبلغ أمنيته من الناس الغائبين عن الحاسد . فكيف لا يحسد من بالهند والصين ؟ فإن كان لا يحسد | من أجل غيبتهم عنه فليصورهم بأحوالهم وما ينقلبون فيه من نعيمهم . فإن كان حُققاً أو جنوناً أن يحزن لما نال هؤلاء وبلغوا من أمانهم فإن حُققاً مثله الحزن والاعتماد لما نال من بحضرته ، إذ كانوا بمنزلة الغيب عنه في أنهم لم يسلبوه شيئاً مما في يديه ولا منعوه بلوغ شيء كان يقدر عليه ولا استعانوا على أمر من أمورهم به . وليس بينهم وبين الغيب عنه فرق إلا في مشاهدة الحاسد أحوالهم التي يمكن تصور مثلها من الغيب عنه ويعلم ويستيقن أنهم منها في مثل ما هم فيه

وقد يغلط بعض الناس في حد الحسد حتى إنهم يسمون بالحسد قوماً وإنما يكرهون الخير لمن عليهم منهم في إصابتهم ذلك بعض المضار والمؤن . وليس ينبغى أن يسمى ولا واحد من هؤلاء حاسداً ، بل ينبغى أن يسمى * الحاسد مطلقاً من اغتم من خير يناله غيره من حيث لا مضرة عليه منه البتة ، ويسمى بليغ الحسد من اغتم من خير يناله غيره وإن كان له في ذلك نفعٌ ما . فأمّا إذا جاءت المؤن والمضار فإنها تحدث في النفس عداوة بمقدارها لا حسداً . ومثل هذا من

(١) ولا استعان ... أمره : سقط ق — ولا استعان ، صححنا : وعلى الاستعانة ل (راجع س ٧) — ذلك : سقط ل — (٢) بمنزلة من ناله خير ق — وقد بلغ ق — (٣) عن الحسد ق — في الهند ق — (٤) عن عينه ق — (٥) فإن وجب أن لا يحزن لما نال هؤلاء وبلغوا من أمانهم فإن الواجب أن لا يحزن ولا يغم لما نال من بحضرته ق — (٦) الغائب عنه ق (كذا دائماً) — (٧) في يده ق — (٨) من الأمور ق — المغيّب عنه ل — (٩) أن يتصوروا ق — (١٢) لمن هو عليهم ق — (١٣) الحاسد المطلق ك — (١٤-١٥) من حيث ... غيره : سقط ل — ويسمى بليغ ... غيره ك : سقط ق ل — (١٥) ما : سقط ل

* وردت هذه الجملة (حتى س ١٥ « نفع ما ») فيما اقتبسه الكرماني من قول الرازي

التحاسد لا يكاد يكون إلا بين الأقرباء والمعاشرين والمعارف . فإننا نرى
الرجل الغريب يملك أهل بلده ما ولا يكادون يجدون في أنفسهم كراهة لذلك ،
ثم يملكهم رجل من بلدهم فلا يكاد أن يتخلص ولا واحد منهم من كراهته
لذلك ، هذا على أنه ربما كان هذا الرجل المالك — أعني البلدي — أرأف بهم
وأنظر إليهم من المالك الغريب . وإنما يؤتى الناس في هذا الباب من فرط محبتهم
لأنفسهم ، وذلك أن كل واحد منهم من أجل حبة لنفسه يحب أن يكون سابقاً
إلى المراتب المرغوب فيها غير مسبوق إليها . فإذا هم رأوا من كان بالأمر معهم
اليوم سابقاً لهم مقدماً عليهم اغتموا لذلك وصعبوا واشتد عليهم سبقه إياهم إليها ،
ولم يرضهم منه تعطفه عليهم ولا إحسانه إليهم ، لأن أنفسهم متعلقة بالغاية بما
صار إليه هذا السابق لا غير لا يرضيهم سواه ولا يستريحون دونه . وأما المالك
الغريب | فمن أجل أنهم لم يشاهدوا حاله الأولى لا يتصورون كمال سبقه لهم
وفضله عليهم فيكون ذلك أقل لغمهم وأسفهم . وقد ينبغي أن يرجع في مثل
هذا إلى العقل ويتأمل في هذا الأمر ما أقول

٥٥ ظ

١٢

أقول : إنه ليس لحق الحاسد وغيظه وبغضه لهذا الرجل القريب السابق له
وجه في العدل بته ، وذلك أنه لم يمنع المسبوق من المبادرة إلى المطلوب وإن
حصله وحظي به دونه . وليس الخط الذي ناله هذا السابق شيئاً كان الحاسد أحق
به أو أحوج إليه ، فلا يبغضه إذاً ولا يحق عليه بل ليحق على جده أو على

١٥

(١) يكاد : سقط ق — وبين المعاشرين ق — (٢) ان الرجل الغريب سيمالك ق —
(٣) يكادون : سقط ق — (٤) ... لذلك : سقط ل — (٥) هذا : سقط ق —
(٦) وانظر لهم ل — وإنما يؤثر ق — من كثرة محبتهم ق — (٧) إلى المغرب فيه ...
إليه ق — (٨) واشتد : سقط ق — سبوقه ق — إليها ، صحننا : إليه ل ، سقط ق —
(٩) مما : التي ق — (١٠) دونها ق — (١١) الغريب منهم ق — يشاهدوه ولا حالته
ق — لهم : سقط ل — (١٢) وأقول ق — (١٣) في العداوة ل — أن يحصله ويحظى
به دونه ق — (١٤) إذاً : سقط ق

- تراخيه ، فإنَّ أحدهما هو الذي حرّمه وأقعدّه عن بلوغ أمله . مع أنه إذا كان هذا السابق أخاً أو ابن عمّ أو قريباً أو معرفةً أو بلدنياً كان أصلحّ للحاسد وكان أرجى لخيره وآمن من شرّه ، إذ بينهما وصلة التّخشُّن وهي وصلة طبيعيّة وكيدة . ٣
- وأيضاً فإنه إذا كان لا بدّ أن يكون في الناس الرؤساء والملوك والمثرون والمكثرون ولم يكن الحاسد ممّن يؤمّل ويرجو أن يصير ما هو لهم إليه أو إلى من إذا صار إليه انتفع هو به فليس لسكراهيته أن يبقى عليه وجهه في العقل ٦
- بتّة ، لأنه سواء عليه بقى فيهم أو صار إلى غيرهم ممّن حاله في عدم انتفاعه بهم حاله وأيضاً فنقول : * إنّ العاقل قد يزُمّ ببصيرة نفسه الناطقة وقوة نفسه الغضبيّة نفسه البهيميّة حتى يردعها من إصابة الأشياء اللذيذة الشهية فضلاً عما ١
- لا شهوة ولا لذة فيه ، وفيه مع ذلك مضرة النفس والبدن جميعاً . وأقول : إنّ الحسد ممّا لا لذة فيه ، وإن كان فيه منها شيء فإنه أقلّ كثيراً من سائر الأشياء من اللذات ، وهو مُضِرّ بالنفس والجسد . أمّا بالنفس فلأنه يذهلها ويُعزّب ١٢
- فكرها ويشغلها حتى لا تفرغ للتصرف فيما يعود نفعه على الجسد وعليها لما يعرض معه للنفس من العوارض الرديّة ، مثل طول الحزن والهَمّ والفكر . وأمّا بالجسد فلأنه يعرض له عند حدوث هذه الأعراض للنفس طول السهر ١٥
- وسوء الاعتداء ، ويُعقب ذلك رداءة اللون وسوء السّحنة | وفساد المزاج . وإذا ٥٦
- كان العاقل يزُمّ بعقله الهوى — المقربّ إليه الشهوات اللذيذة بعد أن تكون ممّا يُعقب مضرة — فأولى به وأولى أن يجتهد في محو هذا العارض عن نفسه ونسيانه ١٨

(١) وأبعده عن ق — (٣) ارجا ل ق — (٤) لم يكن بد من أن ق — (٥) أو يرجو ق — يصير إلى ما هو لهم ق — (٦) للسكراهية ل — عليهم ق — (٨) فانا نقول ق — (١١) من سائر اللذات ق — (١٢) يدهشها ق — (١٣) ويشغله ق — (١٥) فانه ق ، فلما ك — (١٧) القرن ل ق — فيما يعقب ك — (١٨) فالأولى به أن ق

* أورد الكرمانى هذا الفصل (إلى ص ٥٢ س ١ « بياله ») فيما اقتبسه من قول الرازى

والإضراب عنه وترك الفكر فيه متى خطر بباله . وأيضاً فإن الحسد نعيم العون
والمنتقم من الحاسد للمحسود ، وذلك أنه يُدِيمُ هَمَّهُ وَغَمَّهُ وَيُذْهِلُّ عقله ويعذب
٣ جسده ويوهن ويؤهن بإشغال نفسه وإضعاف جسده كيداً للمحسود وسعيه عليه إن
دام ذلك. فأى رأى هو أولى بالتسفيه والترذيل من الذى لا يجلب على صاحبه إلا
ضرراً ، وأى سلاح أحق وأولى بالاطراح من الذى هو جنة للعدو وجرح للحامل؟
٦ * وأيضاً فإن مما يحو الحسد عن النفس ويسهل ويطيب لها الإقلاع عنه
أن يتأمل العاقل أحوال الناس — فى ترقّيهـم فى المراتب ووصولهم إلى المطالب —
وأحوالهم ممّا صاروا إليه من هذين البابين ، ويجيد التثبت فيه على ما نحن
٩ ذا كروه هاهنا ، فإنه سيهجم منه على أن حالة المحسود عند نفسه خلافها عند
الحاسد ، وأن ما يتصوره الحاسد من عظمها وجلالتها ونهاية غبطة المحسود
وتمتّعها بها ليس كذلك . أقول : إن الإنسان لا يزال يستعظم الحالة ويستجملها
١٢ ويودّ ويتمنى بلوغها والوصول إليها ، ويرى بل لا يشكّ أنّ الذين قد * نالوها
وبلغوها هم فى غاية الاغتراب والاستمتاع بها ، حتى إذا بلغها ونالها لم يفرح
ولم يُسرّ بها إلاّ مُدَيِّدَةً يسيرةً بقدر ما يستقرّ فيها ويتمكّن منها ويُعرف بها ،
١٥ ويكون هذه المُدَيِّدَةُ عند نفسه مسعوداً مغتبطاً بها ، حتى إذا حصلت له هذه
الحالة — المتمنّاة كانت — واستحكم كونه فيها ومملكه لها ومعرفته الناس له

(٢) للمحسود من الحاسد — (٣ - ٤) ان رام ذلك واى ل — (٥) أحق و : سقطق —
(٧) إلى المراتب ق — (٨) وفى أحوالهم ل — مما صار إليه ك — وفى أحوالهم ... باين :
سقطق — (٩) ذاكرون ك — هاهنا أقول إن المحسود عند نفسه ق — (١٠) يتصورها
من عظمها ل — (١١) وأقول ل — (١٢) ويتمنى : سقطل — (١٣) هم : سقطل —
(١٥) مسعوداً : سقطل — هذه : سقطل

* استأنفت هنا رواية الكرمانى وهى تصل إلى س ١١ (« كذلك »)

* استأنفت هاهنا رواية نسخة ف بعد سقط عدة ورقات منها ، راجع ص ٢٣ س ٧

بها سَمَتَ نفسه إلى ما هو فوقها وتعلّقت أمنيته بما هو أعلى منها ، فاستقل واسترذل حالته التي هو فيها التي قد كانت من قبل غايته وأمله ، وصار بين هم وخوف : أمّا الخوف فمن النزول عن الدرجة التي نالها وحصلها ، وأمّا ^٣ الهم فبالتي يقدر بلوغها . فلا يزال متقنطاً لها متنعّصاً بها زارياً عليها ، متعب الفكر والجسد في إعمال الحيلة | للتنقل عنها والترقي منها إلى ما سواها ، ^{٥٦} ظ ثم تكون حالته في الثانية كذلك وفي الثالثة إن بلغها وفي كل ما نال ووصل إليه ^٦ منها . وإذا كان الأمر كذلك فيحق على العاقل أن لا يحسد أحداً على فضل من دُنيا ناله مما يستغنى عنه في إقامة العيش ، وأن لا يظن أن أصحاب الفضل فيها والإكثار منها لهم من فضل الراحة واللذة بحسب ما عندهم من فضل عروض ^١ الدنيا . وذلك أن هؤلاء لمطولة هذه الحال ودوامها يصيرون — بعد الراحة واللذة ودوامها — إلى أن لا يلتذوها ، لأنها تصير عندهم بمنزلة الشيء الطبيعي الاضطراري في بقاء العيش ، فيقرب من أجل ذلك التذاذهم بها من التذاذ كل ^{١٢} ذي حالة بحالته المعتادة . وكذلك تكون قضيتهم في قلة الراحة ، وذلك أنه من أجل أنهم لا يزالون مجدين منكمشين في الترقى والعلو إلى ما فوقهم تقل راحتهم ، حتى إنها ربما كانت أقل من راحة من هو دونهم ، ولا ربما بل هي في أكثر ^{١٥} الأمور دائماً أبداً كذلك . فإذا لاحظ العاقل هذه المعاني وتأملها آخذاً فيها بعقله طارحاً لهواه عليم أن الغاية التي يمكن بلوغها من لذذة العيش وراحته

(١) هو : سقط ق ف — (٢) قد : سقط ق ف — (٣) وحلها ق ف — وأما الهم والنعيم ق ف —
 (٤) فبالذي ق ف — بلوغها : سقط ل — لها متنعّصاً : سقط ق ف — مزرياً ق ف —
 (٥) منكوب الجسم والفكر ق ف — (٦) يكون كذلك حالته في هذه الثانية وفي ق ف —
 (٧) فحق ل — (٨ - ٩) الفضل والاثار منها ق ف — (٩ - ١٠) لهم من ... ودوامها :
 سقط ق ف — (١٠ - ١١) بعد ... ودوامها : سقط ل — يلذوها ق ف —
 (١٣) يكون قصد ق ف — (١٤) ما فوق ق ف — (١٥) لا بل ربما هي ق ف —
 أكثر الأحوال ق ف — (١٦) دائماً أبداً : سقط ق ف — آخذاً فيها : سقط ق ف

هي الكفاف ، وأنّ ما فوّه من أحوال المعاش مقارب في ذلك بعضه لبعض ، بل للكفاف دائماً فضلُ الراحة عليها . فأى وجهٍ للتحاسد إلاّ الجهل بها واتباع الهوى دون العقل فيها . وفيما ذكرنا من هذا الباب أيضاً كفاية ، فلنقل الآن ٣
في الغضب *

(١) هو الكفاف ق ف — وما فوّه ل — مقارنة ق ف — بعضاً لبعض ق ف —
(٢) وللکفاف ق ف ، وللکفاف بل للکفاف ل — وأى ق ف — (٣) ذكرناه في ق ف (٣ - ٤) فلنقل . . . الغضب : سقط ق ف

* قال الكرمانى في القول السادس من الباب الأول من كتابه : وقوله في الفصل السابع في الحسد قول يجرى — في امتناع وقوع الانتفاع في الغرض المقصود بالكتاب ، بوكوله الأمر في محو الحسد عن النفس إليها — مجرى غيره من سابقه وتاليه ، لا يتعلق به طبّ لعجز النفس عن القيام بما وكله إليها من الاجتهاد في محو الحسد وغيره من الأمور التي هي منها كالأعلال عن ذاتها وإبعادها منها . وأنى يتمّ للنفس إبعاد ذلك وأمثاله عن ذاتها ، ولها قدرة ممنوحة وآلة موهوبة عوناً لها على ما تريده وتهواه ، كالعين تبصر بها الموجودات المشتبهة المرغوب فيها من مأكول شهيّ ، وملبوس حسن مطلوب ، ومركوب حسن فيه مرغوب ، وكالأذن تسمع بها الأصوات الطيبة والألحان الشجية والنغمة المطربة ، وكالأنف تدرك به النسيم الطيب والروائح الطيبة ، وكالفم تدرك به مذاقات الطيبة والأطعمة اللذيذة ، وكالبشرة تدرك بها الليونة والنعومة . وكيف يتصور في النفس قعود عن طلب هذه الأمور كما قلنا ، وأمرها فيها نافذ مستمرّ على نظام بحسب اختيارها ، فلا تطلبها ولا تمنّاها ولا تحسد الغير عليها إن عجزت عن تحوّلها وتحصيلها ، كلاًّ إلاّ يباعث من خارجها — كما قلنا — يمنع ويقهر ويبعث ويعلم ويهدى . هذا والخطأ الأكبر تسميته النفس عقلاً ، وليست كذلك ، وإنما يقال على النفس إنها عقل لا لأنها عاقلة لذاتها ، بل لكونها بالقوة عقلاً . وإذا استفادت المعالم الإلهية وأقامت المناسك الشرعية فعقلت ذاتها عن اتباع هواها استحقت أن تكون عاقلة . فأما وهي تابعة لهواها ، متبعة مرادها وطغواها ، فهي في الرتبة قائمة إلى أن تتبع في العلم والعمل . ثم وكوله الأمر في سلب ذاتها الرذائل التي هي منها كالأعلال إلى ذاتها ، وهي خالية مما يكون باعثاً لها من ذاتها على تلك الأمور المبعوثة عليها . ثم عدّه ما هو طبّ جسمانيّ — بذكره ما يورث الحسد من الغمّ والحزن اللذين يورثان السهر وسوء المزاج ورداءة اللون بحسب ما ذكره — فيما يكون طباً روحانياً ، وكان يكون كذلك لو قال « ما يحدث في النفس بالحسد من الأمور التي تضرّها في ذاتها ما يوازن السهر وسوء المزاج ورداءة اللون وغير ذلك في الجسم » على ما شرحه . ولم يذكر شيئاً من ذلك ، فليس بطب روحانيّ ، فهو الخطأ

الفصل الثامن

في دفع الغضب*

- ٣ إن الغضب جعل في الحيوان ليكون له به انتقام من المؤذي . وهذا العارض إذا أفرط وجاوز حده حتى يُفقد معه العقل فربما كانت نكايته في الغاضب وإبلاغه إليه المضرة أشد وأكثر منها في المغضوب عليه . ومن أجل ذلك ينبغي للعقل أن يكثر تذكراً أحوال من أدّى به غضبه إلى أمور مكروهة في عاجل الأمر وآجله ، يأخذ نفسه بتصورها في حال غضبه . فإن كثيراً ممن يغضب ربما لكم ولطم ونطح ، فجلب بذلك من الألم على نفسه | أ كثر مما نال به من المغضوب عليه . ولقد رأيت من لكم رجلاً على فكه فكسر أصابعه حتى مكث يعالجها شهراً ، ولم ينل الملسكوم كثيراً أذى . ورأيت من استشاط وصاح فنفث الدم مكانه ، وأدّى به ذلك إلى السيل وصار سبب موته . وبلغنا أخبار أناس نالوا أهاليهم وأولادهم ومن يمز عليهم في وقت غضبهم بما طالت ندامتهم عليه ، وربما لم يستدركوه آخر عمرهم . وقد ذكر جالينوس أن والدته كانت تثب بفمها على القفل فتعضه إذا تعسر عليها فتحه . ولعمري إنه ليس بين من فقد الفكر والروية في حال غضبه وبين المجنون كبير فرق . فإن الإنسان إذا أ كثر تذكراً أمثال هذه الأحوال في حال سلامته كان أحرى أن يتصورها في وقت غضبه .

(٢) في الغضب ل — (٣) لها به ق ف — (٤) حتى يفسد ق ف — (٥) المضرة ك: سقط

ل ق ف — (٦) من قد أدّا به الغضب ق ف — (٨) لكم أو نطح ق ف — (٩) وقد ق ف ، فقد ل — على رأسه ق ف — حتى بقى ق ف ، فكث ل — (١٠) يعالجها مدة ل — الملسكوم من الأذى مثل ما ناله ق ف — ورأيت أيضاً ق ف — (١١) وأداه ذلك ل — أخبار قوم ل — (١٢) نالوا من تعذيب أهاليهم ... ما طالت ق ف — عليه وبما لم ل — (١٣) أعمارهم ق ف — (١٣-١٤) وقد ... فتحه: سقط ق ف — بفمها: سقطك — (١٥) إذا فكروا أكثر ق ف — إذا نذر ل

* ورد هذا الفصل بتمامه في القول السادس من الباب الأول من كتاب الكرماني ، واقتبس

منه ابن الجوزي في كتابه « الطب الروحاني » (راجع توطئتنا ص ٤)

وينبغي أن يعلم أن الذين كان منهم مثل هذه الأفعال القبيحة في وقت غضبهم إنما أثوا من فقد عقولهم في ذلك الوقت ، فيأخذ نفسه بأن لا يكون منه في وقت غضبه فعلٌ إلا بعد الفكر والروية فيه ، لئلا ينكس نفسه من حيث يروم إنكاه غيره ، ولا يشارك البهائم في إطلاق الفعل من غير روية . وينبغي أن يكون في وقت المعاقبة برياً من أربع خلال : الكبّر والبُغض للمعاقب ومن ضِدِّي هذين ، فإن الأولين يدعوان إلى أن يكون الانتقام والعقوبة مجاوزين لمقدار الجناية ، والآخريْن إلى أن يكونا مقصّرين عنه . وإذا أخطر العاقلُ بباله هذه المعاني وأخذَ هواه باتباعها كان غضبه وانتقامه بمقدار عدلٍ ، وأمن أن يعود عليه منه ضررٌ في نفسه أو في جسده في عاجل أمره وآجله ١

الفصل التاسع

في أطراح الكذب*

هذا أيضاً أحد العوارض الرديّة التي يدعو إليها الهوى . وذلك أن الإنسان لما كان يُحِبُّ التكبّر والترؤس من جميع الجهات وعلى كل الأحوال يُحِبُّ أن يكون هو أبدأ المُخبر المُعلّم ، لما في ذلك من الفضل له على المُخبر المُعلّم . وقد قلنا إنه ينبغي للعاقل أن لا يُطْلِق هواه فيما يخاف أن يجلب عليه من بعدُ همّاً وألماً ١٥

(١-٣) وينبغي ... غضبه : سقطك — كانت منهم هذه ق ف — (٢) إنما أوتوا ق ف —
 (٣) فلا يحدث منه فعل إلا ك — ينكس في نفسه ل — أن ينكس غيره ق ف ، النكاسة في غيره
 ل — (٤-٧) وينبغي ... عنه : سقط ق ف — (٦) والمعاقبة ك — (٨) وانتقامه : سقط
 ق ف — وأمن من أن ل — (٩) وفي جسده ق ف — (١١) في الكذب ل —
 (١٣) يجب أن ل — (١٤) له : سقط ق ف — (١٥) وقد قلت ق ف

* أورد الكرماني ابتداء هذا الفصل (إلى « صاحبه ذلك » ص ٥٧ س ١) في القول السادس من الباب الأول من كتابه ولخص بقيته

وندامة ، ونجد الكذب يجلب على صاحبه ذلك ، لأن المدمن للكذب المُكثِر منه لا يكاد تُخطئه الفضيحة ولا يسلم منها ، إما لمناقضة تكون منه لسهو ونسيان يحدثان | له ، وإما لعلم بعض من يحدثه وإطلاعه من حديثه ذلك على خلاف ٥٧ ظ ما ذكر . وليس يُصيب الكذاب من الالتذاذ والاستمتاع بكذبه — ولو كذب عُمره كله — ما يقارب فضلاً عما يوازي ما يدفع إليه — ولو مرة واحدة في عُمره كله — من همّ الخجل والاستحياء عند اقتضاه واحتقار الناس واستصغارهم وتسفيههم وترذيلهم له وقلة ركونهم إليه وثقتهم به ، إن كان ممن لنفسه عند نفسه مقداره ولم يكن في غاية الخسة والدناءة . فإن مثل هذا لا ينبغي أن يُعدّ في الناس فضلاً عن أن يكون يُقصد بكلام يُطمع به في صلاحه . ومن أجل أن أسباب الفضيحة في هذا المعنى ربما تأخرت كثيراً ما يغتر الجاهل بذلك ، إلا أن العاقل ليس يورط نفسه فيما يخاف أو لا يأمن معه الفضيحة ، بل يستظهر ١٢ ويأخذ بالحزم في ذلك

وأقول : إن الإخبار بما لا حقيقة له نوعان ، فنوع منه يقصد به الخبر إلى أمر جميل مستحسن يكون له عند تكشف الخبر عُذراً واضحاً نافعاً للمُخبر ، موجباً لأن يسوق ذلك الخبر إليه على ما ساقه إليه وإن لم يكن حقيقة كذلك . ١٥ مثال ذلك أنه لو أن رجلاً علم من ملك ما أنه مزُمع على قتل صاحب له في يوم

(١) صاحبه ذلاً فإن ق ف — المدمن على الكذب ق ف — (٢) بسوق ق ف —

(٣) بعلم ق ف — (٤) ولا الاستمتاع ق ف — (٥) فضلاً عن أن يوازي ما ينسب إليه

ق ف — (٦) الناس له ق ف — (٧-٨) وثقتهم ... فان : سقط ق ف — (٨) ومثل هذا ينبغي

أن لا يعدّ ق ف — (٩) يكون : سقط ق ف — بكلام يقطع به في ق ف — (١٠) كثيراً ...

بذلك : سقط ق ف — (١١) لا يورط ق ف — فضيحة ق ف — (١٤) أمر جليل

ق ف — له : سقط ل — انكشاف ق ف — (١٥) موجباً لسوق ق ف — ما سبق

إليه ق — حقيقة لذلك ق ف (ولعل الصواب : « وإن لم تكن حقيقته كذلك ») — (١٦) أنه

لو : سقط ق ف — من أمر ملك ما دله على قتل صاحبه ق ف

غدي ، وأنه متى انقضى يومٌ ظهر الملك على أمرٍ ما يوجب أن لا يقتل صاحبه
هذا ، فجاء إلى صاحبه وأخبره أنه قد استخفى في منزله كنزاً وأنه يحتاج إلى معاونته
٢ عليه في يوم غدٍ ، فأخذ به إلى منزله فلم يزل يومه ذلك يعملُّه بل يُكِدِّه بالحفر
والبحث عن ذلك الكنز ، حتى إذا انقضى ذلك اليوم وظهر الملك على ما ظهر
عليه أخبره حينئذٍ بالأمر على حقيقته . أقول إن هذا الرجل وإن كان قد أخبر
٦ صاحبه أولاً بما لا حقيقة له فليس في ذلك بمذموم ولا عند تكشف الخبر على
خلاف ما حكاه بمفتضح ، إذ كان قد قصد به إلى أمر جميل جليل نافع للمُخبر .
فهذا وما أشبهه ونحاه من الأخبار مما لا حقيقة له لا يُعقِب صاحبه فضيحة ولا مذمة
١ ولا ندامة بل تُشكراً وثناءً جميلاً . وأمّا النوع الثاني العديم لهذا الغرض ففي
تكشُّفه الفضيحة والمذمة . أمّا الفضيحة فإذا لم يكن على المُخبر من ذلك
و ٥٨ ضررٌ بته ، كرجل حكى لصاحبه أنه عاين بمدينة كذا وكذا حيواناً أو جوهراً
أو نباتاً من حالته وقصته كذا وكذا ، مما لا حقيقة له ولا يقصد به الكذّابون إلّا
١٢ إلى التعجب منه فقط . وأمّا المذمة فإذا جلب على المُخبر مع ذلك ضرراً ،
كرجل حكى لصاحبه عن ملكٍ ببلدٍ ما شاسعة رغبةً في قرّبه وتوقّناً إليه ، وحقّق
١٥ في نفسه أنه إن احتمل إليه وسار نحوه نال منه مكان كذا ومرتبة كذا ، وإنما
فعل ذلك لينال شيئاً مما يُخلفه ، حتى إذا تعتّى صاحبه وتحمل واجتهد فورد على
ذلك الملك لم يجد لشيءٍ من ذلك حقيقةً ، ووجده حنقاً مُغضباً عليه فأتى على

(١) ما : سقط ق ف — (٢) هذا : سقط ق ف — إلى صاحبه هذا ق ف —
(٣) ويكده ق ف — (٦) صاحبه أولاً : سقط ق ف — فليس هو ق ف — (٧) جليل :
سقط ق ف — (٩) ولا ندامة ... جيلاً : سقط ق ف — العديم لهذا الغرض : سقط ق ف —
(١٢) الكذّابون به ق ف — (١٣) إلّا ليتعجب الناس به فقط ق ف — فإذا حدث ...
ضرر ق ف — (١٤) شاسعة رغبة في : سقط ق ف — قرّبه وتوقه وحقق ق ف —
(١٥) كذا وكذا ق ف (مرتين) — (١٧) ونحاه على نفسه ف ، ولجأ على نفسه ق

نفسه . على أن الأولي بأن يسمى كاذباً ويُجتنب ويحترس منه من كذب لا
لأمر اضطر إليه ولا مطلب عظيم ينال به ، فإن من استحسن الكذب وأقدم
عليه لأغراض دنيئة خسيسة كان أخرى وأولى به عند الأغراض العظيمة الجليلة * ٣

الفصل العاشر

في البخل *

إن هذا العارض ليس يمكننا أن نقول إنه من عوارض الهوى بإطلاق . ٦
وذلك أننا نجد قوماً يدعوهم إلى التسكُّ والتحفُّظ بما في أيديهم فرطُ خوفهم من
الفقر وبعْدُ نظرهم في العواقب وشدة أخذٍ منهم بالحزم في الاستعداد للنكبات
والنوائب ، ونجد آخرين يلذون الإمساك لنفسه لا لشيء آخر ، ونجد من ١
الصبيان الذين لم يستحكم فيهم الروية والفكر من يسخو بما معه لقرنائه من
الصبيان ونجد منهم من ييخل به . فمن أجل ذلك ينبغي أن يُقصد إلى مقاومة ما

(١) على أن الأولى : سقط ق ف — كذا باق ف — (٣) الجليلة العظيمة ق ف —
(٧) أنا وجدنا ق ف — والتحفُّظ : سقط ل — إفراط ك — (٨) وبعد فكرهم ق ف —
أخذهم ل — (٩) وآخرين ق ف — في الصبيان ل — (٩ - ١٠) من الصبيان ... الفكر :
سقط ق ف — (١١) منهم ك : سقط ل ق ف — ومن أجل ك

* قال الكرماني في القول السادس من الباب الأول من كتابه : وقوله في الفصل التاسع في
الكذب قول لا تتعلق به فائدة . وكيف لا تكذب النفس وهي في كل أحوالها تابعة هواها ،
طالبة نيل مرادها على أي حالة كانت وخالية من علم يعقلها عن قول المحال فتكون صادقة . وما
ذكره من قسميه وكون أحدها جائزاً مستحسناً ، فلو كان يعلم مضرّة الكذب بالنفس لما أجاز
ما أجاز . هذا والصدق الذي هو فضيلة النفس ليس بكلي فيها ، فإن منه ما هو مضرّة للنفس ،
كالغيبة التي هي وإن كانت صدقاً فهو معدود فيما يكون خارجاً في معراض ما يكون ذماً للغير ، فكيف
الكذب الذي هو الرذيلة !

* ورد ابتداء هذا الفصل (حتى « الهوى فقط » ص ٦٠ س ١) في القول السادس
من الباب الأول من كتاب الكرماني

كان من هذا العارض عن الهوى فقط ، وهو الذى إذا سُئل صاحبه عن السبب والعلّة فى إمساكه لم يجد فى ذلك حجّةً يَبْنِيهَ مقبولةً تُبَيِّنُ عن عُذر واضح . لكن يكون جوابه ملزماً مرقعاً مُدَجَّجاً مُشَبَّحاً . وقد سألتُ مرّةً رجلاً من المُمسكين عن السبب الداعى له إلى ذلك ، فأجابنى بأجوبة من نحو ما ذكرتُ . وجعلتُ أبَيِّنُ له فسادها وأنه ليس ممّا اعتلّ به شئٌ يوجب مقداراً ما كان عليه من الإمساك . وذلك أتى لم أسمه أن يجود من ماله بما يبين عليه فضلاً عما يُجَحِّفُ به أو يحطّله عن مرتبته فى غناه ، فكان آخرُ جوابه أن قال هكذا أُحِبُّ | وكذا أشتهى . فأعلمته حينئذٍ أنه قد حاد عن حكم العقل إلى الهوى ، إذ كان ما يعتلّ به ليس بقادح فى الحالة العاجلة التى هو عليها ولا فى الحزم والوثيقة والنظر فى العاقبة . * فهذا المقدار من هذا العارض هو الذى ينبغى أن يُصلَحَ ولا يُقارَرُ

٥٨ ظ

(٢-١) عن العلة والسبب ق ف — (٣) مشبّحاً : سقط ق ف — (٤) فأجابنى إلى ذلك بأجوبة ق ف — (٦) أن يجود عن رتبة غناه من ماله ق ف — بما تبين عنه ق ف — فضلاً عن أن يحبب به عن رتبة غناه ق ف — (٧) وهكذى اشتهى ق ف — (٨) قد جاز عن ق ف — (١٠) وهذا — من العارض ق ف — أن يصلح أن لا يفارق الهوى وهو ق ف

* وردت هذه الجملة (حتى «ولا عجزاً» ص ٦١ س ٢) فيما اقتبسه الكرمانى من قول الرازى فى هذا الفصل . وقال الكرمانى ردّاً على كلام الرازى : منها قسمته البخل إلى ما منه من أحكام الهوى وإلى ما منه من أحكام العقل ، وذلك محال . فإنّ تضبط النفس بمالها والبخل به والشحّ عليه ليس إلّا لما يوجبه هواها من التمولّ وطلب الاستكثار لبدنها وجسمها ، كتمولّ الفأر والنمل والحفاش وأمثالها ، لا لذاتها . ومنها تصوّره أنّ ما تتضبط به النفس للحوادث والأمن من الفقر والتكبات هو الذى يوجبه العقل لعود النفع على الذات ، وذلك محال باطل . فإنّ من المعلوم أنّ المدخر للتكبات والمخّن إنما تدخره النفس لدفع بلية وعلة من جسدها لا لدفع بلايا وأعمال نفسانية عنها ، وأنه لو كان ما كان لدفع ما يدفع عن الذات من علة نفسانية لكانت لا تدخر ولكانت تعطى وتتفق فى وجوه البرّ والمصالح الدينية العائد نفعها على الذات ، ولا تخاف الفقر كما لا يخاف ذو ديانة واعتقاد إلهيّ الموت ولا الفقر ولا يبالى بما يصيب جسده من مكروه ، كسقراط وفيثاغورس وأمثالهما فى زهدهما من القدماء ، وكلّى بن أبى طالب وصيّ نبيّ ربّ العالمين صلوات الله عليه الذى كان فى صومه محتاجاً إلى ما يفطر عليه ، فكان له ولن فى داره

الهوى عليه ، وهو البخل بما لا يؤثر في الحالة الحاضرة انحطاطاً ولا فيما يرام بلوغه فيما بعد بالمال ضعفاً ولا عجزاً . فأما من كان له عُذرٌ بين واضح من أحد هذين البابين أو من كليهما فليس ما عرض له من الإمساك عن الهوى بل عن العقل والروية ، ولا ينبغي أن يزال عنه بل يزيد ويثبت عليه . وليس كل مُمسِك يسوغ له أن يحتجّ بالباب الثاني من هذين البابين ، وذلك أن من كان من الناس آيساً من أن يبلغ إمساكه رتبةً أعلى وأجلّ من التي هو فيها — كمَن كان في أواخر عمره أو في أقصى المراتب التي يمكن أن يبلغها مثله — فليس لا احتجاجة بالباب الثاني من هذين البابين وجهٌ بتّة

١

الفصل الحادى عشر

في دفع الفضل الضارّ من الفكر والهمّ*

إن هذين العارضين وإن كانا عَرَضَيْنِ عقليّين فإنّ فرطهما مع ما يجلب من

(٤) بل يثبت عليه ق ف — (٨) البتة ق ف — (١٠) الفضل الضارّ من : سقط ل ك (راجع ص ١٧ س ٣) ، في قصد الضارّ من الفكر والهمّ ق ف — (١١) هذين العرضين ق ف — إفراطهما ك

أقراص أربعة ليفطر عليها ، فجاءه المسكين واليتيم وتعرّضا للسؤال بباب داره فدفع الكل إليهما ولم يبال بمجوعه وجوع من في داره طلباً لإصلاح ذاته بالإفاضة والإإنعام والصدقة والبذل ، وأبى ذرّ الغفارىّ الذى لا يبيت معه في داره ما يفضل عنه لقلة مبالاته بالفقر ثم بالموت ، وأمثالهما من المتأخرين . وكيف يكون من البخل ما يكون محموداً ولا يوصف به ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا وصيّ مفضل ولا إمام موكل ولا عالم مكمل ؟ كلا ومنها تفويضه الأمر فيما وكله إلى النفس من مقاومة هواها في ذلك إلى كفايتها بذاتها ، وهل التضبط بالتقنيات والشاح بها إلاّ ذات النفس التي لا تهوى ولا تختار إلاّ ذلك طلباً لاستدامة الذات والبقاء الطيعي ؟

* ورد ابتداء هذا الفصل (حتى « وتقوى » ص ٦٢ س ٨) في القول السادس من الباب الأوّل من كتاب الكرماني . وقال الكرماني عند تقديمه لكلام الرازي : فمن المعلوم أن النفس إذا لم تفكر ولم تهتم بمصالح ذاتها من جهة باعث من خارجها ولم تقبل منه فتوفرت على ما يصلح جسدها هلكت وبطلت كأنفس أنواع الحيوان

الآلم والأذى ليس هو — في إقعادنا عن مطالبنا وقطعنا دونها — بدون تقصيرهما
 عمّا ذكرنا قبل حيث ذكرنا إفراط فعل النفس الناطقة . ولذلك ينبغي أن يكون
 العاقل يُرِجِجُ الجسدَ منهما وأن يُنِيلَهُ من اللهو والسرور واللذة بقدر ما يبلغ له
 ما يُصْلِحُهُ ويحفظ عليه صحته لئلا يخور وينهدّ وينهك ويقطع بنا دون قصدنا .
 ومن أجل اختلاف طبائع الناس وعاداتهم تختلف مقادير احتمال الفكر والهَمِّ
 فيهم ، فبعضٌ يحتمل الكثيرَ منهما من غير أن يُضِرَّ ذلك به ، وبعضٌ لا يحتمل .
 فينبغي أن يُتَفَقَّدَ ذلك ويُتَدَارَكُ قبل أن يعظم وأن يُتَدَرَّجَ إلى الازدياد منه
 ما أمكن ، فإن العادة تُعَيِّنُ على ذلك وتقوِّى عليه . وبالجمله فإنه ينبغي أن يكون
 نيلنا وإصابتنا من اللهو والسرور واللذة لا أنها لها لنفسها ، بل لكي تتجدد وتقوى
 به على العدو في فكرنا وهَمِّنا اللذين بهما نبغ مطالبنا . فإنه كما أن قَصْدَ الرجل
 السائر في إعلاف دابته ليس إلى أن يُنِيلَهَا لذتها بل إلى أن | يقوِّيَهَا على بلوغ
 مكانه ومستقرّه ، فكذلك ينبغي أن يكون حالنا في الاشتغال بمصالح أجسادنا .
 فإنه إذا فعلنا ذلك وقدرناه هذا التقدير بلغنا مطالبنا في أسرع الأوقات التي يمكن
 في مثلها بلوغها ، ولم نكن كالذي أهلك راحلته قبل بلوغه أرضه التي يؤمّها بالحمل
 عليها والخرق بها ، ولا كالذي شغل يأسمانها وإخصابها حتى فاتته الوقت الذي
 كان ينبغي أن يكون قد وصل فيه إلى موضعه ومستقرّه . وسنأتي في ذلك بمشكّل
 آخر ، أقول : لو أن رجلاً أحبّ علم الفلسفة وآثرها حتى جعلها همه وشغلاً

(١-٢) ليس ... الناطقة : غير محمود ق ف — هو : سقط ك — (٢-٣) يكون العاقل :
 سقط ق ف — (٤) وينهك : سقط ك ق ف — (٥) اختلفت ق ف — (٦) الكثير منها ل
 ق ف — (٧) يتفقّد ذلك و : سقط ق ف — (٩) لا لها انفسها اعنى الابدان ق ف —
 (٩-١٠) وتقوى به القدر ق ف — مطلبنا ق ف — (١١) ليس أن ق ف —
 بل لكي ق ف — (١٢) في الاستعمال لمصالح ق ف — (١٣) فانا إذا ق ف —
 (١٤) التي أمها ق ف — (١٥-١٦) ولا كالذي ... مستقره : سقط ق ف —
 (١٧) أقول لو : سقط ق ف — واشغل ق ف

بها فكره ، ثم رام أن يبلغ منها ما بلغ سقراطيس وفلاطن وأرسطاطاليس
 وثوفرستس وأوديمس وخروسيبس وثامسطيس واسكندروس في مدة سنة
 مثلاً ، فأدام الفكر والنظر وأقلَّ الغذاء والراحة — ومما يتبع ذلك ضرورة ٣
 دوام السهر — ، أقول إن هذا الرجل يقع إلى الوسواس والمالنخوليا وإلى
 البق والذبول قبل مضي تمام هذه المدة وقبل أن يقارب هؤلاء الذين ذكرناهم .
 وأقول لو أن رجلاً آخر أحب أيضاً استكمال علم الفلسفة على أنه إنما ينظر فيها ٦
 في الوقت بعد الوقت إذا فرغ من أشغاله وملَّ من لذاته وشهواته ، فإذا عرض
 له أدنى شغلٍ أو تحرُّكٍ فيه أدنى شهوة ترك النظر وعاد فيما كان فيه أولاً ،
 أقول إن هذا الرجل لا يستكمل علم الفلسفة في عمره ولا يقارب ذلك ولا ٩
 يدانيه . فقد عدمَ هذان الرجلان مطلوبهما ، أحدهما من جهة الإفراط والآخر
 من جهة التقصير . ومن أجل ذلك ينبغي أن نعتدل في فكرنا وهمومنا التي نروم
 بها بلوغَ مطالبنا لنبلغها ولا نعدمها من قبل تقصير أو إفراط ١٢

الفصل الثاني عشر

في دفع الغمِّ

١٥ إنَّ الهوى إذا تصوّر بالعقل فقدَّ الموافق المحبوبِ عرَضَ فيه الغمُّ . ونحتاج
 في بيانِ أنَّ الغمَّ عرَضَ عقليَّ أو هوائيّ إلى كلامٍ فيه فضلٌ طويلٌ ودقَّةٌ .

(١) وافلاطن ق ف — (٢) واوديمس ... وارسكندروس : سقط ق ف — (٣) فاذا دام
 ل — والراحة ودوام السهر ق ف — (٤) يقع في ق ف — (٥) تمام : سقط ق ف — (٦)
 وأقول لو أن : سقط ق ف — ورجل آخر يحب علم الفلسفة واستكماله إلا أنه ينظر في
 العواقب وبعد الوقت ق ف — (٧) لذته وشهوته ق ف — (٩) الرجل : سقط ل — في عمره :
 سقط ق ف — (١١) نروم : سقط ل — (١٢) مطاوبنا لنبلغه ولا نعدمه ق ف — ولا
 افراط ق ف — (١٦) بيان ذلك أن ق ف — إلى كلام ... دقة : سقط ق ف

وقد ضمنا في أول هذا الكتاب أن لا تتعلق فيه من الكلام إلا بما لا بد منه في غرضه الذي أجريناه إليه ، ومن قِيلَ ذلك تتجاوز الكلام في هذا المعنى ونصير إلى ما هو المقصود المطلوب بكتابتنا هذا . على أنه قد يمكن من كان به أذى مُسَكَّة من علم الفلسفة أن | يستنبط ويستخرج هذا المعنى من الرسم الذي رسمنا به الغم في أول هذا الكلام ، إلا أننا نحن ندع ذلك وتجاوزته إلى ما هو المطلوب بهذا الكتاب

فأقول : إنه * لما كان الغم يكدر الفكر والعقل ويؤذي النفس والجسد حقاً لنا أن نحتال لصرفه ودفعه أو التقليل منه والتضعيف له ما أمكن . وذلك يكون من وجهين ، أحدهما بالاحتباس منه قبل حدوثه لئلا يحدث أو يكون ما يحدث أقل ما يمكن ، والآخر دفع ما قد حدث ونفيه إما كله وإما أكثر

(١) وقد ذكرنا في أول الكتاب ق ف — (٢) في الغرض ق ف — أجزنا به إليه ق ف — (٨) والتقليل ق ف — (٩) من جهتين ق ف — يكون ما حدث منه ق ف — (١٠) دفع ما حدث منه ق ف

* هاهنا استأنف ما اقتبسه الكرمانى من هذا الفصل وتصل روايته إلى ص ٦٥ س ٩ (« عند فقدها ») . وقال الكرمانى ردّاً على الرازى : وقوله في الفصل الثانى عشر في دفع الغم « إن الأكثر غماً من كانت محبوباته وملكانه أكثر ، والأقل غماً من كانت محبوباته ومقتنياته أقل ، وبحسب كثرتها وقلتها عند فقده إياها يكون غمه » وإن كان صحيحاً وحقاصريحاً فليس مما ينفع أو يكون طباً روحانياً ، بمجرد قوله بعنا للنفس على قطع موادّ الموموم والغموم عنها بالامتناع عن الجمع والتمول ، مع العلم بعجزها عن مخالفة ذاتها فيما تهواه وقلّة إمكانها الإمساك عن استحسان ما تفعله واستصواب ما تأتبه وتندره ، كالسكران الذى لا يفعل إلا ما يريده ولا يستحسن إلا ما يفعله غير مفكر فيما يعقبه فعله ، مع اليقين بأنها لو ملكت المشرق لنازعته ذاتها إلى أن تملك المغرب على ما تقدم من القول على مثله . وإنما يكون طباً روحانياً ما كان فاعلاً في ذات النفس ما تصير به قالية للذم تاركة ما يوجبها هواها من الأمور المخالفة لأوامر الله في مناسك دينه على ما نبينه كما وعدنا في صدر الكتاب . وما تضر نفساً ملكاتها ومحبوباتها ما حافظت على إقامة مناسك الدين وسننه فجعلتها قطباً تدور عليه في أفعالها وأعمالها ، فتكون لها آلة في إصلاح ذاتها وعمارة آخرتها

ما يمكن منه والتقدم بالتحفظ لئلا يحدث أو ليقول أو يضعف ما يحدث منه ،
وذلك يكون بتأمل هذه المعاني التي أنا ذاكرها

أقول : إنه لما كانت المادة التي منها تتولد الغيوم إنما هي فقد المحبوبات ،
ولم يمكن أن لا تفقد هذه المحبوبات لتداول الناس لها وكرور السكون والفساد
عليها ، وجب أن يكون أكثر الناس وأشدّهم غمّاً من كانت محبوباته أكثر
عدداً وكان لها أشدّ حبّاً ، وأقلّ الناس غمّاً من كانت حاله بالضدّ من ذلك . فقد
ينبغي إذا للعاقل أن يقطع موادّ الغيوم عنه بالاستقلال من الأشياء التي يجلب
فقدّها غمّاً ، ولا يغترّ وينخدع بما معها — ما دامت موجودة — من
الحلاوة ، بل يتذكّر ويتصوّر المראה المتجرّعة عند فقدها

فإن قال قائل إن من توقّى اتّخاذ المحبوبات واقتناءها خوفاً من الغمّ عند
فقدّها فقد استعجل غمّاً ، قيل له إنه وإن كان هذا المتوقّي المحترس قد استعجل
غمّاً فليس ما استعجله بمساوٍ لما خاف الوقوع فيه منه . وذلك أنه ليس اغتمام
من لا ولد له كاغتمام من أصيب بولده — هذا إن كان الرجل ممن يغتم بأن
لا يكون له ولدٌ فضلاً عن غيره ممن لا يبالى ولا يعابى بذلك ولا يغتم له بته —
ولا غمّ من لا معشوق له كغمّ من فقد معشوقه . وقد حكي عن بعض
الفلاسفة أنه قيل له لو اتّخذت ولداً . فقال إنني من السعي في إصلاح جسدي
هذا ونفسي هذه في مؤن وغموم لا قوام لي بها ، فكيف أضمّ وأقرن إليها
مثلاً ؟ وسمعت امرأة عاقلة تقول إنها عاينت يوماً امرأة شديدة التحرّق على

(٢) وذلك ك : سقط ل ق ف — ذاكرها ان شاء الله ق ف — (٣) يتولد الغم ق ف —

إنما هو ك — المحبوب ق ف — (٦) وهو لها ك — (٧) إذا : سقط ق ف — (٨) ولا
ينخدع ويغترق ق ف ، ولا ينخدع ك — (٩) يتذكرو : سقط ق ف — ويتجرعها عند

ق ف — (١٠) يتوقى ق ف — (١١ - ١٢) قيل ... غمّاً : قلنا ق ف — بمساوى ما

ق ف — (١٤) ولا يرتفع بذلك ولا يغتم ل — بته : سقط ق ف — (١٦) من الشغل في ق

ف — (١٧) نفسى هذه وجسدى هذا ق ف — وكيف ق ف — (١٨) إنها : سقط ق ف

- وليد لها أصيبت به وأنها توقّت الدنوّ من زوجها خوفاً من أن تُرزق ولداً تبلى فيه بمثل بلائها . ومن أجل أن وجودَ المحبوب | موافقٌ ملاءمٌ للطبيعة وفقدَه ٦٠
- مخالِفٌ منافر لها صارت تُحسُّ من ألم فقد المحبوب ما لا تحسُّ من لذة وجوده . ٣
- ولذلك صار الإنسان يكون صحيحاً مدةً طويلةً فلا يحس لصحته بلذّة ، فإن اعتلّ بعض أعضائه أحسَّ على المكان فيه بألم شديد . وكذلك تصير المحبوبات كلها ٦
- عند الإنسان — إذا وجدها أو طالت صحبتها له — في سقوط لذة وجودها عنه ما دامت موجودة له وحصول شدة ألم فقدها عليه إذا فقدها . ومن أجل هذا لو أن رجلاً استمتع دهرًا طويلاً بأهلٍ ووليدٍ نفيس ثم بلى بفقدتهما لأحسَّ ١
- من التألم بذلك في يوم واحد وساعة واحدة ما يفضل ويأتى على لذة إمتاعه كان بهما . وذلك أن الطبيعة تحسب وتعدّ ذلك الاستمتاع الطويل كله حقاً واجباً لها ، بل تعدّه دون حقّها . وذلك أنها لا تخلو في تلك الحالة أيضاً من استقلال ١٢
- ما هي فيه وحبُّ الزيادة منه دائماً بلا نهاية حبّاً منها للذة واشتياقاً إليها . وإذا كان الأمر على هذا — أعنى أن يكون التلذّد والاستمتاع بالمحبوبات في حال وجودها مُعَوِّزاً مُنْطَمِئاً مُسْتَقِلّاً مُغْفَلاً ، والحزنُ والتحرُّقُ والتلظى عند ١٥
- فقدها متبئناً مستكثراً مؤلماً مُتِلْفاً — فما الرأى إلا طرحاً بته أو الاستقلال منها لتعدم أو تقلّ عواقبها الرديئة الجالبة للغموم المؤذية المُضْنِيّة . فهذه أعلى ١٨
- المراتب في هذا الباب وأحسّسها لِمَوادِّ الغموم . ويتلوه في ذلك أن يتمثل الرجلُ ويتصوّر فقدَ محبوباته ويُقيّمها في نفسه ووهمه ويعلم أنها ليس بما يمكن

(٢) بلائها ذلك ق ف — المحبوبات ق ف — (٢ - ٣) وفقدَه صارَ لها ق ف — (٤) يكون : سقط ل — لذة ق ف — (٥) منه ألماً شديداً ق ف — فلذلك ق ف — (٧) من أجل ق ف — (١١) من الاستقلال لما ق ف — (١٢ - ١٣) إليها ... والاستمتاع : سقط ق ف — في المحبوبات ق ف — (١٥) متبئناً : سقط ق ف — مبلغاً ل — (١٦) النصيبة ق ف — (١٨) ليست ق ف

أن تبقى وتدوم بحالها ، ولا يخلو من تذكر ذلك منها وإخطار ذلك بباله فيها
وتصحيح العزم وشدة الجَلَد متى حدث ذلك بها . فإن ذلك تمرينٌ وتدرّجٌ
ورياضة وتقوية للنفس على قلة الجزع عند حدوث المصائب ، لِقَلّة ما كان من
اعتياده وثِقَتِهِ وركونه إلى بقاء محبوباته في حال وجودها وليكثرة ما مثَّل
لِلنفس وعودها وآنسها بتصور المصائب قبل حدوثها . وفي مثل هذا المعنى
يقول الشاعر

٦

يُصوِّرُ ذو الحزم في نفسه مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم تُرْعَهُ لما كان في نفسه مَثَلًا
رَأَى الأمر يُفْضَى إلى آخِرٍ فصيرَ آخِرَهُ أوَّلًا |

٦٠ ظ

فإن كان هذا الإنسان في غاية الفشالة ومُفْرِطَ الميل مع الهوى واللذّة
ولا يثق من نفسه باستعمال شيء من هذين البابين فليس إلا أن يحتال أن ينفرد
من محبوباته بواحدة ينزّلها منزلة ما لا بدّ منه وما ليس غيره ، بل يقرن إليها
ويتخذ منها ما ينوب — أو يقارب أن ينوب — عن مفقودٍ إن فقد منها ،
فإنه بهذا الوجه يمكن أن لا يفرط حزنه واغتمامه بأيّ واحدٍ فقد منها . فهذه
جملة ما يُحْتَرَس به من كون الغمّ ووقوعه . فأما ما يُدْفَع به أو يقلّل منه إذا كان
ووقع فإننا قائلون فيه منذ الآن

فنقول : إنّ العاقل إذا تفقّد ونظر فيما يعتوره الكون والفساد من هذا العالم
ورأى أنّ عنصرها عنصرٌ مستحيل متحلّ سيّال لا ثباتَ لشيء منه ولا دوامَ له

١٨

(٢) العزم على شدة الجَلَد ق ف — (٣) على قوة ق ف — (٤) اعتداده وركونه
وثقته ق ف — (٥) وآنسها : سقط ق ف — (٦) يقول بعضهم ق ف — (٧) يمثّل ذو
ق ف — (١٠) هذا : سقط ق ف — الفسالة ق ، البسالة ف — (١١) شيء من هذه
فليس ق ف — يحتال التفرّد من ق ف — (١٣) منها ما يقارب أو ينوب عن ق ف —
(١٤) واغتمامه . . . منها : سقط ق ف — (١٥) فأما ما ذكرناه ما يدفع به ق ف —
(١٧) فيما يفعل الكون ق ف — (١٨) أن عنصره مستحيل متحلل ق ف

بالشخصية ، بل كلها زائل دائر مستحيل فاسد مضمحل ، فلا ينبغي أن يستكثر
ويستعظم ويستفزع ما سلب منه وفُجِعَ به منها ، بل يجب عليه أن يعدَّ مَدَّةَ بقاءها
له فضلاً ، وما استمتع به من ذلك ربحاً ، إذ كان فناؤها وزوالها كائناً لا محالة ،
ولا يعظم ويكبر ذلك عليه وقت كونه إذ كان شيئاً لا بدَّ أن يعرض فيها .
فإنه متى أحبَّ دوامَ بقاءها فقد رام ما لا يمكن وجوده لها ، ومن أحبَّ ما
لا يمكن وجوده كان جالباً بذلك الغمَّ إلى نفسه ومائلاً عن عقله إلى هواه .
وأيضاً فإنَّ فقدَ الأشياء التي ليست بأضرارية في بقاء الحياة ليس يدوم له الغمُّ
بها والحزنُ عليها ، لكن يسرع منها البديلُ وعنها النائبُ ويُعقب ذلك السلوةُ
عنها والنسيان لها ، فترجع العيشةُ وتعود الحالةُ إلى ما كانت عليه قبل المصيبة .
فكم رأينا من أُصيبَ بعظيم المصائب وفادحها راجعاً إلى ما لم يزل عليه قبل
مصابه ملتدّاً بعيشه معتبطاً بحاله . فلذلك ينبغي للعاقل أن يذكر النفس في حال
المصيبة بما تووَّل وترجع إليه من هذه الحالة ويعرضه عليها ويشوقها إليه
ويحتلب ما يشغل ويلهي أكثر ما يمكن ليسرع الخروج منها إلى هذه الحالة .
وأيضاً فإنَّ تذكُّره كثرة المشاركين له في المصائب وأنه لا يكاد يعرَى منها أحدٌ
وتذكُّر حالاتهم بعدُ وأبواب سلواتهم وحالاته وسلواته نفسه عن مصائب —
إن كانت تقادمت له — مما يخفف ويسكن من عادية الغمِّ . وأيضاً فإنه إن كان
أكثرُ الناس وأشدُّهم غمّاً من كانت محبوباته أكثر عدداً وكان لها أشدَّ حبّاً

(١) بالحقيقة بل ق ف — بل كل منها ق ف — دائر متحلل مضمحل ق ف — ينبغي له ق
ف — (٣) استمتع وملكه منها ربحاً ق ف — وزوالها قبل ذلك ممكناً ولا يعظم ق ف —
(٤) ذلك شيئاً لا بد منه ان ق ف — (٥) فانه من ق ف — (٧) له : سقط ق ف —
(٨) وعنها النائب : سقط ق ف — (١٠) فكم قد رأينا ق ف — فداد راجعاً ق ف —
(١١) متلذذاً ق ف — فكذلك — (١٢) ويسوقها اليه ق ف — (١٣) باكثر ق ف —
منها : سقط ق ف — (١٦) ويكسر من ق ف

فإنه ليس من واحد يقعد منها إلا وَقَدَّ مِنَ الغَمِّ على مقداره ، بل يُريح نفسه من همٍّ دائمٍ وخوفٍ عليه منتظرٍ ، ويحدث له وجرة وجلد على ما يحدث منها بعدُ ، فقد جرَّ فقدها نفعاً وإن كان الهوى لذلك كارهاً ، فاكسب راحةً وإن كان متدوّقها مرّاً . وفي مثل هذه المعاني يقول الشاعر

لعمري كئن كنّا فقَدناكَ سيِّداً وكهفاً له طال التحزُّنُ والهلع
لقد جرَّ نفعاً فَقَدنا لك أننا أَمِنّا على كلِّ الرّزايا من الجزع
فأما ما يعتصم به المؤثر لا يتبع ما يدعو إليه عقله وتجنّب ما يدعو إليه
هواه ، التأمّ المملّكة والضابطُ لنفسه من الغمِّ فواحدة ، وهي أن العاقل الكامل
لا يختار المُقام على حالة تضرُّه ، ومن أجل ذلك يبادر إلى النظر في سبب الغمِّ
الوارد عليه . فإن كان ممّا يمكن دفعه وإزالته جعل بدلَ الاعتماد فكرّاً في الحيلة
لدفع ذلك السبب وإزالته ، وإن كان ممّا لا يمكن ذلك فيه أخذ على المكان في
التلهّي عنه والتناهي له وعمل في محوهِ عن فكرهِ وإخراجه عن نفسه . وذلك
أنّ الذي يدعو إلى المُقام على الاعتماد في هذه الحالة الهوى لا العقل ، إذ العقل
لا يدعو إلا إلى ما جلب نفعاً عاجلاً وآجلاً ، وكان الاعتماد ممّا لا درك فيه
بِتّة ولا عائدة منه بل فيه ضررٌ عاجلٌ يؤدّي إلى ضررٍ آجلٍ فضلاً عن أن يكون
نافعاً . وهو — أعنى الرجل العاقل الكامل — لا يتبع إلا ما دعاه إليه العقل
ولا يُقيم إلا على ما أطلق له المُقام عليه لسببٍ وعذرٍ واضحٍ ، ولا يتبع الهوى
ولا ينقاد له ولا يقاربه على خلاف ذلك

- (١) ليس واحد ق ف — منها شيء الا ق ف — مقداره بأن تزع نفسه من الهمّ الدائم
والخوف المنتظر ق ف — (٢ - ٦) ويحدث ... الجزع : سقط ق ف — (٢) وجرة ؟ —
(٧) عقله الراغب عن ما يدعو إليه هواه ق ف — (٨) الضابط ق ف — (٩) الغم :
سقط ل — (١٠) وإن ق ف — (١١) لا يمكن دفعه اخذ ل — في المكان ق ف —
(١٢) عنه : سقط ل — (١٥) بّة : سقط ق ف — منه من عاجل يؤدّي إلى ضرر ق ف —
(١٦) نافعاً والعاقل الكامل ق ف — (١٧) بسبب ل — (١٨) يقتاد له ق ف —
ولا يقاربه على خلاف ذلك : ولا يؤثره ق ف

الفصل الثالث عشر

في الشره *

- ٣ إنَّ الشره والنهم من العوارض الرديئة العائدة من بعدُ بالألم والمضرة .
 وذلك أنه ليس إنما يجلب على الإنسان استنقاص الناس له واسترذالهم إياه فقط ، لكن يطرحه مع ذلك في سوء الهضم ، ومن سوء الهضم إلى ضروب من الأمراض الرديئة جداً . ويتولد عن قوة النفس الشهوانية ، | وإذا انضم إليها وساعدها غمى النفس الناطقة الذي هو قلة الحياء كان مع ذلك ظاهراً مكشوفاً .
 وهو أيضاً ضربٌ من اتباع الهوى يدعو إليه ويحمل عليه تصوُّر استلذاذ طعم المتطعم . ولقد بلغني أنَّ رجلاً من أهل الشره أقبل يوماً على ضروب من الطعام بنهم وشره شديد ، حتى إذا تضرع وتملاً منها لم يمكنه معه تناول شيء بته ، فأخذ يبكي فسئل عن سبب بكائه ، فقال إنَّ ذلك لآثه — زعم — لا يقدر على أكل شيء مما هو بين يديه . وقد كان رجل بمدينة السلام يأكل معي من رطب كثير كان بين أيدينا ، فأمسكتُ بعد تناولي منه مقداراً معتدلاً ، وأمعن هو حتى قارب أن يأتي على جميعه . فسألته بعد امتلائه منه وإمساكه عنه — وذلك أنني رأيته محققاً نحو ما رُفِع من بين أيدينا منه — هل انتهت نفسه وسكنت شهوته ؟ فقال ما كنت أحب إلا أن أكون بحالتي الأولى ويكون هذا الطبق إنما قدَّم إلينا الآن . فقلت له فإذا كان ألم حسِّ الاشتاء ومضضه لم يسقط عنك

(٢) في دفع الشره ق ف — (٣) العائدة بعد ل — (٤) إنما : سقط ق ف —
 انتقاصاً له واسترذالاً له ق ف — (٧) مكشوفاً : سقط ق ف — (١٠) شديد : سقط ل —
 يمكنه تناول شيء فأخذ ل — (١١) إن ذلك لحال انه لا يقدر ق ف — (١٢) معي رطباً كثيراً ق ف — (١٣) فأمسكت أنا ق ف — (١٥) نحو ما بقي بين ق ف —
 نفسك ... شهوتك قال ق ف — (١٦) وأن يكون هذا ق ف — (١٧-١٨) سقط عنك له ... المعتد : سقط ق ف

ولا في هذه الحال فما كان الصواب إلا الإمساك قبل التملّي لثريح النفس بما أنت فيه الآن من الثِقَلِ والتَّدُّ بالتملّي ، وما لا تأمن أن تصير إليه من سوء الهضم الذي يجلب عليك من الأمراض ما يكون تألّمك به أكثر من التذاذك ٣ بما تناولته أضعافاً كثيرة . فرأيتُه قد فهم معنى هذا الكلام وجمّع فيه وبلغ إليه . ولعمري إنّ هذا الكلام ونحوه يُفنع مَنْ لم يكن مرتاضاً برياضات الفلسفة أكثر مما تُفنع الحججُ المبنية على الأصول الفلسفية . وذلك أنّ المعتقد أنّ ٦ النفس الشهوانية إنما قرنت إلى الناطقة لتنال هذا الجسد — الذي هو للنفس الناطقة بمنزلة أداة وآلة — ما يبقى به مدّة اكتساب النفس الناطقة المعرفة بهذا العالم ، يجمع النفس الشهوانية ويمنعها من الإصابة من الغذاء فوق الكفاف ، ٩ إذ كان يرى أنّ الغرض والقصد بالاغتذاء في الحلقة ليس للتذاذ بل للبقاء الذي لا يمكن أن يكون إلاّ به . وذلك كما حكى عن بعض الفلاسفة أنه كان يأكل مع بعض الأحداث ممّن لا رياضة له ، فاستقلّ ذلك الحدث أكل ١٢ الفيلسوف وجعل يتعجّب منه ، | وقال له في بعض كلامه لو كان زردى من الغذاء مثل زردك لم أبال أن لا أعيش . فقال له الفيلسوف أجل يا بُنى ، أنا آكل لأبقى وأنت إنما تريد أن تبقى لتأكل . وأمّا مَنْ لا يرى أنّ عليه ١٥ من التملّي والاستكثار من الغذاء بأساً في مذهبه ورأيه فإنما ينبغي أن يدفع عن ذلك بالكلام في الموازنة للذة المصّابة من ذلك بالألم المعقّب لها كما ذكرنا قبيل . ونقول أيضاً : إنه إذا كان انقطاع الطعم المستلذّ عن المتطعم ممّا لا بدّ ١٨

(٢) من العقل ل — (٦-٧) وذلك ... الشهوانية : ولعمري ان النفس الشهوانية ق ف — قرنت إلى النفس الناطقة ق ف — (٨) المعترفة بهذا العلم ق ، المعروفة بهذا العلم ف — (١٠) بالاغتذاء ، صحبنا : للاغتذاء ل ، الاغتذاء ق ف — ليس للمتذق ق ف — (١١) أن يكون شيئاً إلاّ به ق ف — ولذلك يحكى عن بعض ق ف — (١٢) الحدث : سقط ل — (١٣) ذلك الفيلسوف ل — له : سقط ق ف — (١٦) والاستكثار : سقط ق ف — أن يدفع ذلك ق ف

منه فقد ينبغي للعاقل أن يقدم ذلك قبل الحال التي لا يأمن معها عاقبة رديئة .
 وذلك أنه إن لم يفعل ذلك خسر ولم يربح . أمّا خسرانه فتعريض النفس للألم
 ٣ والسقم ، وأمّا أنه لم يربح فلأن مَضَض انقطاع لذة المتطعم عنه قائم على حال ،
 فتي انحرف عن هذا أو مال إلى ضده فليعلم أنه قد ترك عقله لهواه . وأيضاً
 * فإن للشره والنهم ضراوة واستكلاًباً شديداً ، ومتى أهمل وأمرج قوى ذلك
 ٦ منه وعسر نزوع النفس عنه . ومتى ردع وقمع وهن وذبل وضعف على الأيام
 حتى يفقد البتة . قال الشاعر

وعادة الجوع فأعلم عَصْمَةً وغنى وقد تزيدك جوعاً عادة الشبع

الفصل الرابع عشر

في السكر

إن إدمان السكر ومواترته أحد العوارض الرديئة المؤدية بصاحبها إلى
 ١٢ المهالك والبلايا والأسقام الجمة . وذلك أن المفرط في السكر مشرف في وقته
 على السكينة والاختناق وعلى امتلاء بطن القلب الجالب للموت فجأة وعلى
 انفجار الشرايين التي في الدماغ وعلى التردى والسقوط في الأغوار والآبار ، ومن
 ١٥ بعدُ فعلى الحميات الحارة والأورام الدموية والصفراوية في الأحشاء والأعضاء
 الرئيسية وعلى الرعشة والفالج لا سيما إن كان ضعيف العصب . هذا إلى سائر
 ما يجلب على صاحبه من فقد العقل وهتك السر وإظهار السر والقعود به

(٣) أنه : سقط ق ف — اللذة للمتطعم ق ف — (٤) ومال ل — (٥) فتي ق ف —
 (٦) منه : سقط ل — ومتى قع وردع ق ف — وهي ك — وذبل : سقط ل —
 (٧-٨) قال ... الشبع : سقط ق ف ك — (١٠) في السكر وعواقبه ق ف — (١١) احدى
 ق ف — لصاحبها ق ف — (١٢) في وقته ذاك ق — (١٣) والاختناق : سقط ق ف —
 الموت ل — (١٤) وأما من بعد ق ف — (١٥) الحادة ق ف — (١٦-١٧) إلى ما
 يجلب من فقد ق ف

* وردت هذه الجملة (حتى « البتة » س ٧) فيما اقتبسها الكرمانى من هذا الفصل

عن إدراك جلّ المطالب الدينيّة والدنيائيّة ، حتّى إنه لا يكاد يتعلّق منها بمأول ولا يبلغ منها خطوة ، بل لا يزال منها منحطاً متسفلًا . وفي مثله يقول الشاعر أ
 متى تدرك الخيرات أو تستطيعها ولو كانت الخيرات منك على شبر ٣
 إذا بت سكراناً وأصبحت مثقلًا خماراً وعادت الشراب مع الظهر
 وبالجملة فإنّ الشراب من أعظم موادّ الهوى وأعظم آفات العقل ، وذلك أنه يقوّى النفسين — أعنى الشهوانيّة والغضبيّة — ويشحذ قواهما حتى يطالباه بالمبادرة إلى ما يحبّانه مطالبة قويّة حثيثة ، ويوهن النفس الناطقة ويبسّد قواها حتّى لا تكاد تستقصى الفكر والروية بل تُسرّع العزيمة وتطّلق الأفعال قبل إحكام الصريمة ، ويسهل ويسلس انقيادها للنفس الشهوانيّة حتّى لا تكاد تُمانعها ولا تتأبّى عليها ، وهذه مفارقة النطق والدخول في البهيمية . * ومن أجل ذلك ينبغى للعاقل أن يتوقاه ويحلّه هذا المحلّ وينزّله هذه المنزلة ويحذره حذر من يروم سلب أفضل عقده وأنفسها . فإن نال منه شيئاً ممّا ففى حال كظّ الفكر ١٢
 والهمّ له وغموطهما إيّاه ، وعلى أن لا يكون قصده ورضه فيه إثارة اللذة واتّباعها في مطلوباتها ، بل دفع الفضل منهما والسرف فيهما الذى لا يؤمن معه سوء الحال وفساد المزاج . وينبغى أن يتذكّر في هذا الموضع وأمثاله ما بيّناه في ١٥

- (٢) منها : سقط ق ف — مستعلا ، مشتغلا ق ف — وفي هذا المعنى يقول ق ف —
 (٣) متى تنل ق ف — على فتر ق ف — (٥) مواد الهمل — (٦) أعنى بذلك ق ف —
 (٧) قوية : سقط ق ف — (٩) قبل إحكامها ق ف — ويسهل : سقط ل —
 (١٠) ولا تأبى عليها ق ف — (١١) يتوقاه و : سقط ق ف ك — ويحذره كما يحذر ل —
 (١٢) أجل عقده وارفه ق ف ، أجل ما عنده وارفه ق — وان نال منه غرضه ق ف —
 (١٢-١٣) ففى ... إيّاه : سقط ق ف — كظّ ، صححنا : كظة ل ، تحفظ
 من ك — وغموصهما ك — على أن ك — اثبات اللذة ق ف — (١٤) فى مطلوباته
 ق ف ، ومطلولتها ل — منهما ... فيهما ، صححنا : منها ... فيها ل ك ق ف —
 (١٥) يذكر ق ف — فى هذه المواضع وأمثالها ك

* استأنفت هنا الرواية فى ك وهى تصل إلى انتهاء الفصل

باب قمع الهوى ، ويتصور تلك الجمّل والجوامع والأصول لئلا يحتاج إلى إعادة ذكرها وتكريرها ، ولا سيما قولنا إنّ الإدمان والمثابرة على اللذات يسقط ٣
الالتذاذ بها ويجعلها بمنزلة الشيء الاضطرابي في بقاء الحياة ، فإنّ هذا المعنى يكاد أن يكون في لذّة السكر أو كدّ منه في سائر اللذات . وذلك أنّ السكر يصير بحالة ٦
لا يرى العيش إلاّ مع السكر ، وتكون حالة صحّوه عنده كحالة من قد لزمته هموم اضطرابيّة . وأيضاً فإنّ ضراوة السكر ليست بدون ضراوة الشره بل أكثر منه كثيراً ، وبحسب ذلك ينبغي أن تكون سرعة تلاخّطه وشدة الزمّ ٩
والمنع منه . وقد يحتاج إلى الشراب ضرورة في دفع الهمّ وفي المواضع التي يحتاج فيها إلى فضل من الانبساط ومن الجرأة والإقدام والتهور ، وينبغي أن يحذر ٦٣ و
ولا يقرب البتّة في المواضع التي يحتاج فيها إلى فضل فكلّ وتبين وتثبت * |

الفصل الخامس عشر

في الجماع

١٢

إنّ هذا أيضاً أحد العوارض الرديئة التي يدعو إليها ويحمل عليها الهوى

(٢) لا سيال — (٥ - ٦) من قد لزمه أمور وهموم ق ف — (٧ - ٨) ينبغي ان يكون المنع منه ق ف — (٨) منه أو كدّ وقد ك — (٩ - ١٠) وينبغي ... وتثبت : سقط ق ف — (٩) وقد ينبغي ك — (١٠) المواضع : سقط ك — وتبين ل — (١٢) في افراط الجماع ق ف ، في الافراط في الجماع ك — (١٣) إنّ هذا العارض أيضاً ق ف

* قال الكرماني في القول السادس من الباب الأوّل من كتابه : وقوله في الفصل الرابع عشر في السكر قول خارج عما يكون طباً روحانياً . فكيف يكون طباً وقد شهد بقوله أنّه لا يجب البتة القرب منه في الأمور التي يحتاج فيها إلى الفكر ، وما يحتاج فيه إلى الفكر هو الذي تتعلق به مصالح الذات من دون الجسد . وإذا كان السكر من الأمور التي تستضرّ بها النفس وكان السكر لا يكون إلاّ من شرب المسكر كان العلم محيطاً بفعل أيّ مقدار يشرب منه فيها وإن كان أقلّ قليل . ولما كان القليل منه فاعلاً في النفس منعاً إياها من الفكر في مصالحها وكان الفكر فيما يتمّ به كمال الذات كان من ذلك الحكم بكون إجازته شرب القليل منه محالاً باطلاً غير داخل فيما يكون طباً روحانياً

- وإِثَارُ اللَّذَّةِ الْجَالِبَةِ عَلَى صَاحِبِهَا ضُرُوبُ الْبَلَايَا وَالْإِسْقَامِ الرَّدِيئَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يُضْعِفُ الْبَصَرَ وَيَهْدُ الْبَدَنَ وَيُخْلِقُهُ وَيَسْرِعُ بِالشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ وَالذَّبُولِ وَيُضَرِّقُ بِالْدِمَاغِ وَالْعَصَبِ وَيُسْقِطُ الْقُوَّةَ وَيُوهِنُهَا ، إِلَى أَمْرَاضٍ أُخْرٍ كَثِيرَةٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا . ٣
- وَلَهُ ضَرَاوَةٌ شَدِيدَةٌ كَضَرَاوَةِ سَائِرِ الْمَلَاذِّ بَلْ أَقْوَى وَأَشَدُّ مِنْهَا بِحَسَبِ مَا تَذَكَّرَ النَّفْسُ مِنْ فَضْلِ لَذَّتِهِ عَلَيْهَا . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْإِكْثَارَ مِنَ الْبَاهِ يُوَسِّعُ أَوْعِيَةَ الْمَنِيِّ وَيَجْلِبُ إِلَيْهَا دَمًا كَثِيرًا يَكْثُرُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَوْلَدُ الْمَنِيُّ فِيهَا ، فَتَزْدَادُ الشَّهْوَةُ لَهُ ٦
- وَالشَّوْقُ إِلَيْهِ وَتَضَاعَفَ . وَبِالضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْإِقْلَالَ مِنْهُ وَالْإِمْسَاكَ عَنْهُ يَحْفَظُ عَلَى الْجَسَدِ الرُّطُوبَةَ الْأَصْلِيَّةَ الْخَاصَّةَ بِجَوْهَرِ الْأَعْضَاءِ ، فَتَطُولُ مَدَّةُ النَّشْوَةِ وَالنَّمَا وَتُبْطِئُ الشَّيْخُوخَةُ وَالْجَفَافُ وَالْقَحْلُ وَالْهَرَمُ وَتَضْيِيقُ أَوْعِيَةِ الْمَنِيِّ وَلَا تَسْتَجْلِبُ ١
- الْمَوَادَّ ، فَيَقِلُّ تَوْلَدُ الْمَنِيِّ فِيهَا وَيُضْعَفُ الْإِنْتِشَارُ وَيَتَقَلَّصُ الذَّكَرُ وَتَسْقُطُ الشَّهْوَةُ وَتَعْدَمُ شِدَّةُ حَشَّتِهَا وَمَطَالِبَتُهَا بِهِ . وَلِذَلِكَ * يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَزِمَّ نَفْسَهُ عَنْهُ وَيَمْنَعَهَا مِنْهُ وَيَجَاهِدُهَا عَلَى ذَلِكَ لَثَلًا تَعْرِى بِهِ وَتَضَرِّى عَلَيْهِ ، فَتَصِيرُ إِلَى حَالَةٍ تَعْسُرُ وَلَا يُمْكِنُ ١٢
- صَدُّهَا عَنْهُ وَمَنْعُهَا مِنْهُ . وَيَتَذَكَّرُ وَيُحْطَرُّ بِهَا لِهَاجَتِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ زَمِّ الْهَوَى وَمَنْعِهِ ، وَلَا سِيَّامَا ذَكَرْنَاهُ فِي بَابِ الشَّرِّهِ مِنْ ثُبُوتِ مَضَضِ الشَّهْوَةِ وَرَمَضِهَا وَحَشَّتِهَا وَمَطَالِبَتِهَا مَعَ النَّيْلِ مِنَ الْمُشْتَهَى وَالبُلُوغِ مِنْهُ غَايَةً مَا فِي الْوَسْعِ . وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى فِي اللَّذَّةِ ١٥
- الْمُصَابَةِ بِالْجَمَاعِ أَوْ كُدُ وَأَظْهَرَ مِنْهُ فِي سَائِرِ اللَّذَاتِ لِمَا يُتَصَوَّرُ مِنْ فَضْلِ لَذَّتِهِ عَلَى سَائِرِهَا .

- (٢) الشَّيْخُوخَةُ ق ف — (٣) أُخْرٍ : سَقَطَ ق ف — يَطُولُ ذِكْرُهَا : سَقَطَ ق ف —
 (٥) الْإِكْثَارُ مِنْهُ ق ، الْإِسْتِكْثَارُ مِنْهُ ف — (٧) وَالْإِمْسَاكَ عَنْهُ : سَقَطَ ق ف —
 (٨) النَّمُو وَالنَّشْوَةُ ق ف — (٩) وَلَا تَجْلِبُ ق ف — (١٠) تَوْلَدُ فِيهَا ق ف — وَيَقْلُصُ ق ف — (١١) وَتَعْدَمُ ... بِهِ : سَقَطَ ق ف — (١٢) لَثَلًا يَغْرِى بِهِ وَيُضَرِّى عَلَيْهِ فَيَصِيرُ كَ ، لَكَيْلًا يَضْرَا عَلَيْهِ فَيَصِيرُ ق ف — (١٣) وَيَتَذَكَّرُ : سَقَطَ ق ف —
 (١٤) وَرَمَضُهَا : سَقَطَ ق ف — (١٥) مَا فِي وَسْعٍ ذَلِكَ النَّائِلُ فَإِنَّ هَذَا ق ف —
 (١٦) وَأَطْرَلُ ق ف

* أورد الكرماني هذه الجملة (حتى « ومنعها منه » س ١٣) فحسب

فالنفس — لا سَما المَهْمَلَة المُمَرَّجَة الغيرُ مؤدَّبة التي يسمِّيها الفلاسفة الغيرُ
مقموعة — لا يَسْقِط عنها الإِدْمَانُ للباه شهوتها ولا الاستكثارُ من السراى
الشوق والنزوع إلى غيرهن . ولأن ذلك ليس يمكن أن يتم بلا نهاية ٣
ظ ٦٣ فلا بد أن يَصَلِّي بحرٍّ فقد الالتذاذ بالمشتهى ورمضائه ، ويُقَابِي وَيُكَابِدُ |
ألمَ عَدَمِهِ مع ثبوت الداعى إليه والباعث عليه ، إمَّا لعَوَزٍ من المال والمُكِنَّة
وإمَّا لضعفٍ وعجزٍ في الطبع والبنية ، إذ كان ليس يمكن فيها أن ينال من ٦
المشتهى المقدار الذى تُطالِب به الشهوة وتدعو إليه ، كحالة الرجلين المذكورين
في باب الشره . وإذا كان الأمر على هذا فليس الصواب إلَّا تقديم هذا الأمر
الذى لا بد منه ومن وقوعه ومقاساته — أعنى فقد الالتذاذ بالمشتهى مع قيام ٩
الباعث عليه الداعى إليه — قبل الإفراط فيه والاستكثار منه ، ليأمن عواقبه
الرديئة ويُزِيح ضراوته واستكلابه وشدة حَشِّه ومطالبته . وأيضاً فإن هذه اللذة
من أولى اللذات وأحقها بالأطراح . وذلك أنها ليست اضطرارية في بقاء العيش ١٢
كالطعام والشراب ، وليس فى تركها ألم ظاهر محسوس كآلم الجوع والعطش ،
وفى الإفراط فيها والإكثار منها هدم البدن وهده . فليس الانقياد للداعى إليها
والمرور معه سوى غلبة الهوى وطموسه العقل الذى يحق على العاقل أن يأنف ١٥
منه ويرفع نفسه عنه ولا يُشَبِّهه فيه الفحولة من التيوس ومن الثيران وسائر
البهائم التى ليس معها رَوِيَّة ولا نظر فى عاقبة . وأيضاً فإن استقباح جلِّ الناس

(٣-٢) الغير مفهومة لان بغيتها ادمان الباه والاستكثار والشوق والنزوع الى غيرهن
ق ف — (٣) الشوق: سقطل — الى غيرهن : سقطل — لأن ذلك — ان يمرق ف —
(٤) ولا بد ل — يصلاح ف — ومصابه ق ف — ويكابد : سقطل ق ف — (٥) ألم عذابه
ق ف — من المال والملكة ق ف — (٦) لعجز وضعف ق ف — (٧) الشهوة به ق ف —
(٨) فاذا ق ف — (٩) هذا الذى لا يؤمن وقوعه ل — التلذذ ق ف — (١١) ضراوة
استكلابه ق ف — بمطالبته ق ف — (١٣) كالمطعم والمشرّب ق ف — (١٦) بالفحولة ل

وجمهورهم لهذا الشيء واستسماجهم له وإخفاءهم إتياءه وسترهم لما يُؤتَى منه يوجب أن يكون أمراً مكروهاً عند النفس الناطقة . وذلك أنَّ اجتماع الناس على استسماجه لا يخلو أن يكون إمّا بنفس الغريزة والبدية وإمّا بالتعليم والتأديب ، وعلى أيّ الوجهين كان فقد وجب أن يكون سمجاً رديئاً في نفسه . وذلك أنه قد قيل في القوانين البرهانية إنَّ الآراء التي ينبغي أن لا يُشكَّ في صحتها هي ما اجتمع عليه كل الناس أو أكثرهم أو أحكمهم . وليس ينبغي لنا أن نَهمك في إتيان الشيء السَمِج القبيح بل الواجب علينا أن ندعه البتّة ، فإن كان لا بدّ منه فيكون الذي نأتى منه أقلّ ما يمكن مع الاستحياء واللوم لأنفسنا عليه ، وإلا كنّا مائلين عن العقل إلى الهوى وتاركيه له . وصاحب هذه الحال أخسّ عند العقلاء وأطوع للهوى من البهائم لإيثاره ما دعا إليه الهوى | وانقياده له في ذلك مع إشراف العقل به على ما في ذلك عليه وزجره له ، والبهيمة إنما تنقاد لِمَا في الطباع من غير زاجرٍ ولا مُشرفٍ بها على ما عليها فيه

الفصل السادس عشر

في الولع والعبث والمذهب*

ليس يُحتاج في ترك هذين — أعنى العبث والولع — والإضراب عنهما إلّا إلى

- (١) ما ياتونه منه ق ف — منه : سقط ل — (٢) أنه أمر مكروه ق ف — الاجماع على ق ف — (٣) اما بالنفس الغريزية واما ق ف — (٥) التي لا ينبغي ان يشك ق ف — أجمع ق ف — (٦) أو أجلمهم وليس ق ف — في إيثار ق ف — (٧) الشيء الشنيع القبيح ق ف — (٩) له : سقط ق ف — (١٠) في ذلك : سقط ق ف — (١١) عليه ودخوله عنده ق ف — (١٢) على ما هي عليه ق ف — (١٤) في دفع الولع ق ف — والمذهب : سقط ق ف — (١٥) في ترك الولع والعبث ق ف

* ورد ابتداء هذا الفصل (حتى « غفل عنه » ص ٧٨ س ٩) في القول السادس من الباب الاول من كتاب الكرمانى . وقال رداً على الرازى : قوله في الفصل السادس عشر ... قول كغيره وكيف تنبعث النفس لمنازعة ذاتها على أمر تهواها والذي يردعها عن هواها في ذاتها

صحة العزم على تركهما والاستحياء والأنف منهما ، ثم أخذ النفس بتذكر ذلك
 في أوقات العبث والولع ، حتى يكون ذلك العبث والولع نفسه عنده بمنزلة الرتيمة
 ٣ المذكورة * . وقد حُكي عن بعض العقلاء من الملوك أنه كان يُولعُ وَيَعْبَثُ
 بشيء من جسده — أَحْسِبُهُ لِحَيْتَهُ — فطال ذلك منه وكثر قول من يقرب إليه له
 فيه ، فكأن السهو والغفلة يَأْيانُ إِلَّا رَدَّهُ إِلَيْهِ . حتى قال له بعضُ وزرائه
 ٦ ذاتَ يوم يا أيها الملك جرّد لهذا الأمر عَزَمَةً من عَزَمَاتِ أُولِي الْعَقْلِ . فأحمرَّ
 الملك واستشاط غضباً ، ثم لم يَرَّ عائداً إلى شيء من ذلك البتة . فهذا الرجل أثارت
 نفسه الناطقةُ نفسه الغضبيةَ بالحمية والأنف وصحَّ العزمُ وتأكد في النفس
 ٩ الناطقة حتى أثر فيها أثراً قوياً صار مذكراً به ومنبهاً له عليه متى غفل عنه .
 ولعمري إنَّ النفس الغضبيةَ إنما جعلت لتستعين بها الناطقةُ على الشهوانية متى
 كانت شديدةَ النزاعِ قوياً المجاذبة عسرة الانقياد . وإنه يحقّ على العاقل أن
 ١٢ يغضب ويدخله الأنف والحمية متى رأى الشهوة تروم قهره وغلبته على رأيه
 وعقله ، حتى يذلّها ويقمعها ويقفها على الكره والصغار عند حكم العقل ويُجبرها

(٣) المذكورة ق ف — من الملوك : سقط ل — (٤) له : سقط ك ق ف — (٦) عزيمة
 سقط ق ف — (٧-٨) ارادت نفسه الغضبية الحمية والانفة ق ف — وصحة ل ق ف — (٩) له
 ك : سقط ل ق ف — متى غفل عنه : سقط ق ف — (١٠) بها النفس الناطقة على أن الشهوانية
 ق ف — (١١) قوية المنازعة ق ف — (١٢) ويدخله ق ف — (١٣) ويوقفها ق ف

* ورد على هامش نسخة ما نصه : الرتيمة خيط يعقد في الخنصر يذكر به الأمر ، قال الشاعر
 إذا لم تكن حاجتنا في صدورنا لإخواننا لم يغن عقد الرتأم

خامدة ناره غير قائمة آثاره . ولو كان يصحّ منها الحمية والانفة من الامور المضرة بذاتها كما يصح
 منها ذلك فيما يتعلق بفساد جسمها وبطلان مرادها في نيل الذات لكانت لا تناسب البهائم
 ولا تشابه السكارى . فأما وحميتها وتعصبها وتشدها كلها لا يكون إلا فيما يفيدها نيل الهوى فهي
 لا تقلع مما جرت به عاداتها في مثل ذلك إلا بمعاونة أشياء هي غيرها وتفيق من سكرتها كما يفيق
 السكران فيستقيح ما كان يستحسنه في حال سكره

عليه . وإنه من العَجَب — بل ممّا لا يمكن بتّة — أن يكون من يقدر على زَمِّ نفسه عن الشهوات مع ما لها من الدواعي والبواعث القويّة يعسر عليه منعها من الولوج والعبث وليس فيهما كبير شهوة ولا لذة . وأكثر ما يُحتاج إليه في هذا الأمر التذكُّر واليقظ ، لأنه إنما يكون في أكثر الأحوال مع السهو والغفلة فأما المذهب فإنه ممّا يُحتاج فيه إلى كلام يبين به أنه عَرَضٌ هوأى لا عقليّ ، وسنقول في ذلك قولاً وجيزاً مختصراً . أقول : إنّ النظافة والطهارة إنما ينبغي أن تُعتبر بالحواس لا بالقياس ويُجرى الأمر فيهما بحسب ما يبلغه الإحساس لا بحسب ما يبلغه الوهم . فمافات الحواس أن تدرك منه نجاسة | سميّناه طاهراً ، وما فاتها أن تدرك منه قَدراً سميّناه نظيفاً . ومن أجل أنّنا نقصد هذين ونريد بهما — أعنى الطهارة والنظافة — إمّا للدين وإمّا للتقدُّر ، وليس يضرنا ولا في واحد من هذين المعنيين ما فات الحواس قلةً من الشيء النجس والشيء القذر — وذلك أن الدين قد أطلق الصلاة في الثوب الواحد الذي قد ماسّه أرجلُ الذين الواقعة على الدم والعذيرة ، والتطهر بالماء الجاري ولو علمنا أنه ممّا يُبال فيه . وبالراكد في البركة العظيمة ولو علمنا أن فيه قطرةً من دم أو خمر — وليس يضرنا ذلك في التقدُّر — وذلك أن ما فات حواسنا لم نشعرُ به ، وما لم نشعرُ به لم نخش أنفسنا منه ، وما لم نخش أنفسنا منه فليس لتقدُّرنا منه معنى البتّة — فليس يضرنا إذا الشيء النجس والقذر إذا كان مستغرقاً فائتاً لقلته ، ولا ينبغي أن نفكر فيه ولا يخطر وجوده لنا على بال . وإن نحن ذهبنا نطلب الطهارة والنظافة على التحقيق والتدقيق وجعلناه وهمياً لا حسيّاً لم نجد سبيلاً أبداً إلى شيء طاهر ولا شيء نظيف على هذا الحكم . وذلك أن الأمواه التي نستعملها ليس بمأمون عليها

(٢-٣) القويّة عليه منها قطع العبث والولع ق ف — (٥) كلام فيه ق ف — (٦-١٨) ان النظافة ... على بال : سقط ق ف — (٧) بحسب ما : مطموس في ل — (١٦) فليس صح : وليس ل — (١٨) انا ان ذهبنا ق ف — (٢٠) وذلك من المياه ان الاشياء التي ق ف

تقديرُ الناس لها أو وقوعُ جيفِ السباع والهوامِّ والوحش وسائر الحيوان
وأزبالها وأذراقها فيها . فإن نحن استكثرتنا من إفاضته وصَبَّه علينا لم
نأمن أن يكون الجزء الأخير هو الأقدَر والأنجس . ولذلك ما وضع الله
٣ على العباد التطهِّرَ على هذه السبيل ، إذ كان ذلك ممَّا ليس في وسعهم وقدرتهم .
وهذا ممَّا يُغَيِّضُ على المتقدِّر بالوهم عَيْشَهُ إذ كان لا يُصِيب شيئاً — يَغْتَدِي
٦ به وينقلب إليه — يأمن أن يكون فيه قَدَرٌ مستغرق . وإن كانت هذه الأمور
كما وصفنا لم يبق لصاحب المذهب شيءٌ يَحْتَجُّ به . وما أَقْبَحُ بالعاقل أن يقيم على
ما لا عُذْرَ له فيه ولا حُجَّةَ له عنده لأنَّ ذلك مفارقةٌ للعقل ومتابعةُ الهوى
٩ الخالص المحض

الفصل السابع عشر

في الاكتساب والاقتناء والانفاق*

إِنَّ العقل الذي خُصَّصنا به وفضَّلنا على سائر الحيوان غير الناطق به أدَّى بنا
١٢ إلى حُسْن المعاش وارتفاقٍ ببعضنا ببعض . فإنَّا قلَّ ما نرى البهائمَ يرتفق بعضها
ببعض ونرى أكثرَ حُسْن عَيْشَتنا من التعاون والارتفاق لبعضنا | من بعض ،
١٥ فلولا ذلك لم يكن لنا فضلٌ في حُسْن العيش على البهائم . وذلك أنَّ البهائمَ لما
لم يكن لها كمالُ التعاون والتعاوُدِ العقليِّ على ما يُصْلِح عَيْشَتنا لم يُعَدَّ سَعْيُ

(١) ووقوع ق ف — (١-٢) الحيوان وأذراقها وأبوالها ق ف — (٣) الله عز وجل ق
ف — (٤-٥) وقدرتهم وسعض ل — مما ينقض على التقدير ويؤله إذا كان ق ف — (٦) وإذا
كانت ق ف — (٧) على ما وصفنا ق ف — ليس لصاحب ق ف — (٨) الغير الناطق ل —
الهوى ومتابعته ق ف — (١١) في مقدار الاكتساب الخ ق ف — (١٢) الغير الناطق ل —
به : سقط ك ق ف — (١٣-١٥) فانا ... على البهائم : سقط ق ف — (١٥) ولولا ك —
(١٦) وذلك أنه لما لم يكن كمال التعاون والتعاوُدِ العقل على ما يصلح ق ف — لم تعد بسعي ك

* ورد ابتداء هذا الفصل (حتى « أن يكون خياطاً » ص ٨١ س ٣) في القول السادس
من الباب الاول من كتاب الكرماني

الكثير على الواحد منها كما نرى ذلك في الإنسان . فإن الرجل الواحد منا طاعم
 كأس مستكن آمن ، وإنما يزاول من هذه الأمور واحداً فقط ، لأنه إن كان
 حرّاً ثامناً لم يمكنه أن يكون بناءً ، وإن كان بناءً لم يمكنه أن يكون حوّاً كآ ،
 ٣ وإن كان حوّاً كآ لم يمكنه أن يكون محارباً . وبالجملة إنك لو توهمت إنساناً
 واحداً مفرداً في فلاةٍ لعلك لم تكن تتوهمه عائشاً ، ولو توهمته عائشاً لم تكن
 تتوهم عيشه عيشاً حسناً هنيئاً ، كعيش من قد وفر عليه كلّ حوائجه وكفى
 ٦ ما يحتاج أن يسعى فيه ، بل عيشاً وحشياً بهيمياً سمجاً ، لما فقد من التعاون
 والتعاضد المؤدّي إلى حسن العيش وطيبه وراحته . وذلك أنه لما اجتمع ناس
 كثير متعاونون متعاضدون اقتسموا وجوه المساعي العائدة على جميعهم ، فسعى
 ١ كل واحد منهم في واحد منها حتى حصلها وأكملها ، فصار لذلك كل واحد منهم
 خادماً ومخدوماً وساعياً لغيره ومسعيّاً له ، فطاب للسكّل بذلك المعيشة وتم على
 الكل بذلك النعمة وإن كان في ذلك بينهم بونٌ بعيد وتفاضلٌ كثير ، غير أنه
 ١٢ ليس من أحدٍ إلاّ مخدومٌ مسعىٌ له مكفىٌ كلّ حوائجه
 وإذا قد قدّمنا ما رأينا تقديمه في هذا الباب واجباً فإنّا راجعون إلى غرضنا
 المقصود هاهنا . فنقول : إنه لما كانت عيشة الناس إنما تتم وتصلح بالتعاون
 ١٥ والتعاضد كان واجباً على كل واحد منهم أن يتعلّق بباب من أبواب هذه المعاونة
 ويسعى في الذي أمكنه وقدر عليه منها ويتوقّى في ذلك طرفي الإفراط

(١) للإنسان ك — (٢-١) الواحد منا متى دام كل شيء لم يتم له من هذه الأمور واحد
 فقط ق ف — (٣) حائكا ق ف (مرتين) — وإن كان بناء لم يمكنه أن يكون إسكافاً وإن كان
 إسكافاً لم يمكنه أن يكون خياطاً ك — (٥) واحداً : سقط ق ف — (٦-٧) ولقي كل ما
 احتاج ق ف — (٧-٨) فعلنا أن التعاون والتعاضد قد أديا بنا إلى ق ف — (٨-٩) أناس
 كثيرون ق ف — (٩) على جميعهم ل — (١٠) وأحكمها ق ف — (١١) العيشة ق ف —
 (١١-١٢) وتم عليهم به ق ف — (١٤) راجعون بكلامنا إلى ق ف — (١٥) كان عيش
 ق ف — (١٧) فيما أمكنه ق ف

والتقصير . فإن مع أحدهما — وهو التقصير — الذلّة والخساسة والدناءة
 والمهانة إذ كان يؤدّى بالإنسان إلى أن يصير عيلاً وكلاً على غيره ، ومع الآخر
 الكدّ الذى لا راحة معه والعبودية التى لا انقضاء لها . وذلك أن الرجل متى
 رام من صاحبه أن يذيله شيئاً مما فى يديه من غير بدل ولا تعويض فقد أهان
 نفسه وأحلّها محلّ من أقعدته الزمّانة والنقص عن الاكتساب . وأمّا من لم
 يجعل للاكتساب حداً يقف عنده ويقتصر عليه فإن خدمته للناس تفضل على
 خدمتهم له أضعافاً كثيرة ، ولا | يزال من ذلك فى رِق وعبوديّة دأمة .
 وذلك أنّ من سعى وتعب عمره كله باكتساب ما يفضل من المال عن نفقته
 ومقدار حاجته وجمعه وكنزه فقد خسر وخدع واستعبد من حيث لا يعلم .
 وذلك أنّ الناس جعلوا المال علامةً وطابعاً يعلم به بعضهم من بعض ما استحقّ
 كل واحد منهم بسعيه وكده العائد على الجميع . فإذا اختصّ أحدهم بجمع
 الطوابع بكده وجهده ولم يصرفها فى الوجوه التى تعود بالراحة عليه من سعى
 الناس له وكفائتهم إياه كان قد خسر وخدع واستعبد . وذلك أنه أعطى كدّاً
 وجهداً ولم يستحص منه كفايةً وراحةً ، ولا استبدل كدّاً بكديّ وخدمةً
 بخدمة بل استبدل ما لم يجد ولم ينفع ، فحصل جهده وكده وكفايته للناس
 فاستمتعوا به وفاته من كفاية الناس له وكدهم عليه واستمتعوا بهم دون قدر
 استحقاقه بكفايته لهم وكده عليهم ، فقد خسر وخدع واستعبد كما ذكرنا .
 فالقصد فى الاكتساب إذاً هو المقدار الموازى لمقدار الإنفاق وزيادة فضلة
 تُقتنى وتُدخّر للنوائب والحوادث المانعة من الاكتساب . فإنه يكون حينئذٍ

(٢) إذ كان ذلك يؤول بالإنسان ق ف — (٣-٢) الآخر وهو التفريط الكدّ ق ف —
 (٤) فى يده ق ف — (٨) من شقى ل — (١١) فإذا اقتصر احدهم على جمع من الطوابع
 ق ف — (١٥) استبدل ما : سقط ل — (١٦) وكدهم عليه : سقط ق ف — دون :
 سقط ق ف — (١٨) فضلة : سقط ق ف

المكتسبُ قد اعتاض كدًّا بكدٍّ وخدمةً بخدمة

وأما الاقتناء فإننا قائلون فيه منذ الآن فنقول : إن الاقتناء والادّخار هو

- أيضاً أحد الأسباب الاضطرارية في حُسن العيش الكائن عن تقدمه المعرفة العقلية . والأمر في ذلك أظهر وأوضح من أن يُحتاج إلى بيانه ، حتى إن كثيراً من الحيوان غير الناطق يقتنى ويدّخر . وأخلق أن يكون لهذه الحيوانات فضل في التصوّر الفكريّ على غير المقتنية . وذلك أنّ سبب الاقتناء والباعث عليه تصوّر الحالة التي يُفقد فيها المقتنى مع قيام الحاجة إليه . فقد ينبغي أن يُعتدل فيه على ما ذكرناه عند كلامنا في كمية الاكتساب . لأنّ التقصير فيه يؤدّي إلى عدمه مع الحاجة إليه كالحالة فيمن ينقطع به الزاد في فلاةٍ من الأرض ، والإفراط يؤدّي إلى ما ذكرنا أنه يؤدّي إليه من دوام الكدّ والتعب ، والاعتدال في الاقتناء هو أن يكون الإنسان مستظهِراً من المقتنيات بمقدار ما يُقيم به حاله التي لم يزل عليها متى حدثت عليه حادثة مانعة من الاكتساب . فأمّا من كان غرضه في الاقتناء التنقّل به عن الحالة التي هو عليها إلى ما هو أعلى وأجلّ منها ولم يجعل لذلك حدّاً يقتصر عليه | ويقف عنده فإنه لا يزال في كدٍّ ورقٍّ دائم ، ويعدم أيضاً مع ذلك في أية < حال > — من أية حال تنقل إليها — الاستمتاع والغبطة بها إذ لا يزال مكسوداً فيها غير راضٍ بها عاملاً في التنقّل منها إلى غيرها ، متطلّعاً متشوّقاً إلى التعلّق بما هو أجلّ وأعلى منها ، على ما ذكرناه في باب الحسد ونذكره الآن بتفسيرٍ وشرح أوضح وأكثر في الفصل الذي يتلو هذا .^{*} وخير

(٢) فإننا ... الاقتناء : سقط ق ف — (٤) وحتى ق ف — (٥) الغير الناطق ل ، الغير ناطق ق ف — (٦) على الحيوان الغير مقتنى — (٧) التي ... الحاجة : سقط ل — وقد ق ف — (٩) ينقطع منه ق ف — في ارض ندادة ق ف — (١٠) ما ذكرناه ... من : سقط ل — (١٣) به : سقط ق ف — (١٥) آيت ل (مرتين) — ايضاً من اي حال تنقل ق ف — (١٨) وشرح اكثر وأقول ان خير ق ف

^{*} وردت هذه الجملة (حتى «دون الاملاك» ص ٨٤ س ٤) في اقتبسه الكرمانى من هذا الفصل

المقتنيات وأبقاها وأحمدها وآمنها عاقبة الصناعات لا سيما الطبيعية الاضطرابية
التي الحاجة إليها دائمة قائمة في جميع البلدان وعند جميع الأمم . فإنّ الأملاك
٣ والأعلاق والذخائر غير مأمون عليها حوادث الدهر . ولذلك لم تعدّ الفلاسفة
أحداً غنياً إلا بالصناعات دون الأملاك . وقد حُكي عن بعضهم أنه كُسِرَ
به في البحر فهلك جميع ماله ، وأنه لمّا أفضى إلى الشطّ أبصر في الأرض
٦ رسم شكل هندسيّ ، فطابت نفسه وعلم أنه قد وقع إلى جزيرة فيها قوم علماء .
ثم إنه رُزق فيهم الثروة والرياسة فأقام عندهم . فمَرّت به مراكب تريد بلده
فسألوه هل عنده رسالة يحملونها عنه إلى أهل بلده . فقال لهم إذا صرتم إليهم
٩ فقولوا لهم اقتنوا وادّخروا ما لا يغرق
وأما كمية الإنفاق فإنّا قد ذكرنا قبيلُ أن مقدار الاكتساب ينبغي أن
يكون موازياً لمقدار الإنفاق والفضلة المقتناة المدخرة للنوائب والحوادث ،
١٢ فمقدار الإنفاق ينبغي إذاً أن يكون أقلّ من مقدار الاكتساب . غير أنه لا ينبغي
للرء أن يحمله الميل إلى الاقتناء على التقدير والتضيّق ، ولا حبّ الشهوات
وإيثارها على ترك الاقتناء البتّة ، بل يعتدل فيها كل واحد بمقدار كسبه وعادته
١٥ التي جرت في الإنفاق ونشأ عليها وحاله ورتبته وما يجب أن يكون لمثله من
القنية والذخيرة *

(١) لا سيما : سقط ق ف — الصناعة ك — (٢) دائماً ق ف — (٧) رزق منهم ق ف —
واقام فيهم ق ف — مراكب من بلده ق ف — (٨) هل له ق ف — (١٢) فهذا الإنفاق
إذا ينبغي ق ف — (١٥) التي جرت عليها حالته ورتبته ق ف — يجب وينبغي ق ف —

* قال الكرماني ردّاً على الرازي : وقوله في الفصل السابع عشر في الاكتساب والاقتناء
والإنفاق قول لا يتعلق بطبّ روحانيّ بكونه سالكا فيه شعب الطالبين للدنيا أو طيبة العيش
فيها . والاكتساب النفسانيّ هو الذي ينفع ويعود بكمال النفس في ذاتها وأفعالها وتصوّر المعالم
الالهية في اعتقادها وأقوالها ، لا ما ذكره من طيبة العيش على ما شرحه

الفصل الثامن عشر

في طلب الرُتَب والمنازل الدنيائية*

قد قدّمنا في أبواب من هذا الكتاب جَمَل ما يُحتاج إليه في هذا الباب ، ٣
غير أنّنا من أجل شرف الغرض المقصود بهذا الباب وعَظَم نفعه مُفَرِّدوه
بكلام يَخْصّه وناظمون ما تقدّم من النُكْت والمعاني فيه ، وضاوّن إليه
ما نرى أنه يُعين على بلوغه واستتمامه ٦

فنقول : إنّ من يريد تزيين نفسه | وتشريفها بهذه الفضيلة وإطلاقها ٦٦ ظ
وإراحتها من الأسر والرقّ والهموم والأحزان التي تطرقه وتُفْضِي به
إلى الهوى الداعي إلى ضدّ الغرض المقصود بهذا الباب ، ينبغي أن يتذكّر ٩
ويُخَطّر بباله أولاً ما مرّ لنا في فضل العقل والأفعال العقلية ، ثم ما
ذكرنا في زَمِّ الهوى وقمعه ولطيف مخادعه ومكايده وما قلنا في اللذة وحددناها
به ، ثم ليُجِدِّ الثبّت والتأمّل ويكرّر قراءة ما ذكرنا في باب الحسد حيث ١٢
قلنا إنه ينبغي للعاقل أن يتأمّل أحوال الناس وما ذكرنا في صدر باب
دفع الغمّ حتى يقتلها فهماً وتستقرّ وتتمكّن في نفسه ، ثم ليُقبِل على فهم
ما نقول في هذا الموضع ١٥

أقول : إنه من أجل ما لنا من التمثيل والقياس العقليّ كثيراً ما تتصوّر

(٣) قد مضى لنا من الابواب في ق ف — (٨) وراحتها ق ف ، راحتها ل — التي
تطرحه ك ق ف — ومضى به اليه ل ، ويفضى به إليها ق ف — (١٢) وتكرير ق ف —
ما ذكرناه ك ق ف — (١٤) دفع الهم ل — ويستقرّ ويتمكّن ل ك — ولتستقر ق ف —
(١٥) ما يقوله ل

* ورد ابتداء هذا الفصل (حتى « من هاهنا » ص ٨٦ س ٨) في القول السادس من
الباب الاول من كتاب الكرمانى

عواقب الأمور وأواخرها فنجدها ونُدركها كأن قد كانت ومضت
 فتتكب الضارة منها ونسارع إلى النافعة . وبهذا يكون أكثرُ حُسن عيشنا وسلامتنا
 ٣ من الأشياء المؤذية الرديئة المتلفة . فحق علينا أن نعظم هذه الفضيلة ونُجَلِّها
 ونستعملها ونستعين بها ونُضَي أمورنا على إِمضائها إذ كانت سبيلاً إلى النجاة
 والسلامة ومفضلةً لنا على البهائم الهاجمة على ما لا تتصور أواخره وعواقبه .
 ٦ فلننظر الآن بعين العقل البريء من الهوى في التنقل في الحالات والمراتب لنعلم
 أيها أصح وأروح وأولى بالعقل طلبه ولزومه ونجعل مبدأ نظرنا في ذلك من
 هاهنا . فنقول : إن هذه الأحوال ثلاث ، الحالة التي لم نزل عليها ورئينا ونشأنا
 ٩ فيها ، والتي هي أجل وأعلى منها ، والتي هي أدنى وأخس منها . فأمّا أن النفس
 تؤثر وتُحبّ وتتعلّق من أول وهلة بغير نظر ولا فكر بالحالة التي هي أجل وأعلى
 فذلك ما نجده من أنفسنا ، غير أننا لا نأمن أن يكون ذلك ليس عن حكم العقل
 ١٢ بل عن الميل وِدارِ الهوى . فلنستحضر الآن الحجيح والبراهين ونحكم بعد بحسب
 ما توجبه

فنقول : إن التنقل من الحالة التي لم نزل عليها المألوفة المعتادة لنا إلى ما هو
 ١٥ أجل منها إذا نحن أزلنا عنها الاتِّفاقاتِ النادرة العجيبة لا يكون إلاّ بالحمل على
 النفس وإجهادها في الطلب . فلننظر أيضاً هل ينبغي لنا أن نُجهد أنفسنا ونكدّها
 في الترقّي إلى ما هو أجل من حالتنا التي قد | اعتدناها وألقّتها أبداننا أم لا . فنقول :
 ٦٧ و ١٨ إن من نبي بدنه ونشأ ولم يزل معتاداً لأن لا يؤمره الناس ولا تسير أمامه وخلفه

(٢) فترك الضارة ق ف — (٣) الرديئة : سقط ك — المتلفة : سقط ق ف — بحق
 علينا ك ، فوجب علينا ق ف — (٦) البرية ل — (٧) مبدأ بالنظر ك ق ف — (٨) الأولى
 التي ق ف — (٩) أحسن ل ق ف — (١٠) من أول دفعة ق ف — (١٠٥-١٦) لا يكون
 إلا ما يحمل على النفس ويجاهدها في النظر والطلب ق ف

- المواكبُ إن هو اهتمَّ واجتهد في بلوغ هذه الحالة فقد مال عن عقله إلى هواه .
 وذلك أنه لا ينال هذه الرتبة إلا بالكَد والجهد الشديد وحَمَلِ النفس على الهول
 والخطر والتغريب الذي يؤدِّي إلى التلف في أكثر الأحوال ، ولن يبلغها حتى
 يصل إلى نفسه من الألم أضعافُ ما يصل إليه من الالتذاذ بها بعد المنال .
 وإنما يخدعه ويغرُّه في هذه الحال تصوُّره نيلَ المطلوب من غير أن يتصوَّر
 الطريقَ إليه كما ذكرنا عند كلامنا في اللذة . حتى إذا نال ووصل إلى ما أمَّل لم
 يلبث إلا قليلاً حتى يفقد الغبطة والاستمتاع بها ، وذلك أنها تصير عنده بمنزلة
 سائر الأحوال المعتادة المألوفة ، فيقلَّ التذاذُ بها وتشتدَّ وتغلظ المؤن عليه في
 استدامتها والتحقُّظُ بها ولا يمكنه الهوى من تركها والخروج عنها — كما ذكرنا
 عند كلامنا في زَمِّ الهوى — فإذا هو لم يربح شيئاً وخسر أشياء . أمَّا قولنا إنه
 لم يربح شيئاً فمن أجل أن هذه الحالة الثانية إذا هو ألفها واعتادها صارت عنده
 بمنزلة الأولى وسقط عنه سروره واعتباطه بها . وأمَّا قولنا إنه خسر أشياء كثيرة
 فالعناء أولاً والخطر والتغريب الذي يُسلِّكه إلى هذه الحالة ، ثم الجهد في حراستها
 والخوف من زوالها والغم عند فقدها والتعويدُ للنفس الكونَ فيها وطلبَ
 مثلها . وكذلك نقول في كل حالة تفوق الكفاف . وذلك أن مَنْ كان بدُّه
 معتاداً للغذاء اليابس واللباس المتوسط إن هو جهد نفسه حتى يتنقَّلَ عنهما إلى
 الغذاء اللين واللباس الفاخر فإنَّ شدة التذاذ بهما تسقط عنه إذا اعتادهما حتى
 يصيرا عنده بمنزلة الأولين ويحصل عليه من فضل العناء والجهد في نيل هذين

(١) هذه الحالة ... لا ينال هذه : سقط ل — (٢) الرتبة لم يبلغ إلّا ل — الشديد ...
 والخطر : سقط ق ف — (٤) اليها ق ف — (٥) ويغرّه : سقط ق ف — (٨) المعتادة :
 سقط ل — (٩) الهوى ق ف — (١١) شيئاً : سقط ل — الثانية : سقط ق ف —
 (١٤) وتعويد النفس ق ف — (١٥) وكذا ل — (١٦) معتاد التغذى والتلبس المتوسط
 ق ف — اجهد ق ف

واستدامتهما والخوف من تنقلهما عنه واعتياد النفس لهما ما كان موضوعاً عنه قبل ذلك

- ٣ * وكذلك نقول في العزّ والجاه والنباهة وسائر المطالب الدنيائية إذ ليس من مرتبة تُنال ويُسبغ إليها إلاّ وُجد الاغتراب والاستمتاع بها يقلّ بعد نيلها ويصغر في كل يوم حتى يضمحلّ وتصير عند نائلها بمنزلة الحالة التي عنها انتقل ومنها ارتقى ويحصل عليه من أجلها فضلٌ مؤنّ وغموم | وهموم وأحزان لم تكن فيما مضى . وذلك أنه لا يزال يستقلّ لنفسه ما هو فيه ويجتهد في الترقى إلى ما هو أعلى منه ولا يصير إلى حالة ترضاها نفسه بتّةً بعد وصوله إليها وتمكّنه منها . فأما قبل الوصول فقد يُريه الهوى الرضى والقنوع بالحالة المقصودة ، وذلك من أعظم خدعِهِ وأسلحته ومكايده في اجتهاده وجَرِّهِ إلى الحالة المطلوبة ، حتى إذا حصلت له تطلّع إلى ما هو فوقها . ولا تزال تلك الحالة حاله ما صاحبَ الهوى وأطاعه ، نحو ما قلنا في هذا الكتاب إنه من أعظم مكاييد الهوى وخدعِهِ ، من أجل أنّ الهوى يتشبه في مثل هذه الأحوال بالعقل ويدلّس نفسه ويُوهم أنه عقلٌ لا هوائى وأنّ ما أراه خيرة لا شهوة بأن يدلّي ببعض الحِججاج ويُقنع بعض الإقناع ، لكن إقناعه وحجّته هذه لا تلبث إذا قوبلت بالنظر المستقيم أن تدحض وتبطل . والكلام في الفرق بين ما يُريه العقل وبين ما يُريه الهوى باب عظيم من أبواب صناعة البرهان ليس نقله إلى هذا الموضع اضطرارياً ، لأنّا قد لوّحنا منه في غير موضع من كتابنا هذا بما نكتفى به في غرضه ،
- ١
- ١٢
- ١٥
- ١٨

(٤) عند نيلها ف — (٥) حتى يضمحلّ : سقط ل — (٨) يرضاها لنفسه البتة ف — (١٠) في لئاذة جره ف — (١١) الحالة : سقط ل — (١٢) قلنا في هذا الموضع وهذا الباب ف — (١٤) ببعض الحجج ف — (١٥) اقناعاته ف — إذا حققت ف

ولأننا ذاكرون جملاً منه مجزئة كافية لما يُراد منه في بلوغ مغزى هذا الكتاب، فأقول: * إنَّ العقل يُرى ويختار ويؤثر الشيء الأفضل الأرجح الأصح عند العواقب وإن كان على النفس منه في أوائله مؤنة وشدة وصعوبة. وأما الهوى فإنه بالضد من هذا المعنى، وذلك أنه يختار أبداً ويؤثر ما يدفع به الشيء المؤذي المماس الملازق له في وقته ذلك وإن كان يُعقب مضرة، من غير نظر فيما يأتي من بعد ولا روية فيه. مثال ذلك ما ذكرنا قبل عند الكلام في ٦ زَمَّ الهوى من أمر الصبي الرمد المؤثر لأكل التمر واللعب في الشمس على أخذ الهليلج والحجامة ودواء العين. والعقل يُرى صاحبه ما له وعليه، فأما الهوى فإنه يُرى أبداً ما له ويُعَمِّي عما عليه. ومثال ذلك ما يعمى عنه الإنسان من عيوب نفسه ويُهصر قليل محاسنه أكثر مما هي. ولذلك ينبغي للعاقل أن يتهم رأيه أبداً في الأشياء التي هي له لا عليه ويظن به أنه هوى لا عقل ويستقصى النظر فيه قبل إِمضائه. والعقل يُرى ما يرى بحجة وعذر واضح، ١٢ وأما الهوى فإنه إنما يَقنع ويرى بالميل والموافقة لا بحجة يمكن أن يُنطق بها ويعبر عنها. | وربما تعلَّق بشيء من ذلك إذا أخذ يتشبه بالعقل، غير أنه حجاج ملجلج منقطع وعذر غير بين ولا واضح. ومثال ذلك حالة العشاق والذين ١٥ قد أغروا بالسكر أو بطعام رديء ضار وأصحاب المذهب ومن يَتَف حليته دائماً ويعبث ويولع بشيء من بدنه، فإن بعض هؤلاء إذا سئل عن عذره في ذلك لم ينطق بشيء بته ولا كان عنده في نفسه شيء يمكن أن يحتج به أكثر من ميل إلى ١٨ ذلك الشيء وموافقته ومحبة طبيعية غير منطقية. وبعضهم يأخذ ويحتج ويقول،

(١) كافية مجزية ف — (٥) الملازق المماس ل — (٨) الاهليلج ك — (١٢) فيها قبل امضائها ل — (١٣) يتبع ك ف — الليل ك — (١٤) غير أنها حجج ملجلجة منقطعة ل ف — (١٥) ولا واضح: سقط ل — (١٦) أو بطعام ماف — دائماً ل — (١٧) ويولع: سقط ل — (١٨) البتة ق ف — (١٩) ومحبة... منطقية: سقط ف — يذهب ويحتج ف

* استأنفت هنا رواية الكرمانى وهى تصل إلى ص ٩٠ س ١٣ (« المؤلفه »)

فإذا نُقِصَ عليه رجع إلى اللجاجة والتعلُّق بما لا معنى تحته واشتدَّ ذلك عليه
وغضب منه وأُبلغ إليه ثم ينقطع ويشوب بعد ذلك . فهذه الجَمَلُ كافية في هذا

٢ الموضع من التحفُّظ من الهوى والمرار معه من غير علم به

وإذ قد بينّا ما في الترقّي إلى الرُتَبِ العالية من الجهد والخطر واطراح
النفس فيما لا تغتبط ولا تُسرُّ به إلّا قليلاً ، ثم تكون عليها منه أعظم المؤن

٦ والشدائد ممّا كان موضوعاً عنها في الحالة الأولى ولا يمكنها الإقلاع والرجوع

عنه ، فقد بان أنّ أصلح الحالات حالة الكفاف والتناول لذلك من أسهل ما يمكن
من الوجوه وأسليها عاقبةً ، ووجب علينا أن نؤثر هذه الحالة ونقيم عليها إن كنّا

٩ نريد أن نكون ممّن سعد بعقله وتوفّق به الآفاتِ الرابضة الكامنة في عواقب اتباع

الهوى وإشاره ويكمل لنا الانتفاع بالفضل الإنسيّ ، وهو النطق الذي قد فضلنا
به على البهائم . فإن نحن لم نقدر ولم نملك الهوى هذه الملكة التامة التي نطرح

١٢ معها عنّا كل فاضل عن الكفاف فلا أقل من أن يقتصر ممّن كان معه ممّا فضل

عن الكفاف على حالته المعتادة المألوفة ولا يكدر نفسه ويُجهدُها ويخطر بها
في التثقل عنها . فإن اتفق لنا التمكن من حالة جليّة من غير جهدٍ للنفس

١٥ ولا غررٍ بها فإنّ الأصلح والأولى ترك الانتقال إليها ، لأنّا لا نعدم منها

الآفات التي عدناها العارضة لنا عن بلوغ الرتبة التي قصدناها بعد نيلها
وبلوغها . فإن اتقلنا إليها فينبغي أن لا نغيّر شيئاً ممّا به قوام أجسادنا من المآكل

(٢) وغضب منه : سقط ل — ويشور ل — الجملة ك — في هذا المعنى في هذا الموضع

ل — (٣) به : سقط ل — (٤) قد اثبتنا ك — الى المراتب ل — (٦) كانت موضوعة عنه

ك ف — (٨) عاقبة : سقط ل — (٩) الرابضة ك ق ف — (١٠) بالفصل ل —

(١٤) لنا المكنة ق ف — (١٥-١٤) اجهاد النفس ولا غرور ق ف — (١٥) لكي نعدم

ق ف

والمشارب والملابس | وسائر ما يتبع ذلك من حالاتنا وعاداتنا الأولى لثلاً ٦٨ ظ
تكتسب أنفسنا عادةً فضل من السرف وحالةً تطالبنا بها إن فقدت هذه الحالة
الثانية، ولثلاً يبلغ الغمُّ إلينا بفقدنا متى فقدت، وإلا كنا منحرفين عن عقولنا ٣
إلى هوانا وواقعين لذلك في البلايا التي ذكرناها *

الفصل التاسع عشر

٦ في السيرة الفاضلة *

إنَّ السيرة التي بها سار وعليها مضى أفاضل الفلاسفة هي بالقول
المجمل معاملة الناس بالعدل والأخذ عليهم من بعد ذلك بالفضل واستشعار
العقبة والرحمة والنصح للكل والاجتهاد في نفع الكل، إلاَّ من بدأ منهم بالجور ٦
والظلم وسعى في إفساد السياسة وأباح ما منعه وحظرته من الهرج والعيث
والفساد. ومن أجل أن كثيراً من الناس تحملهم الشرائع والنواميس الرديئة
على السيرة الجائرة كالديصانية والمحمرة وغيرهم ممن يرى غشَّ المخالفين لهم ١٢
واغتيالهم، والمنانية في امتناعهم من سقى من لا يرى رأيهم وإطعامه ومعالجته

(٢) تكتسب ق ف — من السرف ق ف — (٣) اذا فقدت ق ف — (٧) إن السيرة
الفاضلة التي ك ق ف — (٨) عليهم بعد ك ق ف — (٩) من بدى ق ف — (١٠) في فساد
السياسة ل ق ف — من المزح ق ف — العبث ق ف

قال الكرمانى ردّاً على الرازى : وقوله في الفصل الثامن عشر في الرتب والمنازل الدنياية
قول داع إلى الاختصار على ما يفيد طيب العيش والسلامة من الآفات الدنياية . ولئن كان ذلك
هو الواجب أن يطلب فأنى للنفس أن يكون لها ذلك وهي ترى أن الغالب أحسن حالاً من المغلوب
والأمر أعلى درجة من المأمور والفاخر أعزّ من المقهور ، وعلى ذلك فلا تطلب إلاَّ الغلبة والقهر
والأمر والسلب والتطاول من دون الخضوع والتذلل والخشوع وطلب الكفاف . وما معنى فيما
دعا إليه بهذا القول إلاَّ كغيره الذى ليس بكاف فيما يكون طباً روحانياً

* ورد هذا الفصل بتمامه في القول السادس من الباب الاول من كتاب الكرمانى

إن كان مريضاً ، ومن قتل الأفاعي والعقارب ونحوها من المؤذية التي لا طمع
 في استصلاحها وصرفها في وجه من وجوه المنافع ، وتركهم التطهر بالماء ونحوها
 ٣ من الأمور التي يعود ضرر بعضها على الجماعة وبعضها على نفس الفاعل لها ،
 ولم يمكن نزع هذه السيرة الرديئة عن هؤلاء وأشباههم إلا من وجوه الكلام في
 الآراء والمذاهب ، وكان الكلام في ذلك مما يجاوز مقدار هذا الكتاب ومغزاه ،
 ٦ لم يبق لنا من الكلام في هذا الباب إلا التذكير بالسيرة التي إذا سار بها الإنسان
 سلم من الناس وأعلى منهم المحبة . فنقول إن الإنسان إذا لزم العدل والعفة
 وأقل من مباحة الناس ومجاذبتهم سلم منهم على الأمر الأكثر ، وإذا ضم إلى
 ٩ ذلك الإفضال عليهم والنصح والرحمة لهم أوقى منهم المحبة . وهاتان الختان هما
 ثمرتا السيرة الفاضلة ، وذلك كافٍ في غرضنا من هذا الكتاب *

الفصل العشرون

في الخوف من الموت *

١٣

إن هذا العارض ليس يمكن دفعه عن النفس كملاً إلا بأن تُقنَع أنها

(٣) وبعض ق ف — (٦) التذكر ق ف — (٧) محبة ق ف — (٨) وأقل
 مباحة ق ف — (٩) هما : سقط ق ف — (١٣) كملاً : سقط ق ف

* قال الكرمانى رداً على الرازى : وقوله في الفصل التاسع عشر في السيرة الفاضلة قول جار
 مجرى غيره . فما للنفس من ذاتها قيام بالعدل وإحسان السيرة كما شرحه ، وكيف تكون عادلة
 ومحسنة وممسكة عن القبايح والمنكرات وهي لا ترى حسناً إلا ضد هذه الأمور ، كالسكران
 على ما ذكرنا ذلك . وكيف يكون صحيحاً قوله في إمكان منع الديصانية وأمثالهم عما عليه اعتقادهم
 ببسط الكلام الذي ذكر أنه يجاوز حد كتابه وإقلاهم عن اعتقادهم ، وأنفسهم لا تقبل من ذاتها
 إلا بالنفع القهري واليد القوية من خارجهم . وكان يكون طباً روحانياً لو سلك غير هذا المسلك كما
 تقدّم الكلام عليه من قبل

* ورد ابتداء هذا الفصل (حتى « من الحياة » ص ٩٣ س ١٣) في كتاب الكرمانى

تصير من بعد | الموت إلى ما هو أصلح لها مما كانت فيه . وهذا باب يطول ٦٩ و
 الكلام فيه جدًا إذا طُلب من طريق البرهان دون الخبر . ولا وجه للكلام
 فيه البتة لا سيما في هذا الكتاب ، لأن مقداره كما ذكرنا قبلُ يجاوز مقداره ٣
 في شرفه وفي عرضه وفي طوله ، إذ كان يُحوَج إلى النظر في جميع المذاهب
 والديانات التي تُرى وتوجب للإنسان أحوالاً من بعد موته ، والحكم بعدلُحَقِّها
 على مُبطلها . وليس بصعوبة مرام هذا الأمر وما يضطر ويحتاج إليه فيه من ٦
 طول الكلام خفاء . فنحن لذلك تاركوه ومُقبلون على إقناع من يرى ويعتقد
 أن النفس تفسد بفساد الجسد ، فإنه متى أقام على الخوف من الموت كان مائلاً
 عن عقله إلى هواه ٩

فنعول : إن الإنسان على قول هؤلاء ليس يناله من بعد الموت شيء من
 الأذى بته ، إذ الأذى حسّ والحسّ ليس إلّا للحيّ وهو في حال حياته
 مغمور بالأذى منغمس فيه ، والحالة التي لا أذى فيها أصلح من الحالة التي فيها ١٢
 الأذى ، فالموت إذاً أصلح للإنسان من الحياة . فإن قال قائل منهم إن الإنسان
 وإن كان يُصيبه في حال حياته الأذى فإنه ينال من اللذات ما ليس
 يناله في حال موته ، قيل له : فهل يتأذى أو يبالي أو يضّرّه بوجه من الوجوه ١٥
 في هذه الحال أن لا ينال اللذات ؟ فإذا قال لا — وكذلك يقول لأنه إن لم يقل
 ذلك لزمه أن يكون حيّاً في حال موته ، إذ الأذى إنما يلحق الحيّ دون
 الميت — قيل له : فليس يضّرّه أن لا ينال اللذات . وإذا كان ذلك كذلك ١٨
 فقد رجع الأمر إلى أن حالة الموت هي الأصلح ، لأن الشيء الذي حسبت

(٥) والديانات : سقط ق ف — للناس ل — والحكم من بعد ك —

(٧) ويعتقد : سقط ق ف — (١٠) على ما يقول هؤلاء ك ق ف — (١١) البتة ك

ق ف — (١٢-١٣) التي معها الأذى ك — (١٤) اللذات في حياته ما ق ف — (١٥) فيقال

له ق ف — (١٦) الحالة ق ف — من اللذات ق ف — (١٨) كان الامر كذلك ل

أن للحى به الفضل هي اللذة وليس بالميت إليها حاجة ولا له إليها نزوع ولا عليه
 في أن لا ينالها أذى كما ذاك للحى ، فليس للحى عليه فضل فيها لأن التفاضل
 إنما يكون بين المحتاجين إلى شيء ما إذا كان لأحدهما فضل مع قيام الحاجة ٣
 إليه ، فأمّا أن يكون المحتاج على غنى فلا . وإذا كان ذلك كذلك فقد رجع الأمر
 إلى أن حالة الموت أصلح . فإن قال إن هذه المعاني ليس ينبغي أن تقال على
 الميت لأنها ليست له بموجودة ، قيل له : إننا لم نقل عليه هذه المعاني على أنها ٢
 قائمة بموجودة له بل إنما نضعها | متوهمة متصورة لنقيس شيئاً على شيء ونعتبر ٦٩ ظ
 شيئاً بشيء . وهذا باب متى منعتك كنت منقطعاً في قوانين البرهان ، وهو باب
 من الانقطاع معروف عند أهل البرهان يسمونه غلق الكلام . وذلك أن صاحبه ٩
 يغلق الكلام أبداً ويهرب منه ولا يساعد عليه خوفاً من أن يتوجه عليه الحكم .
 فإذا لجأ إلى التكرار واللجلجة فليس له بعد هذا إلا هذا
 اعلم أن حكم العقل في أن حالة الموت أصلح من حالة الحياة على حسب ١٢
 اعتقاده في النفس ، وقد يوجد أنه مُقيم على اتباع الهوى فيه . فإن الفصل بين
 الرأي الهوائى والعقلى هو أن الرأي الهوائى يُجْتَبَى وَيُرْتَرَّ وَيُتَّبَع وَيُتَمَسَّكُ بِهِ
 لا بحجة بيّنة ولا بعذر واضح وإنما يكون عن ضرب من الميل إلى ذلك الرأي ١٥
 والموافقة والحب له في النفس ، وأمّا الرأي العقلى فإنه يُجْتَبَى بحجة بيّنة وعذر
 واضح وإن كانت النفس كارهة له ومنحرفة عنه . وأيضاً فما هذه اللذة المرغوب ١٨
 فيها المتنافس عليها ، وهل هي في الحقيقة إلا راحة من المؤلم على ما قد بينّا ؟

(١) فليس الميت ق ف — (٢) ذاك : سقط ق ف — (٣) لاحدهما اليه ففرق ق ف —
 مع قيام الحاجة اليه : سقط ق ف — (٥) قال قائل ق ف — (٧) قائمة له بوجوده ق ف —
 (٨) باب متى ... البرهان وهو : سقط ق ف — (١٠) ويهرب عنه ق ف — ولا يشاغل
 عليه كلمة خوفاً ق ف — (١٣) وقد يوجب ل فوق السطر ، وقد توجه عليه وأنه ق ف —
 الفضل ق ف ل — (١٥) ضروب ق ف — (١٨) فهل ق ف

وإذا كان ذلك كذلك فإنه ليس يتصورها مقصودةً مطلوبةً إلا الجاهل بها ،
لأن المستريح من الأذى غنى عن الراحة التي متى أعقبته سُميت لذّة . وأيضاً
فإنه وإن كان الاغتمام بما لا بدّ منه ومن وقوعه فضلاً كما بينّا قبل وكان الموت
مما لا بدّ منه ومن وقوعه فإن الاغتمام بالخوف منه فضل والتلهّى عنه والتناسى
له ربح وغنم . ومن أجل ذلك صرنا نغبط البهائم في هذا المعنى إذ لها بالطبع هذه
الحالة كملاً التي ليس نقدر نحن عليها إلا بالحيلة لا أطراح الفكر والتصور
العقلي . وكأنّ ذلك من أنفع الأمور في هذا الموضع إذ كان يجلب من الألم أضعاف
أضعاف المنتظر . وذلك أن المتصور للموت الخائف منه يموت في كل تصويرة
موتة ، فتجتمع عليه من تصوّره له مدّة طويلةً مواتاً كثيرة . فالأجود إذاً
والأعود على النفس التلطّف والاحتيال لإخراج هذا الغم عنها . وذلك يكون
كما قيل قبيل إن العاقل لا يغتم بته . وذلك أنه إذا كان لما يغتم به سببٌ يمكنه
دفعه | جعل مكان الغم فكراً في دفع السبب ، وإن كان ممّا لا يمكن دفعه
أخذ على المكان في التلهّى والتسلّى عنه وعمل في محوه وإخراجه عن نفسه .
وأيضاً فإنّي أقول : إنّ قد بينت أنه ليس للخوف من الموت على رأى من لم
يجعل للإنسان حالةً وعاقبةً يصير إليها بعد موته وجهه . وأقول إنه يجب أيضاً
في الرأى الآخر — وهو الرأى الذى يجعل لمن مات حالةً وعاقبةً يصير إليها بعد
الموت — أن لا يخاف من الموت الإنسانُ الخَيْرُ الفاضل المُكْمِل لأداء

(١) فليس يتصور ما مقصوده ق ف — (٢) المريح ق ف — اعتقبتها ل ، اعتقبتها ق ف —
(٣) بما ... الموت : سقط ق ف — (٥) في هذه الحالة إذ ق ف — بالطبيعة ق ف —
(٧) إذا كان يربح ويربح من الألم ق ف — (٨) أضعاف : سقط ق ف — يموت مثلاً في
ق ف — (١٠) لأطراح ق ف — (١١) كما قلنا قبل ق ف — بته : سقط ل —
(١٤) من الموت وجه ك — (١٥) وجه : سقط ك ق ف

* استأنفت هنا رواية الكرمانى وهى تنتهى إلى ص ٩٦ س ٦ (« ذلك كثيراً »)

- ما قرّضت عليه الشريعة المحققة ، لأنها قد وعدته الفوز والراحة والوصول إلى النعيم الدائم . فإن شكّ شكاً في هذه الشريعة ولم يعرفها ولم يتيقن صحتها فليس له إلا البحث والنظر جهده وطاقته . فإن أفرغ وسعه وجهده غير مقصّر ولا وإن فإنه لا يكاد يعدّم الصواب . فإن عدّمه — ولا يكاد يكون ذلك — فالله تعالى أولى بالصفح عنه والغفران له إذ كان غير مطالب بما ليس في الوسع بل تكليفه وتحمّله عزّ وجلّ لعباده دون ذلك كثيراً
- وإذ قد أتينا على قصد كتابنا هذا وبلغنا آخر غرضنا فيه فإنّا خاتمون كلامنا بالشكر لرّبنا عزّ وجلّ . فالحمد لله واهب كل نعمة وكشف كل غمّة حمداً بلا نهاية كما هو أهله ومستحقّه *

(٢) ولم يتبين ق ف — (٣) في أن يفرغ ق ف — وسعه وطاقته وجهده ك —
(٦) كثيراً جداً ق ف — (٨) واهب العقل وكل نعمة ل — (٩) ومستحقّه آخر الكتاب
والحمد لله رب العالمين وصلواته على رسوله محمد وآله وصحبه الطاهرين ل (ويتلوه تاريخ النسخة.
على ما ذكرناه في المقدمة ص ٥ ، أما تواريخ نسختي ق و ف فقد ذكرناها ص ٧٦)

* قال الكرمانى فى القول السادس من الباب الأوّل من كتابه : وقوله فى الفصل العشرين فى دفع الخوف من الموت ... قول حق ، لا كما أعقبه بقوله « فإن شكّ شكاً فى هذه الشريعة إذ كان غير مطالب بما ليس فى الوسع » الذى أوجب به السلامة لمن شك فى الشريعة ولم يعرف شيئاً منها واجتهد فى البحث والنظر وأفرغ وسعه وطاقته ولم يزل شكّه وأنّ الله لا يؤاخذ به بذلك فإن الأمر بخلاف ما أوردّه وبضدّ ما تخيل إليه واعتقده . فإن الشاكّ فى الشريعة ومناسكها الجاهل بسننها القاعد عن العمل بها والمثابرة عليها نفسه فى كونها باقية فى عاداتها الجارية وأفعالها الحاصلة منها الصادرة عنها إلى الوجود على قضايا هواها وأحكام المزاج الذى عنه كان وجودها على الأمر الذى هى فيه كأخواتها من أنواع الحيوان والوحوش ، إذ شكّها قعد بها عن المشكوك فيه . ونفس تكون بهذه المثابة تحت غضب الله سبحانه وسخطه . وأنّى يكون لها غفران ولم يحصل لها ما قوم ذاتها وراضها فتستحقّه الخ

كتاب السيرة الفلسفية

ورد ذكر هذا الكتاب في فهارس مؤلفات الرازي التي في أيدينا وإن كان القدماء يختلفون في عنوانه . فقد سماه أبو الريحان البيروني (١) « كتاب السيرة الفلسفية (٢) » وهو العنوان المذكور في نسختنا الخطية ، وسماه ابن القفطي (٣) وابن النديم (٤) « كتاب (في) السيرة الفاضلة » . أما ابن أبي أصيبعة فقد ذكر في ترجمته للرازي ثلاثة عناوين مختلفة لعلها تشير جميعاً إلى الكتاب الذي نحن بصده ، فقد سمي أولاً « كتاباً في سيرة الحكماء (٥) » ، وثانياً « كتاباً في سيرته (٦) » ، وثالثاً « كتاباً في السيرة الفاضلة وسيرة أهل المدينة الفاضلة » (٧) .

وصل إلينا هذا الكتاب في مجموعة محفوظة بالمتحف البريطاني مسجلة تحت رقم ٧٤٧٣ من الإضافات الشرقية (Add.) (٨) وعنوانه هناك « كتاب السيرة

(١) رسالة في فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازي ص ١٩ رقم ١٤٩

(٢) راجع أيضاً مقاله Julius Lippert في *Mitteilungen des Orientalischen Seminars*, VII (Berlin 1904), p. 22-24

(٣) تاريخ الحكماء ص ٢٧٥ ، ١٤

(٤) فهرست ص ٣٠١ س ٢٣ (طبعة أوروبا)

(٥) كتاب عيون الانباء في طبقات الأطباء ج ١ ، ص ٣١٦ ، ١٦

(٦) نفس المرجع ص ٣٢١ ، ١٣

(٧) ص ٣٢٠ ، ٥

(٨) راجع

Catalogus Codd. Manuscr. qui in Mus. Brit. asservantur, II no. 426.

الفلسفية تأليف الحكيم ابى نصر (كذا) محمد بن زكريا الرازى المتطبب « ، وهو يشمل خمس ورقات (ورقة ١ ظ - ٥ ظ) . وهذه المجموعة محررة في سنة ٦٣٩ للهجرة بخط نسخى جميل وأخطاؤها غير قليلة . وقد أثبت التصحيحات فى المتن وأوردت قراءات النسخة الخطية فى الحواشى مشيراً إليها برمز « خ » ، وكنت قد نشرت هذا الكتاب فى مجلة *Orientalia* التى تصدر فى روما مع مقدمة وترجمة إلى اللغة الفرنسية (١) ، وهأنذا أطبعه مرة أخرى مع زيادة العناية فى التصحيح (٢)

Orientalia, NS, IV (1935), p. 300-334

(١)

ترجم صديقى عباس اقبال هذه المقالة إلى اللغة الفارسية (طهران سنة ١٣١٥) (راجع أيضاً مجلة مهر سنة ٣ رقم ٧)

(٢) يسرّنى أن أعرب هنا عن مزيد شكرى لحضرتى الاستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى والدكتور D.H. Baneth اللذين تفضلا بابداء بعض الملاحظات التى استفدت منها فى تصحيح هذا النص

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو بكر محمد بن زكريّا الرازيّ — أَلْحَقَ اللهُ روحه بالروح والراحة — :
 إِنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالتَّمْيِيزِ وَالتَّحْصِيلِ لَمَّا رَأَوْنا نُدْخِلُ النَّاسَ ٤
 وَتَتَصَرَّفُ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْمَعَاشِ عَابِونا وَاسْتَنْقَصَونا وَزَعَمُوا أَنّا حائِدُونَ عَنْ سِيرة
 الْفَلَسَفةِ وَلَا سَبِيّاً عَنْ سِيرة إِمَامِنا سَقْرَاطَ المَأْثُورِ < عَنْهُ > أَنَّهُ كَانَ لَا يَغْشَى
 الْمُلُوكَ وَبِاسْتِخْفٍ بِهِمْ إِنْ هُمْ عَشَوْهُ وَلَا يَأْكُلُ لِذِيذِ الطَّعامِ وَلَا يَلْبَسُ فَاحِشَ الثِّيابِ ٦
 وَلَا يَبْنِي وَلَا يَقْتَنِي وَلَا يُنْسِلُ وَلَا يَأْكُلُ لَحْماً وَلَا يَشْرَبُ خَمِراً وَلَا يَشْهَدُ لِهَوَا بَلِ
 كَانَ مُقْتَصِراً عَلَى أَكْلِ الْحَشِيشِ وَالْإِلْتِفَافِ فِي كِسَاءٍ خَلَقَ وَالْإِيوَاءِ إِلَى حُبٍّ فِي
 الْبَرِّيَّةِ ، وَأَنَّهُ أَيْضاً لَمْ يَكُنْ يَسْتَعْمَلُ التَّقِيَّةَ لِلْعَوَامِّ وَلَا لِلْسلْطانِ بَلِ يَجْهَلُهُمْ بِمَا هُوَ ٩
 الْحَقُّ عِنْدَهُ بِأَشْرَحِ الْأَلْفَاظِ وَأَيِّدُهَا . وَأَمَّا نَحْنُ فَعَلَى خِلافِ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالُوا فِي
 مِساوئِ هَذِهِ السِّيرة الَّتِي سارَ بِها إِمَامِنا سَقْرَاطُ إِنَّها مُخالِفةٌ لِمَا عَلَيْهِ مَجْرَى الطَّبْعِ
 وَقَوامِ الْحَرثِ وَالنَّسْلِ وَداعِيَةِ إِلى خرابِ الْعالَمِ وَبِوارِ النَّاسِ وَهَلَاكِهِمْ . وَسُنْجِيهِمْ ١٢
 بِما عِنْدَنا فِي ذَلِكَ إِنْ شاءَ اللهُ

فَنقول : أَمَّا ما أَثَرُوهُ عَنْ سَقْرَاطُ وَذَكَرُوهُ فَقَدْ صَدَقُوا وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ ،
 لَكِنْهُمْ جَهِلُوا مِنْهُ أَشْياءَ أُخَرَ وَتَرَكَوا ذَكَرَها تَعَمُّداً لَوْجُوبِ مَوْضِعِ الْحِجَّةِ عَلَيْنَا . ١٥
 وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي أَثَرُها عَنْ سَقْرَاطُ قَدْ كَانَتْ مِنْهُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ إِلى
 مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ عَمَرِهِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْها حَتَّى إِنَّهُ ماتَ عَنْ بَناتٍ وَحارِبِ
 الْعَدُوِّ وَحَضَرَ مَجالِسَ اللّهُوِّ وَأَكَلَ الطَّيِّباتِ إِلَّا مِنَ اللَّحْمِ وَشَرَبَ يَسِيرَ الْمُسْكَرِ . ١٨
 وَذَلِكَ مَعْلُومٌ مَأْثُورٌ عِنْدَ مَنْ عُنِيَ بِاسْتِقْصَاءِ أَخْبارِ هَذَا الرَّجُلِ . وَإِنَّمَا كَانَ مِنْهُ

(٢) أبو نصر خ — (٤) حائدين خ — (٥) لا يغشا خ — (١٥) لعل الصواب :
 أو تركوا — (١٦) أن بعده الأمور خ — (١٧) عن بات خ

ما كان في بدء أمره لشدّة عجبه بالفلسفة وحبّه لها وحرصه على صرف زمان الشهوات والشغل بالذات إليها ومؤاتاة طبعه له على ذلك ، واستخفافه واسترذاله لمن لم يلاحظ الفلسفة بالعين التي تستحق أن تلاحظ بها وآثر ما هو أخسّ | ٢٠
منها عليها . ولا بدّ في أول الأمور المشوقة المعشوقة من فضل ميل إليها وإفراط في حبّها ولزومها وشنآن المخالفين فيها ، حتى إذا وغل فيها وقرت الأمور به قرارها سقط الإفراط فيها ورجع إلى الاعتدال ، كما يقال في المثل « لكلّ جديد لذة » . فهذه كانت حال سقراط في تلك المدة من عمره ، وصار ما أثر عنه من هذه الأمور أشهر وأكثر لأنّها أطرف وأعجب وأبعد من أحوال الناس ، والناس مولعون بإذاعة الخبر الطريف النادر والإضراب عن المألوف والمعتاد . ١
فلسنا إذاً بمخالفين للأمر الأحمد من سيرة سقراط وإن كنا مقصّرين عنه في ذلك تقصيراً كثيراً ومقرّين بالنقص عن استعمال السيرة العادلة وقمع الهوى وحبّة العلم والحرص عليه . ١٢
فخلافنا إذاً لسقراط ليس في كيفية السيرة بل في كمّيّتها ، ولسنا بمنتقصين إن أقررنا بالنقص عنه إذ كان ذلك هو الحق وكان الإقرار بالحق أكثر شرفاً وفضيلةً . فهذا ما نقوله في هذا الموضوع
وأما ما عابوه من سيرتي سقراط فإنّا نقول : إنّ المعيب منها بحق أيضاً ١٥
كمّيّتها لا كيفيّتها إذ من البين أنه ليس الانهماك في الشهوات وإيثارها الأمر الأفضل الأشرف على ما بيننا في كتابنا « في الطب الروحاني » لكن الأخذ من كل حاجة بمقدار ما لا بدّ منه أو بمقدار ما لا يجلب ألماً < يفضل >
على اللذة المصابة منها . وقد رجع سقراط عن المفرط منها الذي هو المعيب بالحقيقة والداعي إلى خراب العالم وبوار الناس ، إذ قد عاد إلى أن أنسل وحارب

(٣) لمن لا يخالطه — (٩) مولوعون خ — والاطراب خ — (١١) ومقرون خ —
(١٣) ولسنا نمضى ان فرما خ — (١٥) بحق خ — (١٨) < يفضل > : راجع
ص ١٠٢ س ٢ ، او : < يرجح > (راجع ص ١٠٣ س ٢) ، او : < زائداً >

العدوَّ وحضر مجالس اللهو . ومن فعل ذلك فقد خرج عن أن يكون ساعياً في خراب الدنيا وبوار الناس ، وليس يجب أن لا يكون كذلك حتى يكون مغرقاً في الشهوات . ونحن وإن كنّا غير مستحقّين لاسم الفلسفة بالإضافة إلى سقراط فإنّا مستحقّون لاسمها بالإضافة إلى الناس غير المتفلسفين وإذ قد جرى في هذا المعنى ما جرى فلنُتِمّ القول في السيرة الفلسفية لينتفع بها محبو العلم ومؤثروه

فنعول : إنّنا نحتاج أن نبني أمرنا فيما هو غرضنا المقصود في هذه المقالة على أصول قد تقدّم بيانها لها في كتب آخر لا بدّ من الاستعانة لتخفيف ما في هذه المقالة بها . فمنها كتابنا « في العلم الإلهي » وكتابنا « في الطبّ الروحاني » وكتابنا « في عدل من اشتغل بفضول الهندسة من الموسومين بالفلسفة » وكتابنا الموسوم « بشرف صناعة الكيمياء » ، ولا سيّما كتابنا الموسوم « بالطبّ الروحاني » ، فإنّه لا غنى عنه في استتمام غرض هذه المقالة والأصول | التي نبني عليها فروع السيرة الفلسفية ونأخذها ههنا ونقتضيها اقتضاباً . وهي : أنّ لنا حالة بعد الموت حميدة أو ذميمة بحسب سيرتنا كانت مدّة كون أنفسنا مع أجسادنا ، وأنّ الأمر الأفضل الذي له خلّقنا وإليه أُجْرِي بنا ليس هي إصابة اللذات الجسدانية بل اقتناء العلم واستعمال العدل اللذين بهما يكون خلاصنا عن عالمنا هذا إلى العالم الذي لا موت فيه ولا ألم ، وأنّ الطبيعة والهوى يدعواننا إلى إثارة اللذة الحاضرة وأما العقل فكثيراً ما يدعونا إلى ترك اللذات الحاضرة لأموال يؤثّرنا عليها ، وأنّ المالك لنا الذي منه نرجو الثواب ونخاف العقاب ناظر لنا رحيم بنا لا يريد إيلا منا ويكره لنا الجور والجهل ويحبّ منا العلم والعدل فإنّ هذا

(١٠) بفضول خ — (١٢) عنه من استتمام خ — التي تبنا خ — (١٣) سيرة خ —
ونقتضيها اقتضاء خ — (١٧) تدعوا بنا خ — (١٨) فكثير ما خ — (١٩) رحيما خ

المالك يعاقب المؤلم منّا < و > من استحق الإيلام بقدر استحقاقه ، وأنه لا ينبغي أن نحتمل ألماً في جنب لذّة يفضل عليها ذلك الألم في كميّته وكيفيّته ، وأنّ البارئ جلّ وعزّ قد وكل الأشياء الجزئية من حوائجنا إلينا كالحرائث والنسج وما أشبه ذلك ممّا به قوام العالم وقوام المعيشة . فلتكن لنا مسلّمة لنبنى عليها

٦ فنقول : إنه إذا كانت لذّات الدنيا وآلامها منقطعةً بأنقطاع العمر وكانت لذّات العالم الذي لا موت فيه دائماً غير منقطعة ولا متناهية فالمغبون من اشتري لذّة بئدة منقطعة متناهية بدائمة باقية غير منقطعة ولا متناهية . فإذا كان الأمر كذلك تبعه ووجب منه أنه لا ينبغي لنا أن نطلب لذّة لا بدّ في الوصول إليها من ارتكاب أمر يمنعنا من التخلّص إلى عالم النفس أو يوجب علينا في عالمنا هذا ألماً مقداره في كميّته وكيفيّته أعظم وأشدّ من اللذّة التي آثرناها ، فأما سائر ذلك من اللذّات فمباحة لنا . على أنّ الرجل الفيلسوف قد يترك كثيراً من هذه المباحات ليمرّن نفسه على ذلك ويعودّها فيكون ذلك عليه في الموضع الواجب أهون وأيسر كما ذكرنا في « كتاب الطبّ الروحانيّ » .

١٥ لأنّ العادة كما ذكر القدماء طبيعة ثانية تسهّل العسير وتؤنس بالمستوحش منه ، إن كان في الأمور النفسيّة وإن كان في الأمور الجسديّة ، كما نرى الفيوج أقوى على المشي والجند أجراً على الحرب ونحو ذلك ممّا لا خفاء به في تسهيل العادات للأمور التي كانت تصعب وتعسر قبل اعتيادها . وهذا القول وإن كان وجيزاً مجملّاً — أعني ما ذكرناه في مقدار اللذّة المحصورة — فإنّ تحته من الجزئيّات أموراً كثيرة ، على ما قد بيّناها في « كتاب الطبّ الروحانيّ » .

(٢) يحتمل خ — من جنب خ — علينا خ — (٣) إليها والحرائث خ — (٤) أشبهه خ —
 ووجب عنه خ (راجع ص ١٠٣ س ٣ و ١٧) — (٩-١٠) من الوصول خ — (١٣) ليون
 نفسه خ — (١٦) الامور النفسيّة خ — (١٧) من تسهيل ؟

- ٣ و فإنه إن كان الأصل الذى وضعناه من أنه لا ينبغي للعاقل أن ينقاد | للذة
يخشى معها ألماً يرجح على الألم الذى يصل إليه من مكابدة ترك اللذة وقمع
الشهوة صحيحاً حقاً فى نفسه أو مصادراً عليه فقد وجب منه وتبعه أننا لو قدرنا
فى حالة على أن نملك الأرض كلها مدة عمرنا بارتكاب من الناس ما لا يرضاه
الله مما كان به مَنَعُنا من الوصول إلى الخيرة الدائمة والنعيم المقيم لم يكن ينبغي
لنا أن نفعل ذلك ولا نُؤثره . ولو استحققنا أيضاً أو كان الاستحقاق
غالباً علينا فى أننا إن أكلنا فى المثل طبقاً من رُطَبٍ رَمِدنا عشرة أيام لم يَنْبَغِ
أن نُؤثر أكله . وكذلك الحال فيما بين هذين المثالين اللذين ذكرناهما — على
عِظَم أحدهما وصِغَر الآخر بإضافة — من الأمور الجزئية التى كل واحد منها
صغير بالإضافة إلى الأعظم كبير بالإضافة إلى الأصغر ، مما لا يمكن القول أن
يأتى عليه لكثرة ما تحت هذه الجملة الكلية من الأمور المفردات الجزئية
وإذ قد بان فى هذا الموضوع ما أردنا بيانه فلنتصد إلى بيان غرض آخر من ١٢

أغراضنا تال لهذا الغرض

- فنقول : إنه لما كان الأصل الذى وضعناه من أن ربنا ومالكنا مُشْفِق
علينا ناظر لنا رحيم بنا تبع ذلك أيضاً أنه يكره أن يقع بنا ألم ، وأن جميع ما يقع
بنا منه مما ليس من اكتسابنا واختياراتنا بل مما فى الطبيعة فلا مِرَّ ضرورى لم
يكن بد من وقوعه . ووجب من ذلك أنه لا ينبغي أن نُؤلم مُحِسّاً بته من غير
استحقاق منه لذلك الإيلام أو لغير صرفنا عنه بذلك الألم ما هو أشد منه . ١٨

(٤) لعل الصواب : فى الناس — (٥) ما كان به خ — (٦) أيضاً وكان خ —

(٧) غالب علينا خ — رطب سرمدا عشرة خ — لم ينبغي خ — (٨) الذى ذكرناهما خ —

(٩) كل واحد منهما خ — (١٠) كبير (تصحيح مشكوك فيه) : نسبة خ — (١١) تاتى

عليه كثرة ما خ — الجملة الثلاثة (!) من خ — (١٣) تالى خ — (١٤) انه كما

كان خ — الذى وصفناه خ — (١٥) ايضا وانه خ — (١٧) ان يؤلم محساً به خ —

(١٨) الألم مما هو خ

وتحت هذه الجملة أيضاً تفصيل كثير يُدخل فيها المظالم جميعاً، وما يتلذذ به
 الملوك من الصيد للحيوان ويُفْرِط فيه الناس من الكدِّ للبهائم في استعمالها.
 ٣ فوجب أن يكون ذلك كله على قصدٍ وسننٍ وطريق ومذهب عقليٍّ عدليٍّ لا يُتعدَّى
 ولا يُجارِعه . فيوقع الألم حيث يُرَجَى به دفعُ ما هو أعظم منه ، نحو بطل
 الجراح وكَيِّ العضو العَفِن وشرب الدواء المُرِّ البَشِع وتركِ الطعام اللذيذ خشيةً
 ٦ الأمراض العظيمة الالئمة . وَنَكَدَّ البهائم كَدَّ قصيرٍ لا عنف فيه إلا في
 المواضع التي تدعو الضرورة فيها إلى الإعناف ويوجب العقل والعدل ذلك كحثِّ
 الفرس عند طلب النجاة من العدو ، فإنه يجب في العدل حينئذٍ أن يَحْتِثَّ وَيُتَكَفَّ
 ٨ في ذلك إذا رُجى به خلاص الإنسان ، ولا سيما إذا كان عالماً خيراً أو له غناء
 عظيم في وجه من الوجوه العائد صلاحها على جملة الناس ، إذ كان غناء مثل هذا
 الرجل وبقاؤه في هذا العالم أصلح لأهله من بقاء ذلك الفرس . أو كرجلين وقعا في
 بريةٍ لا ماء فيها ومع أحدهما من الماء ما يمكن أن يخلص به | نفسه دون صاحبه ،
 ٣ ظ فإنه ينبغي في تلك الحالة أن يُؤَثَّرَ بالماء أَعْوَدُ الرجلين على الناس بالصلاح .
 فهذا هو القياس في أمثال هذه الأمور وأشباهاها

وأما الصيد والطرْد والإبادة والإهلاك فينبغي أن يكون للحيوان الذي
 ١٥ لا يعيش كمال العيشة إلا باللحم كالأسد والنمر والذئب وما أشبهها ، والتي يعظم
 أذاها ولا مطمع في استصلاحها ولا حاجة في استعمالها مثل الحيات والعقارب
 ونحوها . فهذا هو القياس في أمثال هذه الأمور . وإنما جاز أن تُتَلَفَّ هذه
 ١٨ الحيوانات من جهتين : إحداهما أنها متى لم تُتَلَفَّ أتلقت حيوانات كثيرة ،

(١) تدخل خ — وما يتلذذ خ — (٣) فيوجب خ — (٤) يجاز عنه خ —
 يرجى به وقع ما خ — (٥) الحراج خ — (٦) الالة خ — (٧) الذي مدعوخ — لعل
 الصواب : إلى الإعنات — (١٠) صلاحه على خ — (١١) وقفا في خ — (١٦) التي
 يعظم خ

فهذا باب خاصّ بأمثال هذه الحيوانات ، أعنى التى لا تعيش إلا باللحم . وأمّا الأخرى فإنه ليس تخلص النفوس من جُثّةٍ من جُثث الحيوانات إلا من جُثّة الإنسان فقط . وإذا كان الأمر كذلك كان تخلص أمثال هذه النفوس من جُثثها شديهاً بالتطريق والتسهيل إلى الخلاص . فليما اجتمع للتى لا تعيش إلا باللحم الوجهان جميعاً وجب إبادتها ما أمكن ، لأنّ فى ذلك تقليلاً من ألم الحيوان ورجاء أن تقع نفوسها فى جُثث أصلح .

وأمّا الحيات والعقارب والزناير ونحوها فاجتمع لها أنها مؤلّمة للحيوان ولا تصلح أن يستعملها الإنسان كما يستعمل البهايم المعمولة فجاز لذلك إهلاكها وإبادتها . وأمّا الحيوان المعمولة والعائشة بالعشب فلم يجب إبادتها وإهلاكها بل الرفق بالمعمولة على ما ذكرنا والاستقلال من الاغذاء بها ما أمكن ومن إنساها ثلاثاً تكثر كثرة تحوُّج إلى إكثار ذبحها ، لكن يكون ذلك بقصدٍ وبحسب الحاجة . ولولا أنه لا مطمع فى خلاص نفس من غير جُثّة الإنسان لما أطلق حكم العقل ذبحها البتّة . وقد اختلف المتفلسفون فى هذا الأمر فرأى بعضهم أن يعتدى الإنسان باللحم ولم يرَ بعضهم ذلك ، وسقراط يمتن لم يجز ذلك .

ولما كان ليس للإنسان فى حكم العقل والعدل أن يؤلّم غيره تبع ذلك أنه ليس له أن يؤلّم نفسه أيضاً . وصار تحت هذه الجملة أيضاً أمور كثيرة يدفعها حكم العقل ، نحو ما يعمل الهنّد من التقرب إلى الله بإحراق أجسادها وطرحها على الحدائد المشحودة ، ونحو المنانيّة وجبّها أنفسها إذا نازعتها إلى الجماع وإضنائها بالجوع والعطش وتوسيحها باجتئاب الماء واستعمال البول مكانه وما يدخل فى هذا الباب وإن كان دونه كثيراً ما يستعمله النصارى

(٤) شبيه خ — (٥) تقليل خ — (٨) هلاكها خ — (١٣) وفيه اختلف خ — (١٤)

لم يرى خ — ممن لم يجرى ذلك خ — (١٨) ونحو الطنانية وجبها خ — (٢٠) مما يستعمله خ

من الترهّب والتخلّي في الصوامع وكثير من المسلمين من لزوم المساجد وترك
المكاسب والاقتصار على يسير الطعام وبشعه ومؤذى | اللباس وخشنه ، فإن
٢ ذلك كله ظلم منهم لأنفسهم وإيلاهم لها لا يُدفع به ألم أرجح منه . وقد كان
سقراط يسير مثل هذه السيرة من أوّل عمره غير أنه تركها في آخر عمره على
ما ذكرنا قبل . وفي هذا الباب بين الناس تباين كثير جداً غير متطرق به .
٦ ولا بدّ أن نقول في ذلك قولاً مقرباً ليكون مثلاً
فنقول : إنه لما كان الناس مختلفين في أحوالهم ففهم غدىّ نعمة ومنهم
غدىّ بؤس ومنهم من تطالبه نفسه ببعض الشهوات مطالبةً أكثر كالمغرمين
٩ بالنساء أو بالخمر أو حبّ الرياسة ونحو ذلك من الأمور التي فيها بين الناس
تفاوت كثير صار الألم الذي يقع بهم من قبح شهواتهم مختلفاً اختلافاً كثيراً
بحسب اختلاف أحوالهم . فصار المولود من الملوك والناشئ في نعمهم لا تحمل
١٢ بشرته خشن الثياب ولا تقبل معدته بشع الطعام بالإضافة إلى ما يقنع به المولود
من العامة ، لكن يتألم من ذلك ألماً شديداً ، أو المعتادون أيضاً إصابة اللذة
من اللذات يتألمون عند المنع منها وتكون المؤونة عليهم متضاعفةً وأبلغ
١٥ وأشدّ ممّن لم يعتدّ تلك اللذة ، ومن أجل ذلك أنه لا يمكن أن يكون تكليفهم
كلهم تكليفاً سواءً بل مختلفاً بحسب اختلاف أحوالهم . فلا يكلف
المتفلسف من أولاد الملوك أن يلزم من الطعام والشراب وسائر أمور معاشه
١٨ ما يكلف أولاد العامة إلّا على تدرّج إن دعت ضرورة . لكن الحدّ الذي
لا يمكن أن يتجاوز هو أن يمتنعوا من الملاذ التي لا يمكن الوصول إليها إلّا

(١) من الترهيب خ — في لزوم خ — (٢) الطعام وششفه خ — (٣) لما أرجح
منها خ — (٥) كثيرة خ — لعل الصواب : غير متطرق إليه — (٨) يبغض خ —
(١١) والناس في خ — (١٣) إصابة للذة خ — (١٥) مما لم يعتاد خ — (١٧) المتفلسفون
خ — (١٨) ما يكلفه خ — (١٩) الملاذ الذي خ

بارتكاب الظلم والقتل وبالجملّة بجميع ما يُسخط الله ولا يجب في حكم العقل والعدل ، ويُباح لهم ما دون ذلك . فهذا هو الحدّ من فوق أعنى في إطلاق التّعميم .
 ٣ وأما الحدّ من أسفل أعنى في التّقشّف والتقلّل فإن يأكل الإنسان ما لا يضره ولا يمرض عليه ولا يتعدّى إلى ما يستلذه غاية الاستلذاذ ويشتهيّه فيكون القصد إليه للذة والشهوة لا لسدّ الجوع . ويلبس ما تحمله بشرته من غير أذى ولا يميل إلى الفاخر والمنقّش من اللباس ، ويسكن ما يقيه من الحرارة والبرد المفرطين ولا يتعدّى إلى المساكن الجليلة البهية المنقوشة المزخرفة إلّا أن يكون له من سعة المال ما يمكن أن يتّسع معه في مثل هذه الأمور من غير ظلم ولا تعدّي ولا إجهاد لنفسه في الاكتساب . ولذلك يفضل في هذا المعنى المولودون ٦
 من الآباء الفقراء والناشئون في الأحوال الرّثة لأنّ التقلّل والتّقشّف على أمثال هؤلاء أسهل كما كان التقلّل والتّقشّف على سقراط أسهل منهما على افلاطون . وما بين هذين الحدين فباح لا يخرج به مستعمله من اسم الفلسفة بل يجوز أن يسمّى بها ، وإن كان | الفضل في الميل إلى الحدّ الأسفل دون الأعلى وكانت النفوس الفاضلة وإن كانت مصاحبةً لأجسادٍ عُذيت في نعمة تأخذ أجسادها بالتدرّج إلى الحدّ الأسفل . فأما مجاوزة الحدّ الأسفل فخرج عن ١٠
 الفلسفة إلى مثل ما ذكرنا من أحوال الهند والمنانية والرهبان والنّسّاك ، وهو خروج عن السيرة العادلة وإسقاط الله تعالى بإيلام النفوس باطلاً واستحقاق

(٣) التّقشّف والفعال خ — مما لا خ — (٤) ولا يتعدّا إلا ما يستلذ عليه الاستلذال

خ — ويسكون خ — (٦) وليسكن بما يوقيه خ — (٧) والمنقوشة خ — (٩) ولذلك

يفسد في خ — (١٠) لأنّ الفعال خ — (١١) كان التعلل خ — أسهل منها على خ —

(١٢) وما بين : وساتين خ — (١٣) في المثل الى خ — (١٤) من نعمة خ —

(١٤-١٥) بأخذ أجسادها خ — (١٦) والثانية خ — (١٧) باطلاق استحقاق خ

للإخراج عن اسم الفلسفة . وكذلك الحال في مجاوزة الحد الأعلى ، نسأل الله
واهب العقل وفارج الغم وكاشف الهم توفيقنا وتسديدنا ومعوتنا على ما هو
الأرضى عنده والأزلف لنا لديه ٢

وجملة أقول : إنه لما كان البارئ عز وجل هو العالم الذي لا يجهل والعدل
الذي لا يحور وكان العلم والعدل والرحمة بإطلاق وكان لنا بارئاً ومالكا وكتّالاً
عبيداً مملوكين وكان أحبّ العبيد إلى مواليتهم آخذهم بسيرهم وأجراهم على سنتهم
كان أقرب عبيد الله جلّ وعزّ إليه أعلمهم وأعدلهم وأرحمهم وأرأفهم . وكل هذا
الكلام مراد قول الفلاسفة جميعاً « إن الفلسفة هي التشبه بالله عز وجل بقدر
ما في طاقة الإنسان » ، وهذه جملة السيرة الفلسفية . فأما تفصيلها فعلى ما في
« كتاب الطبّ الروحاني » ، فإننا قد ذكرنا هناك كيف تتنوع الأخلاق الرديئة
عن النفس وكَم مقدار ما ينبغي أن يُجرى عليه المتفلسف أمره في الاكتساب
والاقتناء والإنفاق وطلب مراتب الرياسة ١٢

وإذ قد بينّا ما أردنا بيانه في هذا الموضع فترجع ونبين < ما > عندنا ونذكر
الطاعنين علينا ونذكر أننا لم نسير بسيرة إلى يومنا هذا — بتوفيق الله ومعوته —
نستحقّ أن نخرج بها عن التسمية فيلسوفاً . وذلك أنّ المستحقّ لمحو اسم الفلسفة
عنه من قصر في جزءي الفلسفة جميعاً — أعني العلم والعمل — بجهل
ما للفيلسوف أن يعلمه أو سار بما ليس للفيلسوف أن يسير به . ونحن بحمد الله
ومنه وتوفيقه وإرشاده فبرآء من ذلك . أمّا في باب العلم فمن قبل أننا لو لم تكن
عندنا منه إلا القوة على تأليف مثل هذا الكتاب لكان ذلك مانعاً عن أن يُمحي
عنا اسم الفلسفة فضلاً عن مثل كتابنا « في البرهان » و« في العلم الإلهي » . ١٥ ١٨

و « في الطبّ الروحاني » وكتابتنا « في المدخل إلى العلم الطبيعي » الموسوم « بسمع
الكيان » ومقالتنا « في الزمان والمكان والمدة والدهر والخلاء » و « في شكل
العالم » و « سبب قيام الأرض في وسط الفلك » و « سبب تحرك الفلك على
استدارة » ومقالتنا « في التركيب » و « أن للجسم حركة من ذاته وأن الحركة
معلومة » ، وكتبتنا في النفس | وكتبتنا في الهوى ، وكتبتنا في الطب كالكتاب
« المنصوري » وكتابتنا « إلى من لا يحضره طبيب » ، وكتابتنا « في الأدوية
الموجودة » والموسوم « بالطبّ الملوكيّ » والكتاب الموسوم « بالجامع » الذي لم
يسبقني إليه أحد من أهل المملكة ولا احتذى فيه أحد بعد احتدائي وحذوي ،
وكتبتنا في صناعة الحكمة التي هي عند العامّ الكيمياء ، وبالجملة فقرابة ما تقي كتاب
ومقالة ورسالة خرجت عني إلى وقت عملي هذه المقالة في فنون الفلسفة من العلم
الطبيعيّ والإلهي . فأما الرياضيات فإني مُقرّ بأنّي إنما لاحظتها ملاحظةً بقدر ما لم
يكن لي منها بدّ ولم أفنِ زماناً في التمهّ بها بالقصد متى ذلك لا للعجز عنه . ومن
شاء أوضحت له عُدري في ذلك بأنّ الصواب في ذلك ما عملته لا ما يعمله
المُفَنّون لأعمارهم في الاشتغال بفضول الهندسة من الموسومين بالفلسفة . فإن
لم يكن مبلغني من العلم المبلغ الذي أستحقّ أن أسمى فيلسوفاً فمن هو ليت شعري
ذلك في دهرنا هذا

وأما الجزء العمليّ فإني بعون الله وتوفيقه لم أُنَعِدّ في سيرتي الحدين اللذين
حددت ، ولم يظهر من أفعالي ما استحققت أن يقال إنه ليست سيرتي سيرة
فلسفيّة . فإني لم أحبب السلطان حجة حامل السلاح ولا متولّي أعماله ، بل
صحبتة حجة متطبّب ومنادم يتصرّف بين أمرين : أمّا في وقت مرضه فعلاجه

(٤) وان للحس خ — (١٢) ولم افى خ — (١٣) ما عملته خ — (١٤) بفصول خ —

(١٧) لم ابعده خ — اللذين حدوت خ

وإصلاح أمر بدنه ، وأما في وقت صحّة بدنه فأيناسه والمشورة عليه — يعلم الله ذلك مني — بجميع ما رجوت به عائدة صلاح عليه وعلى رعيته . ولا ظهّر مني على شره في جمع مال وسرف فيه ولا على منازعات الناس ومخاصماتهم وظلمهم ، بل المعلوم مني ضدّ ذلك كلّه والتجاني عن كثير من حقوق . وأما حالتي في مطعمي ومشربي ولهوى فقد يعلم من يُكثر مشاهدة ذلك مني < أنّي لم أُنَعِدَّ > إلى طرف الإفراط ، وكذلك في سائر أحوالي ممّا يشاهده هذا من ملبس أو مركوب أو خادم أو جارية . فأما محبّتي للعلم وحرصى عليه واجتهادى فيه فمعلوم عند من صحبني وشاهد ذلك مني أنّ لم أزل منذ حدثتني وإلى وقتي هذا مُكَبِّاً عليه حتى إنني متى اتفق لي كتاب لم أقرأه أو رجل لم ألقّه لم ألتفت إلى شُغْلٍ بَتَّةً — ولو كان في ذلك على عظيم ضرر — دون أن آتي على الكتاب وأعرف ما عند الرجل . وإنه بلغ من صبري واجتهادى أنّي كتبت بمثل خطّ التعاويذ في عام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة ، وبقيت في عمل الجامع الكبير خمس عشرة سنة أعمله الليل والنهار حتى ضعف بصرى وحدث على فسخ في عضل يدي يمنعاني في وقتي هذا عن القراءة والكتابة ، وأنا على حالي لا أدعهما بمقدار جهدي وأستعين دائماً بمن يقرأ ويكتب لي

ظ ه فإن كان المقدار | الذي أنا عليه من هذه الامور عند هؤلاء القوم يحطّي عن رتبة الفلسفة في العمل وكان الغرض من حذو سيرة الفلسفة عندهم غير ما وصفنا فليثبتوه لنا مشاهدة أو مكاتبةً لتقبله منهم إن جاءوا بفضل علم ، أو زردّه عليهم إن أثبتنا فيه موضع خطأ أو نقص . وهب أنّي قد تساهلت عليهم وأقررت بالتقصير في الجزء العملي ، فما عسى أن يقولوا في الجزء العلوي ؟ فإن كانوا

(٣) وشرف فيه خ — (٤) في مطعمي خ — (٥) < أنّي لم أُنَعِدَّ > : راجع ص ١٠٧

س ٧ ، ص ١٠٩ س ١٧ — (٦) يشاهده هذه خ — (٩) شغل فيه خ — (١١) في علم

واحد خ — (١٧) العرض من حذى خ

استنقصوني فيه فليلقوا إليّ ما يقولونه في ذلك لننظر فيه ونذعن من بعد بحقهم
أورد عليهم غلطهم . فإن كانوا لا يستنقصونني في الجزء العلوي فأولى الأشياء
أن ينتفعوا بعلمي ولا يلتفتوا إلى سيرتي ليكونوا على مثل ما يقول الشاعر ٣

اعْمَلْ بِعِلْمِي فَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي
يَنْفَعَكَ عِلْمِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

فهذا ما أردنا أن نودع في هذه المقالة . ولو اهب العقل الحمد بلا نهاية كما هو ٦
أهله ومستحقه ، وصلى الله على المصطفين من عباده والخيرات من إمامه

نجز كتاب السيرة الفلسفية ، والله تعالى الحمود على كل حال دائماً ابداً سرمداً

مقالة فيما بعد الطبيعة

وردت هذه المقالة في مجموعة محفوظة في خزانة راغب باشا باستانبول تحت رقم ١٤٦٣ ورقة ٩٠ و ٩٨ ظ^(١) بعنوان « مقالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي فيما بعد الطبيعة ». وقد بقي بعض شك في نسبتها إلى الرازي إذ كانت غير مذكورة في فهرس مؤلفاته . ويظهر أن المقالة غير كاملة إذ أشار مؤلفها في خلالها إلى مواضع لا أجدها في المخطوط الذي بين يدي . مثال ذلك ما ورد في ص ١٢٠ س ١١ من القول « ونحن ننقضه (أى رأى أرسطوطاليس) في باب النفس وأقاويل الفلاسفة فيها » ، فان مثل هذا الباب لا يوجد الآن في المقالة . وكذلك ما ورد ص ١٢٤ س ٥ من الإشارة إلى ما مضى من قول الفلاسفة في هل الطبيعة فوق الفلك أو دونه ، وما ورد ص ١٢٨ س ٨ من القول « وقد أفسدنا قبل هذا الموضع أن يكون البارى جل وعز ذا فعل بعد أن لم يفعل » فان هذه البحوث غير موجودة في نسختنا . نتج من ذلك أن المقالة ناقصة الأول والآخر مما زاد في صعوبة فهم غرض المؤلف فيها .

وأيضاً فان أكثر المسائل التي يبحث المؤلف عنها تدور حول الطبيعيات وليس فيها إلا قليل مما يدخل فيما يعتبر علم ما بعد الطبيعة عادة . فلعل عنوان المقالة

(١) أتى الاستاذ H. Ritter في مجلة *Der Islam* ج ١٨ ص ٤٦ بوصف شامل لهذه المجموعة النفيسة المحررة سنة ٥٢٥ هـ والمحتوية على عدة رسائل فلسفية لأبي على مسكويه ولأبي الخير الحسن بن سوار البغدادي وغيرها

غير صحيح أو يكون الملتخص لم يورد منها إلا ما تعلق بالمسائل الطبيعية . وإني أميل إلى أن المقالة قطعة من كتاب آخر للرازي إما من كتابه « في سمع الكيان » (١) أو من كتابه « في الآراء الطبيعية » (٢)

ومشكلة أخرى أن المقالة لا توافق آراء الرازي كل الموافقة . فان مؤلفها يقول بتناهي الحركات وحدوث الزمان وحدوث الأجسام وتناهي العالم وحدته ويرد على من قال بقدمها وبعدم تنهاها . وهذا مما يعبر عن موقف الرازي في تلك المسائل كما تدل عليه عناوين بعض رسائله (٣) . إلا أننا لا نجد في المقالة ذكراً لمزايا فلسفة الرازي الطبيعية مثل تمييزه بين الزمان والمدة والدهر وقوله في المكان المطلق والمكان المضاف وقوله في الخلاء وفي الجزء وغيره . فان كانت المقالة للرازي فلعله قصد بها مناقضة المعارضين ومجادلتهم دون بسط آرائه الخاصة ، فكأن غرضه في تلك المقالة سلبي فحسب أي تمهيد لفلسفته الطبيعية التي نجدها في سائر كتبه . وإن شئت فقل لعل الرازي ألف هذه المقالة في غير الوقت الذي ألف فيه كتبه الهامة في الفلسفة الطبيعية (٤)

ومن الدلائل على صحة نسبة المقالة إلى الرازي ما ورد في ص ١٢٨ س ١٧ من ذكر تأليف لصاحب المقالة في مناقضة برقلس ، وقد ذكر أصحاب التراجم أن الرازي ألف كتاباً « في الشكوك على ابرقلس » (٥) . وكيف ما كان فقد رأينا من واجبتنا أن ننشر المقالة في كتابنا هذا إذ كانت أثراً نفيساً للفكر الفلسفي في انتهاء القرن الثالث للهجرة . وقد زاد في قيمتها ما ورد فيها من منتخب الآراء

(١) راجع رسالة البيروني في فهرست كتب الرازي رقم ٥٧ (ص ١١ س ٣)

(٢) فهرست ابن النديم ص ٣٠١ س ٢٢

(٣) راجع مثلاً كتابه « في أنه لا يمكن أن يكون العالم لم يزل على ما نشاهده عليه الآن » (البيروني رقم ١٤٢) وكتابه « فيما استدرك للقائلين بحدث الأجسام من الفضل على القائلين بقدمها » (نفس المرجع رقم ١٤٤)

(٤) هذا ما يميل إليه صديق S. Pines في كتابه *Beitraege zur islamischen*

Atomenlehre, Berlin 1936, p. 36, عند بحثه عن بعض مواضع مقالة الرازي

(٥) راجع رسالة البيروني رقم ١٢٦

الفلسفية لبعض القدماء مثل أرسطوطاليس (١) ويحيى النحوى وفلوطرخس (٢) وسالوقس (٣) وفلوطينس وفرفوربوسن (٤) وأنطيفن (٥) وغيره ولبعض الاسلاميين مثل أبى يوسف الكندى وثابت بن قرة وأبى هلال الحمصى المترجم (٦)

(١) ننبه القارى إلى رأى الغرب المنسوب إلى أرسطوطاليس (ص ١٢٠ س ١٠) من أن النفس مبثوثة في العالم وأنها تلهم الطبيعة بالحكمة . وهذا رأى إن كان صحيحاً فلهه مأخوذ من بعض ما ألفه أرسطوطاليس في شبابه حين كان تحت تأثير استاذه افلاطون ، والظاهر أن تلك التأليف كانت شائعة عند أصحاب المذهب الافلاطونى الحديث . راجع ما كتبه R. Walzer عن قطعة أخرى لأرسطوطاليس أوردها أبو يوسف الكندى في رسالة له في النفس (*Studi italiani di filologia classica*, XIV, 1937, 135-137)

(٢) ورد قول مطروودورس (*Metrodorus*) الذى رواه الرازى عن فلوطرخس (ص ١٣٣ س ١٤) في الفصل السادس من الباب الأول من كتاب الآراء الطبيعية (*De placitis philosophorum*) المنسوب الى فلوطرخس . راجع أيضاً H. Diels *Doxographi Graeci*, Berlin 1929, p. 292, 9-13

وأيضاً S. Pines, *Beitraege*, p. 93

(٣) هو Seleucus المعروف بقوله في لانهاية العالم ، راجع ما قاله S. Pines في مجلة *Revue des Etudes Juives*, 1938, p. 29

(٤) ضاع الاصل اليونانى لتفسير فرفوربوس لكتاب السماع الطبيعى الذى أشار اليه الرازى ص ١٢١ س ٦

(٥) هو Antiphon السوفسطائى ، أما قوله في الطبيعة فراجع مثلاً ما أورده يحيى النحوى في شرحه لكتاب السماع الطبيعى لأرسطو

Ioannis Philoponi in *Aristotelis Physicarum Libri*, p. 207, 21 Vitelli.

(٦) ذكره الرازى ص ١٢٤ س ١٠ والمعروف هلال بن أبى هلال الحمصى مترجم كتاب المخروطات لابولونيوس وقد ذكره ابن النديم (ص ٢٤٤ و ٤٦٧) وابن أبى اصبيحة (ج ١ ص ٢٠٤) وابن القفطى (ص ٤٥) . راجع ايضا M. Steinschneider *Die arabischen Uebersetzungen aus dem Griechischen*, في كتابه Leipzig 1897, § 102.

قال : زعم أرساطوطالس ومن فسر كتبه في المقالة الثانية من « السماع الطبيعي » أن الطبيعة لا تحتاج إلى دليل لظهورها واعتراف الناس بها وإقرارهم بوجودها . وزعم من شاهدنا من الفلاسفة أن الدليل على وجودها أفعالها وقواها المنبئة في العالم الموجبة للأفعال ، كذهاب النار والهواء من المركز وذهاب الماء والأرض إليه ، فيعلم أنه لولا قوى فيها أوجبت تلك الحركات وكانت مبدأ لها < > توجد فيها . وكذلك قالوا فيما يوجد في النبات والحيوان من قوة الغذاء وقوة النمو

١ فأما قولهم انهم لم يدّلوا على وجود الطبيعة لإقرار الناس بها ، فالشيء لا يصح لإقرار الناس به كما لا يفسد لاختلافهم فيه . ولو كان حقاً لإقرار من أقرب به لكان فاسداً باطلاً لا متناع من امتنع منه ، فيكون الشيء فاسداً صحيحاً في حال وابطالاً حقاً في حال وهذا محال . ويقال لهم لم زعمتم أن الطبيعة لا تحتاج إلى دليل وقد خالفكم في وجودها قوم من الفلاسفة القدماء ، وما رأيتم إن قال خصمواكم انهم لا يحتاجون على قولهم انه لا طبيعة إلى دليل ؟ وإنما لا تحتاج إلى دليل الأشياء المشاهدة وأوائل البرهان العقلية ، وليس الطبيعة بمحسوسة ولا العلم بها أول في العقل

وأما استدلالهم بالقوى التي ادّعوا فيها فيقال لهم ما أنكرتم أن يكون الله جلّ وعزّ هو الموجب بذاته لقوى سائر الأفعال ولطبايع الأشياء ؟ وإن لم

(٧) سقطت بعض كلمات قبل « توجد » والمعنى يقتضى : « > لما كانت تلك الحركات <

توجد فيها » أو « > لم تكن < توجد فيها » — من النبات خ — (١٣) ولرايم خ —

(١٤) ٢٤ : أضيف على الهامش — (١٨) وبطبايع خ

نَقْلُ بنسق قولكم في الطبيعة فتكون له لا لها . ويقال لهم إن كانت حركة الأشياء وسكونها بطبيعة واحدة كحركة الحجر وسكونه ونمو الإنسان ووقوفه فقد صارت الطبيعة الواحدة توجب شيئين متضادين وهذا محال . وإن قالوا ٣
 أن تحرك الأشياء بقوة أخرى ، قيل فيجب أن تكون هذه الحركة قد بطلت من الساكن ، وإذا جاز أن تبطل جاز أن تبطل أيضاً قوة السكون وجاز أن تبطل الطبيعة من الأشياء . وإذا جاز أن يتحرك الحجر | ويسكن بقوتين ٩٠ ظ
 فما أنكبرتم أن تبرد النار وتسخن بقوتين تردان عليها ؟ . فإن قالوا أن قوة في الأرض بها تحركت نحو المركز لم تكن أولى بذلك من النار ، قيل لهم فانفصلوا ممن زعم أنه لولا أن قوة في جرم الأرض بها قبلت القوة التي فيها ١
 جاز أن تحلها القوة الزاهية بالنار عن المركز

وقد أدخل يحيى النحوي على نفسه في حد الطبيعة إدخالاً وأجاب عنها جواباً فاسداً وهو أنه لما زعم أن الطبيعة ابتداء حركة والفلك متحرك وليس ١٢
 بساكن فزعم أن جملة الفلك ساكنة لأنه لا يتغير عن حركته وأنه لا يتنقل عن جملة موضعه . يقال له فقد صار الفلك متحركاً ساكناً وهذا محال ،
 فإن لم يكن هذا محالاً لم يكن قول القائل إن جسمًا واحدًا أسود أبيض في حال ١٥
 محالاً . ويقال له إذا كانت أجزاء الفلك كلها دائمة الحركة والكل ليس غير الأجزاء فالفلك متحرك غير ساكن . وكذلك السؤال عليه في قوله أن الأجرام السماوية في نهاياتها فلذلك هي ساكنة ، وليس في عودتها إلى نهاياتها مع دوام ١٨
 حركاتها ما يدل على سكونها ، ولو كانت واقفة في نهاياتها لجاز هذا القول فأما زعمهم أن الطبيعة جوهر إلا أنها غير قائمة بنفسها ، فيقال لهم ٢١
 لِمَ لا زعمتم أن الأعراض جواهر وهي لا تقوم بأنفسها ؟

فأما قول يحيى النحويّ أنّ الطبيعة قوة تنفذ في الأجسام وتدبرّها ،
فيقال له هل تخلو الطبيعة إذا كانت جوهرًا من أن تكون تنفذ في كل الجسم
٣ فيشيع جوهره في كل الجسم ؟ وإذا جاز هذا فما تنكر من كون جسمين في
حال ؟ فإن قال ليست في كله ، أبطل قوله ووجب أن بعض الجسم لا طبيعة فيه .

وهذا خلاف قولهم

٦ ومما يسئلون عنه أن يقال لهم : إنا وجدناكم تصفون الطبيعة بما تصفون
به الحيّ المختار العالم الحكيم فتقولون أنها لا تفعل إلّا حكمةً وصواباً وانها تقصد
غرضاً وتفعل شيئاً لشيء يكون ، كفعلها للجنين العين للنظر واليد للبطش
والأضراس للطحن وانها تضع جميع الأشياء مواضعها وترتبها | على ما يجب
أن ترتبها عليه وانها تصوّر الجنين في الرحم وتدبره ألطف تدبير حتى يكمل ثم
تدبر الإنسان وتجلب له الصحة وتنفي عنه الأسقام حتى قال بقراط « الأطباء
١٢ أطباء الأمراض » . ثم زعمتم مع ذلك أنها موات غير حيّة ولا حساسة ولا قادرة

ولا مختارة ولا عالمة . وهذه مناقضة بيّنة وإحالة ظاهرة لأنّ ما وصفتموها به لا
يكون إلّا من الحيّ المختار . ولو أنّ قائلًا قال آخذُ حجراً فقال هذا الحجر ليس
١٥ بحساس ولا متحرك من نفسه ولا يجوز منه تعقل ولا تعلم ولا قدرة ولا إرادة
وهو مع ذلك حيّ ، لعلنا أنه قد ناقض في قوله ووصف الشيء بغير صفته . فكذلك

حكمكم في وصفكم الطبيعة بما وصفتموها به ممّا لا يكون إلّا للحيّ المختار ، ثم
١٨ زعمتم أنها موات غير مختارة . ويقال لهم إذا جاز أن تفعل الطبيعة ما
وصفتم ويكون عنها ما ذكرتم وهي موات فلم لا يجوز أن تختارها وتقصدها مع
العلم بها وتريدها وهي موات ؟ . ويقال لهم كيف يكون الموات حكيمًا
٢١ ولا يكون مميزًا وناطقًا وحسّاسًا ، وكيف يأتي الترتيب والنظر من غير المميز الحيّ ؟

- ويقال لهم أخبرونا عن الغضب والرضى والكره والإرادة والحب والبغض هل تقولون انها من أفعال النفس ؟ فإن قالوا لا وجعلوها للطبيعة فقد أبطلوا أفعال النفس وجعلوا الطبيعة علّة الأفعال التي لا تقع إلا من الحي^٣ المختار كما جعلوها علّة ما يقع عليه الطبع . وإن قالوا نعم قيل لهم وكذلك ما وصفتم من الأفعال لا يجوز أن يكون للطبيعة
- ويقال لهم ما أنكرتم من أن تكون الأعراض تفعل حكمةً وصواباً^٦ وتكون قاصدة لغرض ؟ فإن مضوا على ذلك ازدادوا تجاهلاً ، وإن امتنعوا منه قيل لهم لأىّ علة امتنعتم من ذلك فإننا نجد مثلها في المؤلف لا يفعل ذلك
- ويقال لهم أيجوز أن يكون بناء دار وتأليف مدينة بطبيعة لا من حي^٩ قادر ؟ فإن قالوا لا قيل لهم وكذلك تركيب بدن الإنسان | لا يكون إلا من ٩١ ظ حيّ قادر . ويقال لهم ما أنكرتم من أن يكون تركيب الإنسان للنفس المنطقية دون الطبيعة وتكون القوى المنمية والمغذية لها دون الطبيعة ؟ ونعكس قولكم^{١٢} فنعطى النفس ما للطبيعة كما أعطيت الطبيعة ما للنفس المنطقية
- ويقال لهم إن أكثركم أنكر علينا أن الله جلّ وتعالى ركّب الإنسان والله حيّ قادر — لأنهم زعموا لم يشاهدوا ولا عقلوا حيّاً ركّب حيواناً — وزعمتم^{١٥} أتم أن الذى ركّبه موات عاجز
- ويقال ما أنكرتم من أن تختزع الطبيعة الأجسام ؟ فإن قالوا اختراع الأجسام غير معقول ، قيل لهم فأنفصلوا ممن زعم أن تركيب شئ من الأجسام^{١٨} لهذا الإنسان غير معقول فقد قال بذلك جماعة ممن جحد الباري جلّ وعزّ والطبيعة التي تزعمون

(٤) ما يقع علمه بالطبع خ — (١٢-١٣) ونعكس قولهم فنعطى للنفس خ

- فإن قالوا فما وجدناه في المؤلف والحيوان من المنافع التي ما تخيلناها ولا عرفنا شيئاً منها يدل على أن الطبيعة فعلت ذلك ، قيل لهم وما تنكرون من أن يكون الباري فعل ذلك ؟ على أنكم قد وصفتم الطبيعة بكثير من وصف الباري ، لأنكم زعمتم أنها جوهر لم يزل ليس بجسم وأنها لا تستحيل ولا تتغير ولا يلحقها كون ولا فساد وأنها تدبر الكل وأن أفعالها حكمة وصواب . وإنما خالفتم بينها وبينه بتصويركم إياها في الأشياء المطبوعة غير مفردة ولا قائمة بنفسها ٦
- ويقال لهم قد وجدنا الإنسان الشخصي عندكم يفسد ، فمن المحال أن لا تفسد الطبيعة التي فيه والاسطقسات > التي < عنها يكون الجسد ، والفلك كذلك وسندل على أنه يكون ويفسد في غير هذا الموضع ٩
- وأما قول أرسطوطالس أن الطبيعة ألهمت بالحكمة من قبل النفس وهي مبثوثة في العالم فإنه كلام خرافي ، ونحن نقضه في باب النفس وأقاول | الفلاسفة ٩٢ و
- فيها . ومن زعم أن في الموات نفساً فقد جحد الضرورة ١٢
- ويقال لجالينوس إنك وصفت الطبيعة بوصفين متضادين فقلت وإنما فعلت الطبيعة ذلك — يعني الأسنان والفم — تعمداً ، ثم قلت أن الحركة الإرادية > من < أعمال النفس ، والعمد لا يكون إلا للنفس كما أن الإرادة لا تكون إلا للنفس . وقلت أن الطبيعة تدبر الحيوان ، وهذا معكوس وإنما الحي هو الذي يدبر الطبيعة فيحمي مرةً ويأخذ ما يراه من الأدوية مرةً . ولوجاز أن يدبر الموات الحي لجاز أن يأمره وينهاه ١٨
- وأما زعم الاسكندر أن أفعال الطبيعة فوق الأفعال التي تكون بالصناعات ، فيقال له وكيف تكون الأفعال العجيبة العالية الشأن للموات العاجز وتكون الأفعال التي هي دونها للحي القادر المختار ؟ ٢١

وناقض فرفور يوس في قوله ان الطبيعة تفعل بغير عقل ولا فكر ولا
إرادة وليس تفعل بالاتفاق وقد تفعل شيئاً من أجل شيء ، لأن هذا لا يكون
إلا من العاقل المميز المرید

٣

ولم أر أحداً منهم أطلق عليها لفظ الاختيار إلا ما حكاه يحيى النحوى عن
فلوطيس . فإن كان هذا قد جعلها مختارة وهى موات فقد بلغ الغاية فى المناقضة
وقد استدلت فرفور يوس وغيره فى المقالة الثانية من «سمع الكيان» على أن

٦

الطبيعة إنما تفعل ما تفعل لغرض ومن أجل شيء من الأشياء . فإن قال ان
الطبيعة أجل < من > المهنة وأعظم قدراً كما أن الإنسان الحى الذى هو طبعى

١

أجل قدراً من الإنسان المصور ، قال واذا كان ذلك كذلك وكان صاحب المهنة
يفعل ما يفعل من أجل شيء ما فكذا الطبيعة إنما تفعل ما تفعل من أجل شيء

ما لا تجىء بالحبط والاتفاق ، فيقال له أليس صاحب المهنة إنما يفعل من أجل
شيء ما وهو حى قادر مرید مُفكر عالم لما فى الشيء الذى يقصده ويفعل من أجله

١٣

من المنفعة ؟ فلا بد من نعم ، يُقال له أفكذلك الطبيعة ؟ فإن قال نعم نقض قوله ،

وإن قال لا | فقد خالف موضوعه مثله . وقيل له ما تنكر من أن تكون المهنة يفعل
٩٢ ظ

١٥

ما يفعل بها لغرض ما ومن أجل شيء ما ولا تكون الطبيعة كذلك ؟

ويقال لهم إن المهنة عندنا لا تفعل شيئاً ولكن ذا المهنة هو الذى يفعل

لأن الفاعل هو النجار والبناء لا البناء والنجارة ، والنجار والبناء حيّان وهما

١٨

أعلى من الطبيعة الموات . وإذا كان الإنسان الحى هو الفاعل فهو الطبعى

عندكم فكأنكم قسمتم الشيء على نفسه

واحتجوا أيضاً ببناء الخُطاف لوكره والزناير لبيوتها وبآثار الحكمة فى ذلك

٢١

وأنها فعلت ذلك لغرض ما وأن فعلها ذلك بالطبع . فيقال لهم إنكم تخالفون

- في ذلك لأن فعل هذا الحيوان ليس هو بالطبع لأن الحي لا يفعل بالطبع ، وإنما المطبوعات كالنار وما جرى مجراها ، فكيف يكون أمثال هذه بالطبع ولها أفعال مختلفة كالطيران إذا احتاجت إليه والسكون إذا تعنت واستغنت عن الطيران ٣ واختيارها كل شيء مما يغذيها دون غيره وتخيرها لأوكارها المواضع العالية الكينية . ولكن الحيوان وإن كان غير مطبوع فله اختياراً ما وتميز وإن لم يكن له كل التميز ولا يبلغ منزلة العقلاء بعد . فهذه حية فأجعل الطبيعة حية وإلا فقد خالفت حكم ما استشهدت به ، فأرنا في الطبيعة وقصدها مثلاً من الأشياء الموات كحرارة النار وهوى الحجر وإلا فدع التلبس . فإن قالوا إن الطبيعة تدبر تدبيراً طبيعياً وتقصد وتفعل قصداً وفعلاً طبيعياً ، قيل لهم انفصلوا ممن زعم أنها تختار اختياراً طبيعياً وتؤثر شيئاً على شيء إشاراً طبيعياً وأن النار تحرق إحراقاً اختيارياً . وهذا يتم وليس يجوز أن يفعل ويقصد ويريد ويؤثر ٦ إلا المختار الحي ، والمطبوع الموات لا يوصف بذلك ١٢
- وأما زعم من زعم أن الطبيعة لا تفعل ولا تقصد وأنها ابتداء حركة ، فيقال له ما تريد بابتداء حركة وسكون ؟ أتريد | أنها إذا كانت حدثت الحركة ٩٣ والسكون والنمو والغذاء وترتبت الأشياء ووضعها مواضعها ووضع شيء لشيء بها ١٥ ومن أجلها ؟ فقد وافقت القوم في المعنى وخالفهم في الاسم . وإن أردت أن ما يحدث ليس بها ومن أجلها تركت القول بالطبيعة
- وأما ما حكي عن أنطيفن أن العنصر وحده هو الطبيعة فإن الكلام عليه ١٨ في فعله كالقوام على من أثبت الطبيعة ، لأنه موات تحدث فيه ومنه الأشياء لا بمحدث حي ولا بفاعل حكمة

- واستدلّ مَنْ زعم أنّ الطبيعة غير حكيمة ورام بذلك إبطالها وأنها تفعل
 لا بقصدٍ ولا ترتيب بأنها موات وبما نشاهد من العاهات في أبدان الحيوان
 ومن نقصان أعضائهم وحواسهم ، ومن قرون الأيايل الطوال التي تضرب بها ٣
 وربما نطحتها في أغصان الشجر حتى تُصاد وتتلف ، وما يحدث من طول
 مناقير بعض الجوارح حتى تمنعها من تناول ما تغتذى < به > ، وما في الإنسان
 من الشديين اللذين لا ينتفع بهما ، ومن مجيء المطر في غير إبطائه ومجيء البرد ٦
 والحرّ في غير أوقاتها حتى يُفسدان الشجر وسائر النبات . وهذا داخل على
 الصنف الذين أثبتوا الحكمة للطبيعة . وقد زعم بعضهم أنّ ذلك لغلطٍ يعرض
 للطبيعة واعتذروا لذلك بأن قال يحيى النحوى في المقالة الثانية من « تفسيره لسمع ٩
 السكيان » أنّ هذه الأمور طبيعية وليست بخارجة عن الطبيعة ، لأنّ الذي
 أوجبه الطبيعة الكلية التي أوجبت الكون والفساد بحركات السكواكب
 وتغيير العناصر ممّا توجه به بنية العالم . ولم تغلط الطبيعة الشخصية التي هي لكل ١٢
 واحد من هذه الأنواع ، وإنما منزلتها منزلة الصانع الذي إذا فسدت عليه الأشياء
 التي يعملها فصنعها على أحكم ما يمكنه ووقع فيها فساد لم يُنسب إلى غير الحكمة ،
 كالخشبة ذات العقد والفساد الذي لا يمكن النجار الحاذق من صنعها كريئاً ١٥
 جيداً وسريراً مستويّاً . قلنا فلن يخلو ذلك من أن يكون بغلط من الطبيعة
 الكلية | أو ليس بغلط . فإن كان بالغلط منها فقد صارت الطبيعة الكلية ٩٣ ظ
 تغلط وتفعل الفساد لعلّة من العلل وهذا خلاف قولهم . وإن جاز أن تغلط ١٨
 الطبيعة الكلية جاز أن تغلط الطبيعة الشخصية ويؤول الأمر إلى ما قال هؤلاء .
 وقال بعضهم إنّما حدث شيء في الهيولى يعوق الطبيعة عن تصويره على ما تُحبّ ،
 فيقال لهم إنّما زدتمونا دعوى أكّدتكم بها دعوى ٢١

(٤) وربما محنتها خ — (٧) أوقاته خ — (١٠-١١) الذي أوجبتها خ — (٢٠) في ،
 كذا فوق السطر وفي النص : من

ويقال لمن زعم أن الطبيعة تفعل بغير قصد فكيف زعمتم أن تركيب الإنسان من فعلها ، وكيف يقع مثل هذا من غير قصد ؟ بل يجب على حسب ٣ ما أعتلتم به أن تكون الطبيعة تُخطئ وتصيب وقد سألنا الجميع في الطبيعة بما فيه كفاية . فأما ما حكينا عنهم في الطبيعة وقول بعضهم انها فوق الفلك وقول الآخر انها دونه فهو خلاف فيما بينهم ، وقد ٦ بينا في قوليهما حجتيهما

ويقال إن الجنين يتصور — زعمتم — بطبيعته ، وطبيعته هي صورته التي بها يتسكون وينمى . فإذا كانت طبيعته هي التي تصوّره فقد صار المصور هو المصور . ولو جاز ذلك جاز أن يكون المؤلف هو المؤلف ٩ وقد كان أبو هلال الحمصى المترجم لكتب اليونانيين زعم أن هذا العرض إنما هو في الرحم ولكنه يخرج من الرحم فيدخل النطفة ويصوّرها كما تخرج ١٢ من حجر المغناطيس قوة تجذب الحديد . وإنما قال ذلك هرباً من أن يقول إن المصور هو المصور . قيل أفليس حجر المغناطيس قد يفعل ذلك عندكم وبينه وبين الحديد فرجة وحاجز ؟ فلا بد من نعم . يقال له فكذلك يجوز ١٥ أن يكون الرحم والنطفة ؟ فإن قالوا نعم تركوا قولهم ، وإن قالوا لا خالفوا بين موضوعهم ومثله . ويقال إن تصور الفرخ في البيضة بمنزلة تصور الإنسان في الرحم ، فأى قوة داخلت البيضة ؟ ويقال له كيف تخرج من الرحم أو من ١٨ البيضة قوة فيكون عنها أشياء مختلفة كالسمع والبصر وغيرهما وجوهر الرحم جوهر واحد ؟ ويقال له لِمَ لا تقول ان قوة تخرج من الأم دون الرحم ومن الهواء ومن الزمان أو من غير ذلك ؟

و ٩٤

وأما من زعم من أهل الدهر أن في المنى قوة تصوّر الجنين إماماً منه وإما من دم الطمث فإنهم استدلوا على صحة ذلك بأن المنى إذا لم يكن في الرحم لم يكن جنيناً ، فيقال لهم ولو كان يكون المنى يكون الجنين فقد يكون في الرحم ٣ وتم له الشهور ولا تجد المرأة علة ولا يكون الجنين ، فلسنا نرى وجود المنى إلا بمنزلة عدمه . ويقال لهم ما يُدريككم لعل في الرحم قوة تصوّر الجنين في المنى ؟ وهذه ظنون الاستدلالات ٦

وأما زعم من زعم منهم أن في الرحم قالباً يتصور فيه الجنين فإنهم قالوا : لا بدّ للبصوّر من مصوّر يلامسه يعاينه أو تقذف النطفة في قالب تتصور فيه ، فليما لم يكن في الرحم من يعانى ويلامس ولا يتهيأ ذلك لو أراد مريد في ظلمة الرحم ٩ وامتناع < > التي هي النطفة ثبت أن النطفة تُقذف في قالب . فيقال لهم فهل شاهدتم طينة تقذف في قالب فتأتى بعد قذفها مدة طويلة ؟ فإن قالوا نعم أ كذبهم الوجود ، وإن قالوا لا قيل لهم فما أنكرتم من أن تكونوا لم تشاهدوا مصوراً إلا بمؤاناة ، وقد يجوز أن يصوّر مصوّر لا بمؤاناة . ويقال لهم نرى النطفة جوهرأ متشابه الأجزاء وحكم المتشابه الأجزاء كالذهب والفضة والنحاس إذا صب في قالب < > اختلفت صورتها لأن جوهرها وجوهر ١٥ الإنسان مختلف ففيه عظم ومخّ رطب وعين درآكة وجلد يمنع من الإدراك . ويقال لهم وكيف ذهبت العين إلى موقعها دون أن تنزل عن موضعها ويكون في مكانها بعض جسد الإنسان ؟ وكذلك السؤال عليهم في سائر الأعضاء المرتبة ١٨ في موضعها . ويقال لهم اعملوا على أن في الرحم قالباً فيه يتصور الجنين ، فهل

(٨) لا بد للبصوّر خ — بلامسته ومعناه أو تقذف الطبيعة خ — (١٥) لعل الصواب : في

قالب > أن لا تختلف صورته وأما النطفة فقد < اختلفت — (١٥-١٦) وجوهر الانسان خ

٣ في البيضة قالب يتصور فيه الفرخ ؟ فإن قالوا نعم أكذبهم الوجود ، وإن قالوا لا فكيف يتصور ؟ ويقال في تصور النبات والشجر مثل ذلك . ويسألون عن الحيوان الموجود في الأرض من الحشرة ما السبب في تصورها ؟

٩٤ ظ وبعد فإن جالينوس قد عني بأمر التشريح و < كان > يدعى فيه دعاوى |
ولكان مؤكداً للقول بالدهر . ويقال لهم هبنا لا يمكننا تشريح أرحام النساء ،
٦ قد نشاهد أرحام الغنم وأجوافها فلسنا نرى من ذلك شيئاً وكيف تصورت
الأجنة فيها

فأما ما حكاه جالينوس عن بقراط من أن مقام المنى مقام الفاعل والمفعول
١ وقول أرسطوطالس انه يعطى الدم منه الحركة ويستحيل وقول جالينوس انه
يكون من المنى ، فما رأيته في « كتاب المنى » حكى عن بقراط ولا عن نفسه فيه
حجة بل ادعى وتحكم وهذى وخرف ، وأكثر ما رأيته قال في ذلك ان المنى
١٢ إذا خرج من الرحم لم يكن الجنين وان المنى جوهر مبنى ملتمم الأجزاء يصلح
للتمدد . وهذه دعوى ادعاها وقد خالفه فيها أرسطوطاليس . والذي نجده أن المنى
قد يكون في الرحم فلا يتكون منه ولا بحركته جنين . وفي ذلك إكذاب قولهم
١٥ انه عنه أو منه كان الجنين . وأما صلاحه للتمدد فما هو إلا بمنزلة البصاق
والمخاط والدم في ذلك وليس في هذا دلالة . وأما ما قاله بعد ذلك من أن
العروق تمدد بالدم والشرينات بالروح ، فيقال له ما الدليل على ما ادعيته في
الظلمات التي لا تقع عليها المشاهدات ؟ ١٨

وأما قوله ان الجنين بمنزلة النبات فإنه أراد أن يقربه عند نفسه مما يدعيه
بعض الناس أن النبات من الطبيعة ، فالدلالة على أن الجنين والنبات جميعاً ليسا

(٣) من الحشرة خ — (١١) وحرف خ — (١٢) ملتمم خ — (١٩) عند نفسه بما خ —

(٢٠) على الجنين خ ، واضيف « أن » على الهامش

من الطبيعة دلالة واحدة . وشئ آخر وهو أن النبات لا يفارق بطبعه عندهم
الموضع الذى نشأ فيه حتى يقطعه قاطع أو يقلعه قالع ، والجنين ليس كذلك لأنه
يفارق موضعه من غير مزعج أزعه . ووجه آخر وهو أن النبات منذ يكون
إلى أن يفسد لا بد له من مكان متصل به وكائن فيه ومستقى منه ولا يجوز أن
يكون كاملاً قائماً إلا كما وصفنا ، والحيوان أجمعه يكون تام الصورة كامل المعنى
وإن فارق الرحم التى كان فيها . وأكثر النبات | إذا قطعت رؤوسه نى وكمل
ومنه ما تقطع أغصانه وأطرافه فينفعه ذلك ولا يضر به ، وليس كذلك الإنسان .
فإن كان الإنسان نباتاً لأن فيه حالاً تشبه النبات فمحال أن يكون غيره لأن فيه
خِلالاً كثيرة لا تشبه النبات

١

فأما ما حكاه جالينوس عن أنباز قلس من أن أجزاء الإنسان منقسمة فى منى
الذكر والأثني فلا فصل بين هذا القول وبين من قال أن أجزاء الولد من أحدهما
أو منهما منبثة فى رحم المرأة وإن منى الرجل يجمعها وانها منقسمة فى الأغذية
أو الهواء ، وهذه كلها دعاوى لا برهان عليها . وأما من زعم أنه يخرج من أعضاء
الإنسان أجزاء لطيفة فيها من جنس كل عضو من أعضاء بدن الإنسان فيقال لهم
لو كان هذا على ما يزعم هؤلاء لوجب أن يكون ولد الأعمى أعمى وولد الأعور
أعور وولد المقطوع اليد لا يد له وليس الأمر كذلك

١٥

واستدل من زعم أن لا نهاية لأجسام العالم من أقطاره بأن قالوا إننا لم نشاهد
جسماً إلا وبعده ذراع من أى ناحية قصدنا إليه . فيقال لهم أخبرونا عن السودان
الذين ينشأون فى بلادهم هل يجب عليهم أن يقضوا أن لا إنسان إلا أسود؟ فإن قالوا

١٨

(٢) الذى بثر فيه خ — (٢-٣) كذلك لا يفارق خ — (٤) ومعتفى منه خ — (٩) خلال

خ — (١١) فلا يفصل بين خ — أجزاء الولد فى منى احدهما او منهما خ —

(١٢) يجمعها خ — (١٣) دعاوى — (١٨) اليها خ

نعم أبطلوا ما نشأهه ، وإن قالوا لا أبطلوا استدلالهم . ويقال لهم هل يجب
على من نشأ في القرية أن يحكم أنه لا برّ إلاّ ومن ورائه برّ ؟ ويلزمهم نظير ما ألزمناهم
واستدلّ أرسطوطالس < على > أنه لا نهاية لحركات العالم بأدلة أحدها أنه قدّم

فيه أنّ العالم قديم ، وهو قوله إنّ الحركة إنّ كانت مبتدئة في زمان فقد بقي الجسم
زماناً لا نهاية له غير متحرك ثم تحرك ، وإذا كان له محرك قديم حركة فقد استحال أو
استحال الجسم الذي حركة ، وأيهما استحال فقد كانت حركة قبل أن تكون حركة .

ولو أعطينا أنّ الجسم لم يزل لوجب أن يكون لم يزل يتحرك ويسكن ولكن
هذا مما نمنعه إيّاه . وقولنا إنّ الجسم والحركة جميعاً حادثان ، وقد أفسدنا قبل هذا |

الموضع أن يكون الباري جلّ وعزّ ذا فعل بعد أن لم يفعل فقد استحال . وهذا
الدليل الذي ذكره في « سمع الكيان » في المقالة الثامنة منه

واستدلّ أيضاً على أنّ الحركة لم تزل بأن الزمان عدد حركة الفلك أو حادث
عنها ، ولو حدث الزمان لكان قبل حدوثه زمان لأنه لا بدّ لمن أثبت حدوثه

من أن يقول كان بعد أن لم يكن ، والقبل والبعد وكان بعد أن لم يكن أدلة على
الزمان . فإذا قال قائل كان الزمان بعد أن لم يكن فقد أثبت زماناً قبل حدوثه ،

وإذا ثبت أنّ الزمان قديم والحركة قديمة . وهذا دليل استدلال به في مقالة اللام
من « كتاب ما بعد الطبيعة » . وهذا شبيه بدليل قد استدللّ به برقلس ، وقد

قلنا في مناقضته فيه بما نكتفى به

غير أننا نقول أيضاً إنّنا نجيب بغير ما قدرته جواباً ونقول إنّ الزمان متناهٍ ،
وقول من قال انه لا أول له محالّ وهذا إنّما هو تعلق بالشغب في الألفاظ .

وقد نقول يوم السبت قبل يوم الأحد ، فإن قالوا إنّ بينهما آناً قيل لهم أوليس

(٤) مبتدئة خ — (٨) جميعا حادثين خ — (٩) وعز اذا فعل خ — (١٢) اثبت حدثه

خ — (٢٠) بينهما آن خ

يوم السبت قبل الآن الذى بينه وبين الزمان ؟ فلا بد من نعم . يقال لهم فعلى قياس ما استدل به أرسطوطالس يجب أن يكون زمانان معاً فى حال . ويقال لهم أليس أجزاء الزمان تحدث وتبطل ؟ فلا بد على قوله من نعم وإلا كان يوم السبت لم يزل فيجب أن يكون لا يزال . يقال له أحدثه وبطلانه فى زمان ؟ فإن قال لا وهو قوله ، قيل له فقد صار الزمان يحدث ويبطل لا فى زمان ، وهذا نقض قولك . ويقال له إذا زعمت أن الزمان إن كان حادثاً فلا بد من أن يكون قبل < حدوثه زمان > فبأى شئ تنفصل بمن زعم أن المكان إن كان موجوداً فى العالم فلا بد من أن يكون فى مكان ، فيبطل هذا القائل المكان أو يكون كل مكان فى مكان لا إلى نهاية ؟

ومما يستدل به أيضاً على قدم الحركة بأن زعم أن حركة الفلك دورية ، وإذا كانت دورية فلا ابتداء لها ولا انتهاء . وقد نقضنا هذا فيما أتى به ابرقلس وأذكر ما به هنا

وقد زعم ثابت بن قرّة أن حركة الفلك حركة | واحدة لم تزل ولا تزال وأنها إنما تكون حركات على قدر ما تنوهمه ونعلمه فيها . وإنما قال هذا هرباً من أن يلزمها العدد فيكون إما زوجاً وإما فرداً ويلزمه فيها مسائل توجب التناهي ، فزعم أنها تحدث دائماً وسمّاها حركة تجرى — قال — لأنها حركة دائمة ، وكيف تكون حركات وليس يفصلها سكون ؟ يقال فيجب أن تكون حركته فى زمان أرسطوطالس هى حركته فى زماننا هذا ، ولوجاز هذا لجاز أن يكون زمان أرسطوطالس هو زماننا وهذا تجهل . بل يجب أن تكون موجودة معدومة ، لأن ما مضى منها فليس هو الساعة وما منها الساعة الفلك متحرك به فوجود ،

(١) لعل الصواب : وبين الأحد — (١٧) فقال فيجب خ — (١٨) هى حركته :

مكرر فى خ — (٢٠) به موجود خ

فهي موجودة معدومة وباقية مستأنفة إذ كان منها ما قد مضى ومنها ما يستأنف .
ويقال له لِمَ زعمت أن حركة الفلك حركة واحدة ؟ فإن قال لأنه لا سكون بينها
وكل حركة لا يفصلها سكون فهي واحدة ، قيل له أليس هي واحدة وإن منها ٣
ما قد مضى ومنها ما لم يمض ؟ فلا بد من نعم . يقال له فما تنكر من أن تكون
حركة واحدة وإن فصلها سكون ؟ فإن قال إن قولك ماض وأتى ومضى ولم
يمض إنما هو على حسب ما تتوهمه ، قلنا لم نسأل عن توهمنا وإنما سألنا عن ٦
الحركة وحكمها في أنها واقفة وماضية ومستأنفة لا عن غير ذلك . ويقال
لهم أفرايتم إن توهمنا في حركة الفلك سكوناً تكون حركتين ؟ فإن قالوا نعم قيل
لهم وكذلك لو توهمناها جسمًا لكانت جسمًا ؟ فإن قالوا لا قلنا ولا يجب إذا ٩
توهمناها ماضية أن تكون ماضية وإذا توهمناها مستأنفة أن تكون مستأنفة ،
فأجيبوا عنها في نفسها واتركوا التعلق بالتوهم . فإننا لم نسأل عنه ولا فرج لكم
فيه . ويقال له أخبرنا عما لو توهمنا الجوهر غير قائم بنفسه والعرض قائماً ١٣
بنفسه والفلك مربعاً أو مثلثاً أو من الطبائع الأربع أو كائناً فاسداً كان يجب أن
يكون ما توهمناه على ما توهمناه ؟ فإن قالوا نعم تركوا قولهم ، وإن قالوا لا قلنا
وكذلك إذا توهمنا | حركة الفلك التي هي واحدة في نفسها حركات كثيرة
لم يجب أن تكون حركات كثيرة

وزعم ثابت بن قرّة أن ما لا نهاية له قد يكون موجوداً بالفعل . وزعم أن ١٨
له نصفاً لأنه — زعم — لا ثلاثة منه مضت إلا وهي نصفٌ لسته ولا خمسة
إلا وهي نصف لعشرة ، وزعم أنه يزيد وينقص . وزعم أن له نصفاً لأن
ما يمضي عشرات ولا عشرة إلا وفيها خمسة أفراد وخمسة أزواج ، فأما الأفراد ٢١
فالأحد والثلاثة والخمسة والسبعة والتسعة وأما الأزواج فالاثنتان والأربعة

والسنة والثمانية والعشرة . فيقال له إذا زعم أن ما لا نهاية له < > أوليس إنما زاد على نهايةٍ يجاوزها ما زاد ؟ فإن قالوا < لا > كبروا ، وإن قالوا نعم أقرّوا بتناهيه . فإن قال الحركات متناهية من إحدى جهتيها وهي الجهة التي ٣ تلقى منها ، قيل له فتناهيها من إحدى جهتيها أليس هو تناهي ما لا نهاية له ؟ فلا بد من نعم . وإذا جاز أن يتناهي ما لا نهاية له من جهةٍ فلم لا يجوز أن يتناهي من جهتين ؟ ويقال له إذا جاز أن يكون ما لا نهاية له يزيد وينقص فلم لا يكون ٦ ما يتناهي لا يزيد ولا ينقص ؟ ويقال له إن كان لما لا نهاية < له > نصف على الوجه الذي وصفت فأزعم أن له طرفين لأن ما مضى منه عشرات ومئون وألوف وهذه كلها أول وآخر ٩

وزعم أنه لا حركة بعينها إلا محدثة وجميعها قديم — قال — كما أنه لا حبة من حبات الخنطة إلا ولها شكل وصورة وللكرّ منها [صورة] شكل وصورة ليس لسكل واحدة منها . فيقال له فأخبرنا عن إنسان لو أثبت كل إنسان ١٢ بعينه أسود هل يجب عليه أن يقول كل إنسان أسود ؟ فإن قال لا تجاهل وقد سأله عن هذا ، فقال نعم قلنا فلم لا يجوز له أن يقول إن كل إنسان بعينه أسود والجميع بيض ، ونجعل هذا قياساً بحبات الخنطة والكرّ ؟ فلم يكن عنده ١٥ في هذا فصل

وحكى عن أبي يوسف بن إسحق الكندي أنه كان يزعم أن حركة الفلك واحدة والزمان واحد لم يزل وأنّ غداً موجود غداً معدوم اليوم وأنّ اليوم موجود | اليوم معدوم غداً وأنهما غير منفصلين في وجود ولا وهم . فيقال ١٨ له فقد كنّا نحن إذن بما نحن أشخاص في زمن بطليموس بل نحن كائنون في الزمان الذي يأتي بعد ، وهذا تجاهل . ويقال كيف ندخل نحن في الزمان ٢١ و ٩٧

الذى يأتي أو يأتي هو إلينا حتى نكون فيه والأشياء على مراتبها وليس حدوث ؟
ويقال له فيجب على هذا القول أن تكون حركة اليوم هي حركة غداً ، وإذا جاز
هذا فلم لا يجوز أن تكون حركة الإنسان اليوم حركته غداً ؟ وهذا محال
كله وتجاهل < إلا > أن يفهم منه القول بالدهر

ويقال لأرسطوطالس ومن يذهب مذهبه في تناهي أجسام العالم وارتفاع
النهاية عما مضى من حركاته : إذا كانت لا حركة إلا وقبلها حركة فلم لا تزعمون
أنه لا ذراع إلا وبعده ذر

واستدل بعضهم على أنه لا حركة إلا وقبلها حركة بأنهم لم يشاهدوا حركة
إلا وقبلها حركة . فيقال لهم أخبرونا عن إنسان دخل على قوم وهم مجتمعون
في دار هل كان يجوز له أن يقول إنه لا واحد منهم إلا وهو مجتمع مع صاحبه
في تلك الدار لأنه لم يشاهدهم إلا كذلك ؟ فإن قالوا نعم تجاهلوا ، وإن قالوا
لا نقضوا علمهم ، وكذلك إن قال إن قبل كل حركة حركة

فأمّا ما حكاه فلوطرخس عن زعم من الفلاسفة أن العوالم بلا نهاية
فإنه حكى عن مطرود < ور > س منهم أنه احتج لذلك بأن قال إنه محال أن تنبت
سنبلة واحدة في صحراء واسعة وكذلك لا يكون عالم واحد فيما لا نهاية له .
وهذا إنما هي حجة — إن صحت — على من يزعم أن الأشياء لا نهاية لها وأن
العوالم واحدة منها عالم واحد . وبعد فقد تكون ؟ صحراء فيها سنبلة وغير سنبلة ،
فهل يجوز أن تكون عوالم وغير عوالم ؟ فإن قال نعم ترك قوله أن الأشياء عوالم
لا نهاية لها ، وإن قال لا خالف موضوعه

(٢) هي حركته غداً خ — (٤) < إلا > : في الاصل يياض قبل « ان » —

(٨) لم يشاهدوا خ — (٩) عن انسان : وعلى الهامش : « لو ان انساناً » —

(١٠) لا واحد منهما خ — (١٤) Μητροδωρος = مطرودس خ — (١٧) واحدة

منها : كذا في الاصل

وقد سألهم أرسطوطالس في المقالة الأولى من كتابه | « في السماء » في ٩٧ ظ
 ذلك فقال : ليس يخلو عناصر هذا العالم من أن تكون موافقة لتلك العناصر
 في المعنى أو في الاسم . فإن كانت في الاسم فتلك النار ليست بمحرقة وكذلك ٣
 سائر العناصر ليست كهذه ، وإنما علق هذا القائل أسماء العناصر على غيرها .
 وإن كانت في المعنى وكانت نار هذا العالم تذهب عن مركزه فلو توهمنا عالماً ٨
 فوق هذا العالم لكانت النار تذهب إلى مركزه ، وهذا خطأ وهو داخل في ٦
 القسم الأول . فإن قالوا إن كل عالم يذهب عن مركزه يفسد ، قيل لهم
 إن النيران ليس تختلف حركاتها لاختلاف أماكنها فالنار التي في المشرق تذهب
 عن المركز والنار التي في المغرب أيضاً تذهب عنه . ويقال لهم إذا جاز ١
 أن يكون في نار هذا العالم مذهب عن مركزه فقد اختلف حكمها ، فما ينكر
 قائل هذا القول من أن تكون نار هذا العالم محرقة ونار ذلك العالم ليست
 محرقة ؟ ١٢

فأما ما حكاه عن سالوقس فإنه احتج لقوله في أن هذا العالم لا نهاية له
 بأن قال : إذا تناهى العالم فهل يتناهى إلى شيء أو لا إلى شيء ؟ فإن كان إلى شيء
 فهذا قولي ، وإن كان لا إلى شيء فيجوز أن يطابق لا شيئاً ويماس لا شيئاً كما ١٥
 تنهى لا إلى شيء . فيقال له ما تنكر أن يكون التناهى إنما هو أن يكون
 للشيء نهاية حالة فيه وليس يحتاج إلى غيره ؟ والمماسة تقتضى مماسين كما أن المشاركة
 تقتضى مشاركين ١٨

قالوا ولو أن واقفاً وقف في آخر حديد من حدود العالم هل كان يرى
 شيئاً أم لا يرى شيئاً ؟ فإن كان يرى شيئاً فهو قولي ، وإن كان لا يرى شيئاً

(٧) قالوا بان كل عالم خ — (٩) على المركز خ — (١٣) سالوقس خ —

(١٥) مطابق خ — (١٧) والمماسة تقتضى مماسة خ

فهل يجوز أن يُخرج يده أم لا ؟ فإن قال لا قيل فما الذي يمنعه ؟ وإن قال نعم قيل فإذا تحركت يده فهل تتحرك في شيء ؟ فإن قالوا نعم قيل هذا قولي ، وإن قالوا لا قيل لهم فإذا تحركت يده لا في شيء فلم لا يماس شيئاً ؟ ويقال لمن اعتل بهذا ما تنكرون من أن يكون الرائي إذا توهمناه واقعاً على حد العالم لا يرى شيئاً إذا كان لا يترأى له ؟ وأما ليخرج يده فقد قال قوم | انه لا يجوز ليس لأن مانعاً يمنعه ولكن لأنه محالٌ تحركه لا في شيء لأن الحركة قطع لمكان فإذا لم يكن مكان فلا قطع ، وقال آخرون < إن > جاز أن تتحرك يده لا في مكانٍ فجاز أن يبطل المكان وتتحرك اليد

وأما من زعم أن العالم واحد وبعد ذلك عنصر لا نهاية له فلم أقف لهم على علة ، ولكن يقال لهم ما تُنكرون من أن يكون عوالم لا نهاية لها وراء ذلك العنصر وذلك الخلاء ؟

(٤) واقعاً خ — (٥) اذا كان لا يترقى له خ — وأما ليخرج خ — (٧) < إن > جاز : جائز خ — (١١) لها فزل ذلك خ — الخلاء آخر المقالة والحمد لله حق حمده ومستوجب شكره وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل

مقالات في أمارات الإقبال والمرونة

ذكر البيروني هذا العنوان في قسم ما ألفه الرازي « في فنون شتى » (١) وذكر ابن أبي أصيبعة المقالة بعنوان « كتاب علامات إقبال الدولة » (٢) . وقد اعتمدنا في نشرتنا على النسخة المخطوطة المحفوظة بخزانة راغب باشا تحت رقم ١٤٦٣ ورق ٩٨ و ٩٩ ظ ، والمقالة ترد فيها عقب « المقالة فيما بعد الطبيعة » المنشورة من قبل (٣) . ومحتوى هذه المقالة سياسي أكثر منه فلسفي ولعل الرازي ألفها قصداً منه إلى التقرب من بعض أمراء زمانه (٤)

(١) فهرست كتب الرازي رقم ١٨٢

(٢) ج ١ ص ٣١٨ س ٢٩

(٣) راجع ما قلناه في ص ١١٣

(٤) تذكرنا مقالة الرازي رسالة منسوبة إلى يعقوب بن إسحق الكندي « في ملك العرب

ومكته » غير أن الرازي لا يكاد يشير فيها إلى أحكام النجوم كما فعل الكندي . راجع

O. Loth, *Al-Kindi als Astrolog* (Morgenländische Forschungen, Leipzig 1875, p. 261-309).

قال أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي : اعلم أن الأمر المسمى إقبالاً ودولة
 ٣ وإن كان القول في سببه والنظر فيه والإبانة عنه عسراً غامضاً وطويلاً بعيداً
 فإن لجيئه وموافاته أمارات وشواهد مبشرة به . وغرضنا في هذه المقالة ذكر
 بعض هذه الأمارات | باختصار وإيجاز ما أمكن ذلك

٩٨ ظ

٦ فنقول وبالله التوفيق : إن من أمارات الإقبال التنقل والعلم > الذي <
 يقع للعرضة واحدة ورفعته إلى حال جليلة بالإضافة إلى ما كان عليها . وذلك
 أن حدوث مثل هذه الحال يدل على تيقظ السعادة له — كائناً ما كان . عن أي
 ١ سبب كان إلهي كان أوطيعي — بقوة قوية لا تكاد تقصر وتني وتخمد سريعاً لفرط
 قوتها وغزارة مادتها . والدليل على ذلك اضطلاعها بنقل المنقول هذا النقل
 الغريب البديع الذي لا يمكن أن يحدث من قوة مهينة ولا نزرة مادة ،
 ١٢ فوقع النقلة من حاله إلى ما هو أجل منها كثيراً جداً من أمارات وفور قوة
 الناقلين وغزارتها ومن أجل ذلك هو أحب الأسباب الدالة على الإقبال
 ومن أمارات الإقبال والدولة اتساق الأمور وإطرادها ومجيئها ووقوعها
 ١٥ على موافقة التنقل المُدال ولو في دقائق الأشياء وخسائسها فضلاً عن جلائها
 وعظائمها ، لأن ذلك يدل على أنه مسوس ومكفَى ومؤيد بقوة غير قوته وأنه
 متكفّل به ومصنوع له

١٨ وقد كانت قدماء الملوك وأجلائهم يستدلّون بما يُقدّم إليهم الطبّاخون من
 الأطعمة التي كانت تقع بوقوع شهواتهم — من غير أن يكونوا تقدّموا إليهم فيها

(٨) كائناً ما : وفوق السطر : من كان — (١١) أن يحدث : اضيف على الهامش
 (١٣) وغزارته خ — (١٥) التنقل ، صححه الأستاذ احمد أمين : التبتل خ

- وأمرهم بها — على ثبات الإقبال والدولة فضلاً عما يقع من < غير > ذلك من جلائل الأشياء وعظائمها كتنكبات الأعداء وبوار المضادين والمخالفين والمنازعين
- ومن أمارات الإقبال والدولة ما يحدث من أخلاق النفس الموافقة للرياسة المعينة المقوية عليها بعلو الهمة والنبيل والجود وقلة مهابة الأكلفاء وفضل الرأي وإجادته ، فإن مثل هذه الأمور لا تحدث في الإنسان إلا وهو يراد | للمرتبة التي يرتقى إليها بهذه الأخلاق ونحوها ، فأعلمه
- ومن أمارات ذلك أيضاً عشق الرياسة وفرط محبته لها حتى إنه لا يرى عيشاً إلا بها ولا يهيمُ أمراً سواها . فإن ذلك يدل على أنه مهيباً لها ، لأن الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلاً بته ولا تترك قوة عطلاً ، ولم يكن يتمكن في نفس هذا المعنى هذا التمكن ويقوم فيها هذا المقام إلا وهي نفس مهيسة للرياسة لا غير . ولولا ذلك لكانت هذه القوى فيها فضلاً وباطلاً ، وذلك ما لا يكون
- ومن أمارات ذلك أيضاً ما يحدث له من الحلم والتؤدة في الأمور التي فيها لبس وشبهة ، لأن ذلك يدل على أنه محروس من ركوب الخطايا والوقوع في الزلل وأنه مجرئ به إلى إدراك حقائق الأمور
- ومن أمارات ذلك أيضاً فضل صدق ودقة حس النفس والادكار والتخمين على ما كان له قبل ، فإن ذلك يدل على أنه مسدد موفق بقوة إلهية تجرى به إلى أن يكون فاضلاً ورئيساً سائساً لشدة حاجة الرئيس والسائس إلى فضل وعلم واستغناء الموسوسين عن مثل ذلك لانتساب أمرهم إلى السائس واكتفائهم بسياسته

ومن أمارات ذلك أيضاً الميل إلى موافقة الخطاء والأصحاب والأعوان

(١) يقع من ذلك ومن جلائل خ — (٥) فإن قيل هذه الأمور خ — (٦) إليها وبهذه خ — (٩) باطلاً ولا خ — ولم يكن ليتمكن خ — لعل الصواب : من النفس — (١٠) وتقوم خ — (١٢) له في الحلم خ — (١٦) والتخمين بلى ما خ — (١٨) الموسوس عن خ

- والمحبة لصلاح أمورهم باستجلاب موداتهم وخلصهم له — لأن ذلك يدل على أنه قد أعطى القوة التي تدوم — وتسخيرهم وربطهم بها لنفسه ، و [في] ذلك أن لا يفرقوا عنه وأن لا يضرروا له سوءاً وأن لا يروا عيشاً إلاّ معه وبه .
- ٢ ونتج < من > ذلك صدق مجاهدتهم الأعداء عنه وبذلهم أنفسهم دونه
- ومن أمارات ذلك أيضاً إقبال الخدم والأصحاب < عليه > وفضل إجلالهم ومهابتهم له من غير أن يكون حدث له في ذلك الوقت حالة ظاهرة توجب ذلك | من مزيد في رتبة أو زيادة في إحسان أو إساءة ، فإن ذلك إذا كان دل على أبهة حادثة إلهية واقعة في النفوس طارئة عليها دلالة الرياسة والدولة
- ٦ ومن أمارات ذلك أيضاً خلّو قلبه من الضغائن والأحقاد التي كانت في نفسه على أكفائه وأجلّة أصحابه وخلطائه فضلاً عليهم ، وإنها ممن يحب أن يسوس ويستصلح لا ممن يستفسد
- ١٢ ومن أمارات ذلك أيضاً ميل النفس إلى العدل وكرهيتها الجور وإن كان له عاجل ناجز ، لأن ذلك يدل على أن نفسه موقنة بالتمسك من الملك ودوامه وليست محتطفة مغتمة . وليس ذلك منها إلاّ بحمل قوة إلهية لها على ذلك ، ولن يقع هذا الحمل منها لها على هذا المعنى إلا وقد أهلها لدوامه وبقائه وأكسبه ذلك ميل الرعايا المملوكين والمسوسين إليه . وفي ذلك توطيد مملكة وإرساء قواعد والبعد من الوهن والتضعف وانعزال المناوئين والمضادين وإجلالهم إياه وشوقهم إلى مثل حاله إن ساسه
- ١٥ فهذه أمارات الإقبال الأشرف الأعظم والتي يرجع إليها ويدخل في جماتها
- ١٨ سائر الأمارات الصغيرة الجزئية

(١١) تسوس خ — ويستصلح الامن يستفسد خ — (١٣) عاجل باخر خ —

(١٤) قوة الهيئة خ — وان يقع خ — (١٥) وقد أهلها خ — (١٥-١٦) والبسته ذلك قبل الرعايا بالمملوكين خ — (١٧) وانحزال خ — ساسه : كذا خ — (١٩) لجزئية آخر المقالة والحمد لله حق حمده ومستوجب شكره. وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلامه خ

من كتاب اللذة

للرازي مذهب مشهور في اللذة أشار إليه في كتاب الطب الروحاني (١) وفي كتاب السيرة الفلسفية (٢) وجعله أيضاً موضوعاً لتأليف خاص له سماه ابن النديم (٣) « كتاب اللذة مقالة » وسماه البيروني (٤) « في اللذة » وسماه الرازي نفسه (٥) « مقالة في مائية اللذة ». أما ابن أبي أصيبعة (٦) فقد لخص موضوعه قائلاً « كتاب في اللذة غرضه فيه أن يبين أنها داخلة تحت الراحة »

يظهر أن الرازي تأثر في قوله في اللذة والآلم بما قاله افلاطون في كتاب طيمائوس (٧) ولعله لم يرجع إلى ترجمة هذا المصدر مباشرة (٨) بل اقتبس مذهب منه بتوسط تأليف لجالينوس أو غيره من أطباء اليونان (٩) ، وقد نرى

(١) راجع من فوق ص ٣٨ - ٣٩

(٢) راجع من فوق ص ١٠١ - ١٠٣

(٣) ص ٢٩٩ س ٢٥ ، راجع أيضاً ابن القفطي ص ٢٧٣ س ١٤

(٤) فهرست كتب الرازي رقم ٦٤

(٥) كتاب الطب الروحاني ص ٣٨ س ٥

(٦) ج ١ ص ٣١٥ س ٣٠

(٧) ص 61 d-e ، راجع أيضاً De Boer في ص ١٥ من مقالاته المذكورة من

فوق (ص ٢)

(٨) ورد في فهرست كتب الرازي ذكر « تفسير كتاب طيمائوس » (راجع البيروني

رقم ١٠٧)

(٩) راجع أيضاً قول الشيرازي المذكور فيما يلي

جالينوس يذكر في « تلخيصه لكتاب طيماوس » (١) رأى افلاطون بهذه العبارة :

« إن افلاطون بعد هذا قال في اللذة والأذى هذا القول : أما أمر اللذة والأذى فعلى هذا ينبغي أن يتوهم ، وهو أن كل أثر خارج عن المجرى الطبيعي يظهر ويبدو جملة في دفعة فهو مؤلم والرجوع جملة في دفعة إلى الحال الطبيعية لذيد . وأما ما يبدون يبدو قليلا قليلا فغير محسوس وما كان على ضد ذلك فأمره على الضد . وأما الشيء الذي يكون بسهولة فكله لا يحس ولا يكون منه ألم ولا لذة » (٢)

هذا وإن ابن القفطى (٣) وأبا الفرج بن العبري (٤) والعلامة الحلي (٥) يرون

(١) ضاع الاصل اليوناني لهذا الكتاب الذى هو قسم من جوامع كتب افلاطون لجالينوس . وقد وصلت إلينا ترجمة عربية منسوبة الى حنين بن اسحق سأنشرها مع صديقى R. Walzer فى سلسلة البحوث المتعلقة بترجمة كتب افلاطون الى اللغة العربية (Plato Arabus I)

(٢) هذا النص مأخوذ من نسخة آيا صوفيا ٢٤١٠ ورقة ١٠ وهو يوافق قول افلاطون كل الموافقة

(٣) ص ٢٥٩ - ٢٦٠

(٤) تاريخ مختصر الدول نشره الأب أنطون صالحانى ، بيروت ١٨٩٠ ص ٧٧ : « وفى هذا الزمان كان فورون الفيلسوف الكلدانى [وعند ابن القفطى : اللذى] وكانت حكمته هى الحكمة الأولى ثم مال الناس عنها وقد انتصر لها أناس من المتأخرين منهم محمد بن زكرياء الرازى لأنه لم يتوغل فى العلم الإلهى ولا فهم غرض أرسطوطاليس فيه فاضطرب رأيه وتقلد آراء سخيفة وانتحل مذهبا عيبيا مذهب فورون ودم أقواما لم يفهم عنهم ولا هدى سبيلهم . وفرقة فورون يعرفون بأصحاب اللذة لانهم كانوا يرون أن الغرض المقصود إليه فى علم الفلسفة اللذة الحاصلة للنفس بعرقها وهى مع البدن لإنجائها من عذاب الجهل فى الآخرة كما هو رأى أرسطو لأن النفس لا بقاء لها بعد البدن عندهم »

(٥) راجع من تحت ص ١٤٤ تعليق ٢

أن الرازي أخذ مذهبه عن فورون (Pyrrhon) اللذي (١) ولعلمهم يقصدون إلى

(١) يظهر أن هذا الاشتباه نشأ من سقط حدث في نسخة قديمة لتأريخ الحكماء لابن القفطي أو في المصدر الذي اعتمد عليه ابن القفطي عند إحصائه لفرق الفلاسفة اليونانيين (ص ٢٥ - ٢٦) ، وهذا الفصل مأخوذ من تأريخ الفلاسفة لحنين ابن اسحق ومن رسالة أبي نصر الفارابي فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة (راجع *Alfārābī's philosophische Abhandlungen*, p. 49-50) واقتبسه ابن القفطي منهما بواسطة كتاب طبقات الأمم لصاعد الاندلسي (طبعة مصر ص ٣٤ - ٣٦) . قال ابن القفطي : « وأما الفرقة المسماة من الآراء التي كان يراها أصحابها في الفلسفة فشيعة [بياض في الأصل] وأما الفرقة المسماة من الآراء التي كان يراها أصحابها في الغرض الذي كان يقصد إليه في تعلم الفلسفة فشيعة فورون (كذا) ويسمون أصحاب اللذة لأنهم كانوا يرون الغرض المقصود إليه في علم الفلسفة اللذة التابعة لمعرفتها . وأما ما قرأ عند صاعد الاندلسي وعند الفارابي فهو : « وأما الفرقة المسماة من الآراء التي كان يراها أصحابها في الفلسفة فشيعة فورون [فهي الفرقة التي تنسب إلى فورون وأصحابه وتسمى المانعة لأنهم يرون منع الناس من العلم ، كذا ف] . وأما الفرقة المسماة [التي سميت ف] من الآراء التي كان يراها أصحابها [أهلها ف] في الغرض الذي كان يقصد إليه [في الغاية التي يقصد إليها ف] في تعلم الفلسفة فشيعة [فهي الفرقة المنسوبة إلى ف] أفيجورس ألخ » . ونتيجة مقابلة هذه النصوص أن ابن القفطي في مادة « فورون اللذي » (ص ٢٥٩ - ٢٦٠) خلط فورون بأفيغورس وأن ابن العبري والحلي نقلوا ذلك عنه . راجع أيضاً M. Steinschneider, *Al-Farabi* (St. Pétersbourg 1869), p. 128.

وأيضاً لم يصرح أحد من ألف قبل ابن القفطي أن الرازي تأثر بمذهب أفيجورس — فضلاً عن مذهب فورون — في اللذة ، بل نرى أن ابن القفطي عند ارتباطه الرازي « بفورون » وبأصحاب اللذة من الفلاسفة اليونانيين (ص ٢٦٠) اشتبه عليه ما قرأه في كتاب طبقات الأمم . وذلك أن صاعد الاندلسي بعد إحصائه لفرق الفلاسفة القدماء وتفريقه بين الفلاسفة الذين كانوا قبل سقراط وبعده يذكر الرازي قائلاً : « وقد صنف جماعة من المتأخرين كتباً على مذهب فيثاغورس وأشياءه وانتصروا فيها للفلسفة الطبيعية القديمة ومن صنف في ذلك أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي وكان شديد الانحراف عن ارسطاطاليس ألخ » (سندكر باقي النص في الفصل في العلم الإلهي للرازي) . أما ابن القفطي في ترجمته لفورون اللذي فقد نقل هذا القول عنه (« وقد صنف أناس من المتأخرين كتباً على مذهب فيثاغورس وأشياءه وانتصروا بها للفلسفة الطبيعية القديمة ومن صنف في ذلك محمد بن زكرياء الرازي لأنه كان شديد الانحراف عن أرسطوطاليس لرأى ضعيف كان يراه ») وتابعه في ذلك ابن العبري والحلي مرتبطين مذهب الرازي في اللذة بمذهب اللذة المنسوب إلى فورون (والصحيح أفيجورس) . إذن فمذهب الرازي إلى أصحاب اللذة من القدماء لم تنشأ من معرفة لفلسفة أفيجورس بل من خلط في النصوص العربية فقط

أفيقورس (١)

ذكر صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (المتوفى ١٠٥٠ هـ) في كتابه الأسفار الأربعة (٢) مذهب الرازي في اللذة قائلا :

فصل في حقيقة الألم واللذة . الموجود من كلام الحكماء في تعريف اللذة والألم هو إدراك الملائم وإدراك المنافي . وزعم بعض الأطباء كمحمد بن زكرياء الرازي أن اللذة عبارة عن الخروج عن الحال الغير الطبيعية والألم عبارة عن الخروج عن الحالة الطبيعية . فعلى هذا لم يكن شيء من اللذات والآلام وجود دائم . والتجربة أيضا تقوى هذا الظن ، فإننا نشاهد أن جميع ما يعد من أقسام ما تقع به اللذة في هذا العالم إنما غاية اللذة بها عند أوائل حدوثها وإذا استقرت زالت اللذة . فكم من صاحب ثروة أو جاه أو مشتهى لطيف لا تكون لذته كلذة فقير بشيء نزر حقير منها لا يعد في الحساب معها لحقارته . وكذلك قياس الآلام فإن أكثر الآلام بل كلها إذا دامت ولم يتجدد شيء منها لم يكن بها تألم لصاحبها كما نشاهد من كثير من الممنونين بالجراحات والمصائب والأمراض أفراحا في كثير من أوقات اتصافهم بها

وقال ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى ٦٨٥ هـ) في كتاب طوابع الأنوار (٣) في شرح كتاب مطالع الأنظار لأبي الشتاء شمس الدين محمود بن عبد الرحمان الاصفهاني :

(١) أما علاقة مذهب أفيقورس في اللذة بمذهب أفلاطون فيها فراجع مقالة V. Brochard

La théorie du plaisir d'après Epicure (Études de philosophie ancienne et de philosophie moderne, Paris 1912, p. 252 ss.).

(٢) طبعة حجر طهران ١٢٨٢ ص ٣٦٦ . راجع أيضا Max Horten

Das philosophische System von Schirāzi (1640+), Strassbourg, 1913, p. 109.

(٣) المطبوع على هامش شرح المواقف للإيجي (استانبول ١٣١١) ج ١ ص ٢٧٢

وزعم محمد بن زكرياء الطبيب أن اللذة دفع الألم والعود إلى الحالة الطبيعية .
وسبب هذا الظن < أنه > أخذ ما بالعرض مكان ما بالذات لأن اللذة لا تتم لنا
إلا بالإدراك ، والإدراك الحسى وخصوصاً اللبسى إنما يحصل الانتقال عن الضرر .
فإذا استقرت الكيفية لم يحصل الانفعال فلم يحصل الشعور فلم تحصل اللذة . فلما
لم يحصل اللذة إلا عند تبدل الحالة الطبيعية ظن اللذة بعينها هي ذلك الانفعال ،
وهذا باطل . فإنه إذا وقع بصر الإنسان على وجه مليح يلتذ بالنظر إليه مع أنه لم
يكن له شعور بذلك الوجه قبل ذلك [الوجه] حتى يجعل تلك اللذة خلاصاً عن ألم
الشوق إليه . وكذلك قد تحصل للإنسان بالوقوف على مسئلة لذة عظيمة من غير
خطور سابق حتى يجعل تلك اللذة دفع ألم الشوق إليه . وكذلك قد تحصل
للإنسان لذة عظيمة بالشعور على مال فجأة بلا خطور سابق

وقال علاء الدين على بن محمد القوشجى (المتوفى ٨٧٩ هـ) فى شرحه على تجريد
الكلام^(١) لنصير الدين الطوسى :

وزعم محمد بن زكرياء الطبيب الرازى أن اللذة ليست إلا العود إلى الحالة
الطبيعية بعد الخروج عنها وهو معنى الخلاص عن الألم كالأكل للجوع والجماع
لدغدة المنى أو عيته . ونحن لا نمنع جواز أن يكون ذلك أحد أسباب اللذة
إذ بالعود إلى الحالة الملائمة يحصل إدراكها ، فإن الأمور المستمرة لا يشعر بها .
فإذا زالت الحالة الطبيعية المستمرة ثم عادت بزوال ما ليست طبيعية حصل
إدراكها الذى هو اللذة . إنما ننازعه فى مقامين أحدهما أن اللذة دفع الألم وثانيهما
أنها لا يمكن أن تحصل بطريق آخر سوى دفع الألم ، فإنه قد تحصل اللذة من غير

(١) المطبوع على هامش شرح المواقف ج ٣ ص ١٨٦ ، وطبعة الحجر الهندية ١٣٠٧ هـ ، ص ٣٦٦

سابقة ألم وحالة غير طبيعية كما في مصادفة مال ومطالعة جمال من غير طلب وشوق لا على التفصيل ولا على الإجمال بأن لم يخطر ذلك بباله قطاً لا جزئياً ولا كلياً، وكذا في إدراك الذائقة الحلاوة أول مرة. وقد يحصل الخلاص من الألم من غير لذة كما في حصول الصحة على التدريج وفي ورود المستلذات من الطعوم والروائح والأصوات أو غيرها على من له غاية الشوق إلى ذلك وقد عرض له شاغل عن الشعور والإدراك. والمصنف أشار إلى المنع الأول بقوله « وليست اللذة خروجاً عن الحالة الغير الطبيعية إلى الحالة الطبيعية » وإلى المنع الثاني بقوله « لا غير »، يعني لو سلمنا أن الخلاص من الألم لذة فلا نسلم أنها منحصرة فيه حتى يصحّ قوله انها الخلاص من الألم لا غير

ومن أشار أيضاً إلى مذهب الرازي نجم الدين علي بن عمر القزويني السكاكبي (المتوفى ٦٧٥ هـ) في كتاب المفصل في شرح المحصل (١) والحسن بن مطهر العلامة الحلي (المتوفى ٧٢٦ هـ) في كتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت (٢) وأبو علي مسكويه (المتوفى ٤٢١ هـ) في كتاب تهذيب الاخلاق (٣)، ويظهر أن أبا علي مسكويه في رسالته « في اللذات والآلام » (٤) وأبا علي بن الهيثم (المتوفى ٤٣٠ هـ) في مقالته « في طبعي الألم

(١) راجع من تحت في الفصل السابع

(٢) راجع عباس اقبال في كتابه خاندان نوبختي ص ١٧٧ آخ . أما مؤلف كتاب الياقوت فهو أبو إسحق إبراهيم بن نوبخت ، راجع أيضاً كتاب أعيان الشيعة لحسن الامين الحسيني العاملي ج ٥ (دمشق ١٩٣٦) ص ١٠٤ ، رقم ٥٩ ، وأيضاً ما قلته في مجلة *Orientalia* ج ٤ (١٩٣٥) ص ٣٠٦ - ٣٠٧

(٣) مصر ١٣٢٩ ص ٣٦ : « وسنتكلم على أن صورة الجميع واحدة وأن اللذات كلها إنما تحصل للملذذ بعد آلام تلحقه لأن اللذة هي راحة من ألم وأن كل لذة حسية إنما هي خلاص من ألم أو أذى في غير هذا الموضع »

(٤) محفوظة في مجموعة في خزانة راغب باشا باستانبول تحت رقم ١٤٦٣ ورقة ٥٧ و-٥٩ و

راجع R. Ritter في مجلة *Der Islam* ج ١٨ ص ٤٧ وأيضاً C. Brockelmann في *Suppl. I 584*.

واللذة « (١) قد عالجنا نفس الموضوع كما أن صاحب رسائل إخوان الصفاء ذهب في اللذة مذهباً قريباً من مذهب الرازي (٢)

وللرازي تأليف آخر في هذا الموضوع سماه البيروني (٣) « فيما جرى بينه وبين شهيد البلخي في اللذة » وسماه ابن النديم (٤) وابن القفطي (٥) وابن أبي أصيبعة (٦) كتاب في نقضه على شهيد (٧) البلخي فيما ناقضه به في أمر اللذة (٨) .

وشهيد البلخي هذا هو الذي قال عنه ابن النديم (٩) « وكان في زمان الرازي رجل يعرف بشهيد بن الحسين البلخي ويكنى أبا الحسن يجرى مجرى فلسفته في العلم ولهذا الرجل كتب مصنفة وبينه وبين الرازي مناظرات ولكل منهما نقوض على

(١) راجع ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٩٥ س ١٥ ، وله أيضاً « مقالة في طبائع اللذات الثلاث الحسية والنطقية والمعادلة » (نفس المرجع) . وكان ابن الهيثم من الذين ردوا على كتاب العلم الإلهي للرازي كما يظهر مما كتبه ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٩٧ س ٦ (راجع من تحت في الفصل السادس)
(٢) في الرسالة « في خاصية اللذات » وهي الرسالة السادسة عشرة من الجزء الثاني (ص ٣٤٣ وما يليها من طبعة بمبي) : « واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بأن اللذة والألم نوعان جسمانية وروحانية وهكذا حكم إخواننا . فأما اللذات الجسمانية فهي الراحة التي تحس بها النفوس الحيوانية عند زوال الآلام ، وأما الآلام التي تحس بها النفوس الحيوانية عند خروج المزاج عن الاعتدال من الأمر الطبيعي إلى أحد الطرفين من الزيادة والنقصان بسبب من الأسباب فهي كثيرة لا يحصى عددها إلا الله تعالى ولكن نذكر منها طرفاً ليعلم ماهية الآلام واللذة وكيفية حدوثهما الخ »

(٣) رسالة في فهرست كتب الرازي ص ١١ (رقم ٦٥)

(٤) ص ٣٠١ س ٥

(٥) ص ٢٧٥ س ٦

(٦) ج ١ ص ١١٩ س ٢٨

(٧) سماه ابن النديم وابن القفطي « سهيل البلخي » وسماه ابن أبي أصيبعة « علي بن شهيد البلخي » وكلاهما خطأ كما يظهر مما يلي

(٨) كذا عند ابن أبي أصيبعة ، وعند ابن القفطي « في اللذة » ، وعند ابن النديم

« من اللذة »

(٩) فهرست ص ٢٩٩ س ١٥ ، راجع أيضاً ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١١ س ٩

صاحبه (١) . وقد كان شهيد البلخي فيلسوفا متكلماً وأديباً شاعراً باللغة الفارسية والعربية (٢) وكان من مشاهير بلخ (٣) ومعاصراً لنصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني الذي ملك من ٣٠١ الى ٣٣١ هـ (٤) ، والظاهر أنه توفي قبل سنة ٣٢٩ إذ رثاه رودكى الشاعر المتوفى في تلك السنة في دو بيت مشهور (٥) . أما قوله في اللذة فقد ورد في كتاب صوان الحكمة (٦) لأبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني (٧)

(١) نسب أصحاب التراجم إلى الرازي كتاباً آخر في الردّ على شهيد البلخي سماه ابن النديم (ص ٣٠١ س ١٤) « على سهيل البلخي في تثبيت المعاد » وسماه ابن الففطى (ص ٢٧٥) « الردّ على سهيل في إثبات المعاد » وسماه البيروني (رقم ١٤١) « الرد على شهيد في لغز المعاد » وذكره ابن أبي أصيبعة (ص ٣٢٠ س ١٠) بقوله « كتاب إلى علي بن شهيد البلخي في تثبيت المعاد غرضه فيه النقض على من أبطل المعاد وثبت ان معاداً (كذا) »

(٢) راجع كتاب معجم البلدان لياقوت (في مادة جهوذائك) والمصادر الأخرى التي جمعها الأستاذ محمد بن عبد الوهاب قزويني في تعاليقه على كتاب « جهار مقالة » لأحمد ابن عمر السمرقندي (Gibb Mem. Series XI) ص ١٢٧ - ١٢٨ . راجع ايضاً H. Ethé, *Rûdagi's Vorläufer und Zeitgenossen* (Morgenländische Forschungen (Leipzig 1875, p. 43).

(٣) صنف أبو سهل أحمد بن عبيد الله بن أحمد كتاباً « في أخبار أبي زيد البلخي وأبي الحسن شهيد البلخي » راجع معجم الأدباء لياقوت (ج ١ ص ١٤٣ س ١٥ من طبعة اوربا) (٤) راجع كتاب لباب الألباب لمحمد عوفى ج ٢ (نشرة E. Browne لندن ١٩٠٣)

ص ٣ - ٥

(٥) نفس المرجع

(٦) والأصح كتاب منتخب صوان الحكمة ، واسم المنتخب غير معروف . أما كتاب تنمة صوان الحكمة لظهير الدين أبي الحسن علي بن زيد البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ فقد نشره أخيراً الأستاذ محمد شفيق (لاهور ١٣٥١)

(٧) راجع الأستاذ محمد بن عبد الوهاب قزويني في مقالاته الفارسية « شرح حال ابو سليمان منطقي سجستاني = Publications de la Société des Etudes Iraniennes, No. 5, Chalon-sur-Saone 1933.

وأيضاً ما قلته في مجلة *Bulletin de l'Institut d'Egypte* ج ١٩ (١٩٣٧) ص ٢٠٧

(المتوفى نحو سنة ٣٧١ هـ) فصل منه (١) وهو جدير أن يذكر في هذا الموضع (٢) :
 « شهيد بن الحسين قال في كتاب تفضيل لذات النفس > التي < هي لذات
 بالحقيقة على لذات البدن التي هي إذا حصلت آلام . قال أحد الفضائل التي تفضل
 بها لذات الأنفس على لذات الأبدان الدوام والاتصال ، وذلك أن لذة النفس بما تقتنيه
 من سرور بوجود مطلوبها من الحكمة والعلم وتيقن تفضلها على غيرها دائمة متصلة
 لا انفاد لها ولا انقطاع ، وأما لذة البدن بوجود القوة الحساسة محسوسها فنقضية
 زائلة سريعة التبدل والاستحالة . والثاني الانتهاء ووجود الغاية ، فان النفس كلما
 تحركت في وجود مطلوب لها فأدركته مرة انقضت سعيها وتم فعلها وفرغت من شغلها ،
 وأما البدن فكما انقضت وطء من محسوس له يلتذ به يعطل ما نال من اللذة وعادت
 الحاجة إلى ما كانت . فالحركة دائمة والحاجة إلى أبد الأزمنة ، والانتهاى إلى غاية تكفى
 وتغنى عن ذلك الشيء بعينه معدوم . والثالث القوة والازدياد ، فان النفس كلما استفادت
 فضيلة من فضائلها واقتنت لذة من لذاتها قويت به على نيل مثلها والازدياد بما هو أفضل
 منها ، فأما البدن فانه كلما نال محسوسه الملتذ به أكثر كانت قوته على نيل مثله وما هو
 أفضل منه في جنسه أضعف . والرابع التمام فان النفس كلما تزايدت في فضائلها وقينتها
 صارت إلى تمام طبع الانسانية ، فأما البدن فانه كلما ازداد استهتاراً باللذات المحسوسة
 وانهما كآ فيها زادت لذاته بالقوة البهيمية التي في الانسان وبعده من تمام طبعه وشرائط
 إنسانيته ،

ضاع كتاب الرازى في اللذة أو لم يعثر على أصله بعد ، إلا أنه وصلت إلينا
 منتخبات نفيسة منه مترجمة إلى اللغة الفارسية وذلك في كتاب زاد المسافر (٣) لابن

(١) لعل هذا الفصل مأخوذ من نقضه للرازى

(٢) اعتمدنا على الصورة الشمسية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٦٤٣ ح وهي
 مأخوذة من مخطوطة محفوظة بخزانة محمد مراد باستانبول تحت رقم ١٤٠٨ (راجع في وصف
 هذه المخطوطة وسائر مخطوطات كتاب منتخب صوان الحكمة ما كتبه M. Plessner في مجلة
 Islamica ج ٤ ، ١٩٣١ ، ص ٥٣٧) . أما الفصل المنشور ههنا فقد ورد في ص ١٣٥
 من المخطوطة المذكورة

(٣) نشره محمد بذل الرحمان في مطبعة كاويانى في برلين سنة ١٣٤١ هـ

معين ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني البلخي البدخشاني (المتوفى نحو ٤٨١ هـ) وهو المؤلف والشاعر الفارسي المشهور بناصر خسرو الذي كان داعياً إلى المذهب الاسماعيلي في عهد المستنصر بالله الفاطمي (١). ونحن نورد فيما يلي الفصول التي انتخبها ناصر خسرو من قول الرازي في اللذة (٢) مضيفين إليها ترجمة عربية ومتبعين لها بردود ناصر خسرو عليها (٣)

٢٣١ واكنون نخست آنچه محمد زكريا گفت است اندر مقالتي خویش اندر
لذت یاد کنیم آنگاه سخنان متناقض او را بر آورد کنیم آنگاه سپس از آن
٢ بیان کنیم که مراتب لذات بر حسب مراتب نفوس است و توفیق بر آن
از خدای خواهیم

گفتار محمد زكريا در لذت و الم

٦ قول محمد زكريا آن است که گوید لذت چیزی نیست مگر راحت
از رنج ولذت نباشد مگر بر اثر رنج. و گوید که چون لذت پیوسته شود رنج

(١) راجع E. Browne, *Literary History of Persia*, II 218 ss.

(٢) ص ٢٣١ - ٢٣٥ من كتابه

(٣) اعتمد الناشر على نسختين مخطوطتين إحداها محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس (= ب) والأخرى في مكتبة King's College في كيمبرج. وقد اكتفينا في تعليقاتنا بذكر القراءات المهمة فقط

الترجمة

وسنخبر الآن أولاً بما قاله محمد بن زكرياء في مقالته في اللذة ونردّ عليه كلامه المتناقض ونبين بعد ذلك أنّ مراتب اللذات على حسب مراتب النفوس، ونسأل من الله التوفيق إلى ذلك

قول محمد بن زكرياء في اللذة والألم

فهذا قول محمد بن زكرياء يقول: إنّ اللذة ليست بشيء سوى الراحة من الألم ولا توجد لذّة إلاّ على أثر ألم. ويقول إنّ اللذة إذا استمرت صارت ألماً. ويقول: أما الحالة التي ليس فيها لذّة

گردد . و گوید حالی که آن نه لذتست و نه رنج است از طبیعتست و آن بحسّ یافته نیست . و گوید که لذت حسّی رهاکننده است و درد حسّی رنجاننده است ، و حسّ تأثیریست از محسوس اندر خداوند حسّ ، و تأثیر فعل باشد ^۳ از اثر کننده اندر اثر پذیر ، و اثر پذیرفتن بدل شدن حال اثر پذیر باشد ، و حال یا از طبیعت باشد یا بیرون از طبیعت باشد . و گوید چون اثر کننده مر آن اثر پذیر را از حال طبیعی او بگرداند آنجا رنج و درد حاصل آید ، و چون مر ^۶ اثر پذیر را بحال طبیعی او باز گرداند آنجا لذت حاصل آید . و گوید که اثر پذیر مر آن تأثیر را بدین هر دو روی همی یابد تا آنگاه که بحال طبیعی خویش باز گردد و مر آن تأثیر را که همی یافت اندر آن حال متوسط نیابد البته . ^۹ و گوید پس اثر پذیر درد و رنج از آن یابد که طبیعت بیرون شود و لذت آنگاه یابد که از طبیعت بیرون شدن که بطبیعت باز آید . آنگاه گوید و باز آمدن بطبیعت که لذت از او همی یابد نباشد مگر سپس از بیرون شدن از ^{۱۲}

(۱) است آن طبیعتست ب — (۵) و گوید که ب — (۹) البتة : سقط ب —

(۱۱) یابد کزین بیرون شد که طبیعت باز آید ب

الترجمة

ولا ألم فهي من الطبيعة وهي لا تدرك بالحسّ . ويقول : إنّ اللذة حسّ مريح وأما الأذى فهو حسّ مؤلم ، والحسّ تأثير محسوس فيمن يحسّ ، والتأثير فعل المؤثر في المتأثر ، والتأثير عبارة عن تغير حال المتأثر وتلك الحال إما طبيعية أو خارجة عن الطبيعة . ويقول : إذا نقل المؤثر ذلك التأثير من حاله الطبيعية حصل الألم والأذى ، وإذا أعاد المؤثر التأثير إلى حاله الطبيعية حصلت اللذة . ويقول إنّ المتأثر يجد التأثير في الجانبين جميعاً حتى يرجع إلى حاله الطبيعية فلا يجد البتة في تلك الحال المتوسطة التأثير الذي وجد . ويقول : فقد حصل الألم والأذى للمتأثر حين خرج عن الطبيعة ، وأما اللذة فحصلت له حين رجع إلى الطبيعة بعد خروجه عنها . وعند ذلك يقول : والرجوع إلى الطبيعة الذي به تحصل له اللذة لا يكون إلاّ بعد خروجه عن الطبيعة الذي به

٢٣٢

طبیعت که رنج از آن یافته باشد . پس گوید که پیدا شد که لذت چیزی نیست مگر راحت از رنج

و گوید حل طبیعی از بهر آن محسوس نیست که یافتن بحس از تأثیر باشد
و تأثیر آن مؤثر مر حال اثر پذیر را بگرداند از آنچه او بر آن باشد . و حال
طبیعی آن باشد که حال دیگر بدان نیامده باشد به تغیر و تأثیر . و چون از
حالی دیگر بحالی طبیعی نیامده باشد آنجا حس حاصل نشده باشد تا اثر پذیر
مر آن را بیابد از بهر آنکه یافتن مردم بحس مر گشتن حال راست که آن یا بیرون
شدن باشد از طبیعت یا باز آمدن بطبیعت . پس حال طبیعی نه بیرون شدن
باشد از طبیعت و نه باز آمدن باشد بدان

پس گوید که ظاهر کردیم که حال طبیعی محسوس نیست و آنچه بحس
یافته نباشد نه لذت باشد و نه شدت . و گوید که تأثیری که پس از تأثیری باشد
و هر دو مر یکدیگر را ضدّان باشند لذت رساند باثر پذیر چندانکه آن تأثیر
پیشین از اثر پذیر بجمستگی زایل نشده باشد و اثر پذیر بحال خویش باز نیامده
باشد . و چون تأثیر پیشین زایل باشد و اثر پذیر بحال طبیعی خویش باز آید

الترجمة

حصل له العلم . ثم يقول : فقد ظهر أن اللذة ليست بشيء سوى الراحة من الألم
ويقول : ليست الحالة الطبيعية بمحسوسة لأن الإحساس يحصل بالتأثير وتأثير ذلك المؤثر
ينقل المتأثر من الحالة التي هو فيها . وأما الحال الطبيعية فهي التي لا يوصل إليها من حال أخرى
لا بتغير ولا بتأثير . ولما كان لا يوصل إلى الحالة الطبيعية من حالة أخرى فلا يحصل هناك حس
حتى يجذب المتأثر ذلك ، لأن إحساس الإنسان بتغير الحال إما أن يكون بالخروج عن الطبيعة أو
بالرجوع إلى الطبيعة . وأما الحالة الطبيعية فليست خروجاً عن الطبيعة ولا رجوعاً إليها
ثم يقول : وقد بينا أن الحالة الطبيعية ليست بمحسوسة ، وما لا يدرك بالحس لا يكون لذّة
ولا شدّة . ويقول : إذا جاء تأثير بعد تأثير وكان كل واحد منهما ضدّاً للآخر أحدث
(التأثير الثاني) لذّة في المتأثر ما دام التأثير الأول لم ينقطع عن المتأثر بتمامه وما دام المتأثر لم يرجع
بعد إلى حالته (الطبيعية) . وإذا كان التأثير الأول قد انقطع وكان المتأثر قد رجع إلى حالته

آنگاه همی آن تأثیر که همی لذت رساند باثر پذیر درد و رنج رساند . و از بهر آن چنین است که گوید که چون مر آن تأثیر پیشین را زایل کند و مر اثر پذیر را بحال طبیعی باز دارد باز مر اثر پذیر را از طبیعت بدیگر جانب بیرون بردن گیرد و از بیرون شدن از طبیعت مر اثر پذیر را رنج حاصل شود . پس آن تأثیر از باز پسین تا همی مر اثر پذیر را سوی حال طبیعی او باز آورد لذت بدو همی رساند ، و چون اثر پذیر بحال طبیعی خویش باز رسد لذت از او بریده شود . ٦
آنگاه آن تأثیر باز پسین دایم گشت و مر او را از جانب دیگر از طبیعت بیرون بردن گرفت باز مر او را رنجانیدن گرفت . پس گوید پیدا شد که حال طبیعی مر اثر پذیر را چون واسطه است میان بیرون شدن از طبیعت | کزان درد و رنج آید و میان باز آمدن بطبیعت کز آن لذت و آسانی یابد ، و آن حال که طبیعت است نه رنج است و نه لذت

۲۳۳

۱۲

گفتار پسر زکریا

آنگاه پسر زکریا مر این قول را شرح کند و گوید که مثال این

(٥) تا : سقط ك — (٦) جون : سقط ك — (١٢) بسر محمد زكريا ك ب

الترجمة

الطبیعة فإن عین التأثير الذی أحدث اللذة فی المتأثر يحدث (فیهِ) الاذى والالئم . ومن أجل هذا يقول : فإذا أزيل ذلك التأثير الأول وأعيد المتأثر إلى الحالة الطبيعية ثم أخرج المتأثر عن الطبيعة إلى الجانب الآخر حصل للمتأثر ألم لخروجه عن الطبيعة . فإن كان ذلك التأثير الاخير أعاد المتأثر إلى حالته الطبيعية أحدث فیهِ اللذة ، وحينما يرجع المتأثر إلى حالته الطبيعية فإن اللذة تنقطع عنه . وإن استمرّ حيثئذ ذلك التأثير الاخير وأخذ فی إخراجهِ عن الطبيعة من الجانب الآخر أخذ ثانیة فی إیلامهِ . ثم يقول : فقد ظهر أن الحالة الطبيعية للمتأثر كوسط بین الخروج عن الطبيعة الذی یؤدّی إلى الاذى والالئم و بین الرجوع إلى الطبيعة الذی تحدث عنه اللذة والراحة ، أما الحالة الطبيعية فليست ألماً ولا لذة

کلام ابن زکریاء

وهنا یشرح ابن زکریاء هذا القول فیقول : مثال ذلك أن رجلاً یكون فی دار لیست باردة إلى حدّ

چنان باشد که مردی اندر خانه باشد که آن خانه نه چنان سرد باشد که او از سرما
 بلرزد و نه چنان گرم باشد که مر او را اندر آن عرق آید ، تا جسد او اندر
 آن خانه خو کند و نه گرما یابد و نه سرما . آنگاه مفاجأةً آن خانه گرم شود ۳
 چنان که آن مرد اندر او بگرما رنجه شود سخت و بی طاقت شود . آنگاه
 سپس از آن بادی خنک اندر آن خانه آمدن گیرد اندک اندک . پس آن مرد
 که اندر او از گرما رنجه شده باشد بدانچه از طبیعت که بر آن بود بیرون ۶
 شده باشد از آن خنکی لذت یافتن گیرد از بهر آنکه همی سوی طبیعت باز
 آید ، تا آنگاه که آن خنکی مر او را بدان پیشین او باز رساند که آن نه سرد
 بود و نه گرم . آنگاه پس از آن اگر خنکی پیوسته شود هم از آن ۹
 سرما کز او لذت یافت رنجه شدن گیرد بدانچه از طبیعت همی باز بدیگر
 جانب بیرون شود ، و اگر باز پس از آن سرما گرما بدان خانه پیوستن
 گیرد آن مرد از آن گرما باز لذت یافتن گیرد بدانچه همی سوی طبیعت ۱۲
 باز آردش هم چنین تا باز بدان حال طبیعی خویش باز رسد لذت یابد
 پس گوید که ظاهر شد که لذت حسی چیزی نیست مگر راحت از رنج

(۱۳) لذت یابد : سقط ب — (۱۴) کوید که : سقط ب

الترجمة

أن يرتعد من البرد ولا حارة إلى حد أن يسيل عرقه ، وقد أُلِف جسده تلك الدار فلم يحس
 فيها حرّاً ولا برداً . ثم تعرضت الدار فجأة لحرارة بحيث أن الرجل يحس فيها ألماً شديداً غير
 محتمل من أثر الحرّ ، ثم يبدأ نسيم معتدل يدخل شيئاً فشيئاً في تلك الدار فيجد الرجل الذي
 تألم من الحرّ بسبب خروجه عن الطبيعة التي كان فيها لذّة من ذلك الاعتدال بسبب رجوعه إلى
 الطبيعة ، وذلك إلى أن يعيده ذلك الاعتدال إلى حالته الأولى التي لا برد فيها ولا حرّ . فإن
 استمرّ الاعتدال حيثئذ فإنه يبدأ يتألم من ذلك البرد الذي وجد فيه لذّة لانه يخرج عن
 الطبيعة من الجانب الآخر . وإذا أخذت الدار تسخن بعد ذلك البرد فإن الرجل يبدأ يجد
 ثمانية لذّة من ذلك الحرّ لانه يردّه إلى الطبيعة ، فإلى أن يعود إلى حالته الطبيعية يجد لذّة
 ثم يقول : فقد ظهر أن اللذة الحسية ليست بشيء سوى الراحة من الألم وأنّ الألم ليس

- ورنج چیزی نیست مگر بیرون شدن از طبیعت و طبیعت نه رنج است و نه لذت . آنگاه گوید و چون بیرون شدن از طبیعت اندک اندک باشد و باز گشتن بطبیعت بیکدفعه باشد درد پیدا نیاید و لذت پیدا آید ، و چون بیرون شدن از طبیعت بیکدفعه باشد باز آمدن بدو اندک | اندک باشد درد پیدا آید و لذت پیدا نیاید . پس گوید مر آن باز آمدن را بطبیعت بیکدفعه لذت نام نهاده هر چند که آن راحت بود از رنج
- و گوید مثال این چنان باشد که مردم را گرسنگی و تشنگی اندک اندک رنجاند و آن مر او را بیرون شدن است از طبیعت ، تا چون سخت گرسنه یا تشنه شود آنگاه بیکبار طعام یا شراب بخورد تا بحال خویش کز آن پیش بر آن بود باز رسد از آن لذت یابد . و لذت پیدا آید مر او را بدانچه بیکدفعه بطبیعت باز آمد و رنج گرسنگی یا تشنگی که مر او را اندک اندک از طبیعت بیرون برده بود پیدا نیامدش . و مر آن باز آمدن را بحال بی رنجی لذت گفتند و آن

(۲) اندک اندک درو پیدا آید و باز ک

الترجمة

بشيء سوى الخروج عن الطبيعة وأن الطبيعة ليست بألم ولا لذة . وههنا يقول : إذا حدث الخروج عن الطبيعة شيئاً فشيئاً وحدث الرجوع إلى الطبيعة دفعة واحدة لا يظهر الألم وتظهر اللذة ، وإذا حدث الخروج عن الطبيعة دفعة واحدة وحدث الرجوع إليها شيئاً فشيئاً يظهر الألم ولا تظهر اللذة . ثم يقول : ويسمون لذة ذلك الرجوع إلى الطبيعة دفعة واحدة وذلك لأنها راحة من الألم

ويقول : مثال ذلك أن يتألم رجل من الجوع والعطش شيئاً فشيئاً وهذا عبارة عن خروجه عن الطبيعة ، حتى إذا بلغ غاية الجوع والعطش فأكل وشرب مرة واحدة فعاد بذلك إلى حالته التي كان عليها من قبل وجد من ذلك لذة . وحصلت له اللذة لأنه رجع إلى الطبيعة دفعة واحدة ، ولم يحصل له الألم من الجوع والعطش اللذين خرجا به شيئاً فشيئاً عن الطبيعة . ويسمون ذلك

چیزی نبود مگر راحت از آن رنج خورد خورد که جمله شده بود بیکدفعه
و گوید چون باز از حال تندرستی کسی را ناگاه جراحی رسد که بدان از
حال طبیعی خویش بیکدفعه بیرون شود از آن درد و رنج یابد، و چون
۲ بروز گار آن جراحی او اندک اندک بحال درستی باز آید لذت هیچ نیابد .
پس مر آن بیرون شدن را از طبیعت بیکدفعه درد و رنج گفتند که پیدا
آمد و مر آن باز آمدن را بحال اول لذت نگفتند که پیدا نیامد ۶

گفتار محمد زکریا در لذت مجامعت

آنگاه اندر لذت مجامعت گوید آن نیز بدان است که مادتی همه جمله شود
۱ اندر مکانی که آن مکان بغایت بیداریست و بنهایت یابندگی حس است . و چون
آن مادّت بزمان دراز جمع شود و بیکبار از آنجا بیرون آید از آن همی لذت
حاصل شود . و گوید آن لذت بر مثال لذتی است که مردم از خریدن گری یابد

(۱) شده بود : یعنی رفته بود ، علی هامش ك — (۶) پیدا نباشد ك — (۹) بایندهی
ب — (۱۱) خریدن ك ك

الترجمة

الرجوع إلى الحالة التي ليس فيها ألم باسم اللذة وهي ليست بشيء سوى الراحة من ذلك
الألم الذي حصل قليلاً قليلاً وذهب بحملته دفعة واحدة
ويقول : إذا أصيب إنسان فجأة وهو في حال سلامته بجراح وخرج بذلك دفعة واحدة عن
حالته الطبيعية فإنه يجد من ذلك أذى وألماً . وحينما ترجع جراحه شيئاً فشيئاً إلى حال الصحة
فإنه لا يجد من ذلك لذة . وعلى هذا فقد أطلقوا اسم الأذى والألم على الخروج عن الطبيعة
دفعة واحدة لأنه ظهر ، ولم يطلقوا اسم اللذة على الرجوع إلى الحالة الأولى إذ أنه لم يظهر

قول محمد بن زكرياء في لذة الجماع

ويقول في لذة الجماع إنها تحصل من اجتماع مادة في مكان بحيث يصبح ذلك المكان غاية في
اليقظة ونهاية في الإحساس . فإذا طال اجتماع تلك المادة وخرجت من هناك فوراً حصلت
من ذلك لذة . ويقول : إن تلك اللذة تشبه اللذة التي يجدها الإنسان من دغدغة الجرب

۲۳۵

گفتار محمد زکریا

در لذت دیدن نکو رویان و شنودن آواز خوش

- ۳ و اندر لذت نگرستن سوی نیکو رویان گوید که آن از آن باشد که مردم از جفت نا موافق زشت روی سیر شده باشد و از طبیعت بیرون آمده . و اندر لذت شنودن آواز خوش گوید هم این ترتیب موجود است از بهر آنکه هر که آواز باریکی را بشنود از شنودن آواز سطر سبس از آن لذت یابد . ۶ و گوید هر چند مردم را از دیدن روشنائی لذت یابد چون روشنائی را بسیار بیند از چشم فراز کردن و تیرگی نیز لذت یابد این جمله که یاد کردیم قول محمد زکریاست اندر مقاتلی که مر آن را مفرد ۱ بر شرح لذت بنا کرده است ، و ما گوئیم اندر این معنی آنچه حق است و تناقض قول این مرد بعقلا نمائیم بتوفیق الله تعالی

۱۲

در رد قول محمد زکریا

گوئیم که این مرد باغاز مقاتل گفتست که لذت حسی چیزی نیست مگر

(۶) که با آواز باریک خو کرده باشد و بسیاری بشنود از شنودن آواز خوش — (۹-۱۰) مفرد تفسیر شرح لذت کرده است

الترجمة

قول محمد بن زكرياء في اللذة

التي تحصل من رؤية حسان الوجوه وسماع الصوت الجليل
ويقول في لذة النظر إلى حسان الوجوه : إن هذا يحدث بأن الرجل يملّ من رفيق غير موافق فيصح الوجه ويخرج عن طبيعته . وفي لذة سماع الصوت الجليل مثل هذا الترتيب لانه إذا سمع صوتاً رفيعاً بعد سماعه لصوت غليظ وجد من ذلك لذة . ويقول : إن الرجل وإن كان يجد لذة من رؤية النور فإنه إن أكثر من رؤيته النور يجد أيضاً لذة في إغماض العين والظلمة وهذه جملة ما بيناه مما قاله محمد بن زكرياء في مقالة أفردناها لشرح اللذة ، ونحن نقرر في هذا المعنى ما هو الحق ونوضح تناقض قول الرجل لمن يعقل بتوفيق الله تعالى

- راحت از رنج، و رنج نیز چیزی نیست مگر بیرون شدن از طبیعت، و لذت چیزی نیست مگر باز آمدن بطبیعت، و باز آمدن طبیعت نباشد مگر سپس از بیرون شدن از آن. آنگاه گفتست درست شد که لذت نباشد مگر سپس از رنج ۳ و بیرون آمدن از آن. آنگاه باخر مقاتل گفتست که مردم از نگرستن سوی نور لذت یابد و لیکن چون مر نور را بسیار بیند از دیدار تاریکی و چشم فراز کردن نیز لذت یابد. و این سخن باز پسین او نقض کند مر آن مقدمه را که ۶ باغاز مقاتل گفت لذت نباشد مگر بر اثر رنج و لذت نباشد مگر بیاز آمدن سوی طبیعت پس از بیرون شدن از آن. و گفت که طبیعت بمیان رنج و لذت میانجی است و محسوس نیست. پس باید که مارا بگوید که طبیعت میان | نگرستن اندر نور و میان نگرستن اندر ظلمت کدامست؟ و چون مردم از دیدن نور لذت یافت سوی کدام طبیعت همی باز شد؟ و چون باقرار این مرد نگرنده از دیدن نور لذت یافت و آن مر او را باز آمدن بود سوی طبعی کز آن بیرون شده بود پس مقدمه اش باطل بود یا با نتیجه اش دروغ زن و حرام زاده آمد ۱۲
- آنگاه گفت چون که از دیدن نور ستوه شود از دیدن تاریکی و چشم فراز کردن لذت یابد. و این قول نیز متناقض است و همی باطل کند مر آن مقدمه ۱۵ را که گفت لذت نباشد مگر بیاز گشتن مر اثر پذیر را سوی طبیعت خویش پس از بیرون شدن او از آن، از بهر آنکه بیرون شدن نگرنده سوی روشنائی از طبیعت خویش که پیش از آن بر آن بود به لذت بود نه رنج، و این ۱۸ خلاف حکم پسر زکریاست. و باز گشتن بدان نیز م بلذت بود باقرار او و میان نگرستن و نا نگرستن حالی میانجی نیست که آن نگرستن نیست و نا نگرستن نیز نیست چنانکه او دعوی کرد که آن نه رنج است و نه لذت بلکه این هر دو لذتست ۲۱

(۱۲) یافت و آن مرد را ك — (۱۳) زاده اند ب — (۱۴) و چشم باز کردن ب — (۱۸) خویش پس از بیرون شدن او از آن به لذت بود بی رنج و این خلاف ك

و نیز گفت که مردم از نگرستن سوی زنی خوب روی لذت بدان یابد کز دیدن مر زن زشت روی را رنجور شده باشد . و این سخنی سخت رکیک و بیمعنی است از بهر آنکه مردم را از نگرستن سوی خوب رویان نه بدان لذت رسد که از کسی زشت روی ستوه شده باشد ، بلکه نفس مردم مر آن را یافتن این لذت جوهریست و مر دیگر جانوران را با مردم اندرین لذت و اندر لذت یافتن از سماع خوش و ایقاعهای بنظم بر سخنان موزون انبازی نیست . و این قول نیز متناقضست مر آن قول را که پیش از آن گفت اندر معنی لذت از نگرستن سوی روشنائی و تاریکی ، از بهر آنکه اگر مقدمه راست گوی بودی بایستی که هر که نه نیکو روی دیدی و نه زشت روی بر طبیعت بودی ، و چون نیکو روی را بدیدی رنجه شدی از بهر آنکه بدان از طبیعت بیرون شدی و باز پس از آن چون زشت روی را دیدی از آن لذت یافتی از بهر آنکه بدان سوی طبیعت باز گشتی ، و لیکن حال بخلاف این است

پس ظاهر کردیم که مقدمه این مرد بدانچه گفت لذت جز بر عقب رنج نباشد نه راستست باید که متابعان این فیلسوف ما را بگویند که چون مردم زنی نیکو روی را یا نگاری نیکو را ببینند و از آن لذت یابد بکدام طبیعت همی باز گردد و بچه وقت از آن طبیعت بیرون شده بود تا چون بدان باز گشت لذت یافت ؟ پس ظاهرست که این لذت بدان نگرنده سوی خوب روی نه سپس از بیرون شدن او رسید از آن طبیعت خویش که آن نادرین بود البته نه مر خوب روی را و نه مر زشت روی را ، باطل شد قول محمد زکریا که گفت لذت نباشد مگر بیاز شدن سوی طبیعت

۲۱

ایضا در رد محمد زکریا

و نیز گوئیم بر رد حکم پسر زکریا که گفت یافتن بحس نباشد مگر بتأثیر کردن از محسوس اندر حاس تا خداوند حس مر آن را بیابد و بدان یافتن از

- حال طبیعی خویش بگردد و از طبیعت بیرون شود و از آن رنجه شود و این
تأثیر پیشین باشد . آنگاه چون تأثیر دویم بدو پیوندد که تأثیر آن ضد پیشین
باشد و مر آن را بدان حال اولی باز آرد از آن لذت یابد که خداوند حس بینائی ۳
و شنوائی پس از آنکه نشنود و ننگرد از حال طبیعی خویش باشد . و چون
نگاری نیکو یا باغی خرم یا صورتی آراسته ببیند حال او که طبیعی بود متبدل
شود ، و آن بیرون شدن او باشد از طبیعت و از آن لذت همی یابد . و م چنین چون ۶
آواز رودی ساخته بوزن رود زنی استاد مر آن را با | نغمه در خور آن بقولی ۲۳۸
موزون و الفاظی روان هموار بشنود حال او بدان نیز متبدل شود ، و این نیز مر
او را بیرون شدن باشد از حال طبیعی خویش . و از آن پس این حال همی بضد ۹
آنست که مقدمه این فیلسوف بر آنست از بهر آنکه این کس به بیرون
شدن از طبیعت که او بر آن است همی لذت یابد . آنگاه اگر این مرد که مر
آن زن نیکو روی را بسیار بدید و از دیدار او لذت یافت و بدان از طبیعت ۱۲
بیرون شد اگر نیز مر آن زن را نبیند سخت رنجور شود از نا دیدن آن چنانکه
خویش را بر طلب او بر مخاطره های عظیم عرضه کند و از هلاک خویش باك
ندارد ، و این مرد بنا دیدن مر آن زن را همی بحال طبیعی خویش باز شود که ۱۵
پیش از دیدار او مر آن زن را بر آن بود . پس این نتیجه بر عکس آن مقدمه
آمد که این فیلسوف با آغاز مقالت خویش گفت ، از بهر آنکه او حکم کرد
که رنج از آن حاصل آید که خداوند حس از طبیعت بیرون شود بپذیرفتن تأثیر ۱۸
از اثر کننده ، و لذت یابد چون بحال طبیعی خویش باز گردد . و این مرد
آنگاه که مر این زن نیکو را ندیده بود بر حال طبیعی بود ، و چون مر او را
بدید و از حال طبیعی خویش بیرون شد واجب آمد بمحکم این فیلسوف که رنجه ۲۱
گشتی و لکن لذت یافت . و باز چون دیدار آن خوب روی ازو زایل شد و بحال

(۴) بشنود و بنکرد ك — (۶-۷) چون کسی آواز رودی که ساخته بود

ورود زنی ك

طبیعی باز گشت واجب آمد بحکم این فیلسوف که لذت یافتی و لیکن رنج
گشت . از این ظاهر تر ردی و درست تر نقضی چگونه باشد که ما بر این
فیلسوف کردیم ؟

۳

و هم این است حال سخن اندر حال شنونده آواز خوش و سخن موزون
که چون مر آن را بشنود و از طبیعت بیرون شود لذت یابد ، و چون آن را گم
کند یا بر عقب آن بانگ خریا بانگ ستور شنود همی بطبیعت باز گردد و لیکن
رنج شود

۲۳۹

و نیز گوئیم که قول این مرد بدانچه | گفت چون کسی آواز باریک بسیار
بشنود هر چند کز آن لذت یافته باشد چون پس از آن آواز سطر بشنود از
آن نیز لذت یابد ، همی نقض کند مر آن مقدمه را که گفت لذت نباشد مگر
بباز آمدن بحال طبیعی پس از بیرون شدن از آن ، از بهر آنکه حال طبیعی
شنونده آن است که هیچ آواز نشنود البتة نه باریک و نه سطر ، همچنان که
حال طبیعی بساونده است که نه سرما یابد و نه گرما و نه درشت بساود و نه نرم .
و چون شنونده مر آواز باریک بنظم را بشنود همی از حال طبیعی بیرون شود
بجانبی و از آن همی لذت یابد بخلاف قضیت این فیلسوف که گفت از بیرون شدن
از حال طبیعی مر خداوند حس را رنج آید . و این لذت مر اورا گوئیم کز
آواز چنگ و چنگ زنی خوش رسید که مر آن را با قولی منظوم در خور بدو
رساید . پس واجب آید از حکم این فیلسوف باز آمدن این مرد بحال طبیعی خویش
حالی باشد بضد این حال که یاد کردیم و آن با آواز خری باشد که برابر شود
با دشنام خرنده سطر آواز تا حس سمع آن مرد کز آواز چنگ و نغمه باریک
از طبیعت بیرون شده بود به طبیعت باز آید و از آن لذت یابد . ولیکن هر
کسی داند که هیچ مردم از آن نغمه خوش و آواز چنگ رنج نشود و نه از
بانگ خر لذت یابد با آنکه اگر چنانکه این مرد گفت مردم کز شنودن آواز

۲۴

- باريك بر عقب آن آواز سطر لذت يافتی حکم اين مرد راست نبودی از بهر آنکه اين مردم به بيرون شدن از طبيعت ييافتن آواز باريك لذت يافته بودی و م
 ۳ يياز گشتن بدان يافتن آواز سطر يافته بودی ، و حکم او چنان است که مردم به بيرون شدن از حال طبيعي رنجه شود نه لذت يابد . و مردم از آواز باريك
 ۲۴۰ و سطر لذت يابد | نه بباريکی و سطر ي آواز لذت يابد بل بنظم آن يابد . نيدنی
 ۶ که هيچ آواز از آواز پر پشه باريکتر نيست و آوازی سطر تر از بانگ خر نيست و مردم از اين لذت هيچ نيابند . پس چنين سخن گفتن فلسفه نباشد بلکه عرضه کردن جهل و سفاهت باشد
 ۹ و نيز گوئيم اندر لذتی که مردم از راه بساونده يابند که بسودنها چیزی از هوا نرمتر نيست ، و اگر مردی برهنه بنشيند تا جسد او با هوا خوکند و آن حال طبيعي او باشد آنگاه پس از آن اگر جبه از موی سمور بپوشد بدان از
 ۱۲ حال طبيعي خويش بيرون شود و ليکن رنجه نشود بلکه از آن لذت يابد ، بخلاف حکم اين فيلسوف باشد که گفت رنج از بيرون شدن آيد از طبيعت ولذت باز بگشتن باشد به طبيعت
 ۱۵ و اندر حال چشنده گوئيم که چون مردم چیزی نچشیده باشد حاست چشنده او بحال طبيعي باشد ، و چون قدری انگين بدهان اندر نهد حاست او از حال طبيعي بگردد و بيرون شود و از آن لذت يابد . و بحکم اين فيلسوف بايستی که
 ۱۸ رنجه شدی بدانچه انگين مر حاست چشنده او را از حال طبيعي بيرون برد . و اين تأثير کننده نخستين بود اندر حاست اين مرد . و چون بر اثر اين تأثير کننده و ديگر تأثير کننده بضد اين بيايد و آن پاره شحم حنظل بود تا مر
 ۲۱ او را از بيرون شد از طبيعت به طبيعت باز برد بايستی کز آن لذت يافتی بحکم اين فيلسوف . و ليکن از اين باز برنده مر او را بطبيعت سخت رنجه گشت و

- بچشیدن انگبین که بدان از حال طبیعی بیرون شد لذت یافت و از چشیدن شحم
حنظل که بدان بحال طبیعی باز گشت رنجه شد ظاهر شد که قول این مرد
اندر این معانی نا درستست . پس این حال چنان است که چشندۀ شکر و انگبین ۳
همیشه بطبیعت باز آید و چشندۀ هلیله و حنظل همیشه همی از طبیعت بیرون شود ۲۴۱
و نیز گوئیم که این مرد باول اغاز مقاتل خویش گفت که لذت حسی
یافتن راحتست از رنج و رنج از آن رسد که خداوند حس از حال طبیعی ۶
بیرون شده باشد و از یافتن گرما بر عقب سرما و یافتن خنکی بر عقب گرما
بر آن برهان آورد . پس گفت همین است حال دیگر حواس ، و گفت ظاهر
کردیم که لذت جز بر عقب رنج نباشد و این راحت باشد از رنج که مر او را لذت ۹
نام نهادند . و ما گوئیم اندر رد این قول که اگر مردی باشد تندرست و درست
حواس و دیگری بیاید و شکری بدهان او اندر نهد و نافۀ مشک و دستۀ گل پیش
او نهد و باوازی خوش شعری معنوی بر خواند پیش او و دیبائی منقش پیش او ۱۲
باز کند و بجامۀ نرم تنش را پوشد تا همه حالهای طبیعی او متبدل شود ، پس بحکم
این فیلسوف که گفت چون حال طبیعی مردم متبدل شود مردم را رنج آید
واحب آید که این مرد سخت رنجه شود از چشیدن شکر و یافتن بوی مشک ۱۵
و گل و شنودن سماع خوش و پوشیدن جامۀ نرم و دیدن دیبای منقش . و لیکن
همۀ عقلا دانند که حال این مرد بخلاف آن باشد که این فیلسوف حکم کرد
است . و اگر حکم این مرد راست بودی چیزهای مکروه نبودى اندرین ظلم ۱۸
که مردم برنج آن مخصوصست از دیگر حیوان
و ظاهر است مر عقلا را که حاست بساوندۀ مردم مر موی سمور | را بساود ۲۴۲
از حال طبیعی بیرون شود ، همچنانکه چون مر پلاس پر موی را یا خار خسک ۲۱
را بساود از طبیعت بیرون شود ، و لیکن از آن یکی لذت یابد و ازین دیگر

(۶) یافتن ك — (۱۵) بوی جون مسك ب — (۲۱) بلاس و مرموی* درشت

رنجه شود . و حاست نگرندۀ مردم چون دختری خوب روی را بیند اندر جامه‌های دیما از حال طبیعی بیرون شود ، همچنانکه چون گنده پیری زنگی نابینا را بیند اندر گلیمی زشت باز از حال طبیعی بیرون شود ، و لیکن از آن یکی لذت یابد و از آن دیگر رنجه شود . و حاست شنوندۀ مردم چون شنود که زنش ناگه پسری درست صورت زاد بدان از حال طبیعی بیرون شود ، همچنانکه اگر بشنود که برادرش بمرد و مالش سلطان بر گرفت نیز از حال طبیعی بیرون شود ، و لیکن حالش اندر این دو بیرون شدن از طبیعت نه چنان باشد که حکم این فیلسوف بر آنست . و حاست بویندۀ مردم از یافتن بوی عنبر و ریاحین از حال طبیعی بیرون شود ، همچنانکه یافتن گند مردار و سرگین از حال طبیعی بیرون شود ، و لیکن مر آن بیرون شدن را بجوید و ازین دیگر بگریزد

و گوئیم که این حکم که این فیلسوف کردست چرا اندر بعضی از حاست بساونده نیست و اندر کل این حاست نیز نیست ، اعنی که این حکم اندر یافتن گرما و سرماست که شدت رنج بمردم رسد و بس چنانکه چون پس از رنجگی از سرما گرما بدو پیوسته شود از آن لذت یابد . و این بعضی است از آنچه بحاست بساونده یافتست از بهر آنکه بحاست بساونده جز گرما و سرما چهار معنی مختلف نیز یافتست چون نرم و درشت و متحرك و ساکن . و حال مردم بیافتن این معنیها نه بر آن سبیل است که بیافتن گرما | و سرماست و مردم از بسودن درشت از پس بسودن چیزی نرم لذت نیابد و از بسودن متحرك سپس از ساکنی لذت یابد البته . پس ظاهر کردیم که حاست بساونده مر سه مخالف را یابد از گرمی و سردی و نرمی و درشتی و متحرك و ساکن ، و حکم این فیلسوف اندر يك جفت ازین سه جفت حق است و اندر دو جفت باقی باطل است ،

(۱۰) ولیکن یکی را از آن بیرون شدن ك — (۱۲) جز اندر بعضی ك —

(۱۴) که از ضد رنج ك — (۱۸) به برای سببی است که ك

و اندر چهار حاست دیگر از نگرنده و شنونده و بوینده و چشنده این حکم باطل است

۳

مثل محمد زکریا اندرین حکم مثل مردی

بیابانست که میوه ندیده باشد

- و مثل این مرد بحکم کردن اندر لذت که مردم مر آن را بینچ حواس بیابد و گفتن که آن جز راحت از رنج هیچ چیز نیست و این جز بر عقب رنج نباشد چون مثل مردم بیابانی است که هیچ میوه ندیده باشد پس بر طبقی انگوری بیند و خرمائی و انجیری و بادامی و خربزه و مر آن جوز ترا با پوست بر گیرد و بچشد و ناخوشی آن بکام و زبان او رسد اندیشه نکند که شاید بودن که زیر این پوست اندر چیزی خوشتر از این است یا شاید بودن که این دیگر چیزها جز چنین است ، بل حکم کند که این چیزها همه چنین تلخ و ناخوش و زبان گیر است و ازین چیزها هیچ چیز چنین نیست و حکم او مانند ۱۲ این فیلسوف باشد بدانچه اندر يك سه يك از حاست از جمله پنج حواس معنی بیافت حکم کرد که اندر هر پنج حواس این | حکم که من اندر این يك سه يك حاسی یافتم روانست تا چون از آن باز جویند جهل و غفلت او ظاهر شود ۱۰ چنین که ظاهر کردیم جهل و سفاقت او را

۲۴۴

فرق میان لذت و راحت

- بلکه گوئیم که لذت چیز دیگر است و راحت از رنج چیز دیگر . اما ۱۸ لذت آن است که چون مردم از حال طبیعی بدان رسد شادمانه و تازه شود و چون از آن باز ماند رنجه شود ، چنانکه چون از حال درویشی و گرسنگی و تشنگی و تنهائی بتوانگری و طعام و شراب و مونس و محدث و جز آن رسد ۲۱ شادمانه و تازه شود ، و چون از آن باز ماند بر حال پیشین خویش بماند بلکه رنجه

شود . و راحت از رنج آنست که چون مردم از آن بحال طبیعی خویش باز
گردد بر حال خویش ماند ، چنانکه چون از تندرستی بیماری شود رنج
۳ شود و چون از آن بیماری درست شود بحال پیشین خویش باز گردد نه لذت یابد
و نه رنج البته

و اکنون که از رد قول این مرد در این معنی پرداختیم و میان لذت و
۶ میان راحت از رنج فرق کردیم اندر مراتب لذات سخن گوئیم چنانکه باغاز
این قول وعده کردیم ...

من كتاب العلم الإلهي

نسب أصحاب التراجم إلى الرازي بعض مصنفات متصلة بالعلم الإلهي^(١)، منها
 (١) «كتاب (في) العلم الإلهي» ذكره الرازي نفسه في «كتاب السيرة الفلسفية»^(٢)
 وكذلك ذكره البيروني^(٣) وابن أبي أصيبعة^(٤) وصاعد الأندلسي^(٥) وابن حزم^(٦)
 وغيرهم^(٧)، ويظهر أن هذا الكتاب هو «كتاب العلم الإلهي الكبير» المذكور
 في رسالة البيروني في فهرست كتب الرازي^(٨) وأنه نفس التأليف الوارد ذكره
 في كتاب زاد المسافر لناصر خسرو بعنوان «شرح العلم الإلهي»^(٩). أما موسى
 بن ميمون فقد أشار إليه بعنوان «الإلهيات» كما ترى^(١٠). ويظهر أن كتاب العلم الإلهي

(١) راجع أيضاً ما قاله S. Pines في كتابه *Beiträge zur islamischen Atomenlehre*, p. 89.

(٢) راجع من فوق ص ١٠٨ س ٢٠

(٣) رسالة في فهرست كتب الرازي ص ٣ س ١٢ (راجع القطعة ٩)

(٤) ج ١ ص ٣١٧ س ١١

(٥) راجع القطعة ٧

(٦) راجع القطع ١ و ٢ و ٤ و ٨

(٧) سماه ناصر خسرو في رسالته «كتاب الهى» (راجع القطعة ٥)

(٨) رقم ١١٦

(٩) ص ٥٢، راجع القطعة ٣

(١٠) راجع القطعة ٦، وسماه ابن ميمون في موضع آخر (راجع من تحت ص ١٦٩ تعليق ٥)

هذا كان محتوى على عدة مقالات كما يتبين من قول أصحاب التراجم بأن أبا القاسم البخاري نقض المقالة الثانية منه^(١). ونستطيع أن نقول إن أبا الحسن علي بن الحسين المسعودي كان يقصد إلى كتاب العلم الإلهي حين نسب إلى الرازي كتاباً على مذهب الفوئاديين في ثلاث مقالات ألف « بعد سنة ثلاثمائة وعشرة »^(٢). ولما كان الرازي قد بسط في كتاب العلم الإلهي مذهبه في القدماء الخمسة رجحنا أن الكتاب الموسوم « بالقول في القدماء الخمسة »^(٣) الذي ذكره الطوسي والجرجاني^(٤) ليس إلا التأليف الذي نحن بصددده، كما نظن أن ما أورده ناصر خسرو في كتاب زاد المسافر من قول الرازي في قدم الهيولى والمكان والزمان والنفس والبارئ مقتبس منه^(٥)

(٢) ذكر ابن النديم^(٦) وابن القفطي^(٧) كتاباً للرازي عنوانه « الصغير في العلم الإلهي » وسماه البيروني^(٨) « كتاب العلم الإلهي الصغير »^(٩) على رأى

(١) راجع من تحت ص ١٦٨

(٢) راجع القطعة ١١

(٣) لا نجد مثل هذا العنوان عند أصحاب التراجم

(٤) راجع القطعة ١٣

(٥) هذا أيضاً رأى الاستاذ H. H. Schaeder في مقاله

Die islamische Lehre vom Vollkommenen Menschen (Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Leipzig 1925), p. 229.

راجع أيضاً القطعة ٣

(٦) ص ٣٠٠ س ١٩

(٧) ص ٢٧٤ س ١٢

(٨) رقم ١١٤

(٩) في النسخة المخطوطة « الصور ». ويحتمل أيضاً أن يكون البيروني قصد إلى عنوانين مختلفين أحدهما « كتاب العلم الإلهي » والثاني « الصور على رأى سقراط » إلا أن سائر فهارس تأليفات الرازي لا تساعد على هذا الاحتمال

سقراط « (١) ولعله هو نفس الكتاب الذي ذكره ابن أبي أصيبعة باسم الكتاب « في العلم الإلهي على رأي أفلاطون » (٢)
 (٣) نسب ابن أبي أصيبعة (٣) إلى الرازي « رسالة لطيفة في العلم الإلهي » سماها ابن النديم (٤) « رسالة في العلم الإلهي لطيفة »
 (٤) أورد ابن النديم (٥) « كتاب الحاصل في العلم الإلهي » سماه البيروني (٦) « كتاب الحاصل » وقال ابن أبي أصيبعة (٧) « كتاب الحاصل وغرضه فيه ما يحصل (٨) من العلم الإلهي من طريق الأخذ بالحرص (٩) وطريق البرهان »

لم يصل إلينا شيء من تلك المصنفات عامة ومن « كتاب العلم الإلهي (الكبير) » خاصة رغم ما كان له من شأن كبير في تاريخ الفلسفة الإسلامية ، حتى إن كثيراً من مفكرى الإسلام رأوا من واجهم أن يردوا عليه ، منهم
 (١) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي رئيس معتزلة بغداد (توفي سنة ٣١٩ هـ) كان معاصراً للرازي وألف عدة نقوض على كتاب العلم الإلهي (١٠) تحدى بها الرازي إلى الرد عليها . وقد نسب أصحاب التراجم للرازي التأليفات الآتية : (١) « كتاب نقض نقض البلخي للعلم الإلهي » (١١) أو « كتاب

(١) المعروف أن الرازي كان يعتبر سقراط إمام الفلاسفة ، راجع من فوق ص ٩٩

(٢) ج ١ ص ٣١٧ س ١٢

(٣) ص ٣٢٠ س ٧

(٤) ص ٣٠١ س ١٣

(٥) ص ٣٠١ س ١٣

(٦) رقم ١٢٢

(٧) ج ١ ص ٣٢٠ س ٦

(٨) النسخة المطبوعة : يحمل

(٩) لعل الصحيح : بالحدس

(١٠) راجع أيضاً كتاب الرازي « فيما جرى بينه وبين أبي القاسم الكعبي في الزمان »

وهو مذكور في رسالة البيروني رقم ٦٢

(١١) ابن النديم ص ٣٠١ س ١٠

في نقض كتاب البلخي لكتاب العلم الإلهي والرد عليه «^(١) ، ولعله هو الكتاب « في إيضاح غلط المنتقد عليه في العلم الإلهي » المذكور عند البيروني «^(٢) . (ب) « كتاب في الرد على أبي القاسم البلخي فيما ناقض به في المقالة الثانية من كتابه في العلم الإلهي »^(٣) أو « كتاب الرد على أبي القاسم البلخي في نقضه المقالة الثانية في العلم الإلهي »^(٤) . (ج) « كتاب إلى أبي القاسم البلخي في الزيادة على جوابه وعلى جواب هذا الجواب »^(٥) أو « كتاب إلى أبي القاسم البلخي والزيادة على جوابه وجواب هذا الجواب »^(٦)

(٢) أبو نصر محمد بن محمد الفارابي (المتوفى سنة ٣٣٩) وينسب إليه : « كتاب في الرد على الرازي في العلم الإلهي »^(٧)

(٣) أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم البصري الرياضي (المتوفى سنة ٤٣٠) وينسب إليه « نقض على أبي بكر الرازي المتطرب رأيه في الإلهيات والنبوات »^(٨) (٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (توفي سنة ٤٥٦) وهو يشير في كتاب الفصل في الملل^(٩) إلى تأليف له عنوانه « كتاب التحقيق في نقض كتاب العلم الإلهي لمحمد بن زكرياء الطبيب »

(١) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٠ س ١

(٢) رقم ١١٧ ، راجع أيضاً رقم ١١٥ : « جوابه عن انتقاد أبي القاسم عليه »

(٣) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٧ س ١٣

(٤) ابن النديم ص ٣٠٠ س ٢١

(٥) ابن النديم ص ٣٠٠ س ٢٠

(٦) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٧ س ١١

(٧) كذا ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٣٩ س ٨ ، ويسميه ابن الففطى ص ٢٨٠ س ١ « كتاب الرد على الرازي » . راجع أيضاً M. Steinschneider, *Al-Farabi* (St. Pétersbourg 1869), p. 119.

(٨) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٩٧ س ٦ . راجع أيضاً ما قلته في *Rivista degli Studi Orientali* XIV (1934), p. 363.

(٩) طبعة مصر ١٣٤٧ ، ج ٥ ص ٤٤ ، وأيضاً ج ١ ص ٣٥ . راجع أيضاً M. Asin Palacios, *Abenmasarra y su escuela*, Madrid 1914, p. 11.

- (٥) أبو الحسن علي بن رضوان الطبيب المصري (توفي سنة ٤٦٠ هـ) وينسب إليه «كتاب في الرد على الرازي في العلم الإلهي وإثبات الرسل» (١)
- (٦) أبو المعين ناصر بن خسرو (المتوفى سنة ٤٨١ هـ) رد على الرازي في كتاب زاد المسافر (٢) وفي كتاب بستان العقل (٣) الذي لم يصل إلينا
- (٧) أبو عمران موسى بن عبيد الله بن ميمون الإسرائيلي القرطبي (توفي سنة ٦٠١ هـ) وقد نقض كتاب الرازي في فصل من كتابه دلالة الحائرين (٤)، وأشار أيضاً إليه في رسالة أرسلها إلى شموئيل بن يهوذا بن طبون مترجم كتاب دلالة الحائرين إلى اللغة العبرية (٥)

(١) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٠٥ س ١٠، راجع أيضاً J. Schacht — Max Meyerhof, *The Medico-Philosophical Controversy between Ibn Butlan of Baghdad and Ibn Ridwan of Cairo*, Cairo 1937, p. 48.

(٢) ص ٥٢، راجع القطعة ٣

(٣) وهو المذكور في رسالة ناصر خسرو (راجع القطعة ٥). أما نسبة كتاب بستان العقل إلى ناصر خسرو فراجع Pines, *Beiträge*, p. 88²

(٤) راجع القطعة ٦

(٥) ضاع الأصل العربي لهذه الرسالة وبقيت لها ترجمة عبرية تجدها في «مجموعة جوابات ربي موسى بن ميمون» (קובץ תשובות רמב"ם) المطبوعة في ليبزيك ١٨٥٩

(في الجزء الثاني ص ٢٨) والإشارة فيها إلى الرازي بهذا النص: **וספר חכמה אלהית שחבר אלראזי הוא לו אבל אין בו תועלת לפי שאלראזי היה רופא בלבד**. أما الطبعة الأولى لرسائل ابن ميمون المنشورة باستانبول سنة ١٥١٧ م فقد وردت فيها ترجمة أخرى لنفس هذه الجملة وهي: **והחכמה האלהית לאלראזי**

הוא כפר אין בו תועלת כי ראזי רופא היה לבד [راجع S. Munk في ترجمته لكتاب دلالة الحائرين لابن ميمون ج ٣ ص ٦٧، وأيضاً Alexander Marx في مجلة *Jewish Quarterly Review*, New Series, vol. XXV (1935) p. 378,

وكذلك J. Sonne في مجلة *תרביץ* ج ١٠ (١٩٣٩) ص ١٣٩] ومماها باللغة العبرية: «وكتاب العلم الإلهي الذي ألفه الرازي هو له إلا أنه عديم الفائدة لأن الرازي كان طبيباً فقط» (أفادني صديقي الدكتور D. H. Baneth بهذه المعلومات وهو الذي سينشر في المستقبل القريب رسائل ابن ميمون نشرة علمية)

وقد وصلنا أيضا عند ابن حزم وناصر خسرو وابن ميمون وغيرهم عدة قطع من الردود على كتاب العلم الإلهي جمعناها فيما يلي مختارين لها ترتيبا يظهر الموضوعات المختلفة التي احتوى عليها ذلك الكتاب

١

كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (طبعة مصر ١٣٤٧) ج ١ ص ١٠ (١) :

قال أبو محمد رضى الله عنه : وقد تحدث في خلال هذه الأقوال آراء هي منتجة من هذه الرؤوس ومركبة منها . فمنها ما قد قالت به طوائف من الناس مثل ما ذهب إليه فرق من الأمم من القول بتناسخ الأرواح أو القول بتواتر النبوات في كل وقت وأن في كل نوع من أنواع الحيوان أنبياء . ومثل ما قد ذهب إليه جماعة من القائلين وناظرتهم عليه من القول بأن العالم محدث وأن له مدبراً لم يزل إلا أن النفس والمكان المطلق — وهو الخلاء — والزمان المطلق لم تزل معه

قال أبو محمد : — وهذا قول قد ناظرني عليه عبد الله بن خلف بن مروان الأنصاريّ وعبد الله بن محمد السلميّ الكاتب ومحمد بن علي بن أبي الحسين الأصبحيّ الطبيب وهو قول يؤثر عن محمد بن زكرياء الرازيّ الطبيب ، ولنا عليه فيه كتاب مفرد في نقض كتابه في ذلك وهو المعروف بالعلم الإلهي

(١) صححنا القطع المقتبسة من كتاب الفصل لابن حزم بمقابلتها بالنسخة المخطوطة المحفوظة بخزانة عاشر رئيس الكتاب باستانبول تحت رقم ٥٥٥ ، وقد عثرنا على صورة شمسية لها في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٥٩١ ب ، وهذه النسخة حررت في سنة ٧٢٢ هـ وعدد صفحاتها ١٠٤٥ . راجع أيضاً H. Ritter في مجلة Der Islam ج ١٨ (١٩٢٩) ص ٤٥

كتاب الفصل لابن حزم ، ج ٥ ص ٤٤ (ص ٩٨٧ من النسخة المخطوطة) :

- قال أبو محمد : فأما الخلاء والمدة فقد تقدم إفسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفي كتابنا المرسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الإلهي
- ٣ لمحمد بن زكرياء الطيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره في هذا المعنى بأبين شرح ، والحمد لله رب العالمين كثيرا . وأثبتنا في صدر كتابنا هذا وهناك أنه ليس في العالم خلاء البتة وأنه كله كرة مصمتة لا تخلخل فيها وأنه ليس وراء هذا خلاء ولا ملاء ولا شيء البتة وأن المدة ليست إلا مذ أحدث الله الفلك بما فيه ٦ من الأجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها . وبيننا في كتاب التقريب لحدود الكلام أن الآلة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التي تدخل في إحليل من به أسر البول براهين ضرورية في تحقيق أن لا خلاء في العالم أصلا . فإن الخلاء عند القائلين به إنما ١ هو مكان لا متمكن فيه . وهذا محال بما ذكرنا لأنه لو خرج الماء من الثقب الذي في أسفل سارقة الماء وقد سد أعلاها لبقى مكانه خاليا بلا متمكن فيه ، فإذا لم يمكن ذلك أصلا ولا كان في بنية العالم وجوده وقف الماء باقيا لا ينهرق حتى إذا فتح ١٢ أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء . وكذلك الزرافة والآلة المتخذة لمن به أسر البول ، فانه إذا حصلت تلك في داخل الإحليل وأول المثانة ثم جذب الزر المغلق لثقبها إلى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج ، ولو لم يخرج ١٥ لبقى ثقب الآلة خاليا لا شيء فيه وهذا باطل ممتنع . وقد بينا في صدر كتابنا كل ما اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المسكان وأعنى عن إعادة

يظهر من هذه القطعة ومن التي قبلها أن الرازي كان يعالج في كتاب العلم الإلهي مذهبه في المسكان والخلاء والزمان والمدة ، ويتبين أيضاً أن الرد المفصل على نظريات الرازي الذي أورده ابن حزم في الجزء الأول من كتابه (ص ٢٧-٣٥) يقصد في أول الأمر لكتاب العلم الإلهي

کتاب زاد المسافر لناصر خسرو (طبعة برلين ۱۹۲۸) ص ۵۲ س ۱۶ - ص ۵۳ س ۸ :

۳ واز این چهار قسم جسم آنچه سخت تر است و فراز م آمده است خاکست که بر مرکز است ، و آب از او گشاده تر است که برتر از اوست ، و باد از آب گشاده تر است که برتر از آن است ، باز آتش از هوا گشاده تر است که برتر از هواست

۶ و محمد زکریای رازی گوید اندر کتاب خویش که آنرا « شرح علم الهی » نام نهاده است که این جواهر این صورتها از ترکیب هیولی مطلق یافته اند با جوهر خلا ، و اندر آتش جوهر هیولی با جوهر خلا آمیخته است ولیکن خلا اندر او بیشتر از هیولی است ، و باز اندر هوا گوید خلا کمتر است از هیولی ، و اندر آب گوید خلا کمتر از آنست که اندر جوهر هواست ، و باز اندر خاک خلا کمتر از آن است که اندر جوهر آبست

الترجمة

أما الأقسام (العناصر) الأربعة التي للجسم فما كان منها أصلب وأشد فهو الأرض التي في المركز ، وأما الماء فهو أكثر تخلخلًا منها لأنه أعلى ، والريخ أكثر تخلخلًا من الماء لأنه أعلى منه ، ثم إن النار أكثر تخلخلًا من الهواء لأنه أعلى من الهواء ويقول محمد بن زكرياء الرازي في كتابه الذي سماه شرح العلم الهی إن هذه الجواهر تحصلت هذه الصور من تركيب الهیولی المطلقة مع جوهر الخلاء . أما النار فيمتزج فيها جوهر الهیولی بجوهر الخلاء إلا أن الخلاء فيها أكثر من الهیولی ، وأما الهواء فيقول فيه إن الخلاء فيه أقل من الهیولی ، ويقول في الماء إن الخلاء فيه أقل منه في جوهر الهواء ، وأما الأرض فالخلاء فيها أقل منه في جوهر الماء

وگوید که آتش اندر هوا بزدن سنگ بر آهن از آن همی پدید
آید که هوا را سنگ و آهن همی گشاده تر از آن کند که هست
تا همی آتش گردد

وما درین کتاب چون باب هیولی و خلا رسم اندر این معنی سخن
گوئیم

نری من هذه القطعة أن الرازي كان يسط في كتابه مذهبه في الهیولی أيضاً . فاذا وجدنا
في القطعة الثامنة ذكر القدماء الحسنة التي ذهب إليها الرازي اى قدم الباریء والنفس والهیولی
والمكان والزمان فلا يبعد أن يكون كل ما أورده ناصر خسرو في هذا الصدد (١) مقتبساً
من كتاب العلم الإلهي للرازي . أضف إلى هذا أن ناصر خسرو (٢) يشير إلى العلم الإلهي عند
ردّه على مذهب الرازي في الزمان . ومع هذا فقد أخرجنا تلك القطع الأخرى (٣) من ثبوتنا
هذا إذ كان من غرضنا أن لا نذكر إلا القطع التي لا شك في نسبتها إلى كتاب العلم الإلهي
ولذا كان الرازي يبحث عن نفس تلك المسائل في كتب آخر أيضاً

(١) كتاب زاد المسافر ص ٧٣ وما يليها

(٢) نفس المرجع ص ١٠٣ س ٨

(٣) راجع ما بعد من الفصل الثامن إلى الحادي عشر

الترجمة

ويقول إن حدوث النار في الهواء من ضرب الحجر على الحديد إنما يكون لأن الحجر
والحديد يصيران الهواء أكثر تخلخلًا مما كان عليه حتى يصبح ناراً
وسنبحث في هذا الكتاب عن هذا المعنى حين نبلغ باب الهیولی والخلاء

٤

كتاب الفصل لابن حزم ٦ ج ١ ص ٧٦-٧٧ (ص ١٠٢ وما يليها من النسخة المخطوطة) :

قال أبو محمد رضى الله عنه : افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين فذهبت الفرقة الواحدة إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد ٣ آخر وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت . وهذا قول أحمد بن حنبل (١) وأحمد بن يانوش تلميذه (٢) وأبى مسلم الخراساني ومحمد بن زكرياء الرازي الطبيب وهو قول القرامطة من الاسماعيلية وغالية الرافضة . . .

وقد صرح بهذا محمد بن زكرياء الرازي في كتابه الموسوم بالعلم الإلهي ، وقال في بعض كتبه : لولا أنه لا سبيل إلى تخلص الأرواح عن الأجساد المتصورة بالصور البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصور الإنسان إلا بالقتل ٦ والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان البتة ... ٩

قال أبو محمد رضى الله عنه : وهذه كما ترى دعاو وخرافات بلا دليل . وذهب هؤلاء إلى أن التناسخ إنما هو على سبيل العقاب والثواب . قالوا فالفاسق المسمى ١٣ الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الحبيثة المرتطمة في الأقدار والمسخرة المؤلمة الممتحنة بالذبح . واختافوا في الذي كانت أفاعيله كلها شرأ لا خير فيها فقال

(١) راجع كتاب الانتصار للخياط ص ١٤٧ ، وكتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٥٨ - ٢٦١ ، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني (على هامش كتاب الفصل لابن حزم) ج ١ ص ٦٧ - ٦٩ ، وكتاب روضات الجنات للخواصارى ص ٤٢ ، وكتاب الميوان للجاحظ ج ٥ ص ١٢٨ س ١٤ (في النص المطبوع « ابن حائك ») وكذلك ج ٤ ص ٩٦ س ١٧ (في النص المطبوع « ابن حافظ ») . راجع أيضاً ما قاله الاستاذ Nyberg في تعليقاته على كتاب الانتصار ص ٢٢٣ - ٢٢٤

(٢) اسمه أحمد بن أيوب بن يانوش ، واختلف في اسم جده فكتبه ابن حزم « نانوس » وكتبه الشهرستاني (ج ١ ص ٦٩) « مانوش » وأما البغدادى (ص ٢٥٨) فقد كتبه « بانوش »

بعضهم أرواح هذه الطبقة هي الشياطين ، وقال أحمد بن حائط إنها تنتقل إلى جهنم فتعذب بالنار أبد الأبد . واختلفوا في الذي كانت أفاعيله كلها خيرا لا شرا فيها ^{١٥} فقال بعضهم أرواح هذه الطبقة هي الملائكة ، وقال أحمد بن حائط إنها لا شك تنتقل إلى الجنة فتتعم فيها أبد الأبد . . . واحتج من هذه الطائفة من لا يقول بالإسلام بأن قالوا إن النفس لا تنهاى والعالم لا يتناهى لأمدته والنفس منتقلة أبداً ^{١٨} وليس انتقلها إلى نوعها بأولى من انتقلها إلى غير نوعها

قال أبو محمد رضى الله عنه : وذهبت الفرقة الثانية إلى أن منعت انتقال الأرواح إلى غير أنواع أجسادها التي فارقت . وليس من هذه الفرقة من يقول ^{٢١} بشيء من الشرائع ، وهم من الدهرية وحجتهم هي حجة الطائفة التي ذكرنا قبلها القائلة انه لا تنهاى للعالم فوجب أن تتردد النفس في الأجساد أبداً . قالوا ولا يجوز أن تنتقل إلى غير النوع الذي أوجب لها طبعها الإشراف عليه ^{٢٤} وتعلقها به . . .

وقال أيضا بعض من ذهب إلى التناسخ من الحاملين ذلك على سبيل الجزاء : إن الله تعالى عدل حكيم رحيم كريم . فاذ هو كذلك فبحال أن يعذب من لا ذنب له . ^{٢٧} قال فلما وجدناه تعالى يقطع أجسام الصبيان الذين لا ذنب لهم بالجدرى والقروح ويأمر بذبح بعض الحيوان الذي لا ذنب له وبطبخه وأكله ويسلط بعضها على بعض فيقطعها ويأكله ولا ذنب له علمنا أنه تعالى لم يفعل ذلك إلا وقد كانت الأرواح عصاة ^{٣٠} مستحقة العقاب فركبت في هذه الأجساد لتعذب فيها

يظهر من هذه القطعة أن الرازى بحث في كتاب العلم الإلهي عن تناسخ الأرواح كما أنه عاج هذا الموضوع في سائر كتبه ، فقد وافق قول ابن حزم ما نقرأه في « كتاب السيرة الفلسفية » (١) حيث يقول الرازى : « فانه ليس تخليص النفوس من جثة من جثث الحيوانات إلا من جثة الانسان فقط ، وإذا كان الأمر كذلك كان تخليص أمثال هذه النفوس من جثثها شبيهاً بالطريق والتسهيل إلى الخلاص . . . ولولا أنه لا مطمع في خلاص نفس من غير جثة الانسان لما أطلق حكم العقل

ذبحها البتة « . وكذلك ألف الرازي رسالة « في علة خلق السباع والهوام (١) » لا شك أنه مسّ فيها مسألة أنفس الحيوان وتخليصها من جثثها . ويوافق هذا القول أيضاً ما قرأه في كتاب زاد المسافر لناصر خسرو (٢) من قول الرازي بتعلق النفس الكلية بالهيولى وتخليصها منها . راجع أيضاً M. Schreiner, *Zur Geschichte der Lehre von der Seelenwanderung* (app. *Der Kalâm in der jüdischen Literatur*, Dreizehnter Bericht über die Lehranstalt für die Wissenschaft des Judentums in Berlin, 1895, وأيضاً ما قلته في مجلة *Orientalia* ج ٤ (١٩٣٥) ص ٣٢٨

٥

رسالة الحكيم أبي معين حميد الدين ناصر بن خسرو القبادباني « در جواب نود ويك فقره أسئلته فلسفي ومنطقي وطبيعي ونحوي وديني وتأويلي » (٣) وهي رسالة باللغة الفارسية ، قال مؤلفها عند ذكره آراء الفلاسفة في الملائكة :

وثابت بن قره الحراني كه مر كتب فلسفي را ترجمه او كرده است از زبان وخط يوناني بزبان وخط تازي بر افلاك وكواكب كه احيا ونطقا اند برهان

-
- (١) ابن النديم ص ٣٠١ س ٧ ، وابن الفطحي ص ٢٧٥ س ٩ ، وابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٩ س ٢٥ . أما البيروني (رقم ١٢٥) فقد سماها « في سبب خلق السباع » .
 (٢) س ١١٥ وكذلك ص ٣١٨ - ٣١٩ ، راجع من تحت في الفصل العاشر
 (٣) طبعت هذه الرسالة على عقب ديوان أشعار ناصر خسرو الذي نشره آقاي حاجي سيد نصر الله تقوى (طهران ١٣٠٤ - ١٣٠٦ هـ شمسي) ص ٥٦٣ - ٥٨٣ ، والفصل المذكور هامنا ورد فيها ص ٥٧١ - ٥٧٢ . وقد أتى الاستاذ S. Pines في كتابه *Beiträge zur islamischen Atomenlehre* ص ٨٧ بترجمة ألمانية لهذا الفصل

کرده است . و گفتست که مردم را حیات و سخن بدانست که جسد او شریفتر ۳
جسدست و اندر شریفتر جسدی که آن جسد مردمست شریفتر نفس فرود
آمدست ، و آن | نفس زنده و سخنگوی است ، و این مقدمه صادقه است . آنگاه ۵۷۲
گفتست و افلاك وانجم اجساد ایشان بغایت شرف و لطافتست و بنهایت پاکیزگی ۶
است ، و این مقدمه دیگرست صادقه . نتیجه ازین دو مقدمه اینست که مر این افلاك
وانجم را نفس ناطقه است و ایشان زندگان و سخنگویان . و این برهانست که این
فیلسوف کرده است بر آنکه فرشتگان افلاك و کواکب اند و زنده و سخنگوی اند ۹

و فلاسفه هرگز مرین را نستانند ، اما دیورا مقررند و گویند نفسهای
جاهلان بدکرداران که از جسد جدا شوند اندرین عالم بمانند ، بر آنچه بر حسرت
شهوتهای حسی بیرون شود از جسد و آن آرزوها مر او را بر کشد تواند که از ۱۲
طبایع گریزد و < در > جسمی زشت شود آن نفس و اندر عالم همیگردد
و مردمان را بفریبد و بدکرداری آموزد و اندر بیابانها مردمان را راه گم کند
تا هلاك شوند . چنانکه محمد زکریاء رازی گفته است اندر کتاب < علم > الهی ۱۵
خویش که نفسهای بدکرداران که دیو شوند خویشان بصورت < فرشتگان >
مر کسان را بنمایند و مرایشان را بفرمایند که رو مردمان را بگوی که سوی
من فریشته آمد و گفت که خدای ترا پیغامبری داد و من آن فرشته ام ، تا بدین ۱۸
سبب در میان مردمان اختلاف افتد و خلق کشته شود بسیاری بتدبیر آن
نفس دیو گشته . و ما بر ردّ قول این مهوس بی باک سخن گفته ایم اندر
کتاب بستان العقل ، اکنون بجواب این هوس مشغول نشویم بر اینجا ۲۱

(۱) کتب فل راخ — (۳) اگر مردم خ — (۴) آن که : کان خ — (۶) محتاج
پاکیزگی خ — (۷) اینکه : اندک خ — (۹) و سخن گویند خ — (۱۱) بدکردار کی خ —
(۱۳) از طبایع بر کند و جسمی خ (راجع کتاب زاد المسافرین ص ۱۱۵ س ۸) —
(۱۵) تا هلاك شود خ

الترجمة

أما ثابت بن قرة الحرّانيّ (١) الذي كان يترجم كتب الفلسفة من اللغة اليونانية والخط اليونانيّ إلى اللغة العربية والخط العربيّ فإنّه أتى ببرهان على أنّ الأفلاك والكواكب أحياء ناطقة . وذلك أنّه قال إنّ الإنسان ذو حياة ونطق من أجل أن جسده أشرف الأجساد ولأنّ أشرف نفس حلت في أشرف جسد الذي هو جسد الإنسان ، وهذه النفس حية ناطقة ، وهذه مقدمة صادقة . ثم قال إنّ أجساد الأفلاك والنجوم بغاية الشرف واللطف وفي نهاية الطهارة ، وهذه مقدمة ثانية صادقة . ونتيجة هاتين المقدمتين أنّ للأفلاك والنجوم أنفساً ناطقة وأنها أحياء ناطقة . فهذا البرهان الذي أتى به هذا الفيلسوف على أنّ الملائكة هم الأفلاك والكواكب وأنّ هذه أحياء ناطقة

ومن الفلاسفة من لا يمدح هذا قط بل يقرّون بوجود شياطين ويقولون إنّ نفوس الجبهة الأشرار متى فارقت أجسادها تبقى في هذا العالم . وذلك أنّها لما تركت أجسادها وهي في حسرة الشهوات الحسية التي تجتذبها (إلى العالم) لا تستطيع أن تخلص من الطوائع فتدخل جسماً خبيثاً وتنتقل في العالم وتخدع الناس وتعلمهم الرذائل وتضلّهم في البراري حتى يهلكوا . كما قال محمد بن زكرياء الرازيّ في كتابه < في العلم > الإلهيّ إنّ نفوس الأشرار التي صارت شياطين تتجلى لبعض الناس في صورة < الملائكة > وتأمرهم أن اذهب وقل للناس إنّهم قد جاءني ملك فقال لي إنّ الله أعطاك الرسالة وإني الملك (المبعوث إليك) ، حتى وقع الاختلاف بين الناس بسبب ذلك وقتل خلق كثير نتيجة تدبير تلك النفوس التي أصبحت شياطين . — وقد ردّدنا على قول ذلك المهوس الجريء في كتاب بستان العقل (٢) فلا نغني في هذا الموضع بالجواب عن هوسه

وفي هذه القطعة تكملة ما مضى من آراء الرازيّ في تناسخ الأرواح وهي تمس أيضاً

(١) راجع أيضاً كتاب مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازيّ (طبعة مصر ١٣٠٨) ج ٥ ص ٤٣٥ : « وكان ثابت بن قرة يثبت النفس ويقول أنّها متعلقة بأجسام سماوية نورانية لطيفة غير قابلة للكون والفساد والتفرق والتمزق ، وإن تلك الأجسام تكون سارية في البدن ، وما دام يبقى ذلك السريان بقيت النفس مدبرة للبدن ، فإذا انفصلت تلك الأجسام اللطيفة عن جوهر البدن انقطع تعلق النفس عن البدن »

(٢) راجع من فوق ص ١٦٩

مسألة النبوة والأنبياء بعبارة تذكرنا بكتاب الرازي « في النبوات » (١) . راجع أيضاً ردود ابن الهيثم وابن رضوان على الرازي التي كانت موجهة ضد آرائه في العلم الإلهي أو الإلهيات وفي الرسل أو النبوات (٢)

٦

كتاب دلالة الحائرين لموسى بن ميمون الإسرائيلي ، الجزء الثالث الفصل الثاني عشر (٣) :

كثيراً ما يسبق لخيال الجمهور أن الشرور في العالم أكثر من الخيرات ، حتى إن في كثير من خطب جميع الملل وفي أشعارهم يضمنون هذا الغرض ويقولون إن العجب أن يوجد في الزمان خير ، أما شروره فكثيرة ودائمة . ٣ وليس هذا الغلط عند الجمهور فقط إلا وعند من يزعم أنه قد علم شيئاً

وللرازي كتاب مشهور وسمه بالإلهيات ضمنه من هذياناته وجهالاته عظام ، ومن جعلتها غرض ارتكبه وهو أن الشر في الوجود أكثر من الخير ٦ وأنك إذا قايست بين راحة الإنسان ولذاته في مدة راحته مع ما يصيبه من الآلام والأوجاع الصعبة والعاهات والزمانات والأنكد والأحزان والنكبات فتجد أن وجوده — يعني الإنسان — نقمة وشر عظيم طُلب به . ٩

(١) راجع من تحت الفصل الثاني عشر

(٢) راجع من فوق ص ١٦٨ و ١٦٩

(٣) *Le Guide des Egarés, traité de théologie et de philosophie par* (٣) *Moïse ben Maimoun, dit Maïmonide, publié par S. Munk. Paris 1836, t. III, p. 18 ; trad. p. 66-67.*

وأخذ أن يصحح هذا الرأي باستقراء هذه البلايا ليقاوم كل ما يزعم أهل الحق من إفضال الإله وجوده البين وكونه تعالى الخير المحض وكل ما يصدر عنه خير محض بلا شك ١٢

وسبب هذا الغلط كله كون هذا الجاهل وأمثاله من الجمهور لا يعتبر الوجود إلا كشخص إنسان لا غير ويتخيل كل جاهل أن الوجود كله من أجل شخصه وكأن ليس ثم وجود إلا هو فقط . فان جاءه الأمر بخلاف ما يريد قطع قطعاً أن الوجود كله شر . فلو اعتبر الإنسان الوجود وتصوره وعلم نزارة حظه منه لتبين له الحق واتضح ١٥

يظهر من هذه القطعة أن الرازي بسط في كتاب العلم الإلهي فلسفته في الذات والآلام التي عالجها في غير كتاب من تصانيفه . راجع أيضاً ما أورده عنه وعن الحرانين نجم الدين الكاظمي في القطعة المذكورة في الفصل التالي (ص ٢٠٦-٢٠٧) ، وكذلك ما أورده في هذا الصدد فخر الدين الرازي في كتاب الأربعين في أصول الدين (طبعة حيدرآباد ١٣٥٣) ص ٢٩٤

٧

كتاب طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ) نشره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩١٢ ، ص ٣٣ (١) :

قال صاعد : وقد صنف جماعة من المتأخرين كتباً على مذهب فيثاغورس وأشباعه وانتصروا فيها للفلسفة الطبيعية القديمة . ومن صنف في ذلك أبو بكر محمد

(١) راجع أيضاً R. Blachère, *Sâ'id al-Andalusî kitâb Tabaqât al-Umam* (Livre des Catégories des Nations), traduction. Paris 1935 (= Publ. de l'Inst. des Hautes Etudes Marocaines, t. XXVIII), p. 74-75.

- ٣ بن زكرياء الرازي وكان شديد الانحراف عن أرسطاطاليس وعائياً له في مفارقة معلمه افلاطون وغيره من متقدمي الفلاسفة في كثير من آرائهم ، وكان يزعم أنه أفسد الفلسفة وغير كثير من أصولها . وما أظن الرازي أحققه على أرسطاطاليس وحدها إلى تنقصه إلا ما أباه أرسطاطاليس ودان به الرازي مما ضمنه كتابه في العلم الإلهي ٦ وكتابه في الطب الروحاني وغير ذلك من كتبه الدالة على استحسانه لمذهب الثنوية في الإشراف والآراء البراهمة في إبطال النبوة ولاعتقاد عوام الصابئة < في > التناسخ . ولو أن الرازي وفقه الله للرشد وجب إليه نصر الحق لوصف ٩ أرسطاطاليس بأنه محص آراء الفلاسفة ونخل مذاهب الحكماء ففني خبثها وأسقط عنها واتقى لبابها واصطفى خيارها فاعتقد منها ما توجهه العقول السليمة وتراه البصائر النافذة وتدين به النفوس الطيبة ، وأصبح إمام الحكماء وجامع فضائل العلماء ١٢

(٣) في النسخة المخطوطة : غانيا ، ولعل الصواب : عاتياً — (٦) ما أباه ، صححنا ، وفي الطبعة : ما أتاه — ودان به الرازي مما ضمنه كتابه ، كذا في النسخة المخطوطة ، وفي الطبعة : وأراد الرازي مخاصمته أي كتاب — (١٠) ونخل ، صححنا ، في الطبعة : ونخل — واسقطه عنها خ

قد ذكرنا (١) أن ابن الففطى اقتبس هذا الفصل من كتاب طبقات الأمم وأن ابن العبري والعلامة الحلبي أخذاه عنه . أما نسبة الرازي إلى مذهب فيثاغورس فتجدها أيضاً في كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي حيث يقول (٢) : « ولا أعلم في هذا الوقت أحداً يرجع إليه في ذلك (٣) إلا رجلاً من النصارى بمدينة السلام يعرف بأبي زكرياء بن عدى (٤) وكان مبدأ أمره ورأيه وطريقته في درس (٥) طريقة محمد بن زكرياء الرازي وهو رأى الفوثاغوريين

(١) ص ١٤١

(٢) طبعة ليدن ص ١٢٢

(٣) أي في علم الفلسفة

(٤) هو أبو زكرياء يحيى بن عدى المنطقي البغدادي تلميذ الفارابي . أما تلمذته للرازي فلم تذكر في مصدر آخر

(٥) الكلمتان ساقطتان من نسخة مخطوطة

في الفلسفة الأولى على ما قدّمنا « (١)

أما نقد صاعد لفلسفة الرازي فقد قال مثله في موضع آخر من كتابه (٢) : « ... وألف نيغاً على مائة تأليف أكثرها في صناعة الطب وسائرهما في ضروب من المعارف الطبيعية والإلهية إلا أنه لم يوغل في العلم الإلهي ولا علم غرضه الأقصى فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سخيفة واتحل مذاهب خيثة (٣) وذم (٤) أقواماً لم يفهم عنهم ولا هدى بسبلهم » . وقد نقل هذا الفصل ابن الففطى وابن أبي أصيبعة (٥) وغيرهما . راجع أيضاً ما قاله موسى بن ميمون (٦) وابن سينا (٧) في فلسفة الرازي

أما قول صاعد بأنّ الرازي انحرف عن أرسطاطاليس واتصل بافلاطون فستجد مثله في المناظرة التي جرت بينه وبين أبي حاتم الرازي (٨) . ولعل الرازي عاجل مثل هذا الموضوع في تأليف له سماه ابن أبي أصيبعة (٩) « في شرح مذاهب أرسطوطاليس في العلم الإلهي »
أما ما قاله صاعد في استحسان الرازي لمذاهب الثنوية فراجع القطعة التالية ، وكذلك قد عرفنا من القطع ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ أنّ الرازي قال في كتاب العلم الإلهي بالتناسخ وشرح مذاهب الصابئة الحرّانيين . وأما ما قذفه به صاعد من الميل إلى آراء البراهمة في إبطال النبوات فهذا مذهب نُسب إلى البراهمة ابن الراوندى الملحد في كتاب الزمرذة وأخذ عنه كثير من المتأخرين (١٠)

(١) راجع أيضاً ما قاله المسعودى في ص ١٦٢ من كتابه (راجع من تحت القطعة ١١)

(٢) ص ٥٢

(٣) في الطبعة « سخيفة » ، وقد قرأ ابن أبي أصيبعة وابن الففطى « خيثة » وقرأ ابن العبري (راجع من فوق ص ١٤٠ تعليق ٤) « مذهباً عبثاً » .

(٤) كذا ابن الففطى وابن أبي أصيبعة وابن العبري ، وفي الطبعة : ودنا أقواماً

(٥) ابن الففطى ص ٢٧١ ، ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٠

(٦) راجع من فوق ص ١٦٩

(٧) أجوبة الشيخ الرئيس عن مسائل أبي الريحان البيروني (جامع البدائع ، مصر

١٣٣٠ ، ص ١٢٧)

(٨) راجع من تحت الفصل الحادى عشر

(٩) ج ١ ص ٣١٧ س ١٠

(١٠) راجع ما قلته في *Rivista degli Studi Orientali* ج ١٤ (١٩٣٤)

ص ٣٤١ وما يليها

٨

كتاب الفصل لابن حزم ، ج ١ ص ٣٥ (١) ، بعد ردّه على من قال بالقدماء الخمسة (٢) عند كلامه « على من قال انّ فاعل العالم ومدبره أكثر من واحد » :

قال أبو محمد رضى الله عنه : افترق القائلون بأن فاعل العالم أكثر من واحد فرقاً ثم ترجع هذه الفرق إلى فرقتين . فاحدى الفرقين تذهب إلى أن العالم غير مدبريه وهم القائلون بتدبير الكواكب السبعة وأزليتها (٣) وهم المجوس . فان المتكلمين ٣ ذكروا عنهم أنهم يقولون إن البارئ لما طالت وحدته استوحش ، فلما استوحش فكر فكرة سوء فتجسّمت فاستحالت ظلمة فحدث منها أهرمن وهو إبليس ، فرام البارئ إبعاده عن نفسه فلم يستطع فتحرز منه بخلق الخيرات وشرع أهرمن ٦ في خلق الشر . ولهم في ذلك تخليط كثير

قال أبو محمد رضى الله عنه : وهذا أمر لا يعرفه المجوس بل قولهم الظاهر هو أن البارئ تعالى وهو أورمز (٤) ، وإبليس وهو أهرمن ، وكام (٥) وهو ١ الزمان ، وجام (٦) وهو المكان وهو الخلاء أيضاً ، وهوم (٧) وهو الجوهر وهو أيضاً الهيولى وهو أيضاً الطينة والخميرة خمسة لم تزل ، وأن أهرمن هو فاعل الشرور وأن أورمز (٤) فاعل الخيرات ، وأن هوم (٧) هو المفعول فيه كل ذلك . ١٢

(١) = ص ٥٢ من النسخة المخطوطة المذكورة من فوق ص ١٧٠

(٢) راجع من تحت في الفصل التاسع

(٣) هل سقط هاهنا شيء ؟

(٤) في الطبعة : اورمن

(٥) لعل الصواب « كاه » ، راجع ص ١٨٤ س ١١

(٦) راجع ص ١٨٤ تعليق ٦

(٧) في الطبعة : « نوم » ، وفي النسخة المخطوطة « نوم » ، راجع ص ١٨٤ تعليق ٧

وقد أفردنا في نقض هذه المقالة كتاباً جمعناه في نقض كلام محمد بن زكرياء الرازي
الطبيب في كتابه الموسوم بالعلم الإلهي

لا تقصد هاهنا إلى شرح عقائد المجوس المشار إليها في هذا الفصل (١) . والظاهر أن ابن
حزم يفرق بين رأى التكلمين الذين ينسبون إلى المجوس القول بإلهين وبين رأى آخر ينسب
إليهم الاعتقاد بخمسة قدماء . ونحن نميل إلى أن ابن حزم اقتبس الرأى الثانى من كتاب
العلم الإلهي للرازي وأن الرازي قد حاول فيه تشييد مذهبه الخاص في الفلسفة الإلهية بما اعتبره
عقائد للمجوس . ونجد هذا الفصل بعينه في كتاب التنبية والإشراف للسعودى (٢) حيث
يقول مؤلفه :

وقد أتينا على شرح جميع ذلك وما ذكره (٣) من المعجزات والدلائل والعلامات
وما يذهبون إليه في الخمسة القدماء عندم (٤) أورمزد وهو الله عز وجل ، وأهرمن
وهو الشيطان الشرير ، وكاه (٥) وهو الزمان ، وجام (٦) وهو المكان ، وهوم (٧) وهو
الطينة (٨) والخنيرة (٩) ، وحجاجهم لذلك وعلة تعظيمهم للنيرين وغيرهما من الأنوار

(١) راجع H. S. Nyberg, *Questions de cosmogonie et de cosmologie mazdéennes*, Journal Asiatique, 1931, Juillet-Septembre, p. 113 ss.

(٢) طبعة ليدن ص ٩٣

(٣) في الطبعة : ذكروا له

(٤) لعل الصواب : إليه من الخمسة القدماء < وهم > عندم

(٥) وفي نسخة : كام

(٦) كذا في جميع النسخ ، وصححه الناشر : جاى

(٧) في النسخ : يوم ، والظاهر أن كتابة « يوم » هي ما وجده ابن حزم والسعودى في الأصل المشترك

(٨) في الطبعة : الطينة

(٩) في نسخة : والخنير

والفرق بين النار والنور فيما سميناه من كتبنا (١) . ومتكلمو الإسلام
من أصحاب الكتب في المقالات ومن قصد إلى الرد على هؤلاء القوم ممن سلف
وخلف يحكون عنهم أنهم يزعمون أن الله تفكر فحدث من فكره شر وأنه
الشيطان الخ

ولما كان المسعودي عرف كتاب العلم الإلهي للرازي كما يظهر مما نقوله في القطعة ١١ فلا يبعد
أن يكون قد اقتبس هذا الفصل من نفس هذا المرجع

٩

رسالة أبي ريحان البيروني في فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازي (٢) ص ٣ س ١٢ :

وذلك أنني طالعت كتابه في العلم الإلهي وهو يبادي فيه بالدلالة على كتب
ماني وخاصة كتابه الموسوم بسفر الأسرار (٣)

سنذكر تمة هذه القطعة في الفصل الثاني عشر عند بحثنا في كتاب الرازي في النبوات .

(١) لعل المسعودي يشير إلى كتابه الموسوم بالمقالات في أصول الديانات ، راجع مقدمة

الناشر ص ٦

(٢) طبعة باريس ١٩٣٦

(٣) راجع فهرست ابن النديم ص ٣٣٦ س ٨ ، وكتاب تحقيق ما للهند للبيروني ص ٢٧ س ٩

أما معرفة الرازي بالكتب المانوية فيشهد لها أيضاً العنوان الوارد عند أصحاب التراجم « كتاب فيما جرى بينه وبين سيس (١) الماني » (٢) أو « الرد على سيسن الثنوي » (٣)

١٠

كتاب غاية الحكيم وأحقّ التيجتين بالتقديم المنسوب إلى أبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (نشره H. Ritter هامبورج ١٩٣٣) ص ٢٠٦ عند ذكر الأدعية والفرايين الموجهة إلى الكواكب السبعة على مذهب الصابئة الحرائين (٤) :

أما كلام المشتري ومناجاته الذي يحتاج معه إلى بخور ويستعمل للسلامة في البحار من عظيم سلطانها، وقد ذكره جماعة من أهل هذا الشأن وذكره ٣ الرازي في كتاب العلم الإلهي على رواية له، فهو أن تستقبله بوجهك وهو في وسط السماء وتقول السلام عليك أيها السكوكب الشريف الجليل العظيم الرؤوف المتكفل بأمور العالمين والمطرق لأرواح الطاهرين والمغيث في لجج البحار ٦ للغرقاء المستغيثين لتفيض علينا من نورك وروحك وروحانيتك ما تحسن به

(١) وسيسن هذا هو Σισσίσιος تلميذ ماني، راجع أيضاً فهرست ابن النديم ص ٣٣٦

س ٢٥

(٢) راجع ابن النديم ص ٢٩٩ س ٢٥ وابن القفطي ص ٢٧٣ س ١٥، وأضاف ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ٣١٥ س ٢٩) : « يريه خطأ موضوعاته وفساد ناموسه في سبع مباحث »، راجع أيضاً S. Pines, *Beitraege*, p. 69

(٣) كذا عند البيروني، رقم ١٤٠

(٤) قد نشر هذا الفصل R. Dozy و M. J. de Goeje في *Actes du VIe Congrès des Orientalistes*, Leyde, part. 2, sect. 1 p. 12.

أحوالنا ويحسن خروجنا ويغسل درن الطبيعة عنا آمين . وعلامة الإجابة
ظهور شمعة موقدة أمام المناجى له وهي روحانية المشتري

أخبرنا المسعودي^(١) أنه رأى للرازي كتاباً في مذاهب الصابئة الحرائين وكذلك نرى في
الفصل التالى أن القول بقدم الخمسة المنسوب أحياناً إلى الحرائين (الحرائين) يوافق نظريات
الرازي كل الموافقة . أما عناية الرازي بالدعاوى والطلسمات فيدل عليه عنوان كتابه « في
وجوب الأدعية »^(٢) ومقالته في صنعة الطلسمات التي ذكرها الجريطى في كتابه^(٣)

١١

كتاب التنبيه والإشراف لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى (طبعة ليدن ١٨٩٣
ص ١٦٢) بعد ذكر عقائد الصابئة الحرائين^(٤) والمناظرة بين فرفوروس الصورى وأنابو
الكاهن المصرى^(٥) :

وقد صُنِّفَت على مذاهب الفوثاغوريين والانتصار لهم كتب كثيرة ،
وآخر من صُنِّفَ فى ذلك أبو بكر محمد بن زكرياء الرازى صاحب كتاب

(١) راجع القطعة التالية

(٢) كذا ابن النديم ص ٣٠١ س ١٢ ، وسماء ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ٣٢٠
س ٦) : « كتاب فى وجوب الدعاء والدعاوى » وسماء البيرونى (رقم ١٣٩) : « فى وجوب
الدعاء من طريق الحرم »

(٣) ص ١٤٤

(٤) راجع أيضاً القطعة التالية

(٥) كانت هذه المناظرة معروفة للرازى كما يظهر من فهرست كتبه (راجع رسالة
البيرونى رقم ١٢٨)

المنصوريّ في الطب^(١) وغيره كتاباً^(٢) في ثلاث مقالات وذلك بعد سنة ثلاثمائة وعشر

نظن أنّ الكتاب المشار إليه ليس غير كتاب العلم الإلهي الذي قال صاعد الأندلسي فيه^(٣) أنه على مذهب فوئاغورس ، وقد رأينا فيما مضى^(٤) أنّ كتاب العلم الإلهي كان مقسماً إلى مقالات . أما قول المسعودي أنه ألف بعد سنة ثلاثمائة وعشر^(٥) فلا نجد مثل هذا التاريخ في سائر مصادرنا غير أنه يوافق رأى من رأى^(٦) أنّ كتاب العلم الإلهي ألفه الرازي في أواخر عمره

١٢

كتاب مروج الذهب للمسعودي (نشره C. Barbier de Meynard باريس ١٨٦٥)

ج ٤ ص ٦٧ - ٦٨ :

ثم رجع بنا الإخبار عن مذاهب الصابئة من الحرّائيين وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم . فمن ذلك كتاب رأيته لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازيّ الفيلسوف صاحب كتاب المنصوريّ في الطب وغيره ذكر فيه مذاهب

(١) راجع من فوق ص ٢

(٢) في نسخة : « كتاب » ولعله سقط قبله كلمة أو كلمتان مثل « > وله في ذلك < »

كتاب الخ . أو « > وقد ألف في ذلك < كتاباً الخ »

(٣) راجع من فوق ص ١٨٠ وما يليها

(٤) ص ١٦٦

(٥) من الجائز أيضاً أن يكون المسعودي لم يقصد بهذا التاريخ إلى تأليف كتاب الرازي بل إلى أن المسعودي طالع ذلك الكتاب في ذلك التاريخ المعين ، أي أنه سقط قبل « كتاباً » عبارة مثل > ورأيت له في ذلك < أو ما يشبهها . راجع مثلاً كتاب التنبيه والإشراف ص ١٠٦ س ٥ : « قال المسعودي ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس في سنة ٣٠١ عند بعض أهل السيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيماً الخ » . راجع أيضاً القطعة التالية

(٦) راجع من فوق ص ١١٤

الصابئة — الحرّانيّين منهم دون من خالفهم من الصابئة وهم الكيماريون^(١) — وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها فأعرضنا^(٢) عن حكايتها إذ كان في ذلك الخروج عن حدّ الغرض في كتابنا إلى وصف الآراء والديانات^٦

يظهر من هذه القطعة أنّ كتاباً للرازيّ — والراجع أنّه كتاب العلم الإلهيّ — كان مصدراً لمعرفة عقائد الحرّانيين

١٣

شرح المواقف للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (المتوفى سنة ٨١٦ هـ) ، طبعة استانبول ١٣١١ ، ج ١ ص ٤٣٨ :

وأثبت الحرّانيون من المجوس — وهم فرقة منهم منسوبة إلى رجل يقال له حرّنان — قدماء خمسة اثنان منها عالمان حيان — والأولى كما في المحصل^(٣) اثنان حيان فاعلان — وهما البارئ والنفس ، أما البارئ فهو قديم وحى وفاعل لهذا^٣ العالم ، وأما النفس فالمراد بها ما يكون مبدءاً للحياة وهى الأرواح البشرية والسماوية فهى حية بذاتها وقديمة أيضاً إذ لو كانت حادثة لكانت مادية فاعلة في الأجسام التى تعلقت بها تعلق التدبير والتصرف . وثلاثة لا عالمة ولا حية ولا فاعلة بل^٦ واحد منها منفعل واثنان لا فاعلان ولا منفعلان وهى الهيولى والفضاء والذهب . فالهيولى قديمة وإلا احتاجت إلى هيولى أخرى ، وهى منفعة لقبول الصور فلا تكون

(١) راجع تعليق الناشر لكتاب التنبيه والإشراف ص ١٦٢ ، وراجع أيضاً

D. Chwolson, *Die Ssabier und der Ssabismus*, S. Pétersbourg 1856, II p. 373.

(٢) في الطبعة : أعرضنا

(٣) كتاب المحصل لفخر الدين الرازي ص ٥٦ ، راجع الفصل التالى

- ٦ فاعلة وإلا لكانت مع بساطتها قابلة وفاعلة معا ، وليست بحية وهو ظاهر . والمراد بالفضاء هو الخلاء ولو لم يكن قديما لارتفع الامتياز عن الجهات فلا تتميز جهة اليمين عن اليسار ولا جهة الفوق عن التحت وذلك أمر غير معقول . والدهر هو الزمان ولا يتصور تقدم عدمه على وجوده لأنه تقدم زماني فيجتمع وجوده مع عدمه . وهذان أعنى الخلاء والزمان لا فاعلان ولا منفعلان
- ١٣ قال الإمام الرازي كان هذا المذهب مستورا فيما بين المذاهب فقال إليه ابن زكرياء الطبيب الرازي وأظهره وعمل فيه كتابا مسمى بالقول في القدماء الخمسة
- ١٥ وستقف على مأخذهم في أثناء ما يرد عليك في الكتاب وقد أشرنا نحن إلى ذلك إشارة خفية

نرجح أن كتاب « القول في القدماء الخمسة » المذكور في هذه القطعة ليس غير كتاب العلم الإلهي للرازي ، راجع أيضا ما قلنا ص ١٦٦ . وقال نصير الدين الطوسي في كتاب تلخيص المحصل (المطبوع على هامش كتاب المحصل لفخر الدين الرازي ، مصر ١٣٢٣ ، ص ٥٧) عند ذكر قول الحرانينين :

أقول هذه حكاية مذهبهم وما يصلح لأن تكون دلائلهم عليه ، ومال ابن زكرياء الطبيب الرازي إلى ذلك المذهب وعمل فيه كتابا موسوما بالقول في القدماء الخمسة ، وسيأتي القول في كل واحد منها

القول في القدماء الخمسة

اشتهر الرازي بقوله في قدم الخمسة وأودعه عدة كتبه ^(١) حتى إن بعض المتأخرين نسب إليه كتاباً موسوماً بالقول « في القدماء الخمسة » ^(٢) . وقد جمعنا في هذا الفصل القطع المتصلة بهذا المذهب الغريب مشيرين إلى تفصيل احتياجات الرازي في الفصول التالية

وقد نسب بعض السلف القول في قدم الباري والنفس والهيولى والمكان والزمان الى الصابئة الحرائين أو الحرانين ^(٣) وظنوا أن الرازي اقتبس مذهبه منهم ^(٤) . فان قابلت مانورده في القطعة الثالثة من قول المرزوقي في مذهب الرازي بما يرد في القطعة الرابعة والخامسة من قول فخر الدين الرازي والطوسي والشهرستاني والكاظمي في مذهب الحرانين ^(٥) حكمت أنه ليس هناك

(١) خصوصاً كتابه في العلم الإلهي ، راجع من فوق ص ١٦٦ ، وأيضاً كتاب زاد المسافرين لناصر خسرو ص ٧٣ (راجع الفصل التالي) و ص ٢٧٧ ، وكتاب أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي (راجع من تحت الفصل الحادي عشر) . انظر أيضاً S. Pines, *Beiträge zur islamischen Atomenlehre*, p. 39.

(٢) راجع من فوق ص ١٩٠

(٣) راجع القطعة الرابعة والخامسة من هذا الفصل ٦ ، وأيضاً L. Massignon, *La Passion d'Al-Hallâj* (Paris 1922), p. 630.

(٤) راجع أيضاً من فوق ص ١٩٠

(٥) قابل خصوصاً ص ١٩٧ س ٦ وما يليه بما انتخبناه من فخر الدين والطوسي في القطعة الخامسة وبما قاله الجرجاني في شرح المواقف (راجع من فوق ص ١٨٩) ،

وكذلك ص ١٩٧ س ١٠ وما يليه بما قاله فخر الدين والكاظمي في القطعة الرابعة (خصوصاً

ص ٢٠٣ س ٣ [٩])

فرق بين المذهبين أصلاً حتى إن الألفاظ في القول المنسوب إلى الرازي وفي القول المنسوب إلى الحرانين تتفق اتفاقاً تاماً

ولسنا نقصد بتلك المقابلة للدلالة على تأثير الرازي بمذهب الحرانين بل بالعكس نميل إلى أن الرازي هو الذي اخترع لمذهبه ممثلين قدماء سماهم صابئة أو حرانين (حرانين) على عادة زمانه . فقد كان كثير من علماء آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع (١) يسلكون مثل هذا المسلك حتى إن الأستاذ Massignon (٢) اعتبر ما يرويه القدماء عن الصابئة الحرانين « قصة أدبية » (roman littéraire) (٣)

وكيف ما كان فهناك الأسباب التي تدعونا إلى افتراضنا بأن الرازي هو الذي زين فلسفته الخاصة بنسبتها إلى قوم من قدماء الحرانين :

- (١) لا يوجد ذكر القول في القدماء الخمسة منسوباً إلى الحرانين قبل الرازي (٤) كما أنه لا يوجد إلا عند مؤلفين لهم معرفة بكتب الرازي وآرائه الفلسفية
- (٢) رأينا في الفصل السابق أن الرازي بسط في كتاب العلم الإلهي آراء الصابئة الحرانين (٥) كما أنه بسط فيه مذهبه في القدماء الخمسة (٦)

(١) نظن أن من أهمهم أبا سهل البلخي وأبا طيب السرخسي ، انظر أيضاً أبا بكر بن وحشية المشهور الذي اخترع تلك الخرافة العجيبة بأن الصابئة من الكلدانيين أو الكسديين القدماء أسسوا العلوم والمعارف كلها وأنهم أولى بها من اليونانيين وسائر الأمم . راجع أيضاً الرسالة « فيما جرى بين سقراط والحرانين » التي نسبها ابن النديم (ص ٢٦٠ س ٦) إلى الكندي

(٢) راجع خصوصاً *Oriental Studies presented to E. G. Browne* (Cambridge 1922), p. 333.

(٣) قد دللنا في غير هذا الموضع (راجع أيضاً من فوق ص ١٨٢) على أن القول بموازنة العقل والشرعية وبإبطال النبوات المنسوب عند المتأخرين إلى البراهمة ليس غير « قصة أدبية » اخترعها ابن الراوندي الملحد

(٤) راجع أيضاً D. Chwolson, *Die Ssabier und der Ssabismus*, S. Pétersbourg, 1856.

(٥) راجع من فوق ص ١٨٧

(٦) راجع ص ١٦٦

(٣) يظهر أن الرازي عند قوله في القدماء الخمسة ادعى أن هذا مذهب الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا قبل أرسطاطاليس . قال البيروني^(١) : « قد حكى محمد بن زكرياء الرازي عن أوائل اليونانيين قدمة خمسة أشياء ... » ، وقال المرزوقي^(٢) : « فهذا ما حكى عن الأوائل وابن زكرياء المتطرب يحوم في هذيانه عند حجاجه حول ما ذكرناه عنهم ولم يبين بيانهم ولا بلغ غايتهم فلذلك جعل تابعاً لهم » ، وقال في موضع آخر^(٣) : « وذكر بعضهم^(٤) حاكياً عن قوم من الأوائل ... » ، وقال الكاتب^(٥) : « وزعم محمد بن زكرياء أن هذا مذهب جملة الفلاسفة الذين كانوا قبل المعلم الأول » . أما غير الدين الرازي^(٦) فقد نسب القول بالقدماء الخمسة إلى « قدماء الفلاسفة » ، وقال الجرجاني^(٧) « قال الامام الرازي كان هذا المذهب مستوراً فيما بين المذاهب فقال إليه ابن زكرياء الطبيب الرازي وأظهره وعمل فيه كتاباً مسمى بالقول في القدماء الخمسة » . وهذا كله يوافق قول صاعد الأندلسي^(٨) بأن الرازي في كتابه العلم الإلهي « كان شديد الانحراف عن أرسطاطاليس وعائبا له في مفارقتها معامه افلاطون وغيره من متقدمي الفلاسفة » وبأنه كان « على مذهب فوثاغورس وأشياعه » وانتصر « للفلسفة الطبيعية القديمة »^(٩) .

(١) راجع من تحت ص ١٩٥

(٢) راجع ص ١٩٩ س ١٦

(٣) راجع ص ١٩٨ س ٥

(٤) أي بعض الملاحدة ، وهو الرازي

(٥) راجع من تحت ص ٢٠٣ س ٥

(٦) في الفصل السادس من المقالة الأولى من الكتاب الخامس من إلهيات كتاب المطالب العالية

(٧) نسخة دار الكتب المصرية ، توحيد ٤٥ م ، ورقة ٢١٩ ظ . راجع من تحت في

الفصل التاسع

(٨) راجع من فوق ص ١٩٠

(٩) راجع من فوق ص ١٨١

(٩) راجع أيضاً عنوان الكتاب « في الفلسفة القديمة » الذي نسبه البيروني (رقم ١١٨)

إلى الرازي

فان وجدنا ابن تيمية (١) يذهب إلى أن ديمقراطيس كان يقول بالقدماء الخمسة وأن الرازي أخذ ذلك القول منه (٢) فالأرجح أن يكون الرازي قد صرح بمثل هذا في كتاب العلم الإلهي مستشهداً بفلسفة ديمقراطيس لمذهبه هو (٣) ، كما نراه يستشهد في مناظراته مع أبي حاتم الرازي (٤) بفلسفة افلاطون (٥)

هذا ونحن نرجح أن الردود على الرازي التي تقرأها فيما يلي إنما تقصد في أول الأمر إلى كلامه في كتاب العلم الإلهي

(١) راجع من تحت ص ١٩٦

(٢) راجع أيضاً قول الشهرستاني (في القطعة الخامسة) بأن غاذيمون (Agathodémon) هو الذي أسس المذهب بقدم الخمسة

(٣) أضف إلى هذا تقارب قول الرازي في الجزء الذي لا يتجزأ (راجع الفصل التالي) من قول ديمقراطيس فيه

(٤) راجع من تحت الفصل الحادى عشر

(٥) راجع أيضاً S. Pines, *Beiträge* ص ٦٩ و ص ٨١ وما يليها

١

كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردوثة لأبي ريجان مجد بن أحمد البيروني
(المتوفى سنة ٤٤٠ هـ) ص ١٦٣ س ٩ (٢*)

لُبُّ فِي ذِكْرِ الْمَدَّةِ وَالزَّمَانِ بِالْإِطْلَاقِ وَخَلْقِ الْعَالَمِ وَفَنَائِهِ

قد حكى محمد بن زكرياء الرازي عن أوائل اليونانيين قدمة خمسة أشياء
منها الباري سبحانه ثم النفس الكلية ثم الهيولى الأولى ثم المكان ثم الزمان
المطلقان . وبني هو على ذلك مذهبه الذي تأصل عنه وفرق بين الزمان وبين ٣
المدة بوقوع العدد على أحدهما دون الآخر بسبب ما يلحق العددية من التناهي ،
كما جعل الفلاسفة الزمان مدةً لما له أول وآخر والدهر مدةً لما لا أول
له ولا آخر . وذكر أن الخمسة في هذا الوجود الموجود اضطرارية ، فالمحسوس ٦
فيه هو الهيولى المتصورة بالتركيب ، وهي متمكنة فلا بد من مكان . واختلاف
الأحوال عليه من لوازم الزمان فإن بعضها متقدم وبعضها متأخر وبالزمان
يعرف القدم والحديث والأقدم والأحدث ومعاً فلا بد منه . وفي الموجود ٦
أحياء فلا بد من النفس ، وفيهم عقلاء والصنعة على غاية الإتقان فلا بد من
الباري الحكيم العالم المتقن المصلح بغاية ما أمكن الفاض قوة العقل للتخليص

(٤) ما يلحق العدد به من ، كذا الطبعة — (٧) المتصورة ، ولعل الصواب المصور ،

راجع ص ٢٢٦ س ٨

(*) راجع أيضاً E. Sachau, *Albêrûnî's India* (London 1910), I 349

٢

كتاب منهاج السنة النبوية لفتح الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة (طبعة مصر ١٣٢١)
ج ١ ص ٩٧ : (١)

ولهذا لما ذكر ابن سينا في إشاراته أقوال القائلين بالقدم والحدوث لم يذكر
إلا قول من أثبت قدماء مع الله تعالى غير معلولة كالقول الذي يحكى عن ذي قراطيس
بالقدماء الخمسة واختاره ابن زكرياء المتطبب وقول المجوس القائلين بأصلين

٣

كتاب الأئمة والأئمة لابن علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الاصفهاني (٢) (طبعة
حيدر آباد ١٣٣٢) ج ١ ص ١٤٣ - ١٥٢

واعلم أن الذين زعموا أن الزمان شيء غير الليل والنهار وغير دوران الفلك
وليس بجسم ولا عرض ثم قالوا لا يجوز أن يخلق الله شيئاً إلا في وقت ولا يفنى
الوقت فتقع أفعال لا في أوقات — لأنه لو فنى الوقت لم يصح تقدم بعضها على بعض
ولا تأخر بعضها عن بعض ولم يتبين ذلك فيها وهذا محال — ، قولهم داخل
في | أقوال الذين يقولون إن الزمان والمكان المطلقين — ويعرب عنهما عند
التحقيق بالدهر والخلاء — جوهران قائمان بأنفسهما . والكلام عليهم يحىء بعد
تتويع فرقمهم وبيان طرقهم

(١) راجع أيضاً S. Pines في مجلة *Revue des Etudes Juives* سنة ١٩٣٨ ص ٥

(٢) المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، راجع معجم الأدباء لياقوت ج ٢ ص ١٠٣ ، وبغية الوعاة

فنقول وبالله الحول والقوة : من زعم أن الأزلى أكثر من واحد أربع فرق :
الأولى الذين يقولون هما اثنان الفاعل والمادة فقط ويعنى بالمادة الهيولى ، الثانية
الذين يدعون أن الأزلى ثلاثة الفاعل والمادة والخلاء ، الثالثة الذين يدعون أنه^٣
الفاعل والمادة والخلاء والمدة ، الرابعة الفرقة التي زعيمهم محمد بن زكرياء المتطبيب
لأنه زاد عليهم النفس الناطقة فبلغ عدد الأزلى خمسة بهزيان

وشرح مذهبهم أنه لم يزل خمسة أشياء اثنان منها حيّان فاعلان وهما^٦
البارئ والنفس ، وواحد منفعل غير حيّ وهو الهيولى الذي منه كوّن جميع
الأجسام الموجودة ، واثنان لا حيّان ولا فاعلان ولا منفعلان وهما الخلاء
والمدة ، إلى خرافات لا تطيق اليد بيانها بالخط ولا اللسان تحصيلها باللفظ^٩
ولا القلب تمثيلها بالوهم . فمّا زعمه أن البارئ تامّ الحكمة لا يلحقه سهو
ولا غفلة وتفيض منه الحياة كفيض النور عن قرصة الشمس وهو العقل التام
الحض ، والنفس تفيض منها الحياة كفيض النور وهي مترجّحة بين الجهل^{١٢}
والعقل كالرجل < الذي > يسهو تارة ويصحو أخرى . وذلك لأنها إذا
نظرت نحو البارئ الذي هو عقل محض غفلت وأفقت ، وإذا نظرت نحو
الهيولى التي هي جهل محض غفلت وسهت^{١٥}

وأقول متعجباً : لولا الكررى لم يحلم ، وهذا كما قال غيرى < > .
أليس من العجائب هذيانه في القدماء الخمسة وما يعتقده من وجود العالم لحدوث العلة |
وما يدعيه من وجود الجوهرين الأزليين أعنى الخلاء والمدة لا فعل لهما ولا انفعال ؟^{١٤٥}
فلولا خذلان الله إياه وإلا فما ذا يعمل بجوهر لا فاعل ولا منفعل ؟ ولم يضع

(٦) لعل الصواب : وشرح مذهبه (راجع س ١٠) — (٨-٩) الخلاء والمادة ط —

(١٢) منه الحياة ط ، راجع ص ٢٠٤ س ٥ من المتن — (١٤) غفلت وافقت ط —

(١٦) يظهر أنه سقط بعد « غيرى » عدة كلمات — (١٧) لحدوث العلية ط

الأرواح المقدسة قبالة الأرواح الفاسدة، ولم تحدث العلة من غير نقص ولا آفة، ولم يذكر شيئاً ليس فيه جدوى ولا ثمرة؟ وهذا الفصل إذا أُعطى مستحقه من التأمل ظهر منه ما يسقط به سخيـف كلامهم وإن لم يكن مورد الحجاج عليهم....

- ١٤٨ وذكر بعضهم (اى بعض الملاحدة) حاكياً عن قوم من الأوائل أن الدهر والخلاء قائمان في فطر العقول بلا استدلال . وذلك أنه ليس من عاقل إلا وهو يجد ويتصور في عقله وجودَ شيءٍ للأجسام بمنزلة الوعاء والقراب ووجودَ شيءٍ يعلمُ التقدّم والتأخّر وأن وقتنا ليس هو وقتنا الذى مضى ولا الذى يكون من بعد بل هو شيء بينهما وأن هذا الشيء هو ذو بُعد وامتداد .
- ١ وقال : قد توهم قوم أن الخلاء هو المكان وأن الدهر هو الزمان ، وليس الأمر كذلك بإطلاق ، بل الخلاء هو البعد الذى خلا منه الجسم ويمكن أن يكون فيه الجسم ، وأمّا المكان فالسطح المشترك بين الحاوى والمحوى . وأمّا الزمان فهو ما قدرته الحركة من الزمان الذى هو المدة غير المقدّرة . فصرفوا معنى الزمان والمكان المضافين إلى المطلقين وظنّوا أنهما هما والبون بينهما بعيد جداً . لأن المكان المضاف هو مكان هذا المتمكن وإن لم يكن متمكن لم يكن مكان ، والزمان المقدّر بالحركة يبطل أيضاً ببطلان المتحرك ويوجد بوجوده إذ هو مقدّر بحركته . فأما المكان بالإطلاق فهو المكان الذى | يكون فيه الجسم وإن لم يكن < فيه > ، والزمان المطلق هو المدة قدرّت أو لم تُقدّر .
- ١٤٩ ١٨ وليس الحركة فاعلة المدة بل مقدّرتها ، ولا المتمكن فاعل المكان بل الحال فيه . قال : فقد بان أنهما ليسا عرضين بل جوهرين لأن الخلاء ليس قائماً بالجسم لأنه لو كان قائماً به لبطل ببطلانه كما يبطل التربيـع ببطلان المربع
- ٢١

- فإن قال قائل إن المكان يبطل ببطلان المتمكن ، قيل له أمّا المضاف فإنه كذلك لأنه إنما كان مكان هذا المتمكن ، فأما المطلق فلا . ألا ترى أننا لو توهمنا الفلك معدوماً لم يمكننا أن نتوهم المكان الذي هو فيه معدوماً بعده ، وكذلك ٣ لو أن مقدرًا قدر مدة سبت كان ولم يقدر مدة يوم أحد لم يكن في ترك التقدير بطلان مدة ذلك اليوم الذي لم يقدر بل التقدير نفسه ، فكذلك ليس في بطلان الفلك أو في سكونه ما يبطل الزمان الحقيقي الذي هو المدة ٦ والدهر . فقد ينبغي أنهما جوهران لا عرضان إذ كانا ليسا بمحتاجين إلى مكان ولا إلى حامل ، فليسا إذن بجسم ولا عرض فبقي أن يكونا جوهرين وزاد على هذا الوجه الذي حكيناه بعضهم فقال : طبيعة الزمان من تأكد ١ الوجود في ذاتها وقوة الثبات في جوهرها بحيث لا يجوز عديمها رأساً ولم تكن قط معدومة أصلاً فلا بدء لها ولا انتهاء بل هي قارة أزلية . ألا ترى أن المتوهم لعدم الزمان لم يحصل له وهمه إلا إذا أثبت مدة لا زمان فيها ؟ والمدة هي ١٢ الزمان نفسه ، فكيف يتوهم عدم ما تأكد لزوم جوهره وينفى العقل الصحيح تصوّر عديمه وتلاشيه ؟ أو كيف يسوغ إلحاق عديمه بالممكنات ووجوبه من الواجبات الأزليات ؟ ١٥
- فهذا ما حكي عن الأوائل ، وابن زكرياء المتطّيب يحوم في هذيانه عند حجاجه حول ما ذكرناه عنهم ولم يبسّن بيانهم ولا بلغ غايتهم ، فلذلك جعل ١٨ تابعاً لهم
- وإذ قد أتينا على ما لهم بأنهم استقصاء فانا | نشغل بالكلام عليهم وإن كان فيما ١٥٠ قدمناه قد صورنا خطأهم تصويراً يغني عن مقايستهم ومحاكتهم

(٤) يوم احد (راجع من فوق ص ١٢٨ س ٢٠) : يوم آخر ط — (٩) من تأكيد ط

(راجع س ١٣) — (١٢) لم يخلص له ط — إذا ثبت ط — لا زمان منها ط —

(١٣) فكيف يوهم ط — وينفى العقل ط — (١٩) بأنهم استقصاء ط

ذكر بعض المنطقيين أن الزمان في الحقيقة معدوم الذات واحتج بأن الوجود
للشيء إما أن يكون بعامه أجزائه كالخط والسطح أو بجزء من أجزائه كالعدد
والقول . وليس يخفى علينا أن الزمان ليس بوجد بعامه أجزائه إذ الماضي منه قد
تلاشى واضمحل والغابر منه لم يتم حصوله بعد . وليس يصح أيضاً أن يكون
وجوده بجزء من أجزائه إذ الآن في الحقيقة هو حد الزمانين وليس بجزء من الزمان
..... وإذا كان الأمر على ذلك فالزمان إذن ليس يصح وجوده لا بعامه أجزائه
ولا ببعض أجزائه ، وإن شيئاً يكون طباعه بحيث لا يوجد بأجزائه كلها ولا ببعض
منها فن المحال أن يلحق بجملة الموجودات . وإذا كان ذات الزمان غير موجود أصلاً
فليس بجائز أن نعهده في الكميات ، فإنّ ما لا وجود له لا أنية له والذي لا أنية له
لا يوصف بوقوعه تحت شيء من المقولات

وقولهم في < أن > الزمان هو المدة التي يفهم قبل وبعد أجلها فإن كان المراد أن
قول القائل قبل وبعد يفيدان تقدم المذكور وتأخره من غير أن يثبت | بهما جوهران
ليسا بجسم ولا يفنيان ولا يجوز أن يخلق الله شيئاً من دونهما فهو صحيح ويكون
سبيلهما سبيل لفظ مع إفادتهما معنى الصحة وإن أريد بقبل وبعد غير ذلك
فقد تقدم القول في بطلانه

وبطلان ما قالوه في الخلاء والمكان على أنا نقول معيدين عليهم إن أردتم أن
المكان يكون المتمكن وإن لم يوجد الجسم لم يوجد المكان لأنه قائم بالجسم وليس
بشيء ذي وجود في نفسه فهو صحيح . وإن أردتم للمكان جوهرًا يبقى إذا ارتفع
المتمكن وأن الذي بطل بارتفاعه هو النسبة إليه والإضافة ويبقى المكان المطلق
مكاناً كما كان وهو الخلاء الفارغ وليس فيه جسم فهذا إحالة على شيء لا الإدراك
يثبته ولا الوجود يتصوره

فإن قالوا المكان حينئذ يكون مكان ما يمكن أن يكون فيه كالزق الخالي

(١١) التي تفهم ط — (١٢) ان ثبت ط — (١٨) لعل الصواب : وإن أردتم
> ان < المكان جوهر

- من الشراب فانه مكان الشراب الذي يمكن أن يكون فيه ، قلنا نتصور في وهما
 من الخلاء مثل ما نتصوره إذا توهما الزق والشراب ، وذلك مما لا يقدر علىه لأن
 كلامهم فارغ لا يفضى إلى معنى محصل . وأيضا فان الأجسام لا تخلو من أن تكون ٣
 ثقيلة فترسب أو خفيفة فتطفو ، والخلاء عندهم ليس بثقيل ولا خفيف فيلزمهم
 أن تكون النقطة هي الخلاء لأنها ليست بثقيلة ولا خفيفة ، ويلزمهم على قولهم
 بأن المتحرك لا يتحرك إلا في الخلاء أن يتحرك أبداً ولا يستقر إذ لم يوجد شيء ٦
 يضاده ، ويسكن دائماً فلا يتحرك إذ لا سبب هناك يوجب تحركه ، أو إذا تحرك في
 الخلاء أن يتحرك إلى جميع الجهات ولا يختص بجهة دون جهة لأن الخلاء كذلك .
 فان قالوا إن الذي نسميه خلاء هو الهواء سقط قولهم لأن الهواء يقبل اللون ويؤدي ١
 الصوت والخلاء ليس كذلك وهذا بين |
 وأعجب من هذا أن البارئ مخترع لجميع ما خلقه وأنه لا يعجزه مطلوب ولا ١٥٢
 يضاده معلوم ، ثم أقاموا معه في الأزل الهيولى وهو المادة ورتبوا معه الصورة ١٢
 ليكون جميع ذلك كالنجار والخشب والنجارة . والله تعالى يقول ﴿ قل أنتم
 لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ إلى قوله ﴿ وذلك تقدير العزيز العزيز ﴾ .
 ولم يقل ذلك إلا وأهل العلم إذا فكروا فيه أدركوا منه الآية البينة والحجة ١٥
 الواضحة . . .

(١) قلنا صور في وهما ط — (٦) إذا لم ط — (٩) اسقط قولهم بأن ط —

(١٢) ولا ينكاده معلوم ط — (١٣) سورة ٤١ : ٩ و ١٢

٤

كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء المتكلمين لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (المتوفى سنة ٦٠٦) ، المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٣ ، ص ٨٥ - ٨٦ ، وقد صححنا هذا النص مستعينين بالنسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٨ عقائد ، ص ١٣٥ - ١٣٨ (١)

وطبعنا في أسفل الصفحات الفصل المقابل من كتاب المفصل في شرح المحصل لنجم الدين علي بن عمر القزويني الكاتبي (المتوفى سنه ٦٨٥ أو ٦٩٣) معتمدين على النسخة المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس تحت رقم ١٢٥٤ عربي ، ورقة ١١٠ ظ - ١١٣ و (٢) ، وقد ترجم S. Pines هذه القطعة الأخيرة إلى اللغة الألمانية في كتابه *Beiträge zur islamischen Atomenlehre* ص ٦٠-٦٦

(١) هذه النسخة قديمة جداً حررت بعد عشر سنين من وفاة المؤلف ، وفي آخرها ما نصه : « تم الكتاب بعون الله سبحانه وتعالى يوم الجمعة الثاني عشر من شهر محرم سنة ست عشر وستمائة كتبه العبد الضعيف الراجع إلى عفو الله تعالى أبو المناقب يحيى بن محمد بن علي النقاش الهمداني وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين » . وقد عثرنا لكتاب المحصل على نسخة أخرى حررت في نفس تلك السنة (ذى الحجة سنة ٦١٦) وهي محفوظة بمكتبة آيا صوفيا بإستانبول تحت رقم ٢٣٥١ وكانت بها أبو الحسين مرتضى بن المطهر الهمداني (راجع M. Plessner في مجلة *Islamica* ج ٤ ، ١٩٣١ ، ص ٥٢٣) . [تنبه الفارسي إلى وجود مخطوطة أخرى قديمة من تأليفات فخر الدين في المتحف البريطاني تحت رقم ٩٠٠٤ شرقيات (Or.) وهي تحتوي على كتاب المباحث المشرقية له (الذي طبع في حيدر آباد ١٣٤٣ هـ) وقد حررت هذه النسخة في سنة ٦٠٩ هـ]

أشرنا في تعاليقنا برمز ط إلى الطبعة المصرية لكتاب المحصل وبرمز ت إلى نسخة الخزانة التيمورية

(٢) لم تتمكن من الاعتماد على غير نسخة باريس التي كثر فيها الغلط والسقط . أما سائر نسخ كتاب المفصل فراجع Brockelmann, Supplement I 923

الفرقة الثانية الذين قالوا أصل العالم ليس بجسم وهم فريقان أحدهما الحرمانية ١٣٥
 وهم الذين أثبتوا القدماء الخمسة البارئ والنفس والهيولى والدهر والخلاء .
 فقالوا البارئ تعالى تام العلم والحكمة لا يعرض له سهو ولا غفلة ، ويفيض عنه ٣

(١) فريقان الفرقة الأولى الجرمانية ط — الحرمانية ت — (٢) البارئ تعالى ط —

(٣) باب العلم ط

(الفرقة الثانية الذين قالوا) ان (الأصل) الذى حصل منه (العالم ليس ١١٠
 بجسم وهم) أيضا (فريقان ، الفرقة الأولى) الذين قالوا ان الجسم مركب من
 الهيولى والصورة ، وفسروا الصورة بالحجمية والتحيز ، والهيولى محل هذه الصورة ٣
 على ما عرفناك ، ثم أثبتوا حدوث تلك الحجمية وقدم الهيولى . وهو قول (الحرنانيين)
 واختيار محمد بن زكرياء الرازى . وزعم محمد بن زكرياء أن هذا مذهب جملة
 الفلاسفة الذين كانوا قبل المعلم الأول

وتفصيل مذهب الحرنانيين هو أنهم قالوا (القدماء خمسة البارئ تعالى
 والنفس والهيولى والدهر والخلاء) لا غير . ثم (قالوا البارئ تعالى تام العلم
 والحكمة) . أما كونه تام العلم فلائه قديم وعالم بجميع الأشياء (لا يعرض له ١
 سهو ولا غفلة) . وأما أنه تام الحكمة فلا أن المراد بذلك أنه يفعل ما هو أليق
 وأحسن ويفيض على المواد من الصور ما هو أليق بها ويستعدها له لأغراض ومصالح
 لا على سبيل العبث والجفاف ولا على سبيل السهو والغفلة بل جميع أفعاله معلل ١٢
 بالمصالح والحكمة على ما قال تعالى والمراد من لفظته التمام فى قولنا
 انه تام العلم والحكمة أنه بلغ النهاية التى لا يمكن أن يكون فوقها مرتبة أخرى

(٣) والتحيز خ — (١١) ويستعدها له ، فى الاصل : ويستعدها له ، ولعل التصواب :

ويستعدها له ، أو : ويستعدها له — (١٣) يياض نحو سطر فى الأصل ، ويظهر أن الناسخ أراد
 أن يكتب الآيات القرآنية بالحبر الأحمر وعدل عنه من بعد ، راجع أيضاً ص ٢٠٧ س ٣ - ٤

٤ العقل كفيض النور عن القرص ، وهو تعالى يعرف الأشياء معرفة تامة . وأما النفس فإنه يفيض عنها الحياة فيض النور عن القرص لكنها جاهلة لا تعلم

ثم إنه تعالى (يفيض عنه العقل كفيض النور عن القرص) . والمراد أنه سبحانه وتعالى علة موجبة لوجود جوهر مجرد عن المواد ، أي ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز ولا يكون وجوده منه على سبيل الاختيار بل على سبيل الإيجاب بالذات .
٣ كما أن فيضان النور عن قرص الشمس والضوء عن السراج والإحراق عن النار ليس بالقصد والاختيار بل بالإيجاب ، فكذلك فيضان هذا الجوهر من الله تعالى ليس على سبيل القصد والاختيار بل على سبيل الإيجاب . وهو الذي صدر أولاً عن الباري
٦ قصداً وما عداه < صدر > عنه تعالى بواسطة بناء على أن الواحد حقاً لا يصدر < عنه > إلا الواحد . وهذا مذهب الفلاسفة أيضاً ، ومع ذلك يعتقدون كونه تعالى عالماً بحقائق الأشياء وماهياتها على سبيل التام والكمال
٩

(وأما النفس) فهي جوهر مجرد وإنها قديمة وعلة لحياة الأبدان ، وعليتها لها إنما هي على سبيل الإيجاب (كفيض النور عن قرص) الشمس . (لكنها جاهلة لا تعلم الأشياء) وماهياتها ولا العلوم التصديقية (إلا بعد أن تمارسها) ، فإن الإنسان لا يعلم صناعة الرمي مثلاً إلا بعد الممارسة وكذلك غيرها من الصنائع . وبجملتها لا تعلم كونها قديمة ولا تتذكر أحوالها في القدم . وعلى هذا زال احتجاج من أبطل كونها قديمة حيث قال لو كانت قديمة لتذكرت أحوالها في القدم ولعلمت كونها قديمة ، والتالي باطل فالمقدم مثله . لأننا نقول الملازمة ممنوعة وإنما تصدق [إن] لو كان لها شيء من العلوم قبل الممارسة وهو ممنوع ، بل هي قبل التعلق بالأبدان جاهلة خالية عن المعلوم ، وإنما تحصل لها العلوم بعد الممارسة وذلك إنما يكون بعد التعلق بالأبدان . ويجب أن تعلم أنهم لا ينفون عنها جميع العلوم قبل التعلق بالأبدان لأنهم

- ٦ الأشياء ما لم تمارسها . وكان البارئ تعالى عالماً بأن النفس تميل إلى التعلق بالهوى وتعشقها وتطلب اللذة الجسميّة وتكره مفارقة الأجسام وتنسى نفسها . ولما كان من شأن البارئ تعالى الحكمة التامة عمد إلى الهوى بعد تعلق النفس بها فركبها ضروباً من التراكيب مثل السموات والعناصر وركب أجسام الحيوانات على

(٧) اللذة الحسية ط — فلما ط — (٨) من شؤون البارئ ط

يزعمون أن سبب حدوث العالم حين حدث التفات النفس إلى الهوى وهذا يقتضى كونها عالمة فى الحكمة

- ٣ ثم قالوا ولما (كان) الله (تعالى) تام العلم علم بعلمه التام الذى لا يعزب عنه شئ بأن (النفس) ستميل إلى التعلق بالهوى وتعشقها وتطلب اللذة الجسمانية وتكره مفارقة الأجسام وتنسى نفسها (ووطنها الأصل ومركزها الحقيقى .) ولما كان من شأن (البارئ تعالى) نهاية (الحكمة) وسوس الموجودات على الوجه الأحسن والأليق بقدر الإمكان المشتمل على المنافع والمصالح (عمد إلى الهوى بعد تعلق النفس بها فركبها ضروباً من التراكيب) أى أفاض عليها ضروباً من الصور فحصل منها أنواع المركبات (مثل السموات والعناصر وركب أجسام الحيوانات على الوجه الأكمل)

- وقوله (والذى بقى فيها من الفساد فذلك لأنه لا يمكن إزالته) جواب عن سؤال مقدر ، وهو أن يقال لو كان الرب تعالى تام العلم والحكمة لما صدر عنه إلا الخير المحض ، لكننا نرى صدرت عنه الشرور والآفات والفساد لأن أبدان الحيوانات صادرة عنه وإنها مشتملة على نوع من الفساد . وأجاب عنه بأن قال تلك الشرور والآفات والمفاسد لا يمكن إزالتها عن الموجودات ، فإن النار لا تكون ناراً إلا وأن تحرق ما يلقاها من الأجسام القابلة للاحراق وإن كان فى ذلك

١٠ الوجه الأكمل ، والذي بقى فيها من الفساد فذلك لأنه لا يمكن إزالته . ثم إنه سبحانه وتعالى أفاض على النفس عقلاً وإدراكاً وصار ذلك سبباً لتذكر عالمها وسبباً لعلمها بأنها ما دامت في العالم الهولاني لا تنفك عن الآلام . وإذا عرفت النفس ذلك وعرفت أن لها في عالمها اللذات الخالية عن الآلام اشتاقات إلى

١٣٦

(١٠) بذلك لأنه ت — (١٠ - ١١) ثم انه تعالى ط — (١١) لتذكرها عالمها ط —
(١٢) في عالم الهولوى ط —

الإحراق نوع < من > الفساد . ولو لم يكن كذلك لما كانت النار ناراً
(ثم إن الله تعالى) لما علم جهل النفس وتعلقها بالهولوى وعشقها إياها وكرهية
٣ مفارقتها عنها ونسيانها عالمها وذلولها عن نفسها وكان في ذلك مفسدة عظيمة لا تليق
بحكمة أحكم الحاكمين تدارك هذا الفساد بأن (أفاض عليها عقلاً وإدراكاً وصار
ذلك) العقل والإدراك (سبباً لتذكر عالمها) أعنى عالم الروحانيات (ولعلمها
بأنها) غريبة في هذا < العالم > | وأنها (مادامت في العالم الهولانى لا تنفك عن الآلام)
١١١ ظ وأن جميع ما تعتقد في هذا العالم أنه لذة فهو في الحقيقة ليس بلذة بل دفع الآلام ،
فإن اللذات العاجلة ليس شيء منها سعادة محضة إذ كل واحد منها لا يخلو عن نقائص
٩ جمة . وإن أقوى اللذات الجسمانية الواقع وذلك إنما كان لأن الفضلة التي هي المني
اجتمعت في أوعيتها فاشتقت الطبيعة إلى نقصها وإزالة ثقلها عنها والخلاص عن ضررها ،
ثم إن الانسان يعقبه بعد الفراغ منه فتور ونفرة متمكنة في النفس . وكذلك أقوى
١٢ ما يعد لذة بعد لذة الواقع هو المطعم الشهى والمشرب المني ، ثم إنه يعقبه آلام كثيرة
وتتولد منه أخلاط موجبة لأمراض مختلفة ويحتاج إلى نقص الفضلات ودخول الخلاء
وإذا ما كن المنتنة القذرة . وعلى هذا القياس كل ما يعد لذة فانه لا يخلو عن نقائص
١٥ وآلام كثيرة

(وإذا عرفت النفس ذلك وعرفت) بما أعطاها الله تعالى من العقل والإدراك

ذلك العالم وعرجت بعد المفارقة وبقيت هناك أبد الآباد في نهاية البهجة والسعادة . وقالوا وبهذا الطريق زالت الشبهات الدائرة بين القائلين بالقدم والحدوث . فإن أصحاب القدم قالوا لو كان العالم محدثاً فليَمَّ أحدثه الله تعالى في هذا الوقت المعين وما أحدثه قبل ذلك ولا بعده ؟ وإن كان خالق العالم

(١٤) وعرجت عليه بعد ط — هناك إلى أبد الآباد ط — (١٥) قالوا ط — (١٦) فلم
أحدث ت — (١٧) ذلك لا بعده ط

(أن لها في علمها) — أعنى عالم الروحانيات — (اللذات الحالية عن الآلام) وأن ما تعتقد في هذا العالم أنه لذة فهو في الحقيقة ليس بلذة بل ذلك على سبيل الظن والحسبان وسمعت قول المنادى وتلا عليها (اشتاقت إلى ذلك العالم) كما يشاق الغريب إلى وطنه ومسقط رأسه ومقر عزه ومسكن أقرانه وأحبائه وعرفت أن الوصول إلى ذلك لا يتأتى إلا بعد قطع العلاقات الدنيائية والدعاوى الهيولانية . فاذا فارقت هذه الأبدان (عرجت بعد المفارقة وبقيت هناك أبد الآباد في نهاية البهجة والسعادة) ثم (قالوا) ومذهبنا هذا أجل المذاهب والتدين به أغر المناقب ، وبه (تزول) الشكوك و (الشبهات بين القائلين بقدم العالم وحدوثه . فإن أصحاب القدم قالوا لو كان العالم حادثاً فلم أحدثه الله تعالى في هذا الوقت المعين وما أحدثه قبل ذلك ولا بعده ؟ وإن كان صانع العالم حكماً فلم ملأ الدنيا من) الشرور و (الآفات ؟

(٣-٤) ياض نصف سطر بعد « المنادى » وكذلك بعد « وتلا عليها » ، ولعل المؤلف قصد إلى الآية « ارجعي إلى ربك » (سورة ٨٩ : ٢٨) وإلى الآية « إليه يصعد الكلم الطيب » (سورة ٣٥ : ١٠) أو الآية « تعرج الملائكة والروح إليه » (سورة ٧٠ : ٤) . راجع رسالة « آواز پر جبریل » لشهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي المقتول (نشرها H. Corbin و P. Kraus في مجلة *Journal Asiatique* سنة ١٩٣٥ ، ص ٢٠٩)

١٨ حكماً فليَمَ ملأ الدنيا من الآفات ؟ وأصحاب الحدوث قالوا لو كان العالم قديماً
 لكان غنياً عن الفاعل وهذا باطل قطعاً لما نرى أن آثار الحكمة ظاهرة
 في العالم . وتحير الفريقان في ذلك . وأما على هذا الطريق فالإشكالات زائلة
 ٢٦ لأننا لما اعترفنا بالصانع الحكيم لا جرم قلنا بحدوث العالم . فإذا قيل ولم
 أحدث العالم في هذا الوقت ؟ قلنا لأن النفس إنما تعلقت بالهوى في ذلك الوقت
 وعلم البارئ تعالى أن ذلك التعلق سبب الفساد ، إلا أنه بعد وقوع المحدثور

(٢٢) لما تعلقت ط

وَأصحاب الحدوث قالوا إن كان العالم قديماً لكان غنياً عن الفاعل (، والتالى
 (باطل) فالمقدم مثله . بيان الشرطية أن الفاعل حينئذ إما أن يفعله حال وجوده
 ٣ أو حال عدمه ، والأول محال لكونه تخصيصاً للحاصل وإيجاداً للموجود ، والثانى
 أيضاً محال لكونه منافياً لقدرته . وأما انتفاء التالى فلأننا (نرى آثار الحكمة)
 من الإتيان والإحكام وغير ذلك (ظاهرة فى) هذا (العالم) ، ويمتنع صدور
 ١١٣ هذه الأفعال العجيبة التى نشاهدها من غير فاعل | حكيم عالم قادر مدبر والعلم
 به ضرورى . ولما تعارضت الشبهة من الجانبين (تحير الفريقان فى ذلك) ولم يأت
 أحدهما صاحبه بجواب شاف

١ (وأما على الطريق) الذى اخترناه (فالإشكالات زائلة) لا يرد عليهما شيء
 منها ، (لأننا لما اعترفنا) بوجود (الصانع الحكيم) العالم القادر (لا جرم قلنا بأن العالم
 حادث . فاذا) قال لنا أصحاب القدم (ولم حدث العالم فى هذا الوقت) المدين دون
 ١٣ ما قبله وما بعده ؟ (قلنا إن النفس لما تعلقت بالهوى فى ذلك الوقت) فلهذا حدث
 العالم فى ذلك الوقت دون ما قبله وما بعده . ولما (علم) (أن ذلك التعلق) —
 أعنى تعلق النفس بالهوى — (للفساد صرفه بعد وقوع المحدثور إلى الوجه الأكمل)

صرفه إلى الوجه الذي هو أنفع بحسب الإمكان . وأما الشرور الباقية فإنما

١٣٧

بقيت لأنه لا يمكن تجريد هذا التركيب | منها

بقي هاهنا سؤالان أحدهما أن يقال لِمَ تعلقت النفس بالهيولى بعد أن كانت

غير متعلقة بها ؟ فإن حدث ذلك التعلق لا عن سبب فجوز حدوث العالم بكليته

(٢٤) إلى الوجه الأكمل بحسب ط — (٢٥) تحديد هذا التركيب عنها ط

الأحسن (بحسب الإمكان) ، وهو الوجه الذي < هو > عليه الآن ثم الآن إذ لا يقبل من الكمال إلا هذا الوجه . ولو أمكن وجه آخر من الكمال خير مما هو عليه الآن لكان الله تعالى تاركا للاكمل والأحسن ومختاراً للأدنى مع الاستغناء والقدرة ، وذلك لا يليق بالحكمة والرحمة

(وأما) قولهم لو كان صانع العالم متمكنا فلم ملا الدنيا من الآفات و (الشرور) ؟ قلنا (لأنه لا يمكن تجريدها منها) كما أنه لا يمكن خلق النار على وجه ينتفع بها إلا وأن تكون بحالة لو لاقت ثوب فقير لأحرقته ، وكذلك لا يمكن خلق الحديد على وجه ينتفع به إلا وأن يكون بحالة لو ماسّ أصبع برىء عن الجناية لقطعه . وإذا كان لا يمكن تعريضها عن الشرور والآفات وكان لا بد من هذا التعلق صرفه الحكيم الصانع إلى أبلغ الوجوه من الكمال الممكن . فليجاده على هذا الوجه لا يقدح في الحكمة التامة والعلم التام فزالت الشبهة المذكورة

(بقى) أن يقال : يرد على مذهبكم (سؤالان أحدهما أن يقال تعلق النفس بالهيولى بعد أن كانت غير متعلقة بها إن كان لا عن سبب) لزم جواز وقوع الممكن من غير مرجح وإنه باطل بالضرورة ، لأنه لو جاز وقوع ذلك التعلق من غير سبب (فليجز حدوث العالم بكليته) بعد أن لم يكن (لا عن سبب) ،

(٣) ومختار الادنى خ — (٦) تجريدها منها : مطموس في الأصل — (٧) لأحرقه

خ — (١١) فزال خ — (١٣) ان كانت لا عن سبب خ — (١٤) ولانه لو خ

لا عن سبب . والثاني أن يقال فهلاً منع البارئ تعالى النفس من التعلق بالهوى ؟ أجابوا عن الأول بأن هذا السؤال غير مقبول من المتكلمين لأنهم يقولون القادر المختار قد يرجح أحد مقدوراته على الباقي من غير مرجح ، ٣٠

(٣٠) أحد مقدوريه على الآخر ط

وحينئذ يلزمكم نفي الصانع وأنتم لا تقولون به . وإن كان ذلك التعلق عن سبب عاد الكلام في ذلك السبب ، فإما أن يتسلسل أو ينتهي إلى الترجيح من غير مرجح وكلاهما محالان ٣

(الثاني) لو علم الله تعالى حين ميلان النفس إلى التعلق بالهوى أن تعلقها بها سبب للفساد والشور للزم المحال . لأنه إن لم يكن قادراً على منع النفس من ذلك التعلق لزم كونه مغلوباً للنفس ، ولو كان كذلك فانه لم يصلح للالهية تعالى عنه علواً كبيراً . وإن كان قادراً على منعها من ذلك ومع ذلك لم يمنعها كان ذلك على خلاف الحكمة والرافة ، | فلا يكون تام العلم والحكمة لأنه يجري في ملكه ١١٢ ظ ١ ما لا يشتمل على المصالح

(أجاب) الحرانيون (عن) السؤال (الأول) بأن قالوا : نختار القسم الأول قولكم « يلزم وقوع الممكن من غير مرجح » . قلنا نعم ، ولم قلتم بأن ذلك محال في حق المختار ؟ فان النفس عندنا مختارة فاختارت التعلق بالهوى في ذلك الوقت دون ما قبله وما بعده لا مرجح ، لأن (المختار) يجوز أن يرجح أحد مقدوريه على الآخر من غير مرجح (كما أنكم تقولون العالم إنما حدث في الوقت المعين لأن الله تعالى اختار حدوثه في ذلك الوقت دون ما قبله وما بعده لا مرجح لـ كونه مختاراً والمختار يجوز في حقه ذلك . هذا إذا كان السائل (متكلماً) ، وأما إذا كان ١٥

(٥) يلزم المحال خ — (٦) فان لم يصلح خ — (٧) لا يمنعها خ — (١٠) محار خ — (١١) الاول قوله خ (راجع ص ٢١١ س ١) — (١٢) فان : مطموس في خ

فهلّا جَوَزُوا ذلك في النفس ؟ وغير مقبول أيضاً من الفلاسفة لأنهم جَوَزُوا في السابق أن يكون علة مُعَدَّة لللاحق ، فهلّا جَوَزُوا أن يقال النفس قديمة ولها تصوّرات متجددة غير متناهية ولم يزل كل سابق علة لللاحق حتى انتهت إلى ذلك ٣٣ التّصوّر الموجب لذلك التعلّق ؟ وأجابوا عن السّؤال الثّاني بأنّ البارئ علم بأنّ الأصلح للنفس أن تصير عالمةً بمضارّ هذا التعلّق حتى إنّها بنفسها تمتنع عن تلك

(٣٢) معدة : سقط ط — (٣٣) تصورات ط — (٣٤) البارئ تعالى ط —

(٣٥) ان تتصور عالمها بضمان هذا التعلّق ط — تمتنع من ط

(فلسفياً) فنختار القسم الثّاني قولكم « يلزم حينئذ إما التسلسل أو الترجيح » . قلنا نعم ، ولم قلتم بأنّ مثل هذا التسلسل محال ؟ فانه واقع عندكم لأن كل (سابق علة معدة لللاحق) عند الفلاسفة بغير نهاية . وإذا جاز ذلك (فلم لا يجوز أن يقال ٣ النفس قديمة ولها تصورات متجددة غير متناهية كل سابق منها معد لللاحق حتى انتهت إلى تصور) أعد النفس لتعلقها بالهيولى ؟ لم قلتم بأنه ليس كذلك ؟ لا بد له من دليل ٦

(وأجابوا عن السّؤال الثّاني) بأنّ قالوا : القسم الثّاني قولكم « لو كان كذلك كان ذلك على خلاف الحكمة والرحمة والرأفة » . قلنا لا نسلم ، وإنما ١ لزم أن < يكون كذلك > لو لم يكن في عدم منعها < من > التعلّق بالهيولى حكمة ومصلحة ، وهو ممنوع فان في ذلك حكمة عظيمة ، وتلك الحكمة هي (أن الله تعالى علم أن الأصلح) أن تتعلّق بالهيولى ليحصل لها العلم (بمضار ذلك التعلّق) (فتمتنع عن مخالطة) الجسمانيات بذاتها و (نفسها) ، فيحصل لها النعيم المقيم الأبدي ١٢ مع عدم الالتفات إلى عالم الأجسام والميل إليه . (وأيضاً فان النفس) عندنا جاهلة

(١) وحيار خ — (٢-٣) كل سابق عليه معدة خ — فلم لا يجوز : مطموس في خ —

(٨-٩) وإنما يلزم ان لو لم خ

٣٦ المخالطة . وأيضاً فالنفس لمخالطتها الهيولى تكتسب من الفضائل العقلية ما لم تكن موجودة لها . فلهذين العرضين لم يمنع الباري النفس | من التعلق بالهيولى

(٣٦) بمخالطتها الهيولى ط — ما لم يكن موجوداً لها ط — (٣٧) ولهذين العرضين ط

٣ بمحقق الأشياء وماهياتها — أعنى قبل التعلق — وناقصة عادمة الكمالات و (الفضائل العقلية) والعملية فتعلقت بالهيولى لتكون آلة معينة لها على اكتساب الفضائل والعلوم . (فلهذين العرضين) < اللذين > لم يمنعنا < النفس > من التعلق بالهيولى لا يقال لو كان الباري تعالى تام العلم والحكمة لخلق للنفس العلم بمضار ذلك التعلق ومفاسده وخلق لها أيضاً الفضائل العقلية والعملية بدون واسطة ذلك التعلق . لكننا نقول الملازمة ممنوعة | وإنما < كانت > تصدق لو كانت النفس قابلة للعلم بدون التعلق بالأبدان وهو ممنوع ، فإن النفس لا تقبل شيئاً من العلوم إلا بهذه الآلة والواسطة

١١٣

(٢) العقلية والعامة خ — لسكون اله خ — (٣) فلهذين العرضين لم يمنعنا من خ — (٤) والحكمة لخلق النفس خ — (٦) لانا نقول خ

٥

كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين لفخر الدين الرازى ، طبعة مصر ١٣٢٣ ص ٥٦ ، وقد صححنا هذا النص مستعينين بالنسخة المخطوطة المحفوظة في الخزانة التيمورية تحت رقم ٢٦٨ عقائد (١) ص ٨٩ - ٩٠ وطبعنا في أسفل الصفحات الفصل المقابل من كتاب المفصل في شرح المحصل لنجم الدين الكاتبي (نسخة باريس ١٢٥٤ عربي ورقة ٥٧ ظ - ٥٨ ظ)

وأما الحرثانيون فقد أثبتوا خمسة من القدماء اثنان حيّان فاعلان وهما
البارئ والنفس وعنوا بالنفس ما يكون مبدأ للحياة وهي الأرواح البشرية
والسماوية ، وواحد منفعل غير حيّ وهو الهیولی ، واثنان لا حيّان ولا فاعلان ٣
ولا منفعلان وهما الدهر والفضاء . أما قدّم البارئ فالدليل عليه مشهور . وأما

(١) الحرثانيون ط — خمس ط — اثنان : سقط ط — وها : سقط ط —

(٢) والنفس وعنوا بالنفس : سقط ط — (٣) غير حيّ : سقط ط — (٤) البارئ تعالى ط

قال (وأما الحرثانيون فقد أثبتوا خمسة من القدماء اثنان حيّان فاعلان وهما
البارئ والنفس) إلى آخره

- أقول : هذه الفرقة منسوبة إلى رجل يقال له حرثان وهؤلاء قالوا القدماء ٣
خمس اثنان حيّان فاعلان وهما البارئ تعالى والنفس . أما البارئ فلا شك أنه حيّ
فاعل لهذا العالم المحسوس . وأما النفس فهي حية لذاتها وفاعلة لأن سبب حيوة
هذه الأبدان البشرية والأجسام الفلكية هو النفس . فإذا تعلق بها تعلق التدبير ٦
والتصرف جعلتها حية ، وإليه أشار الإمام بقوله (وعنوا بالنفس ما يكون مبدأ
للحيوة وهي الأرواح البشرية والسماوية) . وأيضاً فسبب حدوث هذا العالم في الوقت
الذي حدث فيها إنما هو التفات النفس إلى الهیولی . وهذا المذهب محكى عن ٩
افلاطون فإنه كان يقول بقدّم النفوس البشرية . وأما القديم الثالث (فهو الهیولی
وهي منفعة) لأنها تقبل الصور من واهب الصور وتصير محلا لها ولا معنى لانفعالها
سوى ذلك . وهذا أيضاً مذهب افلاطون وأرسطو ، إلا أن الفرق هو أن افلاطون ١٢
يثبتها خالية عن الصور في الأزل وأرسطو يمنع من ذلك ويقول انها لا تخلو عن
الصور . (واثنان) آخران (لا حيّان ولا فاعلان ولا منفعلان وهما الدهر والفضاء) .
أما الدهر فالمراد به الزمان ، وأما الفضاء فالمراد به الخلاء ١٥

(أما قدّم البارئ) فقد استدلووا عليه بأنه لا بد من انتهاء الممكنات إلى مؤثر واجب
لذاته وذلك الواجب لا يجوز أن يكون حادثاً وإلا افتقر إلى محدث ، والكلام

قدم النفس فهو بناءً على أن كل محدث مسبوق بمادة ، فقالوا لو كانت النفس
 ٦ حادثة لكانت ماديةً ومادتها إن كانت حادثة افتقرت إلى مادة أخرى لا إلى
 نهاية ، وإن كانت قديمة فهو المطلوب . وأما الهيولى فإن كانت حادثة لزم
 التسلسل وإن كانت قديمة فهو المطلوب . وأما الدهر فهو الزمان وهو غير قابل
 ٩ للعدم لأن كل ما يصحّ عليه العدم كان عدمه بعد وجوده بعديّةً زمانيةً ،
 فيكون الزمان موجوداً حال ما فرض معدوماً هذا خلف ، فإذا قد لزم من

(٥) قدم النفس < والهيولى > فهو ط — (٦) لكانت لها مادة ومادتها ط — (٧) لا إلى
 نهاية < ولزم التسلسل > وإن كانت ط — فهي المطلوب ت — (٨) وهو الزمان لأنه
 غير قابل ط — (١٠) معدوماً فهذا محال فإذا لزم ط

فيه كما في الأول فيلزم التسلسل وهو محال . وأما النفس فقد استدلوا على قدمها بأنها
 لو كانت حادثة لكانت لها مادة لما سنيين بعد أن كل حادث حدوداً زمانياً لا بدّ أن
 ٣ يكون مسبوقاً بمادة ومدة ، لكن كون النفس مادية محال لما سنيين أنها مجردة فلا
 تكون حادثة ، وبتقدير كونها مادية فادّتها لا تكون حادثة وإلا لكانت لها مادة
 أخرى والكلام في المادة الثانية كالكلام في المادة الأولى ولزم التسلسل وهو محال .
 ٦ فإذن لا بدّ من الانتهاء إلى ما يكون قديماً ولا يعنى بالنفس إلا ذلك . (وأما الهيولى)
 فقد احتجوا على قدمها بأنها (لو كانت حادثة) لكانت لها هيولى أخرى والكلام فيها كما في
 الأولى (ولزم التسلسل) وهو محال . (وأما الزمان) فقد احتجوا على قدمه بأنه لو كان
 ٩ حادثاً لصحّ عليه العدم ، وكل ما كان ممكناً لا يلزم من فرض وقوعه محال لكن
 يلزم من فرض عدم الزمان محال لأنه لو عدم لكان عدمه قبل وجوده قبليّةً
 بالزمان فيلزم أن يكون للزمان زمان ، فالزمان موجود حال ما فرض معدوماً وإنه
 ١٢ محال . وكما أنه لا أول له فكذلك لا آخر له لأنه (لو عدم بعد وجوده لكان
 عدمه بعد وجوده بعديّةً بالزمان) فيلزم المحال المذكور ، (وكل ما يلزم من فرض
 عدمه محال فهو واجب لذاته) ، فالزمان واجب لذاته . (وأما الفضاء) فقد احتجوا على

(٧-٨) لكان لها هيولى آخر والكلام فيه كما في الأول خ

فرض عدم الزمان محال لذاته فيكون واجباً لذاته . وأمّا الفضاء فهو أيضاً واجب لذاته لأنّ الواجب لذاته يشهد صريحُ الفطرة بامتناع ارتفاعه ، والفضاء ١٢ كذلك لأنّه لو ارتفع لما بقيت الجهات متميزة بحسب الإشارات وذلك غير معقول

(١١) من فرض عدمه لذاته محال فيكون ط — (١٢) الواجب لذاته هو الذي يشهد ط —
بارتفاع امتناعه ت — (١٣) لو ارتفعت ط

قدمه بأن قالوا انه (واجب لذاته) لأنّه يلزم من فرض عدمه المحال ، وكل ما كان كذلك كان واجباً لذاته . أما المقدمة الأولى فإنّ (الفضاء لو ارتفع لما بقيت الجهات متميزة) أعنى لا تتميز جهة الفوق عن جهة السفلى ولا جهة اليمين عن جهة الشمال ٣ وذلك محال بالضرورة . أما المقدمة الثانية فظاهرة

ورد ذكر القول بالقدماء الخمسة منسوباً إلى الصابئة الحرائين أو الحرانين عند كثير من المتأخرين (١) ، منهم مثلاً محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ) في كتاب الملل والنحل (٢) قال :

ويقال انّ غاذيمون وهرمس هما شيث وإدريس عليهما السلام ، ونقلت الفلاسفة عن غاذيمون أنّه قال : المبادئ الأولى خمسة الباري تعالى [والمقل] والنفس < والهيولى > والزمان (٣) والخلاء وبعدها وجود المركبات ، ولم ينقل هذا عن هرمس

(١) راجع أيضاً Pines, Beiträge, p. 68

(٢) طبعة أوروبا ص ٢٤١

(٣) في الطبعة : والمكان ، ويظهر من مقابلة النص بما أورده الطوسي أنّ نسخ كتاب الملل والنحل حرّفوا الموضع مقرين قول الحرانين مما يروى عن انباذقليس في قدم خمسة مبادئ

وقال نصير الدين الطوسي (المتوفى سنة ٦٦٢) في كتاب تلخيص المحصل (١) عند شرحه لقول الرازي المذكور في متن القطعة الرابعة (٢) :

أقول قد مرّ أنّ الحرانين يقولون بالقدماء الخمسة وقال صاحب الملل والنحل « إنّ المنقول عن غاذيمون الذي يقال انه شيث بن آدم أنه قال القدماء الأول خمسة البارئ تعالى والنفس والهيولى والزمان والخلاء وبعدها وجود المركبات » . وبعض هذه الأسئلة والأجوبة كأنها كلام هؤلاء المتأخرين وإنما أورد هذا المذهب في القسم الثانى أعنى قول الذين قالوا أصل الأجسام ليس بجسم لقولهم الهيولى قديمة وذكر فيه قولهم بأعمّ من ذلك وهو أنّ العالم ليس بجسم وهو هذه القدماء الخمسة

وقال على بن محمد القوشجى (المتوفى سنة ٨٧٩ هـ) في شرح تجريد الكلام للطوسى (٣) :

والحرانين منهم أثبتوا قدماء خمسة اثنان منها حيان فاعلان هما البارئ والنفس وعنوا بالنفس ما يكون مبدأ للحياة وهى الأرواح البشرية والسماوية وواحد منفعل غير حيّ وهو الهيولى واثنان ليسا بحيين ولا فاعلين ولا منفعلين وهما الدهر والخلاء . قالوا عشقت النفس بالهيولى لتوقف كالاتها الحسية والعقلية عليها

فحصل من اختلاطهما نوع المكوّنات

وتجد مثل هذا القول في كتاب المحصل للرازي وفي كتاب المفصل في شرح المحصل للكاتبى (٤) وفي كتاب المواقف للقاضى عضد الدين الايجى (المتوفى سنة ٧٥٦ هـ) (٥) وفي شرح المواقف للجرجاني (٦) وفي كتاب شرح الإشارات للرازي (٧) وللطوسى (٨) وفي غيرها

(١) المطبوع على هامش كتاب المحصل (مصر ١٣٢٣) ص ٨٦

(٢) ص ٢٠٣ وما يليها

(٣) المطبوع على هامش شرح المواقف (استانبول ١٣١١ هـ) ج ٢ ص ١٧٨

(٤) راجع من فوق ص ٢٠٣ وما يليها

(٥) راجع أيضا كتاب جواهر الكلام وهو مختصر كتاب المواقف للإيجى ، نشره الأستاذ أبو العلاء العفيفى فى مجلة كلية الآداب للجامعة المصرية ج ٢ (١٩٣٥) ص ١٥١

(٦) راجع من فوق ص ١٨٩ وما يليها

(٧) على هامش كتاب شرحى الإشارات ، طبعة استانبول ١٢٩٠ هـ ، ص ٣٦٠

(٨) فى متن هذه الطبعة ص ٢٤١

القول في الهيولى

ذكر أصحاب التراجم عدة مؤلفات للرازي في القول في الهيولى منها : (١) « كتاب الهيولى الكبير » (١) أو « كتاب كبير في الهيولى » (٢) ، و (٢) « كتاب الهيولى الصغير » الذى ذكره البيروني (٣) ولعله هو « كتاب الهيولى المطلقة والجزئية » الذى ورد ذكره عند ابن النديم (٤) وابن أبي أصيبعة (٥) وابن القفطى (٦) ، و (٣) « كتاب في الرد على المسمعى المتكلم في رده على أصحاب الهيولى » (٧) و (٤) « كتاب على ابن اليمان (٨) في نقضه على المسمعى في الهيولى » (٩) . أما الرازي نفسه فإنه أشار في كتاب السيرة الفلسفية (١٠) إلى « كتبنا في الهيولى » . وقد رأينا فيما مضى (١١) أنه عني بالهيولى في كتاب العلم الإلهى أيضاً

(١) ابن النديم ص ٣٠٠ س ٢٩ ، والبيروني رقم ٦٠

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٦ س ٢٩

(٣) رقم ٥٩

(٤) ص ٣٠٠ س ٢٠

(٥) ج ١ ص ٣١٧ س ١١

(٦) ص ٢٧٤ س ١٧

(٧) ابن النديم ص ٣٠٠ س ١٦ ، وابن القفطى ص ٢٧٤ س ٩ ، وابن أبي أصيبعة

ج ١ ص ٣١٧ س ٦ ، والبيروني رقم ٥٨ (« الرد على المسمعى في رده على القائلين بقدم الهيولى »)

(٨) والصحيح ابن التمار ، راجع من فوق ص ٢ تعليق ٣

(٩) ابن النديم ص ٣٠١ س ٨ ، وابن القفطى ص ٢٧٥ س ٩

(١٠) راجع من فوق ص ١٠٩ س ٥

(١١) ص ١٧٣

لم يبق لنا من مذهب الرازى فى الهيولى إلا ما أورده ناصر خسرو فى كتاب زاد المسافرين (١) . أما فخر الدين الرازى فقد بسط فى كتاب المطالب العالية (٢) هذهباً فى الهيولى يشبه مذهب الرازى دون أن يكون منسوباً إليه نسبة صريحة . قال فخر الدين :

الفرع الخامس من الناس من قال : امتياز اللطيف من الكشيف (٣) إنما حصل بسبب مخالطة الخلاء ، فالأجزاء التى يتولد منها الجسم الخصوص (٤) إن كانت بحيث يخالطها أجزاء الخلاء (٥) فهو الجسم اللطيف (٦) ، وإن كان لا يخالطها أجزاء الخلاء فهو الكشيف . ثم كلما كانت مخالطة الخلاء أكثر كانت اللطافة أكثر . فالأرض لم يخالطها أجزاء الخلاء فلا جرم كانت فى غاية الكشافة ، والماء يخالطه أجزاء الخلاء فلا جرم حصلت اللطافة فيه . وأمّا الأجزاء الهوائية فمخالطة الخلاء لها أكثر فلا جرم كان الهواء ألطف (٧) من الماء ، وكذلك القول فى النار ثم فى الأفلاك

الفرع السادس من الناس من قال إن الخلاء حصل فيه قوة جاذبة للأجسام . قال ولهذا السبب يكون الثقيل (٨) هاوياً نازلاً (٩) لأنّ القوة الجاذبة الحاصلة

(١) نشره محمد بذل الرحمان فى مطبعة كويانى فى برلين سنة ١٣٤١ هـ ، ص ٧٣ وما يليها ، راجع أيضاً ما قلته ص ١٤٨ تعليق ٣

(٢) فى الفصل السابع من المقالة الثانية من الكتاب الخامس من إلهيات كتاب المطالب العالية (نسخة دار الكتب المصرية توحيد ٤٥م ورقة ٢٣٧ ظ)

(٣) اللطيف عن الكشيف خ

(٤) لعل الصواب : المحصور

(٥) آخر الخلاء خ

(٦) اللطيف خ

(٧) لطيف خ

(٨) النقل خ

(٩) نارلاً خ

في الخلاء تجذب ذلك الجسم إليه فإذا وصل إليه فالقوة الجاذبة الموجودة في الخلاء المتصل بالخلاء الأول تجذبه إلى نفسه ، وهكذا إلى آخر المرتبة

وقال محمد بن مبارك شاه الشهير بميرك البخارى في كتاب شرح حكمة العين^(١) عند بحثه عن الجسم الطبيعيّ :

وذهب قوم من القدماء وأكثر المتكلمين من المحدثين إلى أنه (أي الجسم الطبيعيّ) مؤلف من أجزاء موجودة بالفعل متناهية غير قابلة للقسمة بوجه ما أصلاً لا كسراً لصغره ولا قطعاً لصلابته ولا وهماً لعجز الوهم عن تمييز طرف منه عن طرف وذهب بعضهم كمحمد الشهرستاني والرازي^(٢) إلى أنه متصل واحد في نفسه كما هو عند الحسّ لكنه قابل لانقسامات متناهية . وذهب ديمقراطيس وأصحابنا إلى أنه مركب من بسائط صغار متشابهة الطبع كل واحد منها لا ينقسم فكأن بل وهماً ونحوه وتألفها إنما يكون بالتماس والتجاور . . .

ونحن نذكر فيما يلي ما أورده ناصر خسرو باللغة الفارسية من قول الرازي في الهيولى مضيفين إليه ترجمة عربية على عادتنا ومتبعين له بما انتخبناه من ردود ناصر خسرو على الرازي^(٣)

(١) طبعة قزات ١٣١٥ ص ١١٩ ، راجع أيضاً S. Pines, *Beiträge*, p. 72

(٢) قال السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني في حاشيته (على هامش الطبعة) : قوله كمحمد الشهرستاني < والرازي > يعني محمد بن زكرياء الرازي الطبيب

(٣) قد حلل S. Pines في كتابه *Beiträge zur islamischen Atomenlehre* ص ٤٠ وما يليها مذهب الرازي في الهيولى تحليلاً فلسفياً وتاريخياً

اصحاب هيولى چون ايران شهرى و محمد زكرياى رازى و جز ايشان
گفتند كه هيولى جوهرى قديم است . و محمد بن زكريا پنج قديم ثابت كرده
است يكي هيولى و ديگر زمان و سه ديگر مكان و چهارم نفس و پنجم بارى
سبحانه و تعالى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا . و گفته است كه
هيولى مطلق جزوها بوده است نا متجزى چنانكه مر هر يكي را از او عظمى
بوده است ، از بهر آنكه آن جزوها كه مر هر يكي را از او عظمى نباشد
بفراز آمدن آن چيزى نباشد كه مر او را عظمى باشد . و نيز مر هر جزوى
را از او عظمى روا نباشد كز آن خردتر عظمى روا باشد كه باشد ، چه
اگر مر جزو هيولى را جزو باشد او خود جسم مركب باشد نه هيولى
مبسوط باشد ، و هيولى كه مر جسم را ماده است مبسوطست

(٧) و بفراز آمدن ك — عظم باشد ب — (٨-٩) كه اكر ك

الترجمة

قال أصحاب الهيولى من أمثال الإيرانشهرى * و محمد بن زكرياء الرازى و غيرهما ان الهيولى
جوهر قديم . و أما محمد بن زكرياء فقد أثبت خمسة قدماء أحدها الهيولى والثاني الزمان والثالث
المكان والرابع النفس والخامس البارى سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . وقال :
ليست الهيولى المطلقة سوى أجزاء لا تتجزء ، بحيث أن يكون لكل واحد (من تلك الأجزاء)
عظم . لأنه لو لم يكن لكل واحد من تلك الأجزاء عظم لم يحصل بتجمعها شيء له عظم .
وأيضاً لا يجوز أن يكون لأى جزء من (الجزء الذى لا يتجزأ) عظم حتى يجوز أن يوجد عظم
أصغر مما عليه (الجزء الذى لا يتجزأ) . وذلك أنه لو كان لجزء الهيولى جزء لكان الجزء نفسه
جسماً مركباً ولم تكن الهيولى مبسوطه* ، مع أن الهيولى التى هى مادة الجسم مبسوطه

* أما الإيرانشهرى هذا فراجع ما قلناه فيه فى المقدمة

* أى بسيطة

پس گفته است اندر قول اندر هیولی که ترکیب اجسام از آن اجزای
نامتجزی است و گشاده شدن ترکیب اجسام عالم سوی آن اجزا باشد بآخر
کار عالم . و هیولی مطلق آن است

۳

۷۴

دلیل قدم هیولی و بیان پدید آمدن

عناصر بمذهب محمد زکریا

و گفته است و قدیم است از بهر آنکه روا نیست که چیزی قائم
بذات چیزی که جسمت باشد نه از چیزی موجود شود ، که عقل مر این
سخن را نپذیرد . و گفته است از آن جزوهای هیولی آنچه سخت فراز
آمده است ازو جوهر زمین آمده است ، و آنچه گشاده تر فراز
آمده است ازو جوهر آب آمده است ، و آنچه ازو نیز گشاده تر فراز

(۲) سوی آن جزو باشد ب — تا آخر کارك — (۹-۱۰) و آنچه ازها گشاده تر
فراز آمده است جوهر آتش آمده است ب

الترجمه

ثم قال عند كلامه في الهيولى : إن تركيب الأجسام من تلك الأجزاء التي لا تتجزأ ، وسينتهي
تفرق تركيب الأجسام العالم في آخر أمر العالم الى تلك الأجزاء بعينها . وهذه هي الهيولى المطلقة

الدليل على قدم الهيولى وبيان حدوث العناصر على مذهب محمد بن زكرياء

وقال : إن (الهيولى) قديمة لأنه لا يجوز أن شيئاً يقوم بذات غيره — (لا سيما) إذا
كان جسماً — يحدث من لا شيء لأن العقل لا يقبل مثل هذا القول . وقال : إن ما صار
من أجزاء الهيولى مجتمعاً جداً كان منه جوهر الأرض ، وما صار أكثر تفرقاً * من (جوهر
الأرض) كان منه جوهر الماء ، ثم إن ما صار أكثر تفرقاً من (جوهر الماء) كان منه
جوهر الهواء ، وما صار أكثر تفرقاً من جوهر الهواء كان منه جوهر النار

* حرفياً : انفتاحاً ، ای تفرقاً ، أو تخلخلاً

آمده است جوهر هوا آمده است ، و آنچه از جوهر هوا گشاده تر آمده
 است جوهر آتش آمده است . و گفتست که از آب آنچه فراز تر هم
 ۳ آید از آنکه هست زمین گردد ، و از او آنچه گشاده تر از آن شود
 که جوهر اوست هوا گردد ، و از جوهر هوا آنچه هم فراز تر از آن
 شود که هست آب گردد ، و آنچه گشاده تر از آن شود که هست
 ۶ آتش گردد . آنگاه بدین سبب است که چون مر آهن را بسنگ بر
 زنند آتش پدید آید ، از بهر آنکه هوا که بمیان سنگ و آهن اندر
 است همی گشاده و دریده شود . و نادان همی پندارد که از سنگ و آهن
 ۹ همی آتش پدید آید . و اگر از سنگ و آهن آتش بودی مر آهن و
 سنگ را همچو خویشتن گرم و روشن گردی از بهر آنکه خاصیت
 آتش آن است که مر چیز را کاندراو باشد بحال خویش گرداند

بیان پیدایش افلاک

۱۲

آنگاه گفته است که ترکیب جرم فلک هم از آن جزوهای هیولی

(۹) آتش بیرون آید

الترجمة

وقال : إن ما صار من الماء أكثر تجمعاً * مما هو عليه تحول أرضاً ، وما صار منه أكثر
 تفرقاً مما عليه جوهره تحول هواء ، وكذلك ما صار من جوهر الهواء أكثر تجمعاً مما هو عليه
 تحول ماء ، ما صار منه أكثر تفرقاً مما هو عليه تحول ناراً
 ومن أجل ذلك تظهر النار عند ضرب الحجر بالحديد لأن الهواء الذي يكون بينهما يتفرق
 ويتمزق . ويتوهم الجاهل أن النار تظهر من الحجر والحديد نفسيهما ، ولو كان كذلك لحولت النار
 الحجر والحديد حارين مضيئين مثلها لأن من خاصية النار أن تحول إلى حالها كل ما يتصل بها
 بيان حدوث الأفلاك

وهناك قال : إن جرم الفلك يتركب من أجزاء الهيولى بعينها إلا أن تركيبه يخالف

* ای تکائفاً

است و لیکن آن ترکیب بخلاف این تراکیب است . و دلیل بر درستی
 این قول | آنست که مر فلک را حرکت نه سوی میانه عالمست و نه
 سوی حاشیت عالم است . از بهر آنکه جسم او سخت فراز آمده نیست ۳
 چون جوهر زمین تا مر جای تنگ را بجوید چنانکه زمین جسته است ،
 و نیز سخت گشاده نیست چون جوهر آتش و جوهر هوا تا از جای تنگ
 بگریزد کاندرا او ننگجد . و حرکت مستقیم جز بر این دو جهت نیست ، و ۶
 علت این دو حرکت از این دو است که گفتیم که مر جرم طبیعی را از حرکت
 طبیعی چاره نیست . پس چون فلک را ترکیب جز این دو ترکیب بود
 چون بجنب حرکت او باستدارت آید . و با این ترکیب با اوست حرکت ۹
 او همچنین آید از بهر آنکه مر او را جای از جای دیگر در خورد
 تر نیست چنانکه مر جرم سخت را جای تنگ در خورد است و مر
 جرم گشاده را جای گشاده در خورد است ۱۲

(۷) که گفتیم و گفتند که ب — (۱۱ و ۱۲) در خور است ب

الترجمة

تراکیب تلك (الأجسام الأخر) . والدلیل علی صحة هذا القول أن حركة الفلك لا تتوجه إلى وسط
 العالم ولا إلى أطرافه . لأن جسمه ليس في غاية التجمع مثل جوهر الأرض حتى يلتبس مكاناً
 ضيقاً كما فعلت الأرض ، وليس أيضاً في غاية التفرق مثل جوهر النار وجوهر الهواء حتى يفرق
 من المكان الضيق الذي لا يثبت فيه . وليست هناك حركة مستقيمة في غير هاتين الجهتين ، فإن
 علة هاتين الحركتين من هاتين (الجهتين) كما قلنا ، لأنه لا بد للجرم الطبيعي من الحركة الطبيعية .
 فلما كان للفلك تركيب غير هذين التركيبين فإنه عندما يتحرك تأخذ حركته شكل الاستدارة .
 وحركته هذه راجعة إلى تركيبه لأنه ليس هناك مكان أليق من مكان آخر كما يليق للجرم السكيف
 المكان الضيق وللجرم المتفرق المكان المفتوح (المتسع)

- آنگاه گفت است که چگونگیهای اجسام از گرانی و سبکی و تاریکی و روشنی و جز آن بسبب اندکی خلا و بیشتری آنست که با هیولی آمیخته است تا چیزی سبکست و چیزی گرانست و چیزی روشن است و چیزی تاریک است ، از بهر آنکه چگونگی عرض است و عرض محمول باشد بر جوهر و جوهر هیولی است . و از این جمله که یاد کردیم مغز سخن محمد زکریای رازی است اندر هیولی و برهان کرده است محمد زکریا بر آنکه هیولی قدیم است و روا نیست که چیزی پدید آید نه از چیزی بدانچه گفته است ابداع اعنی چیزی کردن نه از چیزی بمقصود کننده چیزی نزدیکتر است از ترکیب ، یعنی اگر خدای مردم را ابداع کردی تمام یسکبار مقصود او زودتر از آن بحاصل شدی که به چهل سال مر او را همی ترکیب کند ، و این يك مقدمه است . آنگاه گوید | که صانع حکیم از کاری که آن بمقصود او نزدیکتر باشد سوی کاری که آن از مقصود او دورتر باشد

(۴-۵) عرض است و نه عرض ك — (۹) و بمقصود کننده ب — (۱۰) یعنی که خدای ك — (۱۰-۱۱) مقصود او از او زودتر بحاصل شدی که بمهل مر او را ك

الترجمة

وهناك قال : إنَّ كیفیات الأجسام من ثقل وخفة وظلمة ونور وغيرها إنما ترجع إلى قلة أو كثرة الخلاء الذي امتزج بالهيولى فصار شيء ما خفيفاً وآخر ثقيلًا وشيء ما مضيئاً وآخر مظلماً ، لأنَّ الكيفية عرض والعرض محمول على الجوهر والجوهر هو الهيولى . وفي هذه الجملة التي عرفناها زبدة قول محمد بن زكرياء الرازي في الهيولى وقد جاء محمد بن زكرياء ببرهان على قدم الهيولى وعلى أنه لا يجوز أن يكون شيء من لا شيء ، فقال إنَّ الإبداع — أعني إحداث شيء من لا شيء — عند صانع شيء مقصود أقرب تناولا من التركيب ، يعني لو أن الله أبدع الآدميين إبداعاً تاماً دفعةً واحدةً لكان مقصوده أقرب إلى التنفيذ من أن يركبهم في خلال أربعين سنة ، وهذه هي المقدمة الأولى . ويقول إنَّ الصانع الحكيم لا يرجح فعل ما هو أبعد من مقصوده على فعل ما هو أقرب من مقصوده إلا إذا كان

میل نکنند مگر آنگاه که از وجه آسان تر و نزدیکتر متعذر باشد ،
و این دیگر مقدمه است . آنگاه گوید نتیجه از این دو مقدمه آن
آید که واجب آید که وجود چیزها از صانع عالم بابداع باشد نه ^۳
بترکیب . و چون ظاهر حال بخلاف این است و وجود چیزها بترکیب
است نه بابداع لازم آید که ابداع متعذر است از بهر آنکه هیچ چیز
اندر عالم همی پدید نیاید مگر بترکیب ازین امهات که اصل آن ^۶
هیولی است

و گوید که استقرای کلی بر این برهان باشد . و چون هیچ چیز
در عالم پدید نیاید مگر از چیزی دیگر واجب آید که پدید آمدن ^۹
طبیاع از چیزی بوده است که آن چیز قدیم بوده است و آن هیولی
بوده است . پس هیولی قدیم است و همیشه بوده است و لیکن مرکب
نبوده است بلکه گشاده بوده است . و دلیل بر درستی این قول آنست ^{۱۲}
که گوید که چون اصل جسم يك چیز است که آن هیولیت و
اندر این جسم کملی که عالم است جزوهای هیولی بر یکدیگر اوقتاده است

(۶۰۵) هیچ چیز از هیچ چیز اندر عالم ك — (۸) استقرای کلی بر این ، صحنا
(راجع ص ۲۳۶ س ۱۳) : استواء کلی برابر ، کنذا فی الطبعة

الترجمة

غير قادر على فعل الوجه الأسهل والأقرب ، وهذه هي المقدمة الثانية . ثم يقول : ونتيجة هاتين
المقدمتين أنه وجب أن يكون وجود (جميع) الأشياء من صانع العالم بالإبداع لا بالتركيب . ولما كان
ظاهر الحال بخلاف ذلك وكانت الأشياء تحدث بالتركيب لا بالإبداع لزم أنه لا يقدر على الإبداع
لأنه لا يحدث شيء في العالم إلا بالتركيب من تلك الأمهات التي أصلها الهيولى
ويقول : إن الاستقراء الكلي برهان على هذا . ولما كان لا يحدث شيء في العالم إلا من شيء
آخر وجب أن يكون حدوث الطبائع من شيء (غيرها) وأن يكون ذلك الشيء قديماً ، وهذا
هو الهيولى . ولذا فالهيولى قديمة لم تزل غير أنها لم تكن مركبة بل كانت متفرقة . والدليل على
صحة هذا الكلام أنه يقول : إنه لما كان أصل الأجسام شيئاً واحداً وهو الهيولى وكانت أجزاء

وبعضى از جسم برتر است و بعضى فرو تر است این حال دلیل است بر آنکه هیولى مقهور نبود است پیش از ترکیب عالم . و چون مقهور نبوده است و قهرش بترکیب افتاد است گشاده بوده است پیش از ترکیب و بآخر کار که عالم بر خیزد هیولى همچنانکه بوده است گشاده شود و همیشه گشاده بماند

و نیز گفته است که اثبات صانع قدیم بر ما بدان واجب است که مصنوع ظاهر است پس دانستیم که صانع او پیش از او بوده است . و مصنوع هیولى است مصور . پس چرا صانع پیش از مصنوع بدالات مصنوع ثابت شد و هیولى پیش از مصنوع بدالات مصنوع که بر هیولى است ثابت نشد ؟ و چون | جسم مصنوعست از چیزی بقهر قاهرى همچنانکه قاهر قدیم ثابت است پیش از قهر آنچه آن قهر بر او افتاده است واجب است که قدیم باشد وثابت باشد پیش از قهر . و آن هیولى باشد ، پس هیولى قدیمست . این جمله قول این فیلسوف است اندر قدیمت هیولى

(٣) وگشاده ك — (١١) آنچه از قهر ك ب

الترجمة

الهیولى قد سقط بعضها على بعض فى ذلك الجسم الكلى الذى هو العالم وكان بعض هذا الجسم أعلى من بعض وبعضه أسفل من بعض صار هذا دليلاً على أن الهیولى لم تكن مقهورة قبل تركيب العالم . وإذا لم تكن مقهورة ووقع قهرها بالتركيب (تبع ذلك) أنها كانت متفرقة قبل التركيب وأنها ستصير فى آخر الأمر عند فناء العالم متفرقة كما كانت من قبل وتبقى دائماً متفرقة وقال أيضاً : لا بد لنا من إثبات صانع قدیم إذ كان المصنوع ظاهراً وكنا قد عرفنا أن صانعه كان قبله . على أن المصنوع ليس إلا الهیولى المصورة . إذن فلم يثبت سبق الصانع للمصنوع بدلالة المصنوع ولا يثبت سبق الهیولى للمصنوع بدلالة المصنوع الذى هو فى الهیولى ؟ وإذا صح أن الجسم مصنوع من شئ بقهر قاهر (فنقول) كما أن ذلك القاهر قدیم ثابت قبل قهره كذلك يجب أن يكون ما وقع عليه ذلك القهر قديماً ثابتاً قبل أن يقهر . وهذا هو الهیولى ، إذن فالهیولى قديمة . وهذه جملة قول هذا الفيلسوف فى قدم الهیولى

ابطال قدم هیولی

- و قول ما اندر این معنی آنست که گوئیم این اعتقادی فاسد است و بنیادی سست و نا استوار و قاعده ضعیف است بدو سبب . یکی بدان سبب که بخلاف قول خدای است و آنچه از گفتارها بخلاف قول خدا باشد آفرینش که آن فعل خدایست بر درستی آن گواهی ندهد ، و قولی را که آفرینش بر درستی آن گواه نباشد عقل نپذیرد . و دیگر بدان سبب که بعضی از آن دعویها که این مرد کرد ست مر دیگر بعضهای خویش را همی باطل کند
- ۶ و اکنون به بیان و برهان این قول مشغول شویم و به حجت های اقناعی و برهان های عقلی و دلیلهای علمی درست کنیم فساد اعتقاد پسر | زکریای رازی و نا استواری بنیاد قول و سستی قاعده سخن او بتوفیق الله تعالی
- ۷۸
۷۹
۹
۱۲
۱۵
- * گوئیم که محمد زکریای رازی دعوی کرده است که هیولی قدیم است و آن جزوها بوده است بغایت خوردی و بی هیچ ترکیبی ، و باری سبحانه مر اجسام عالم را از آن جزوها مرکب کرده است به پنج ترکیب از خاک و آب و هوا و آتش و فلك . و همی گوید از این اجسام آنچه سخت تر است تاریکتر است ، و ترکیب همه اجسام از اجزای هیولی است با جزوهای خلا یعنی مکان مطلق . و اندر ترکیب خاک جزوهای هیولی

(۸) اعتقاد محمد زکریای ك — (۱۱-۱۲) سبحانه مر ترکیب عالم را از آن ترکیب کرده است به پنج ك

الترجمة

قول : إن محمد بن زكرياء الرازي ادعى أن الهیولی قديمة وأنها أجزاء في غاية الصغر ودون أي تركيب ، وأن الباري سبحانه ركب أجسام العالم من تلك الأجزاء في خمسة ترايب أعني الأرض والماء والهواء والنار والفلك . ويقول إن ما كان من تلك الأجسام أكثر كثافة صار أكثر ظلمة ، وإن تركيب جميع الأجسام من (اختلاط) أجزاء الهیولی بأجزاء الخلاء يعني المكان المطلق . وإن أجزاء الهیولی في تركيب الأرض أكثر منها في تركيب

بیشتر از آن است که اندر ترکیب آب است، و جزوهای خلا اندر خاک
 کمتر است و اندر آب بیشتر است، و از آن است که آب سبکتر از خاک
 ۳ است، و آب نرم و روشن است و خاک سخت و تاریکست. و همچنین
 بترتیب جزوهای هیولی اندر آب بیشتر از آن است که اندر هواست،
 و جزوهای خلا اندر هوا بیشتر از آن است که اندر آب است، و جزوهای
 ۶ هیولی اندر هوا بیشتر از آن است که اندر آتش است، و جزوهای خلا
 اندر آتش بیشتر از آنست که اندر هواست. و تفاوتی که هست میان این
 اجسام اندر سبکی و گرانی و روشنی و تیرگی بسبب تفاوت اجزای
 ۹ این دو جوهر است اندر ترکیب ایشان. این دعویهای خصم ماست
 که یاد کردیم

ردّ قول محمد زکریا در قدم هیولی

وما گوئیم اندر ردّ این قول که دعوی این مرد بدانچه همی گوید هیولی
 ۱۲ قدیم است همی ردّ کند مر دیگر دعوی او را که همیکند بدانچه همیگوید این
 اعراض اندر هیولی بسبب این ترکیب آمد | است، از بهر آنکه قدیم آن باشد
 ۸۰ که زمان او نا متناهی باشد، و اگر زمان هیولی اندر بی ترکیبی نا متناهی بودی
 ۱۰ سپری نشدی، و اگر آن زمان بر وی نگذشتی بترکیب نرسیدی. و چاره نیست

(۳-۴) و همچنین ترتیب ك — (۱۲) مرد است بدانجه ك — (۱۳) دعوی خویش را ك

الترجمة

الماء، وأما أجزاء الخلاء فهي في الأرض أقلّ وفي الماء أكثر. ومن أجل هذا صار الماء أخف
 من الأرض، وصار الماء لطيفاً مضيقاً بينما كانت الأرض كثيفة مظلمة. وعلى مثل هذا الترتيب
 صارت أجزاء الهیولی في الماء أكثر منها في الهواء وأجزاء الخلاء في الهواء أكثر منها في الماء،
 وصارت أجزاء الهیولی في الهواء أكثر منها في النار وأجزاء الخلاء في النار أكثر منها في
 الهواء. وأما التفاوت الذي يوجد بين هذه الأجسام من حيث الخفة والثقل والنور والظلمة فليس
 سببه سوى تفاوت أجزاء هذين الجوهرين في تركيبها. فهذه دعاوى خصمنا التي عرفناها

- از آنکه اوّل زمان ترکیب هیولی آخر زمان بی ترکیبی او بود . پس زمان بی ترکیبی او بی نهایت نبود بلکه نهایت زمان بی ترکیبی او آن ساعت بود که آغاز ترکیب او اندر آن زمان بود . و اگر زمان بی ترکیبی هیولی را آغاز نبودی بانجام ۳ نرسیدی ، از بهر آنکه زمان باقرار محمد زکریا مدت است و مدت کشیدگی باشد ، و کشیدگی اگر از آغاز نرود بانجام نرسد . و چون مدت بی ترکیبی هیولی باقرار خصم ماسپری شد این سخن دلیل است بر آنکه مر آن ۶ مدت را آغازی بود . پس مر زمان هیولی را آغاز و انجام بود ، و آنچه مر او را آغاز و انجام زمانی باشد محدث باشد ، پس هیولی باقرار محمد زکریا محدثست . و درست کردیم که بعضی از دعوی او که آن ترکیب پذیرفتن ۹ هیولی است پس از بی ترکیبی و سپری شدن زمان بی ترکیبی اوست همی باطل کند مر بعضی از دعاوی او را که همیگوید هیولی قدیم است یعنی مر زمان او را آغاز و انجام نیست ۱۲
- پس گوئیم که اگر قول این مرد بدانچه گفت هیولی قدیم است و قدیم آن باشد که مر زمان او را نهایت نباشد درست است این تراکیب و این اعراض محدث نه بر هیولی است ، و هیولی بر حال خویش است گشاده ۱۵ و بی ترکیب و زمان او سپری نشده است . و اگر قول این مرد بدانچه گفت مر اعراض و تراکیب را هیولی بر گرفته است درست است پس هیولی محدث است | که مر حوادث را بر گرفته است ، و زمان آن حال که مر ۸۱ او را پیش از ترکیب بود بر او گذشته است و زمان این حال که دارد بر او همیگذرد . پس ظاهر کردیم سوی عقلا که این دعوی که این مرد کرده است اندر قدیمی هیولی و گذشتگی زمان او متناقض است ، و ۲۱ تناقض دروغ باشد و مشاهدات عالم مر آن را گواهی ندهند

(۲) بی نهایت شود بلکه ك — (۱۵) و این اعراض محدث است نه هیولی و هیولی ك —

(۱۷) و ترکیب را ب

ردّ قول محمد زکریا در اختلاف عناصر که بسبب

اجزای هیولی و خلاست

- ۳ و اما سخن ما اندر ردّ آن قول که این مرد گفته است که گرانی و سبکی و تاریکی و روشنی و دیگر اعراض که اندر اجسام است بسبب آن تفاوت است که هست اندر ترکیب اجسام از اجزای هیولی و جوهر خلا آن است که گوئیم :
- ۶ بدعوی این مرد هر جسمی که آن گرانتر است اندر او اجزای هیولی بیشتر است و جوهر خلا اندر او کمتر است . و همی گوید که جستن خاك که اندر او جوهر خلا کمتر است مر این جای تنگ را که میانه عالم است بدین سبب است .
- ۹ و علت تاریکی جسم را همی کمتری اجزای خلا نهد اندر او چنانکه ما مر قول این مرد را یاد کردیم پیش ازین که همی گوید چون مر آهن را بسنگ فرو زند از آن زخم همی گشاده شود و خلا بدان جایگه بیشتر شود و
- ۱۲ روشنی آتش بدانجا همی از آن پدید آید . و اگر این قاعده استوار بودی که ترکیب همه مکونات از اجزای هیولی و جوهر خلا بودی واجب آمدی که هر چه گران و سخت است تاریک بودی و هر چه سبک و نرم است روشن بودی ، و لیکن مشاهدات عالم بر | درستی این قول همی گواهی ندهند از بهر آنکه سیاب از خاك گران تر است ولیکن از روشن تر و نرم تر است ، و اگر ما پاره بلور و پاره شبه را بسائیم تا بمساحت هر دو بیک اندازه شوند بلور از شبه سخت تر و روشن تر و گران تر باشد . و بقول این مرد گرانی و تیرگی و سختی از
- ۱۸ هیولیت و سبکی و روشنی و نرمی از جوهر خلاست . پس بدانچه بلور گرانتر از شبه است واجب آید که اندر بلور اجزای هیولی بیشتر از آن است که اندر شبه است ، و بدانچه شبه تاریکست واجب آید که اندر شبه اجزای هیولی بیشتر از آن است که اندر بلور است ، و این محال باشد . و نیز بدانچه بلور روشن تر است از شبه واجب آید که اجزای خلا اندر بلور بیشتر از آن است که اندر شبه است ،

ولیکن بدانچه شبهه سبکتر از بلور است واجب آید که اندر شبهه اجزای خلا بیشتر از آن است که اندر بلور است. و این نیز محال باشد، و قاعده که از آن مر باز جوینده را بر محال دلیلی کند محال باشد. پس ظاهر کردیم که قاعده ۳ سخن این مرد بگزاف و سست است

بیان قول متابعان محمد زکریا که گفتن

او در بسایط است نه در موالید

و اگر متابعان محمد زکریا گویند که این سخن اندر اجسام چهار گانه گفته است نه اندر موالید جواب ما مر ایشان را آن است که گوئیم: این مرد همیگوید جز اجزای هیولی و خلا چیزی نیست که جسم از آن مرکب شده است، و طبایع که اجسام نام طبایعی بدو یافته است گرمی و سردی و تری و خشکی است که فعل مر این صورتهما راست چنانکه پیش از این اندر این کتاب یاد کردیم. و چون این مرد مر این اصول را منکر است و همی گوید | این اصول چیزی نیست مگر آمیزش اجزای هیولی با خلا پس مر دیگر اعراض را این م گفته باشد و م این اعراض که اندر امهات است اندر موالید رونده است با آنکه این قیاس که گفته است اندر امهات نیز مستمر نیست از بهر آنکه اگر آتش مر این گرم و سوزنده را همیگوید که بهیزم اندر آویزنده است این تیره تر است از هوا. نبینی که این آتش همی حجاب کند مر دیدار را و هوا مر دیدار را حجاب کننده نیست. و هوا روشن تر از آب نیست از بهر آنکه در اصل مر این هر دو جوهر را خود نور نیست بلکه هر دو نور پذیرنده اند و آب مر نور را پذیرنده تر است از هوا. نبینی که نور از آب همی باز گردد و مر چیز دیگر را همی روشن کند و هوا مر نور را نپذیرد مگر آنکه مر صورتهما را بمیانجی نور بناید...

و چون درست کردیم که مر آتش اثر را روشنی و گرمی نیست قول این
مرد که گفت ترکیب آتش از اجزای هیولی و جوهر خلاست و جوهر خلا اندر
۳ او بیشتر از آن است که اندر جوهر هواست باطل باشد . و هر قوی که اعیان عالم
بر درستی آن گواهی ندهند دروغ باشد

بیان اینکه در قول محمد زکریا تناقض است

۶ گوئیم که اندر قول این مرد که همیگوید ترکیب این اجسام از اجزای هیولی
و جوهر خلاست تناقض است ، و آن تناقض بر او پوشیده شده است با زیرکی
و بیداری او . و تناقض اندر این سخن بدان رویست که چون همیگوید مر
۹ جسم را اجزای هیولی اصل است و روا نیست که پدید آمدن جسم نه از چیزی
باشد و مر هیولی را اجزای نامتجزی همی نهد بی هیچ | ترکیب ، و اقرار همی
۸۵ کند که آن اجزا هر چند نامتجزی است چنان نیست که مر هر جزوی را
۱۲ از آن هیچ بزرگی نیست از بهر آنکه مر جسم را عظم است و روا نباشد که
از آن اجزای بی هیچ عظمی چیزی آید که مر او را عظم باشد ، و چون مقرر است
که هر جزوی را از آن اجزای نامتجزی عظم است این از او اقرار باشد که
۱۵ هر جزوی از آن بذات خویش اندر مکانیست . و چون مر جسم را ترکیب از آن
اجزا باشد که هریکی از آن اندر مکانی است آن جسم که از آن اجزا ترکیب
یابد بجملگی خویش اندر آن مکانهای جزو باشد که اجزای او اندر آن بودند
۱۸ و اکنون اندر جملگی آن است . و شکی نیست اندر آن که مر جسم را بیک مکان
بیش حاجت نیست . پس باز چرا همیگوید که جسم اندر خلاست ؟ و این چنان
باشد که مکان اندر مکان باشد و هر کسی داند که مکان را بمکان حاجت نیست
۲۱ پس قول او که همیگوید مر اجسام عالم را ترکیب از اجزای هیولی و جوهر
خلاست متناقض است از بهر آنکه آن جزو نامتجزی که او همیگوید آن هیولی

(۳) اندر جرم هواست باطل شد ك — (۱۳) بی هیچ ، صححنا : بهیج ، کذا فی
الطبعة — (۱۷) اندر مکان خود نباشد ك — (۲۱) قول او را ك

- است چیزی نیست مگر متمکن اندر مکانی . پس اگر این جزو که او خود با خلا
 يك چیز بود با خلا نیامیخته است واجب آید که دو خلا باشند با یکدیگر آمیخته .
 ۳ واگر اندر یکدیگر آمیزند و يك چیز شوند پس ایشان خلا نباشند که اجسام
 باشند ، از بهر آنکه آمیختن و مجاورت و مخالطت مر اجسام راست با یکدیگر اندر
 خلا . و چون خلا بدعوی او مکان است و جسم با جسم اندر خلا آمیزنده است
 ۶ و روا نیست که خلا جسم باشد روا نباشد که خلا با خلا بیامیزد |
 بیان وجه غلطی که قائلین خلا را که او را

۸۶

مکان دانند افتاده

- * و این غلط مر این مرد را و دیگر کسان را که خلا را جوهری ثابت ۹
 گفته اند بدان افتاده است که مر هیولی را اجزای مکان گیر نهاده اند ،
 و مر آن خلا را که گفته اند که جزو هیولی اندر اوست مکان جزوی
 ۱۲ گفتند ، و مر آن مکان را که جسم مرکب اندر اوست مکان مطلق کلی
 گفتند تا قول شان چنان آمد که خلا اندر خلاست . و هر کسی
 داند که مکان را بمکان حاجت نیست حاجتمند مکان متمکن است نه
 مکان . و چون اندر مکان سخن گوئیم اندر این کتاب واجب آید که ۱۰
 استقصا اندر آن بواجبی بکنیم

(۹) ثابت کنند ك — (۱۲-۱۳) کلی مرکب گفتند ب — علی هامش ك : یکی از
 خلا مکان اجزای هیولی باشد که مکان جزئی است و دیگر مکان جسم که مکان کلی است
 بس دو مکان لازم آید که خلا جزئی است و خلا کلی بس خلا در خلا باشد

* الترجمة

وقد وقع هذا الغلط لهذا الرجل ولغيره ممن أثبت الخلاء جوهرأ من أجل أنهم وضعوا الهيولى
 أجزاء متمكنة . أما الخلاء الذي قالوا ان فيه جزء الهيولى فقد أطلقوا عليه اسم المكان الجزئي
 وأما المكان الذي فيه الجسم المركب فقد سموه المكان المطلق الكلي ، فأدى قولهم
 إلى أن هناك خلاء في خلاء . وقد علم الجميع أن المكان لا يحتاج إلى المكان ، بل يحتاج إلى
 المكان هو المتمكن لا المكان

در تحقیق مکان

- ۳ و اکنون گوئیم که آن جزو نامتجزی که او بنزدیک این مرد هیولی است باقرار این مرد عظمی دارد، و آنچه مر اورا عظمی باشد مکان گیر باشد <و> مکان نباشد بلکه مکان از او تهی شونده باشد و مکان دیگر از او پر شونده باشد.
- ۶ پس اگر عظم آن جزو خود مکان اوست و آن جزو چیزی نیست مگر عظمی بی جزو واجب آید که آن جزو خود مکانی باشد نه مکان گیری، و این متناقض باشد مگر گوید که آن جزو نامتجزی را بدو مکان حاجتست یکی آنکه ذات او اندر آن است و آن مکان هرگز از او خالی نشود و دیگر آنکه بگرد آن جزو اندر آمده است، و محال است قول آنکس | که گوید بل جزو را بدو مکان حاجتست و نیز گوئیم که اگر اجسام عالم چیزی نیستند مگر اجزای هیولی با جوهر خلا آمیخته روا نباشد که جسمی مر جسمی را ضدّ باشد چنانکه آب و آتش هستند
- ۱۲ ضدّ آن، از بهر آنکه بدعوی این مرد اندر جوهر آتش که او روشن و سبک است جوهر خلا بیشتر از آن است که اندر جوهر آبست، و اندر جوهر آب اجزای هیولی بیشتر از آن است که اندر جوهر آتش است. پس این چنان باشد که همی گوید اندر جوهر آتش جای تهیست بی جای گیر و جوهر آب جای گیر است. و شکی نیست اندر آنکه جای مر جای گیر را موافقت نه مخالف. پس واجب آمدی که چون مر آب را با آتش بر ریختندی آتش مر آب را بنخویشتن اندر
- ۱۸ کشیدی چنانکه خلا مر جسم را همی بنخویشتن اندر کشد. و چون حال ظاهر بمیان این دو جوهر بخلاف این است که حکم این مرد بر آن است ظاهر شد که آنچه او گفته است هذیانی بی برهان است چون طبایع اجسام مر او را منکرست.
- ۲۱ و قوی که اعیان عالم مر او را منکر شوند دروغ باشد

۸۷

(۵) عظم آن جزو جزو مکان ب — (۶) علی هامش ك: یعنی مکان مکان گیر باشد و مکان مکان نخواهد بل متمکن مکان خواهد و مکان مکان گیر بودن تناقض است — (۱۵) علی هامش ك: یعنی در اجزای آب که جوهر هیولی بیش از خلاست اجزائی باشد جای طلب و در اجزای آتش که اجزای خلا بیشتر باشد جای باشد تهی بی جای گیر

- پس گوئیم که صانع حکیم مر جوهر آتش را از دو طبع مخالف ترکیب کردست نه از دو طبع ضدّ ، و خلاف مر خلاف را پذیرنده باشد و ضدّ از ضدّ گریزنده باشد . و گرمی و خشکی مر یکدیگر را خلاف اند از آن است که يك ۳ چیز شده اند و یکدیگر اندر آویخته اند . و مر آب را نیز از دو طبع مخالف ترکیب کرده است که هر یکی از آن دو طبع که اندر آتش است خلاف است مر طبع را که اندر آبست و ضدّ است مر آن طبع دیگر را که ۶ اندر آب است ، چنانکه گرمی که اندر آتش است خلاف است مر تری را که اندر آبست و ضدّ است مر سردی را که اندر آبست ، و ۸۸ خشکی که اندر آتش است خلافتست مر سردی را که اندر آب است و ضد است مر تری را که اندر آبست | ، تا بدان طبایع خلافی آب از آتش گرم همی شود و بدان طبایع ضدّی آب از آتش همی گریزد . و مقصود صانع حکیم بگرم شدن آب و بر شدن او بدان گرمی از مرکز عالم سوی حاشیت عالم حاصل همی آید ۱۲

رد گفتار محمد زکریا که آتش که از آتش

زنه پدید آید هوای گشاده است

- و اما سخن ما اندر آن قول که این مرد گفته است که دلیل بر آنکه اندر ۱۰ جوهر آتش اجزای هیولی کمتر است و خلا بیشتر است آن است که چون مر هوا را بسنگ و آهن بزیم تا گشاده شود و آتش از او پدید آید آن است که گوئیم : اگر این قول درست است و آتش از هوا همی بدان پدید آید که ما بسنگ و آهن ۱۸ مر هوا را همی بدریم و گشاده کنیم واجب آید که چون مر هوا را اندر پوستی کنیم و مر آن را سخت فراز فشاریم آب گردد ، از بهر آنکه هوا بمیان آب و آتش ایستاده است ، و مر هوا را بلطافت بر آب همان فضلست که مر آتش را بر ه بلطافت همان فضلست . و چون ما مر هوا را همی فراز م افشاریم و آب همی نگردد

روا نیست که گوئیم که آتش اندر هوا همی از آن پدید آید که ما مر هوا را
گشاده کنیم و بر دریمش . با آنکه آن آتش کز میان سنگ و آتش زنه همی پدید
آید رنگین و حجاب کننده است مر دیدار را و آتش اثری که این مرد همیگوید ۳
مر کب است از هیولی و خلا رنگین و حجاب کننده نیست . و اگر اثر مانند آن
آتش بودی که همی از آتش زنه پدید آید همیشه همه روی زمین روشن بودی
و گرم بودی و ما مر این آفتاب و سیارگان را ندیدیمی . | و اگر از آن آتش که از ۱۹
آتش زنه جهد هوا گشاده شده بودی نبایستی که حجاب کننده بودی مر دیدار
ما را از بهر آنکه هوا که از او بسته تراست بقول این مرد حجاب همی نکند
دیدار ما را پس چرا چون گشاده تر شد حجاب کرد ؟ این قولی محالست . ۶
و چون آب بدانچه ما مر اورا فراز فشاریم همی خاک نشود و نه از خاک
بدانچه مر اورا گشاده کنند آب آید و نه هوا بفراز فشردن همی آب شود
پیدا آمد که آتش همی از گشاده کردن هوا همی پدید نیاید . و قولی که ۱۲
استقرای کلی بر درستی چنین سخن گواهی ندهد سست و بیمعنی باشد ...

رد گفتار محمد زکریا که ابداع چون متعذر بود

۹۲

صانع حکیم چیزهارا از چه آفرید

۱۵

اما جواب ما محمد زکریا را از آنچه گفت پدید آوردن صانع حکیم مر
چیزهارا بترکیب از اجسام عالم دلیل است بر آنکه ابداع متعذر است آن
است که گوئیم : خردمند آن است که اندر آنچه گوید از اقاولیل اندر ۱۸
علوم الهی و بر آن کتب سازد مر تأمل و تائی را کار بندد تا حال را |
از محال بشناسد و مر نا بودن محال را عجز و تعذر قدرت نام نهد ، ۹۳

(۲) و بر زینمشك — سنك و آهن همی ك — (۴) هیولی و خلا هیولی و خلا رنگین
ك — (۵) روی : سقط ب — (۶) وستار كان ك — (۱۱) گشاده کند ب —
(۱۳) بر درستی آن کواهی ب

- از بهر آنکه هر که مر اورا اندك مایه عقل است داند که مر محال را
 سوی عجز و امتناع نسبتی نیست بر صانع حکیم . و این قولیست مانند
 قول آنکه گوید خدای عاجز است از نرم کردن مر آهن را بآب ، و ما
 دانیم که این قولی محال است . و اگر بودش ممتنع <بودی> روا بودی امتناع
 خود واجب بودی نه امتناع ، و اگر چنین بودی آنگاه محال ممکن بودی ممکن محال
 بودی . و قول آنکس که بدانچه نبیند که اندر چیزی از چیزها جسمی
 پدید آید به ابداع نه از چیزی دلیل گیرد بر تعذر ابداع و عجز صانع
 حکیم چون قول آنکس باشد که بر عجز خدا از نرم شدن آهن بآب
 دلیل گیرد بدانچه هرگز ندید که خدای مر آهن را بآب نرم کردنی هیچ
 تفاوتی . و این هر دو محال است و مر محال را بنا بودن بر عجز قدرت
 او از آن دلیل نشاید گرفتن که جهل باشد . و همچنان که نرم کردن آهن
 بآب محال است اندر این عالم به ابداع نیز جسمی پدید آوردن محال است .
 و لیکن مر این راه باریک را آن بیند که خدایتعالی بنور دین حق
 دل اورا روشن کرده باشد ﴿ و من لم یحمل الله له نوراً فلا له من نور ﴾
 پس گوئیم اندر برهان این قول که معلوم است اهل خرد را که این عالم
 جسم است بکلیت خویش که اندر او هیچ مکانی خالی نیست و تا جزوی
 از این اجسام از مکان خویش نرود جزوی دیگر جای او نگیرد . نبینی
 که چون کوزه تنگ سر را بآب فرو بری هوا بتدریج از او همی بر آید
 و آب بدو همی فرو شود تا چون همه هوا از او بر آید پر آب شود ،
 و آن هوا کز کوزه بر آید بجای آن آب همی بایستد کز حوض یا دریا
 بآن کوزه فرو شود . و اگر مر سنگی را از آب بهوا بر آری
 آن سنگ اندر هوا بدان سبب جای یابد که آب به بر کشیدن آن سنگ

(۵) واجب بودی بامتناع ك — (۱۰) برنا بودن ك — (۱۲) محال باشد ك —

(۱۴) سورة ۲۴ : ۴۰ — (۱۶) جسمی است ك — (۱۷) از جای خویش ك

از او همی فرو نشیند . و ژرف بینان را معلوم است که اندر این عالم هیچ جای خالی نیست . و چون حال این است محال باشد که گفتن چرا
 ۳ صانع حکیم بابداع شخصی همی پدید نیارد و چون همی پدید نیارد
 همی دانیم که ابداع متعذر است ، بلکه باید گفتن که ابداع یعنی پدید
 آوردن جسمی نه از این اجسام اندر این عالم محالست از بهر آنکه
 ۶ اندر این عالم مر جسمی را جز این که هست جای نیست از بهر آنکه
 جسم جوهری میانه تهی نیست ، و اگر خدای تعالی چیزی جسمی بابداع
 پدید آرد آن چیز اندر این عالم جای نیابد و اگر چیزی دیگر اندر
 ۹ این عالم گنجد لازم آید که اندر مکان يك جسم دو جسم بگنجد .
 و این همچنان است اندر محالی که نرم کردن آهن است بآب بلکه از
 آن محال تر است . و چون ظاهر کردیم که روا نیست که جسمی مبدع
 ۱۲ اندر این عالم گنجد پیدا شد که ابداع اندر این عالم که ملاء است محال
 است . پس گوینده این قول محال جویست و محال جوی جاهل باشد .
 و چون صانع حکیم مر این جوهر متجزی را مایه پدید آوردن صورتهای
 ۱۵ متفاوت المقادیر ساخته است و مر چیزهای بودنی را بترکیب از او پدید
 آرد و این ترا کیب بگشتن این دایره عظیم و این دست افزارهای
 بلند برشده همی پدید آید و این دایره عظیم با آنچه اندر اوست نیز
 ۱۸ مرکب است خرد همی گواهی دهد که ترکیب آن مرکبات برین و این
 امهات فرودین نه چنین بوده است که تراکیب موالید است . و چون
 این تراکیب که بحركات افلاك و افعال امهات است از چیزست بزمان
 دلیل است که آن تراکیب | بابداع بوده است نه از چیزی ، از بهر
 آنکه دانیم که مر افلاك و نجوم و طبایع را نه بافلاکی و نجومی و
 طبایعی دیگر ترکیب کرده اند چنین که همی مر موالید را

- ترکیب کنند . و چون آن نه چنین بود این ترکیب چنان است که چیز
 نا مرکب پیش از مرکب حاصل است . این حال دلیل است بر آنکه
 پیش از وجود این اصلها و آلاتها که مرکبات زمانی بمیانجی ایشاف^۳
 همی حاصل آیند اصل و آلتی موجود نبود بلکه آن صنع بابداع بود
 که افلاك وطبایع بدان پدید آمد ، و این صنع که بر هیولی همی پدید
 آید بدین آلت‌های مختلف است پس از آن ابداع . پس درست کردیم^۶
 سوی عاقل که هیولی پیش از آن صنع ابداعی موجود نبود ، و طاعت
 هیولی امروز مر صانع را و آراسته بودن او مر پذیرفتن صورتهای
 مولودی را گواه است بر آنکه صانع حکیم مر اورا از بهر این صنع پدید^۹
 آورده است . وقولی نیست سوی خرد از آن زشت تر که کسی گوید
 جزوهای بود که اندر او هیچ معنی نبود و مر اورا هیچ صورتی وفعلی
 نبود قدیم وازلی ، از بهر آنکه این مرداری باشد بهیچ معنی . واگر^{۱۲}
 مرداری بهیچ معنی قدیم روا باشد چون هیولی پس زنده با چندین
 مناقب و معانی محال باشد که قدیم باشد که صانع عالم است ، از بهر
 آنکه این دو قدیم اندر مقابله یکدیگرند بصفات و هیولهای صنایع^{۱۵}
 که بر آن مر آن صورتهای صنایعی را پدید آرند که آن صورتها جز
 بر آن هیولها نیاید . وساختن مردم مر آن هیولهای شایسته پذیرفتن
 آن صورتهارا چنانکه مر پنبه را همی ریسمان کند بصورت او تا شایسته^{۱۸}
 شود مر پذیرفتن صورت کرباس را تا کرباس نیز هیولی باشد مر
 پذیرفتن صورت پیراهن را گواه است بر آنکه صانع حکیم مر امهات |^{۹۶}
 طبایع را هیولی ساخته است و مر اورا شایسته پذیرفتن صورتهای موالید^{۲۱}
 کرده است بقصد و عمد . وچنانکه جز از کرباس یا چیزی بافته

(۱۱-۱۲) معنی نباشد ... وفعلی نباشد ك — (۱۵) هیولهای طبایع ب — (۱۷) هیولها

بدید نباشد ك — (۱۷-۱۸) بذیرفتن را از صورتهار ك — (۲۱-۲۲) مولودی کرده ب

چون دیبا و جز آن یا پوستی نرم کرده لباس نیاید مر جسد حیوان را
و جسد حیوان که متحرک است بارادت نیز جز از این اجسام بموالید
نیاید . ۳ پس صانع مر هیولی نخستین را شایسته پدید آورد مر پذیرفتن
طبایع متضاد را تا هم از او مر گرمی و خشکی را پذیرفت و هم از او مر
سردی و تری را پذیرفت . و گواهی بر درستی این قول که همی گوئیم
۶ مر این جوهر را که هیولی است از بهر این صنع موجود کرده اند که
بر او پدید آمد است و همی آید راست گوی تر از پذیرفتن او نیست
مر این صورتها را که بر او پدید آمده است اندر امهات و پدید همی
۹ آید اندر موالید . و این بیانست شافی مر اهل تمیز و بصیرت را و از
این قول گذشتیم بحمد الله

القول في المظهر والزمان

كان قول الرازي في المكان والزمان من أخصّ مميزات فلسفته الإلهية ، فقد رأيناه عاجل هذين الموضوعين في كتاب العلم الإلهي (١) إذ فرق بين المكان المطلق الذي هو الخلاء (٢) وبين المكان المضاف (٣) الذي لا بدّ له من متمكن ، و فرق بين الزمان المطلق الذي هو الدهر أو المدة (٤) وبين الزمان المضاف الذي يقدر بحركات الفلك (٥) ، كما أنه أودع هذا البحث كتباً أخرى من تأليفاته (٦) ومن المتأخرين الذين اجتهدوا في الرد على هذا المذهب المرزوقي (٧) وابن حزم (٨)

(١) راجع من فوق ص ١٧١

(٢) τὸ κενόν على مذهب ديمقراطيس أو ἡ χώρα على مذهب افلاطون

(٣) وهو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوى ، كما يذهب اليه أرسطوطاليس

(٤) وهو ὁ αἰών أو ἡ διάστασις على مذهب الافلاطونيين

(٥) على ما يذهب اليه أرسطوطاليس

(٦) ومن أهمها « كتاب الزمان والمكان » (البيروني رقم ٦١) وقد سماه الرازي في كتاب السيرة الفلسفية (راجع من فوق ص ١٠٩ س ٢) « في الزمان والمكان والمدة والدهر والخلاء » وسماه ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ٣١٧ س ٧) « كتاب في المدة وهي الزمان وفي الخلاء والملاء » وها المكان ، راجع أيضاً ابن النديم ص ٣٠٠ س ١٩ وابن القفطي ص ٢٧٤ س ١١ وأيضاً مقالته « فيما جرى بينه وبين أبي القاسم الكعبي في الزمان » (البيروني رقم ٦٢) ، ومقالته « في الفرق بين ابتداء المدة وابتداء الحركات » (البيروني رقم ٦٣)

(٧) راجع من فوق ص ١٩٦ وما يليها

(٨) راجع القطعة الأولى من هذا الفصل

وناصر خسرو (١) ونجم الدين السكاكبي (٢) وغيرهم ولا سيما فخر الدين الرازي (٣) الذي بسط حجج الرازي في كتاب المطالب العالية (٤) . أما أبو حاتم الرازي فقد دارت مناظراته مع أبي بكر الرازي (٥) حول هذه المسائل أيضاً
هذا ونحن نشير القارئ إلى البحوث الهامة التي شرح فيها S. Pines نظريات الرازي في الزمان والمكان وحاول تحديد موقفها من تاريخ الفلسفة القديمة والإسلامية (٦)

١

كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي ، طبعة مصر ١٣٤٧ هـ ، ج ١ ص ٢٧ - ٣٥ . وصحنا الباب المقتبس منه بمقابلته بالنسخة المخطوطة المحفوظة بخزانة عاشر رئيس الكتاب باستانبول تحت رقم ٥٥٥ (والموجود منها صورة شمسية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٥٩١ ب (٧)) ص ٤٢ - ٥٢ ، وقابلناه أيضاً بالنسخة المخطوطة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٢٨ توحيد ص ٤٠ وما يليها . وأشرنا في تعالينا إلى الطبعة برمز ط ، وإلى نسخة عاشر برمز ع ، وإلى نسخة تيمور برمز ت وقد أوردنا فيما مضى (٨) مقتبسات أخرى من كتاب الفصل تدل على أن ابن حزم قصد في هذا الباب إلى الرد على الرازي وغيره ممن قال بتقديم الزمان والمكان (٩)

(١) راجع القطعة الثانية والرابعة من هذا الفصل
(٢) راجع من فوق ص ٢٠٣ وما يليها . أما قول الرازي في الزمان فقد ورد له أيضاً ذكر في كتاب البحر الزخار لأحمد بن يحيى بن المرتضى الإمام الزيدى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ ، راجع M. Horten, *Die philosophischen Probleme der spekulativen Theologie im Islam*, Bonn 1910, p. 106.

(٣) راجع أيضاً ص ٢٠٣ وما يليها و ص ٢١٣ وما يليها
(٤) راجع القطعة الخامسة من هذا الفصل
(٥) راجع الفصل الحادى عشر
(٦) *Beiträge* ص ٤٥ وما يليها ، وفي مجلة *Islamic Culture* ج ١١ (١٩٣٧)
ص ٧٣ وفي مجلة *Revue des Etudes Juives* ج ١٠٤ (١٩٣٨) ص ٤ وما يليها
(٧) راجع من فوق ص ١٧٠
(٨) ص ١٧٠ وما يليها
(٩) راجع أيضاً كتاب الفصل ج ٥ ص ٤٤ : « وزاد بعضهم في الجوهر الخلاء والمدة اللذين لم يزا لا عندهم يعني بالخلاء المكان المطلق لا المكان المعهود ويعني بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعهود »

٢٧

باب الكلام على من قال انّ للعالم خالقاً لم يزل

وانّ النفس والمكان المطلق الذي هو الخلاء والزمان المطلق الذي هو المدة

٣

لم تزل موجودة وانها غير محدثة

قال أبو محمد : والنفس عند هؤلاء جوهر قائم بنفسه حامل لأعراضه لا متحرك

ولا منقسم ولا متمكن ، اى لا فى مكان

وقد ناظرنى قوم من أهل هذا الرأى ورأيتهم كالغالب على ملحدى أهل

زماننا فألزمهم إلزامات لم ينفكوا منها فظهر بطلان قولهم بعون الله تعالى |

٢٨

وقوته . ولم نر أحداً ممن تكلم قبلنا ذكر هذه الفرقة ، فجمعت ما ناظرتهم به

١

وأضفت إليه ما وجبت إضافته إليه مما فيه إزافة قولهم ، وما توفيقنا إلا بالله

وهذا الزمان والمكان عندهما غير المكان المعهود عندنا وغير الزمان المعهود

عندنا . لأنّ المكان المعهود عندنا هو المحيط بالمتمكن فيه من جهاته أو من بعضها

١٢

وهو ينقسم قسمين : إما مكان يتشكل المتمكن فيه بشكله كالبرّ أو الماء فى الخابئة

وما أشبه ذلك ، وإما مكان يتشكل هو بشكل المتمكن فيه كالماء لما حلّ فيه من

الأجسام وما أشبهه . والزمان المعهود عندنا هو مدّة وجود الجرم ساكناً أو متحركاً

١٥

أو مدّة وجود العرض فى الجسم . ويعممه أن نقول هو مدة وجود الفلك وما فيه

من الحوامل والمحمولات . وم يقولون انّ الزمان المطلق والمكان المطلق هما

غير ما حددنا آنفاً من الزمان والمكان ويقولون انهما شيئان متغايران

١٨

ولقد كان يكفي من بطلان قولهم إقرارهم بمكان غير ما يعهد وزمان غير

ما يعهد بلا دليل على ذلك ، ولكن لا بدّ من إيراد البراهين على إبطال دعواهم

فى ذلك بحول الله وقوته

(٤) أبو محمد رضى الله عنه ط ت (كذا دائماً) — النفس ط — (٧) أظهرت ط

— (٩) تزييف قولهم ط — بالله تعالى ع — (١٠-١١) عندهم هما غير الزمان

والمكان المعهودين عندنا لأن ع — (١٢) فيه المتمكن ع — (١٥) ويعمد أن يقول

ع — (١٧) حددناه ط — (١٩) بدليل على ذلك ط — لا بد من ذكر ع —

(٢٠) فى ذلك : سقط ع — الله تعالى ع

فيقال لهم — وبالله تعالى التوفيق — : أخبرونا عن هذا الخلاء الذي أثبتتم
وقلتم انه كان موجوداً قبل حدوث الفلك وما فيه ، هل بطل بحدوث الفلك
٣ ما كان منه في مكان الفلك قبل أن يحدث الفلك أو لم يبطل ؟ فإن قالوا لم يبطل —
وبذلك أجبني بعضهم — ، فيقال لهم فإن كان لم يبطل فهل انتقل عن ذلك المكان
بحدوث الفلك في ذلك المكان أو لم ينتقل ؟ فإن قالوا لم ينتقل — وهو قولهم — ،
٦ قيل لهم فإن لم يبطل ولا انتقل فأين حدث الفلك وقد كان في موضعه قبل حدوثه
عندكم معنى ثابت قائم بنفسه موجود ، وهل حدوث الفلك في ذلك المكان المطلق
الذي هو الخلاء أم في غيره ؟ فإن كان حدث في غيره فهنا إذن مكان آخر
٩ غير الذي سميتوه خلاء ، وهو إما مع الذي ذكرتم في حيز واحد أم هو في حيز
آخر . فإن كان معه في حيز واحد فالفلك فيه حدث ضرورة ، وقد قلتم انه لم
يحدث فيه فهو إذن حادث فيه غير حادث فيه ، وهذا تناقض ومحال . وإن كان في
حيز آخر فقد أثبتتم النهاية للخلاء إذ الحيز | الآخر الذي حدث فيه الفلك ليس
٢٩ هو في ذلك الخلاء ، وهذا ينطوي فيه بالضرورة نهاية الخلاء الذي ذكرتم ،
فهو متناه لا متناه وهذا تناقض وتخليط . وإذا بطل أن يكون غير متناه وثبت
١٥ أنه متناه فهو المكان المعهود المضاف إلى الممكن فيه ، وهذا هو المكان الذي
لا يعرف ذو عقل سواه . وإن كان الفلك حدث فيه والفلك ملاء بلا شك ولم
ينتقل الخلاء عندكم ولا بطل فالفلك إذن خلاء وملاء معاً في مكان واحد ، وهذا
١٨ محال وتخليط

وإن قالوا بطل بحدوث الفلك ما كان منه في موضع الفلك قبل حدوث الفلك ،
أو قالوا انتقل ، فقد أوجبوا له النهاية ضرورة إما من طريق الوجود بالبطلان

(٢) قبل حدوث العالم وما ع — الفلك ٢ : سقط ع — (٦) فإذا لم يبطل ط —
(٧) معنى ثابتاً قائماً بنفسه موجوداً ع — أو هل ع — (٨) فهنا إذن مكان ع —
(٩ - ١٠) وإما في حيز آخر ع — (١١) فهو وإذا حدث ط — (١٥) المكان المعروف
المعهود ع — (١٩) فإن قالوا ط ت

- إذ لا يفسد ويبطل إلا ما كان حادثاً لا ما لم يزل ، وإما من طريق المساحة بالنقلة إذ لو لم يجد أين ينتقل لم تكن له نقلة ، إذ معنى النقلة إنما هو تصيير الجرم إلى مكان لم يكن فيه قبل ذلك أو إلى صفة لم يكن عليها قبل ذلك . ووجوده مكاناً ينتقل إليه ٣ موجب أنه لم يكن في ذلك المكان الذي انتقل إليه قبل انتقاله إليه . وهذا هو إثبات النهاية ضرورة ، فهذا هو الذي أبطلوا . ويلزمهم في ذلك أيضاً أن يكون متجزئاً ضرورة لأن الذي بطل منه هو غير الذي لم يبطل ، والذي انتقل هو ٦ غير الذي لم ينتقل ، وهو إذا كان كذلك فإما هو جسم ذو أجزاء وإما هو محمول في جسم فهو ينقسم بانقسام الجسم . وقد أثبتنا النهاية للجسم في غير هذا المكان من كتابنا هذا بما فيه البيان الضروري ، والحمد لله رب العالمين ٩
- وأيضاً فإن كان لم يبطل فالذي كان منه في موضع الفلك ثم لم يبطل ولا انتقل لحدوث الفلك فيه فهو والفلك إذن موجودان في حيز واحد معاً ، فهو إذن ليس مكاناً للفلك لأن المكان لا يكون مع المتمكن فيه في مكان واحد ، هذا يعرف بأولية ١٢ العقل . ولو كان ذلك لسكان المكان مكاناً لنفسه ولما كان واحد منهما أولى بأن يكون مكاناً للآخر من الآخر بذلك ولا كان أحدهما أولى أيضاً بأن يكون متمكناً في الآخر من الآخر فيه ، وكل هذا فاسد ومحال بالضرورة ١٥
- وأيضاً فإن الخلاء عندهم مكان لا متمكن فيه ، والفلك عندهم موجود في الخلاء إذ لا نهاية للخلاء عندهم من طريق المساحة . فإذا كان الفلك متمكناً في الخلاء عندهم ١٨ والخلاء عندهم مكان لا متمكن فيه فالخلاء إذن مكان فيه متمكن ليس فيه متمكن ، وهذا محال وتخليط . وهذا بعينه لازم في قولهم أن ذلك الجزء من الخلاء لم ينتقل لحدوث الفلك فيه . فإن قالوا انتقل فإنما صار إلى مكان لم يكن فيه قبل ذلك خلاء ولا ٢١ ملاء فقد ثبت عدم الخلاء والملاء فيما فوق الفلك ضرورة وهذا خلاف قولهم . وإن قالوا بطل لزمهم أيضاً أنه قد عدته المدد ضرورة ، وإذا عدته المدد فقد تنهى من ٣٠

(٦-٥) ان يكون متجزئاً ضرورة ط ت — (٦-٧) انتقل غير الذي ع — (٧) أو هو

محمول ع — (١١) في حين واحد ع ت — (١٣) وما كان ت — (٢٢) عدته المدد ع

(مرتين) — فاذا ط ت

- أوّل بالمبدأ ضرورة . فإن قالوا بل لم يحدث الفلك في شيء من ذلك المسكان الذي هو
 الخلاء فقد أثبتوا حيزاً آخر ومكاناً للفلك غير الخلاء الشامل عندهم . وإذا كان ذلك
 ٢ فقد تناهى كلا المسكانين من جهة تلاقيهما ضرورة . وإذا تناهيا من جهة تلاقيهما
 لزمتهما المساحة ووجب تناهيهما لتناهي ذرعهما ضرورة
- ويستلّون أيضاً عن هذا الخلاء الذي هو عندهم مكان لا متمكن فيه هل له مبدأ
 ٦ متصل بصفحات الفلك الأعلى أم لا مبدأ له من هنالك ، ولا بد من أحد الأمرين
 ضرورة . فإن قالوا لا مبدأ له — وهو قولهم — ، قيل لهم إن قول القائل مكان إيمانهم
 منه ما يتمثل في النفس من المقصود بهذه اللفظة وموضعها في اللغة لتكون عبارة التفاهم
 ٩ عن المراد بها أنها مساحة ، ولا بد للمساحة من الذرع ضرورة ولا بد للذرع من
 مبدأ لأنه كمية والكمية أعداد مركبة من الأحاد . فإن لم يكن له مبدأ من واحد
 اثنين ثلاثة لم يكن عدد ، وإذا لم يكن عدد لم يكن ذرع أصلاً ، وإذا لم
 ١٢ يكن ذرع لم تكن مساحة ولا انفساح ولا مسافة . وكل هذه ألفاظ واقعة إما على ذرع
 المذروع وإما على مذروع بالذرع ضرورة . فإن قالوا له مبدأ من هنالك وجبت له
 النهاية ضرورة لحصر العدد لمساحته بوجود المبدأ له
- ويستلّون أيضاً أماس هو للفلك أم غير أماس ومباين عنه أم غير مباين ؟ فإن
 ١٥ قالوا لا أماس ولا مباين فهذا أمر لا يعقل بالحس ولا يتشكل في النفس ولا يقوم
 على صحته برهان أبداً إلا في الأعراض المحمولة في الأجسام . وهم لا يقولون إن الخلاء
 ١٨ عرض محمول في جسم ، وكل دعوى لم يقم عليها دليل فهي باطلة مردودة . وإن

(٢) غير الخلاء المتناهي عندهم وإن كان ذلك ع — (٤) لزمهما ع — بتناهي ذرعهما
 ع — ضرورة : سقط ع — (٦) الفلك العليّ ع — أحد أمرين ت — (٧) لهم قول ع —
 (٨) منه في ما ع — وموضوعها ع — للتفاهم ط — (٩) بها أنه ساحة ط — لا بد
 للمساحة من ذرع ط — ولا بد للذرع ت ، ولا بد للذرع ط — (١٠) من مبتدأ ع —
 (١١) أصلاً : سقط ع — (١٢) وكل هذا ع — (١٥) أماس هذا الفلك ط ت —
 مباين ، صححنا : باين ط ت ع (مرتين) — (١٦) ولا مباين : ولا باين ط — (١٧) وهم
 يقولون ع

أثبتوا المهاسة أو المباينة وجب عليهم ضرورة إثبات النهاية له كالزم بإثبات المبدأ ،
إذ النهاية منطقية في ذكر المبدأ والمهاسة والمباينة ضرورة لا شك فيه وبالله تعالى
التوفيق

٣

ويستلون أيضاً عن هذا الخلاء الذي يذكرون والزمان الذي يثبتون
أحمولان هما أم حاملان أم أحدهما محمول والثاني حامل < أم كلاهما حامل محمول >
أم كلاهما لا حامل ولا محمول < > فأيهما أجابوا فيه بأنه حامل ٦
فلا شك في أن محموله غيره إذ لا يكون الشيء حاملاً لنفسه ، فله إذن محمول
لم يزل وهو غير الزمان . فإن قالوا ذلك كلوا بما قدمنا قبل على أهل الدهر
القائلين بأزلية العالم . وأيضاً فإن كان المكان حاملاً فلا يخلو ضرورة من ٩
أحد وجهين : إما أن يكون حاملاً لجرم متمكن فيه وهذا يوجب النهاية له لوجوب
نهاية الجرم المتمكن فيه بالدلالة التي قدمنا في إثبات نهايات الأجرام ، وإما أن
يكون حاملاً لسكيفياته . | فإن كان حاملاً لسكيفياته فهو مركب من هيولاه ٣١
وأعراضه وجنسه وفصوله ، وبالضرورة يعلم كل ذي حس سليم أن كل مركب
< > فهو متناه بالجزم والزمان بالدلائل التي قدمنا ، ولا سبيل
إلى حمل ثالث . وأيهما قالوا فيه أنه محمول فإنه يقتضى حاملاً ويعكس الدليل الذي ١٥
ذكرنا آنفاً سواء بسواء . وأيهما قالوا فيه أنه حامل محمول وجب كل ما ذكرنا فيه
أيضاً بعكسه . وأيهما قالوا فيه لا حامل ولا محمول فلا يخلو من أن يكون باقياً أو
يكون بقاء . فإن كان باقياً فهو مقتدر إلى بقاء وهو مدته إذ لا باقى إلا بقاء . وإن كان ١٨
بقاء فلا بد له من باقى به وهو من باب الإضافة والمدة وهى البقاء إنما هى محمولة
وناعمة للباقى بها ضرورة . هذا الذى لا يقوم فى العقل سواه ولا يقوم برهان إلا عليه
وبستلون أيضاً عن هذا الزمان الذى يذكرون ، هل زاد فى أمده اتصاله مذ ٢١
حدث الفلك إلى يومنا هذا أولم يزد ذلك فى أمده ؟ فإن قالوا لم يزد ذلك فى أمده

(٥) < > : راجع س ١٦ — (٦) < > : سقط هنا البحث عن
السؤالين الأولين — بأنه ، صححنا : فانه ط ت ع — (٧) بلاشك ط ت — (١٥) وأيهما :
فأيهما ، هامش ع — (١٩) وهذا من باب ع — (٢١) فى مدة اتصاله ط ت

كانت مكابرة لأنها مدة متصلة بها مضافة إليها وعدد زائد على عدد . فإن قالوا زاد ذلك في أمدته سئلوا متى كانت تلك المدة أطول ، أقبل الزيادة أم هي وهذه الزيادة معاً ؟ فإن قالوا هي والزيادة معاً فقد أثبتوا النهاية ضرورة إذ ما لا نهاية له فلا يقع فيه زيادة ولا نقص ولا يكون شيء مساوياً له ولا أكثر منه ولا أنقص منه ولا يكون هو أيضاً مفصلاً أصلاً فلا يكون مساوياً لنفسه كما هو ولا أكثر من نفسه ولا أقل منها . فإن قالوا ليست هي والزيادة معها أطول منها قبل الزيادة أثبتوا أن الشيء وغيره معه ليس أكثر منه وحده ، وهذا باطل

وهم يقولون إنَّ الحلاء والزمان المطلق شيئان متغايران . فيقال لهم فإذا هما كذلك فبأي شيء انفصل بعضهما من بعض ؟ فإن قالوا انفصل بشيء ما وذكروا في ذلك أي شيء ذكروه فقد أثبتوا لهما التركيب من جنسهما وفصلهما . وأيضاً جعلهم لهما شيئين إيقاع منهم للعدد عليهما ، وكل عدد فهو محصور وكل محصور فقد سلكته الطبيعة وكل ما سلكته الطبيعة فهو متناه ضرورة . فإن أرادوا إلزامنا في الباري تعالى مثل ما ألزمناهم في هذا السؤال فقالوا أيما أكثر الباري تعالى وحده أم الباري وخلقته معاً ، قلنا هذا سؤال فاسد بالبرهان الضروري لأنَّ هذا البرهان إنما هو على وجوب حدوث الزمان وما لم ينفك من الزمان وعلى حدوث النوامي كلها فقط ، والباري تعالى لا زمان له ولا هو من النوامي

ويستلون أيضاً : هذا الزمان والمكان اللذان | يذكران أهما واقعان تحت الأجناس والأنواع أم لا وهل هما واقعان تحت المقولات العشر أم لا ؟ فإن قالوا لا نفوها أصلاً وأعدموها البتة إذ لا مقول من الموجودات إلا وهو واقع تحتها وتحت الأجناس والأنواع ، حاشا الحق الأول الواحد الخالق عز وجل الذي علم بضرورة الدلائل ووجب بها خروجه عن الأجناس والأنواع والمقولات . وبالجملة شأوا أو أبوا

(٦) فقد أثبتوا ط — (٨) فاذهما ت — (١١) منهم العدد ع — فهو متناه محصور ط

ت — (١٢) ضرورة : سقط ع — (١٦) كلها فقط ... من النوامي : سقط ط ت —

(١٧) اهما : سقط ع — (١٩) الا هو ط ت

فالحلاء والزمان المطلق اللذان يذكران إن كانا موجودين فهما واقعان تحت جنس الكمية والعدد ضرورة . فاذ ذلك كذلك فهذا الزمان الذي ندرجه نحن ونم وذلك الزمان الذي يدعونه واقعان جميعاً تحت جنس متى ، وكذلك المكان الذي يدعونه ٣ واقع مع المكان الذي نعرفه نحن ونم تحت جنس أين . وبالضرورة يجب أن ما لازم بعض ما تحت الجنس مما يوجبه له الجنس فإنه لازم لكل ما تحت ذلك الجنس . وإذ لا شك في هذا فهما مركبان والنهية فهما موجودة ضرورة إذ المقولات ٦ كلها كذلك

- وأيضاً فإن المكان لا بد له من مدة يوجد فيها ضرورة ، فنسألهم هل تلك المدة هي الزمان الذي يدعونه أم هي غيره ؟ فإن كانت هي هو فهو زمان للمكان ٩ فهو محمول في المكان فهو ككل زمان لدى الزمان ولا فرق . وإن كانت غيره فهنا إذن زمان ثالث غير مدة ذلك المكان وغير الزمان الذي ندرجه نحن ونم . وهذه وساوس لا يعجز عن ادعائها كل من لم يبال بما يقول ولا استحي من فضيحة . ١٢ ويقال لهم إذ ليس المكان الذي تدعونه والزمان الذي تدعونه واقعين مع المكان المعهود والزمان المعهود تحت جنس واحد وحاد فلم يسميتموهما مكاناً وزماناً وهلا سميتموهما باسمين مفردين لهما ليعدا بذلك عن الإشكال والتلبيس والسفسطة بالتخليط ١٥ بالأسماء المشتركة ؟ فإن كانا مع الزمان والمكان المعهودين تحت حد واحد فقد بطلت دعواكم زماناً ومكاناً غير الزمان والمكان المعهودين بالضرورة ، وبالله تعالى التوفيق ويسئلون أيضاً عن هذا الزمان والمكان غير المعهودين أيهما خارج الفلك أم ١٨ داخل الفلك أم لا داخل ولا خارج ؟ فإن قالوا هما داخل الفلك فالحلاء إذن هو الملاء والمكان إذن في المتمكن يعني في داخله وهذا محال ، والزمان إذن هو الذي

(١) اللذان يذكران ع ت — (٢) فإذا كان ذلك كذلك ط — (٣) يدعونه هما واقعان ط ت — (٨) المكان الذي لا بد له ع — (١٠) فلا فرق ط — (١٤) زماناً ومكاناً ع — (١٦) تحت جنس واحد ع — (١٨-١٩) أم هما داخل الفلك ت ، أيهما داخل الفلك أم خارجه فان قالوا ط — (٢٠) إذن هو في المتمكن ع

لا يعرف غيره . وإن قالوا هما خارج الفلك أوجبوا لهما نهاية ابتداء مما هو خارج الفلك .
 وإن قالوا لا خارج ولا داخل فهذه دعوى مفتقرة إلى برهان ولا برهان على صحتها
 فهي باطلة . فإن قالوا أنتم تقولون هذا في الباري تعالى ، قلنا لهم نعم لأن البرهان
 قد قام على وجوده ، فلما صح وجوده تعالى قام البرهان بوجود خلافه لكل ما في
 العالم على أنه لا داخل ولا خارج . وأنتم لم يصح لكم برهات على وجود الخلاء
 والزمان الذي تدعون فصار كلامكم | كله دعوى وبالله التوفيق

٣٤

قال أبو محمد : ولم نجد لهم سؤالاً أصلاً ولا أثناً قط بدليل فنورده عنهم ،
 ولا وجدنا لهم شيئاً يمكن الشغب به في أزلية الخلاء والمدة فنورده عنهم وإن لم
 يتنبهوا له ، وإنما هو رأى قلدوا فيه بعض قدماء الملحدين فقط ، وبالله تعالى التوفيق
 قال أبو محمد : وما يبطل به الخلاء الذي سموه مكاناً مطلقاً وذكروا أنه لا ينتهي
 وأنه مكان لا متمكن فيه ببرهان ضروري لا انفكاك منه ، وأظرف شيء أنه
 برهانهم الذي موهوا به وشغبوا بإيراده وأرادوا به إثبات الخلاء ، وهو أننا نرى
 الأرض والماء والأجسام الترابية من الصخور والزيق ونحو ذلك طباعها السفلى
 أبداً وطلب الوسط والمركز وأنها لا تفارق هذا الطبع فتصعد إلا بقسر يغلبها
 ويدخل عليها ، كرفعنا الماء والحجر قهراً فإذا رفعناها ارتفعنا فإذا تركناها عادا
 إلى طبيعتهما بالسقوط . ونجد النار والهواء طبيعتهما الصعود والبعد عن المركز
 والوسط ولا يفارقان هذا الطبع إلا بحركة قسر تدخل عليهما يرى ذلك عياناً
 كالزق المنفوخ والآناء المجوف المصوب في الماء ، فإذا زالت تلك الحركة القسرية
 رجعا إلى طبيعتهما . ثم نجد الإناء المسمى سارقة الماء يبقى فيها صعداً ولا ينسفك
 ونجد الزرافة ترفع التراب والزيق والماء ، ونجد إذا أحفرنا براً امتلاء هواء

١٨

- (١) ما خارج الفلك ت ، من خارج الفلك ع — (٢) لا داخل ولا خارج ع —
 (٥) لا خارج ولا داخل ع — (٦) وبالله تعالى التوفيق ع — (٧) فنورده عليهم ع —
 (٩) يتنبهوا وإنما ط — (١٢) وشغبوا بذكره ع — (١٥) الماء والصخر ع —
 (١٧) بحركة قسراً ط — نرى ذلك ع ، ويرى ذلك ط — (١٩) ولا يسفك ت ،
 ولا يسفل ع — (٢٠) امتلأت ع

وسفل الهواء حينئذ ، ونجد المحجمة تمتص الجسم الأرضي إلى نفسها . فليس كل هذا إلا لأحد وجهين لا ثالث لهما إما عدم الخلاء جملة كما نقول نحن وإما لأن طبع الخلاء يجتذب هذه الاجسام إلى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء . فنظرنا في قولهم أن ٣ طبع الخلاء يجتذب هذه الأجسام إلى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء فوجدناه دعوى بلا دليل فسقط . ثم تأملناه أخرى فوجدناه عائداً عليهم لأنه إذا اجتذب الأجسام ولا بدّ فقد صار ملاء ، فالملاء حاضر موجود والخلاء دعوى لا برهان ٦ عليها فسقطت وثبت عدم الخلاء . ثم نظرنا في قولنا فوجدناه يعلم بالمشاهدة ، وذلك أننا لم نجد لا بالحس ولا بتوهم العقل بالإمكان مكاناً يبقى خالياً قط دون متمكن ، فصح الملاء بالضرورة وبطل الخلاء إذ لم يبق عليه دليل ولا وجد قط ، ١ وبالله تعالى التوفيق

ثم نقول لهم إن كان خارج الفلك خلاء على قولكم فلا يخلو من أن يكون من جنس هذا الخلاء الذي تدعون أنه يجتذب الأجسام بطبعه أو يكون من غير جنسه ، لا بد من أحد هذين الوجهين ضرورة ولا سبيل إلى ثالث البتة . فإن قالوا هو من جنسه | وهو قولهم فقد أقروا أن طبع هذا الخلاء الغالب لجميع ٣٥ الطبائع هو أن يجتذب المتمكنات إلى نفسه فيمتلئ بها حتى إنه يحيل قوى العناصر عن طبائعها ، فوجب أن يكون ذلك الخلاء الخارج عن الفلك كذلك أيضاً ضرورة لأن هذه صفة طبعه وجنسه . فوجب بذلك ضرورة أن يكون ممتلئاً من جسم متمكن فيه ولا بد . وإذا كان هذا وذلك الخلاء عندهم لا نهاية له فالجسم المالى له ١٨ أيضاً لا نهاية له . وقد قدمنا البراهين الضرورية أنه لا يجوز وجود جسم لا نهاية له ، وهذا القول يوجب وجود جسم لا نهاية له ، وكل ما أوجب كون

(١) وينتقل الهواء ع — تمص ع ، تمس ط — وليس ع — (٥) اجتذبت ط ت — (٨) لم نجد بالحس ولا بتوهم بالعقل ع — (١٣) ولا بد ط — (١٤) أقروا بأن ط — بجميع ط — (١٦) عن طبائعها ط — أن يكون الخلاء ع — كذلك ضرورة ع — (١٧) ممتلئاً من جسم : سقط ط ت — (١٩) أيضاً : سقط ع — (٢٠) وهذا القول لا يكون أصلاً : سقط ط ت

- مالا يكون فهو باطل لا يكون أصلاً ، فالخلاء باطل . ولو كان ذلك أيضاً لمكان
ملاء لا خلاء ، وهذا خلاف قولهم . فإن قالوا بل ذلك الخلاء هو من غير جنس
٣ هذا الخلاء ، يقال لهم فبأي شيء عرفتموه وبما استدلت عليه ، وكيف وجب أن
تسموه خلاء وهو ليس خلاء ؟ وهذا ما لا يخلص منه وبالله تعالى التوفيق ، وم في
هذا سواء ومن قال ان في مكان خارج من العالم ناساً لا يحدون بحد الناس ولا هم
٦ كهؤلاء الناس ، أو من قال ان في خارج الفلك ناراً غير محرقة ليست من جنس
هذه النار ، وكل هذا حمق وهوس
وقال أبو محمد : وكل ما أدخلنا في الباب من إبطال قولهم بأزلية المكان
٩ والزمان فهو لازم لهم في قولهم بأزلية النفس أيضاً ولا فرق ، وبالله تعالى التوفيق

(١) ذلك كذلك أيضاً ع — (٣) وبماذا ت ، وبأي شيء ع — (٤) لا يخلص لهم
منه ع — (٥) خارج عن ع — (٨-٩) قال أبو محمد ... التوفيق : سقط ط ت

٢

كتاب زاد المسافرين لناصر خسرو ، طبعة كاوياني ١٣٤١ هـ ، ص ٩٦-١٠٨ ،
راجع أيضاً من فوق ص ١٤٨ تعليق ٣

اندر مكان

٩٦

- گروهی از حکما مر مکان را قدیم نهاده اند و گفتند که مکان بی
٣ نهایت است و او دلیل قدرت خداست ، و چون خدای همیشه قادر

الترجمة

في المكان

إن طائفة من الحكماء قرروا أن المكان قديم قائلين أن المكان غير متناه وأنه دليل على

بود واجب آید که قدرت او قدیم باشد

دلیل بر آنکه مکان بی نهایت است

- و دلیل بر بی نهایتی مکان این آوردند که گفتند متمکن بی مکان ۳
 نباشد و روا باشد که مکان باشد و متمکن نباشد. و گفتند که مکان
 جز متمکن | پذیرنده نشود و هر متمکنی بذات متناهی است و اندر ۹۷
 مکان است، پس واجب آمد که هر مکان را نهایتی نباشد. و گفتند ۶
 که آنچه بیرون ازین دو عالم است از دو بیرون نیست یا جسم است
 یا نه جسم است. اگر جسم است اندر مکان است و باز بیرون از
 آن جسم یا مکان است یا نه مکان. اگر نه مکان است پس جسم است ۱
 و متناهی است، و اگر نه جسم است پس مکان است. پس درست
 شد که گفتند که مکان بی نهایت است

(۵) جز بمتمکن بریده ب — (۶) و گفتند... ص ۲۵۶ س ۱۴ (است که) : سقط ك

الترجمة

قدرة الله، ولما كان الله قادراً على كل شيء وجب أن تكون قدرته قديمة

دلیل علی آن مکان غیر متناه

واستدلوا على لا نهاية المكان بأنهم قالوا إن المتمكن لا يوجد بغير المكان، وأما المكان
 فيجوز وجوده دون أن يوجد المتمكن. قالوا إن المكان ليس سوى ما يقبل المتمكن وكل
 متمكن بذاته متناه ويوجد في المكان، فوجب أن المكان غير متناه. قالوا إن ما (يحيى)
 هذين العالمين من خارج لا يخلو من أن يكون إما جسماً وإما لا جسماً. فان كان جسماً كان
 (ذلك الجسم) في المكان وكان من خارج ذلك الجسم إما مكان أو لا مكان، وإن كان لا مكاناً
 كان جسماً ومتناهياً* وإن كان لا جسماً كان مكاناً، فقد صح أن يقولوا ان المكان غير متناه

* هذا الاستدلال ليس واضحاً ولعله سقط من نسخة ب بعض كلمات

- و اگر کسی گوید مر آن مکان مطلق را نهایت است دعوی کرده باشد که نهایت او بجم است ، و چون هر جسمی متناهی است یا
- ٣ نهایت هر جسمی مکان باشد و هر جسمی نیز اندر مکان باشد ، پس گفتند که بهر روی مر مکان را نهایت نیست ، و هر آنچه مر او را نهایت نباشد قدیم باشد ، پس مکان قدیم است
- ٦ و گفتند که مر هر متمکنی را جزوهای او اندر مکان جزوی است و کلّ او اندر مکان کلّی گرویده است ، و مکان جزوی مر عظم جسم را گفتند که بگرد سطح بیرونی <او> جسمی دیگر اندر آمده باشد چون سطح اندرونی که هوای بسیط بگرد سبی اندر آید
- ٩ چون مر او را اندر هوا بدارند
- و گفتند که روا باشد که چیزی از چیزی دیگر دور شود یا
- ١٢ نزدیک شود و لیکن دوری هرگز نزدیک نشود و نزدیکی هرگز دور نشود ، یعنی که چون دو شخص از یکدیگر بده ارش

الترجمة

وإن قال قائل إنّ لذلك المكان المطلق نهايةً فكأنّه ادعى أنّ نهايته بالجسم . ولما كان كل جسم متناهياً أو كانت نهاية كل جسم هي المكان وكان كل جسم أيضاً في المكان* قالوا : إنّ المكان غير متناه من جميع الوجوه . وكل ما ليس له نهاية فهو قدیم ، فالمكان قدیم وقالوا : إنّ كل متمكن أجزاءه في المكان الجزئيّ وكله محصور في المكان الكلّي . وأطلقوا اسم المكان الجزئيّ على عظم الجسم الذي يحوى سطحه الخارج جسم آخر ، على مثال السطح الداخل الذي يحوى به هواء بسیط تفاحاً حينما يرفعونه في الهواء وقالوا : يجوز أنّ شيئاً يصير بعيداً أو قريباً من شيء آخر ولكن البعد لا يصير أبداً قريباً والقرب لا يصير أبداً بعيداً ، یعنی إذا ابتعد شخص عن شخص آخر عشرة أذرع كان البعد بينهما

* يظهر أنّ هذا النص غير كامل

دور باشند دوری بمیان ایشان ده ارش باشد . و روا باشد که آن
 دو شخص یکدیگر نزدیک شوند تا میان ایشان هیچ مسافتی نماند ، و
 لیکن آن دو مکان که آن دو شخص اندر او بودند بر سر ده ارش ۳
 بهم فراز نیاید . و چون آن شخصها از جایهای خویش غایب شوند
 هوا یا جسمی دیگر بجای ایشان بایستد و هرگز آن يك مسافت
 بمیان آن دو | مکان نه بیشتر از آن شود که هست و نه کمتر از آن ۹۸
 و گفتند که اندر شیشه و خم و جز آن مکان است نبینی که
 گاهی اندر او هواست و گاهی آب و گاهی روغن و جز آن ،
 و اگر اندر او مکان نبودی این چیزها بتعاقب اندروی جای نگرفتندی ۹
 این جمله که یاد کردیم قول آن گروه است که مر مکان را
 قدیم گفتند چون حکیم ایران شهری که مر معنیهای فلسفی را بالفاظ
 دینی عبارت کرده است اندر « کتاب جلیل » و « کتاب اثیر » و ۱۲
 جز آن مردم را بر دین حق و شناخت توحید بعث کرد است ، و

الترجمة

عشرة أذرع . ويجوز أن يتقارب الشخصان حتى لا يبقى بينهما أى مسافة ولكن المكانين
 اللذين كان فيهما الشخصان في الابتداء لا تخرج (المسافة التي بينهما) عن العشرة أذرع . وإذا
 غاب هذان الشخصان عن مكانيهما قام الهواء أو جسم آخر مكانهما فلا تزيد ولا تنقص أبداً تلك
 المسافة الواحدة التي بين المكانين عما كانت عليه

وقالوا إن في القارورة وفي الدن وغيرهما مكاناً . ألا ترى أن فيهما مرة هواء وأخرى ماء
 ونارة زيتاً وغير هذه ، ولو لم يكن فيهما مكان لما أخذت تلك الأشياء مكاناً فيهما على تعاقب
 وهذه الجملة التي ذكرناها هي قول الطائفة الذين اعتبروا المكان قديماً مثل الحكيم
 الإيرانشهرى الذي عبر عن المعاني الفلسفية بالفاظ دينية وكان يدعو الناس في كتابه « الجليل »
 وفي كتابه « الأثير » وغيرهما إلى الدين الحق وإلى معرفة التوحيد ، ومثل محمد بن زكرياء الذي

٣ پس از او چون محمد زکریا که مر قولهای ایران شهری را بالفاظ زشت ملحدانه باز گفته است و معنیهای استاد و مقدم خویش را اندر این معانی بعبارتهای موحش و مستنکر بگذارد است ، تا کسانی را که کتب حکما را نخوانده باشند ظن اوفتد که این معانی خود استخراج کرده است

٦ و از آن قولهای نیکو که ایران شهری گفت است یکی اندر باب قدیمی مکان است که گفته است مکان قدرت ظاهر خدای است . و دلیل بر درستی این قول آن آورده است که قدرت خدای آن باشد که متمدورات اندر او باشد ، و مقدورات این اجسام مصوّر است که اندر مکان است . و چون اجسام مصوّر که مقدورات است از مکان بیرون نیستند درست شد که خلا یعنی مکان مطلق قدرت خدایست قدرتی ظاهر که همه مقدورات اندر اویند . و زشت کردن محمد زکریا مر این قول نیکو را نه چنان است که گفت است قدیم پنج است که همیشه بودند و همیشه باشند یکی خدای و دیگر نفس

الترجمة

جاء بعده وقبح أقوال الإيراني شهريّ بالفاظ شنيعة إلحادية وغير معاني أستاذة المقدم إلى تلك المعاني بعبارات موحشة مستنكرة ، حتى يظنّ كل من لم يقرأ كتب الحكماء أنه استخراج تلك المعاني بنفسه

ومن الأفعال الحمينة التي قالها الإيراني شهريّ ما ذكره في باب قدم المكان إذ قال : إنّ المكان قدرة الله الظاهرة . واستدلّ على صحة هذا القول بأنّ قدرة الله هي ما يشمل المقدورات ، وأما المقدورات فهي الأجسام المصورة التي في المكان . وإذا كانت الأجسام المصورة التي هي المقدورات لا تستطيع أن تكون خارج المكان ثبت أنّ الخلاء يعني المكان المطلق هو قدرة الله ، أي قدرة ظاهرة تشمل جميع المقدورات . وتبيح محمد بن زكرياء لهذا القول الحسن ليس هو فيما قاله من أنّ القدماء الخمسة كانت دائماً وتكون دائماً

و سه دیگر هیولی و چهارم مکان و پنجم زمان و زشتگوی تر از آن باشد که مر خالق را با مخلوق اندر یک جنس شمرد **تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوّاً کبیراً** |

۳

۹۹

دلیل بر اینکه مکان قدیم نیست

- و قول ما اندر این معنی آنست که گوئیم : روا نیست که آنچه حال او گردنده باشد قدیم باشد . و اگر مکان مطلق قدیم بودی چنان که این گروه همی گویند ۶ بر حال نا گردنده بودی ، و چون حال او گردنده است م بقول ایشان لازم آید که قدیم نیست . و دلیل بر آنکه حال مکان گردنده است آن است که او گاهی از شخص کشف و تاریک است و گاهی از شخص لطیف <و> روشن است ، ۱ و بدعوی ایشان بعضی از او بر جسم است و بعضی تهی است . و ما گوئیم که آنچه حال او گردنده باشد قدیم نباشد . پس اگر این قول درست نیست بخلاف این قول گوئیم تا درست باشد . پس گوئیم که آنچه حال او گردنده است و گاهی ۱۲ خورد و ضعیف است و گاهی بزرگ و قوی است چون نبات و حیوان و جز آن قدیم است ، و معلوم است که این قول محال است . و چون این محال است آنکه بخلاف این است درست است ، و آن آنست که گفتیم آنچه حال ۱۵ او گردنده است محدث است ، پس مکان محدث است ...

۱۰۲

* و نیز گوئیم که مر این گروه را که گفتند مکان قدیم است بدین

(۱۷) قدیم است ، و علی هامش ك : یعنی ایشان که مکان را قدیم گفته سبب قدم هیولی گفتند و لزوم قدم مکان از قولی که در متن کتاب است ظاهر است

الترجمة

— أولها الله والثاني النفس والثالث الهیولی والرابع المكان والخامس الزمان — بل أقبح من ذلك أنه عدّ الخالق والمخلوق في جنس واحد (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً)

* ونقول أيضاً : إن الذين قالوا بقدم المكان استدلوا على دعواهم بأن قالوا إن الهیولی قديمة ،

قول دليل برای دعوی ایشان آن آوردند که گفتند هیولی قدیم است،
از بهر آنکه مر هیولی را جزوهای نامتجزی نهاند که مر هر یکی را
از آن عظمی است که از خوردی تجزیت نپذیرد تا چون مر چیزی
با عظم را که مر او را از مکان چاره نیست قدیم گفتند بضرورت
مر مکان را قدیم بایست گفتن

نقل گفتار ایران شهری در قدم هیولی و مکان

و از قولهای نیکو که حکیم ایران شهری اندر قدیمی هیولی و مکان
گفته است و محمد زکریای رازی مر آن را زشت کرده است آن است
که ایران شهری گفت که ایزد تعالی همیشه صانع بود و وقتی نبود که
مر او را ضنع نبود تا از حال بیصنعی بحال صنع آمد و حالش بگشت .
و چون واجب است که همیشه صانع بود واجب آید که آنچه صنع
او بر او پدید آید قدیم باشد . و صنع او بر هیولی پدید آینده است ،
پس هیولی قدیم است ، و هیولی دلیل قدرت ظاهر خدای است .

(۱) دعوی ایشان وزانکه گفتند ك — (۱۱) واجب آمد ب — (۱۲) بدید آمد ب

الترجمة

وذلك أنهم وضعوا أن للهولى أجزاء لا تتجزى وأن لكل واحد من تلك الأجزاء عظماً لا يقبل التجزئة لصغره . فلما قالوا بقدم شيء ذي عظم لا بد له من مكان وجب ضرورة أن يقال أن المكان قدیم (أيضاً)

نقل كلام الإيرانشهری فی قدم الهیولی والمكان

ومن الأقوال الحسنة التي ذهب إليها الحكم الإيرانيشهری فی قدم الهیولی والمكان وكان محمد ابن زکریاء يقبحها ما قاله الإيرانيشهری من أن الله تعالى لم يزل صانعاً ولم يكن له وقت لا صنع له فيه حتى ينتقل من حال عدم الصنع إلى حال الصنع وتغير حاله . ولما وجب أنه لم يزل صانعاً وجب (أيضاً) أن يكون ما ظهر فيه صنعه قديماً . على أن صنعه يظهر في الهیولی ، فالهیولی قديمة وهي دليل

و چون مر هیولی را از مکان چاره نیست و هیولی قدیم است واجب
آید که مکان قدیم باشد

- ۱۰۳ و زشت | کردن پسر زکریا مر آن قول را بدان است که گفت
چون اندر عالم چیزی پدید همی نیاید مگر از چیزی دیگر این حال
دلیل است بر آنکه ابداع محال است و ممکن نیست که خدای
چیزی پدید آورد نه از چیزی . و چون ابداع محال است واجب ۶
آید که هیولی قدیم باشد ، و چون مر هیولی را که قدیم است
از مکان چاره نیست پس مکان قدیم است . و مر آن سخن نیکو
و معنی لطیف را بدین عبارت زشت باز گفت تا متابعان او از بیدینان ۹
و مدبران عالم همی پندارند که از ذات خویش علمی استخراج کرده
است که آن علم الهی است که جز او مر آن را کسی ندانست
و ما از خدای تعالی توفیق خواهیم بر تألیف کتابی اندر ردّ مذهب ۱۲
محمد زکریا و جملگی اقوال آن اندر آن جمع کنیم بعد از آنکه مر

(۳) ابن زکریا ک — (۶) بدید تواند آوردن ک

الترجمة

على قدرة الله الظاهرة . ولما لم يكن للهيولى بدّ من المكان وكانت الهيولى قديمة وجب أن يكون
المكان قديماً

أما تقيّص ابن زكرياء لهذا القول فهو بأن قال : لما كان لم يحدث في العالم شيء إلا عن شيء
آخر صار هذا دليلاً على أن الإبداع محال وأنه غير ممكن أن يحدث الله شيئاً عن لا شيء . وإذا
كان الإبداع محالاً وجب أن تكون الهيولى قديمة . ولما كان لا بد للهيولى من المكان ثبت أن
المكان قديم (أيضاً) . فقد أعاد ذلك الكلام الحسن والمعنى اللطيف بهذه العبارة الفصيحة كي
يظن أتباعه من الملحدّين ومدبري العالم أنه استخراج من تلقاء نفسه علماً — يعني العلم الإلهي —
لا يعرفه أحد سواه

ونحن نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تأليف كتاب في الردّ على مذهب محمد بن زكرياء نجمع فيه جملة

کتاب او را که اندر این معنی کرد است چند باره نسخه کرده ایم
 ۳ و ترجمه کرده بتفاریق مر بنیادهای مذهب او را بردهای عقلی ویران
 همی کنیم اندر مصنفات خویش ، و الله خیر موفق و معین

- و اکنون خواهیم که گوئیم مر عقلا را اندر معنی مکان که شکی
 ۶ نیست اندر آنکه اگر جزوی نا متجزی باشد عظم او خود مکان ذات
 او باشد بقول این گروه ، از بهر آنکه او نه چون سیبی باشد که
 ذات او جزوهای بسیار باشد تا آن همه جزوها اندر عظم سبب باشد و
 ۹ باز مر سبب را اندر مکان کلی مکان باشد ، بل عظم آن ذات نا
 متجزی خود مکان آن جزو باشد نه مکان چیزی دیگر . و چون عظم آن
 جزو مکان ذات خویش باشد او متمکن باشد و عظمش مکان ذات اوست
 ۱۲ و او خود جز عظم خویش چیزی نیست ، پس او مکان باشد مکان
 جزوی و هم او متمکن باشد . و محال باشد که یک چیز هم مکان باشد
 ۱۰۴ و هم متمکن مگر آنکه مقرر آیند که مکان خود جز عظم متمکن
 چیزی نیست از بهر آنکه عظم آن جزو خود ذات اوست
 ۱۵ آنکه گوئیم که این گروه که مر مکان را قدیم گفتند همی گویند
 غلط کردند کسانی که گفتند چون متمکن نباشد مکان نباشد ، و گفتند
 ۱۸ بل اگر متمکن نباشد مکان جزوی نباشد و لیکن مکان کلی بخواستن
 متمکن بر نخیزد . و معنی این قول آن خواستند که سیبی بمثل متمکن
 است و اگر ما سبب را اندر هوا بداریم جزوهای آن سبب اندر عظم

(۲۰) اندر هوا اندازیم ك

الترجمة

أقوال هذا الرجل بعد أن نسخنا كتبه التي ألفها في هذا المعنى نسخاً مكرراً وترجناها مفرقة ،
 فننقض أسس مذهبه بردود عقلية في مصنفاتنا ، والله موقف للخير ومعين

آن سیب باشد که آن مکان جزوی است مر آن جزوها را ، و جمله‌گی
 سیب اندر سطح اندرونی هوا باشد که بگرد سیب گرفته باشد . و اگر
 خدایتعالی مر آن سیب را از این عالم بیرون کند آن مکان جزوی که
 جزوهای سیب با سطح بیرونی خویش اندر او بود بر خیزد و لیکن
 آن مکان از هوا که سیب اندر آن بود بر نخیزد بلکه جزوهای
 هوا بدانجای که آن سیب را ما بداشته بودیم بایستد تا آنجا تهی نماید بی ۶
 جسمی . پس گفتند درست کردیم که بیرخاستن متمکن مکان جزوی
 بر خیزد و لیکن مکان کلی بر نخیزد ، چنانکه اگر خدایتعالی مر
 این عالم را از جسمیت او نیست کند این جای که امروز کلیت جسم ۱
 این عالم اندر اوست تهی بماند

ردّ دلیل معتقدان قدّم مکان

و بیان اینکه مکان بی متمکن وجود ندارد ۱۲

و ما مر این گره را که این گروه بستند بتوفیق خدایتعالی بکشائیم
 تا خردمندان خدای شناس مر مخلوق را بصفت خالق نگویند پس از
 آنکه بر آن واقف نباشد . پس ما مر این قوم را که این قول ۱۰
 گفتند گوئیم که باتفاق ما و شما این عالم که جسم کلی است و اجزای
 او اندر عظم اوست | که آن مر جزوهای او را مکان جزوی است ۱۰۵
 بقول شما و کلیت عالم اندر فضای کلی است که شما همی گوئید بی نهایت ۱۸
 است و بگرد عالم اندر گرفتست ، و لیکن بخلاف آن است که شما
 همی گوئید اگر خدایتعالی مر کوهی را از این عالم بیرون کند مکان
 جزوی آن کوه که عظم اوست و جزوهای کوه اندر اوست بر خیزد ۲۱
 و لیکن جای آن کوه اندر این عالم تهی بماند و بر نخیزد ، و ما
 گوئیم که مر شمارا بر درستی این قول برهانی نیست . و چون مر مکان

خالی را اندر این عالم وجود نیست — و هر که مکانی را از جسم خالی کند آن مکان < نا موجود شود > تا بوجود متمکنی دیگر که آن مکان را موجود بدارد موجود شود — متمکن از او بیرون نیاید ۳

بیان موجود مکان باعتبار شیشه

چنانکه شیشهٔ پر آب بدعوی شما مکان است مر آب را و اگر مر ۶
او را سرنگون سازی و آب فرو بری تا هوا بدو نشود که
مکان را اندر او موجود بدارد آب از او فرود نیاید البته هر چند که
مر آب را از بالا به نشیب آمدن طبیعی است و آب بر تر از هوا ۹
بایستد و اندر آن شیشه مکانی پیدا شود که آن آب بر سر هوا
همی از آن ایستد که اندر شیشه مکان بی متمکن ممکن نیست که
موجود باشد و ایستادن آب بر سر هوا ممکن است . و اگر بجای آن ۱۲
شیشه مشکی باشد پر آب و سر آن تنگ و مر او را سرنگون سار
بآب فرو نهند و اندر هوا نگوئسار بدارندش چنان که مر آن شیشه
را داشتند در وقت همه آب از او فرود آید و مکان را اندر مشك
وجود نماند بلکه نا بوده شود بظاهر هر چند که مر آن مکان را ۱۵
که آب اندر او بود هوای بسیط بگرفت بدانچه از مشك فراز آمد .
و چون | هوا جای آب بگرفت آن آب جای هوا بگرفت . و چون از ۱۰۶
شیشه فراز نیامد تا هوا جای آن آب کاندرا او بود بگرفتی مکان را ۱۸
وجود نبود . پس پیدا شد که وجود مکان بوجود متمکن است و بی
متمکن مر مکان را وجود نیست

و گوئیم اگر آن جسم کوهی است یا بمثل سیدی است بقول شما مرکب ۲۱

(۳-۱) خالی کند آن مکان نا موجود شود و اگر مکان نا موجود نشود متمکن
از او بیرون نیاید ك — (۳) موجود نشود ب — (۶) فرو نهی ك — بدو پر نشود
ب — (۸) طبعه است ك — (۹) شیشه آبی مکانی ب — (۱۴) فرود ریزد ك —
(۲۱) کوهی بود بایستی که بمثل قول شما که مرکب است ك

است از جزوهای نا متجزی ، پس آن جزو میانگی سبب متمکن است
و عظم او مکان جزوی است مراو را ، آنگاه شش جزو نا متجزی
بگرد آن جزو میانگی اندر آمده اند که رویهای اندورنی آن شش جزو ۳
مکان کلی گشته اند مر آن جزو میانگی را ، و رویهای بیرونی آن
شش جزو بدید ر جهات باز مکنند مر آن عظم را که از آن هفت
جزو نا متجزی حاصل شد است . و همچنین برین ترتیب هر سطحی ۶
که جزوهای نا متجزی بگرد او اندر همی آید روی اندورنی آن
سطح مکان باشد مر آن عظم را که اندر اوست مکان کلی و آن عظم
مکانی باشد مر آن جزوها را که اندر اوست . و درست است که ۹
چون آن جزو اندورنی که نا متجزی است و متمکن بحقیقت اوست بر
خیزد مکان جزوی آن که عظم اوست بر خیزد و مکان کلی او جز
سطحهای آن شش جزو که بگرد او اندر آمده اند چیزی نبود ، و ۱۲
هر جزوی از آن بهظم خویش متمکن بود و سطح خویش مکانی
بود مر متمکن را . و چون همه متمکنات بر خیزد م مکان جزوی بر
خیزد و م مکان کلی . و چون اندر سبب که همی بر خیزد هر ۱۵
جزوی نا متجزی بهظم خویش اندر مکان جزوی خویش است و بسطح
خویش مر دیگر جزوها را بعضی از مکان کلی اوست تا چون آن بعضها
فراز م آیند مکان کلی شوند مر دیگری را و سبب همی بجملگی خویش ۱۸
بر خیزد | پس همه ذوات و سطوح عظمهای آن جزوها برخاستن ۱۰۷
او بر خیزند . و چون ظاهر کردیم که عظمهای آن جزوها مکانهای
جزوی بود و سطحهای آن جزوها مکان کلی بود مر آن عظمها را که ۲۱
بدو اندر بودند پیدا شد که برخاستن سبب نه مکان جزوی او ماند
و نه مکان کلی او

* و محمد زكريای رازی چون اندر اثبات مكان و زمان از حجت
 عقل عاجز آمده است اندر كتب خویش جائی گفته است | كه
 ۱۰۸ ۳ گواهی اندر اثبات زمان و مكان از مردم عامه جویند خردمندان
 كه نفس ایشان را بدیهت باشد و بلجاج و برای متكلمان پرورده نشده
 باشد و منازعت نجویند . و گفته است كه من از چنین مردمان
 ۶ پرسیدم و گفتند عقلهای ما گواهی میدهد كه بیرون از این عالم
 گشادگی است كه گرد عالم گرفته است ، و همیدانیم كه اگر فلك
 بر خیزد و گردش نباشد چیزی هست كه آن هموار بر ما می گذرد
 ۹ و آن زمان است

و ما گوئیم كه این سخنی بس ركيك است و گواهی بس نا
 پذیرفتنی است از بهر آنكه نفس عامه چون مر اجسام را چنان بیند كه
 ۱۲ هوا بگرد آن اندر آمده است و ظنش چنان است كه هوا مكانیست تهی و
 گمان برد كه بیرون از فلك نیز هواست ، از بهر آنكه همی نداند كه
 هوا جسمی جای گیر است چون دیگر اقسام جسم . و اگر نه چنین

(۳) جوینده خردمند آن است كه ك — (۸) همواره ك — (۱۰-۱۱) و گواهی
 سخت نا پذیرفت است ك — (۱۱) نفس عامه جوهر اجسام را ب

* الترجمة

ولما عجز محمد بن زكرياء الرازي عند إثباته للمكان والزمان عن إيراد الحجة العقلية قال في
 موضع من كتبه : إن العقلاء يلتمسون دليلاً على إثبات الزمان والمكان عند عوام الناس الذين
 احتفظوا على البديهة ولم تغد أنفسهم بلجاج المتكلمين وآراءهم والذين لا يلتمسون المنازعة . قال :
 إني قد سألت مثل هؤلاء الناس وقالوا لي إنَّ عقولنا تدلنا على أنه يوجد من خارج هذا العالم
 امتداد (او : فضاء) يحيط بالعالم ، ونعرف أنه لو ارتفع الفلك ولم يوجد دورانه كان هناك
 شيء يمر بنا دائماً وذلك هو الزمان

است چرا ظنش نیفتد که بیرون از این عالم آب است یا خاک است
بگرد آن گرفته ...

٣

كتاب المباحث المشرقية لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (طبعة حيدر آباد ١٣٤٣ هـ)
ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ (١)

قال محمد بن زكرياء الرازي إنّ للخلاء قوة جاذبة للأجسام ولذلك يحتبس
الماء في الأواني التي تسمى سراقات الماء وينجذب في الأواني التي تسمى زرافات
الماء (٢) ...

٣

والذي يدلّ على بطلان الأوّل وجهان الأوّل أنّ أجزاء الخلاء متشابهة كما
بيننا، فلو كان لبعضها قوة جاذبة لكان جميع الأجزاء كذلك فما كان يجب أن يكون
الانجذاب إلى اليمين أولى منه إلى اليسار . والثاني أنه لو كان حابس الماء في السراقة ٦
هو الخلاء الذي امتلأ به فلم يزل الماء المنفوش في الهواء شاغل لخلل الهواء الخالي
ينزل وإن كان ثقله يغلب جذب ذلك الخلاء فلا ينتقل الماء المنكبّ عليه القارورة
ولا يغلب الخلاء بل ينجذب وإمساك الثقيل المشتمل عليه أسهل من إمساكه الثقيل ١
المباين . وأيضا فلم انه إذا فتح رأس الآنية ينزل الماء بل كان يجب أن يحبس الخلاء

(١) لم نوفق إلى مقابلة النص المطبوع بنسخة مخطوطة (راجع من فوق ص ٢٠٢
تعليق ١) فأثبتناه كما هو في الطبعة وإن كان التحريف فيه ظاهراً
(٢) ورد هذا القول منسوباً إلى الرازي في كتاب الأسفار الأربعة للشيروازي (ص ٣٤٥)
وفي شرح المواقف للبرجاني ، راجع S. Pines, Beiträge p. 47 وانظر أيضاً من
فوق ص ١٧١ و ص ٢٥٠

الماء هناك ولا يتركه حتى ينزل ولا يدع الإناء الذي فيه ينزل أيضا بل يبقى مرتفعاً
 ١٢ مشالا . فإن قالو ثقل الإناء غلب جذب الخلاء أبطلنا ذلك بما إذا كان الإناء أخف
 وزناً من الماء الذي فيه

٤

كتاب زاد المسافرين لناصر خسرو ، ص ١١٠ — ١١٤ و ١١٦ — ١١٨

اندر زمان

١١٠

از حکما آن گروه که گفتند هیولی و مکان قدیمان اند و مر
 ٣ زمان را جوهر نهادند و گفتند که زمان جوهریست دراز و قدیم.
 و ردّ کردند قول آن حکما را که گفتند مر زمان را عدد حرکات
 جسم ، و گفتند اگر زمان عدد حرکات جسم بودی روا نبودی که
 ٦ دو متحرک اندر يك زمان بدو عدد متفاوت حرکت کردند . و
 حکیم ایران شهری گفته است که زمان و دهر و مدت نامهای است
 که معنی آن از يك جوهر است ، و زمان دلیل علم خداست

الترجمة

إن طائفة الحكماء الذين قالوا ان الهيولى والمكان قديمان قرّروا أيضاً أن الزمان جوهر ،
 وقالوا ان الزمان جوهر ممتدّ وقديم . وردّوا على قول الحكماء الذين قالوا ان الزمان عدد
 حرکات الجسم ، وقالوا لو كان الزمان عدد حرکات الجسم لما جاز أن يتحرک متحرکان في
 زمان واحد بعددين متفاوتين . وقال الإيرانشهری الحکیم ان الزمان والدهر والمدة ليست إلا
 أسماء يرجع معناها إلى جوهر واحد . (وقال) ان الزمان دليل على علم الله كما أن المسكان دليل

چنانکه مکان دلیل قدرت خداست و حرکت دلیل فعل خداست و جسم دلیل قوت خداست ، وهریکی از این چهار بی نهایت و قدیم است ، و زمان جوهری رونده است و بی قرار . و قول که محمد ^۳ زکریا گفت که بر اثر ایران شهری رفته است همین است که گوید زمان جوهری گذرنده است

- وما گوئیم زمان چیزی نیست مگر گشتن حالهای جسم بر یکدیگر ^۶
تا چون جسم از حالی بحالی شود آنچه بمیان آن دو حال باشد مر آن را
همی زمان گویند ، و آنچه مر او را حال گشتن نیست مر او را زمان
گذرنده نیست بلکه حال او یکی است و مر یک حال را درازی نباشد . ^۹
و دلیل بر درستی این قول آن است که آنچه حال او گردنده است
جسم است و زمان آن است که اندر او جسم از حالی بحالی دیگر شود
چنانکه از روشنائی بتاریکی رسد و مر آن مدت را روز گویند ، ^{۱۲}
یا از تاریکی بروشنائی رسد و مر آن مدت را شب گویند ، و یا جسم
نبات و حیوان از خوردی بزرگ شود | و مر آن مدت را عمر گویند ^{۱۱۱}
و جز آن . و چون مر هر حال گردنده را گشتن حال او اندر زمان ^{۱۵}
است و حال او جز بزمان گردنده نیست و آنچه حال او گردنده
است جسم است و گشتن حال جسم حرکت است پیدا آمد که زمان
جز حرکت جسم چیزی نیست . و نیز پیدا آمد که آنچه او نه جسم ^{۱۸}

(۲) وهریکی جوهرهائی بی نهایت ك — (۸) حال گذرنده نیست ك

الترجمة

على قدرة الله والحركة دليل على فعل الله والجسم دليل على قوة الله ، وان كل واحد من تلك
الأربعة غير متناه وقديم . (وقال) ان الزمان جوهر متنقل بغير قرار . وأما قول محمد بن زكرياء
الذي جاء بعد الإيرانشهرى فهو أنه قال ان الزمان جوهر يجري

- است حال او گردنده نیست و آنچه حال او گردنده نیست زمان بر او گذرنده نیست ، چه اگر زمان بر او گذرنده بودی حال او نیز بگشتی چنانکه حال جسم گشت که زمان بر او گذرنده بود . . . ۳
- ۱۱۲ اگر زمان جوهری بسیط باشد محال باشد که مر او را جزوها باشد از بهر آنکه متجزی مرکب باشد نه بسیط . و اگر زمان جوهر باشد محال باشد که نا چیز همی شود چنانکه زمان گذشته نا چیز شده است و جوهر نا چیز شونده نباشد . . . ۶
- گوئیم که اندر این تصوّر کردن مر زمان را جوهری قدیم گذرنده جز تصوّر محال و خطای عظیم و زیانی بزرگ نیست . اما این تصوّر | محال بدان است و بدان روی است که اگر زمان جوهریست و آنچه از او گذشته است نا چیز شد است و آنچه نیامد است موجود نیست پس از او جز آن يك جزو که مر او را اکنون گویند و آن پدید آینده است و نا چیز شونده چیزی ظاهر نیست . و پدید آینده محدث باشد و محدث قدیم نباشد . و آنچه از او هیچ جزوی ثابت و قائم بذات نباشد و عدم پذیر باشد او جوهر نباشد ۱۵
- اما خطای عظیم و زیانی بزرگ اندر این تصوّر بدان رویست که هر که مر زمان را نداند که چیست بحقیقت آنکس تصوّر کند که خدایتعالی را حدّ و زمان است و زمان بر او گذرنده است . و بدین تصوّر آنکس مر خدای را محدث تصوّر کرده باشد ، از بهر آنکه معلوم است م مر حکمای دین را و م مر حکمای فلسفه الهی را ببرهانهای عقلی که عالم جسمی محدث است . و چون زمان جوهر گذرنده باشد ۲۱

(۹-۱۰) جون تصور محال و خطای عظیم و زیانی بزرگ است اندرین تصور خیری نیست بدان روی که اگر زمان ك — (۱۱) باخیز شد ب — (۱۳) و باخیز شونده ب — (۱۷) هر که مر آن زیان را نداند ك — (۱۸) درجه و زمان است ك — (۲۰) و م مر حکمای علم الهی ك

آن زمان که پیش از آن بوده است که خدایتعالی مر این عالم را
بیافرید گذشته باشد ، و آخر آن زمان که خدای تعالی اندر او
بی عالم بود آن ساعت بوده باشد که خدایتعالی مر این عالم را اندر او^۳
بیافرید . و چون مر آن زمان را آخر بود لازم آید که مر زمان
خدایتعالی را اوّلی باشد تا بآخر رسد . و آنچه مر زمان او را اوّل^۶
و آخر باشد او محدث باشد

* پس درست کردیم که آنکس که مر زمان را جوهر گوید مر
خدای را محدث گفته باشد . و همه تحیر مر محمد زکریا را که
چندان سخن ملحدانه گفته است و بآخر مذهب توقف را اختیار^۹
کرد است ، گفتست اندر آنچه همی ندانم از کارها توقف کردم
و خدای | مرا بدین توقف عقوبت نکند ، بدین سبب بود است که^{۱۱۴}
زمان را جوهری قدیم تصور کرد است و گذرنده ...^{۱۲}

و عیب اندر این طریقت آن است که گفته است زمان جوهری^{۱۱۶}
گذرنده است ، از بهر آنکه اگر چنین باشد چنانکه گفتیم آن زمان
که پیش از آفرینش عالم بوده است بر عالم گذشته باشد و آخر آن^{۱۰}
زمان اگرچه دراز بوده است اوّل آفریدن این عالم باشد . و آنچه مر

(۸) و همه تحیر محمد زکریاء که — (۹) ملحدان : سقطك — (۱۶) زمان و اگر چه ك

* الترجمه

فقد أثبتنا أن من قال أن الزمان جوهر يجب أن يقول أن الله محدث . وكل الحيرة التي
وقع فيها محمد بن زكرياء — وهو الذي قال بمثل هذا المقدار من كلام الملحدين ، ثم اختار في
آخر الأمر مذهب التوقف ، قال : لئن أتوقف من الأمور التي لا أعرفها وإن الله لا يعاقبني على
هذا التوقف — فسببها أنه تصور أن الزمان جوهر قدیم یجری

بعضى را از زمان او آخر باشد مر آن بعضى را اوّل باشد ، و آنچه مر بعضى را از زمان او اوّل و آخر باشد او محدث باشد . . .

- ١١٧ * و گروهى که مر آن را جوهرى گمان برند آنست که چون آنچه زمان براو گذرنده است بر خيزد زمان او با او بر خيزد چنانکه هر که بميرد زمان او بر خيزد . پس اگر فلک که حرکت او بر تر ٦ از همه حرکات است بر خيزد زمان بجملى بر خيزد . اما دهر نه زمان است بل زندگى زنده دارنده ذات خویش است چنانکه زمان زندگى چيزيست که مر او را زنده | دارنده جز ذات اوست . و مر ١١٨

(١) آخر او ك — (٣ - ٤) انست که چنانك چیزی که زمان ك

* الترجمة

وأما طائفة الذين توهموا أنّ (الزمان) جوهر (فقد قالوا :) انه إن ارتفع الشيء الذى يمضى عليه الزمان فقد ارتفع زمانه معه ، كما يرتفع زمان كل من يموت . فان ارتفع الفلك الذى حركته أعلى من جميع الحركات فقد ارتفع الزمان بجملته . وأما الدهر فليس هو الزمان بل هو حياة الحيّ القائم بذاته كما أنّ الزمان حياة الأشياء التى لها حياة قائمة بغير ذاتها * . وليس للدهر

* ورد مثل هذا القول فى فقرة صغيرة فى مجموعة راغب باشا رقم ١٤٦٣ ورقة ٨٩ ظ بعنوان « ما الفصل بين الدهر والزمان » . وهذه المجموعة تحتوى على مقالتين للرازى (راجع من فوق ص ١١٣) وعلى رسائل لأبى على مسكويه ولأبى خير الحسن بن سوار وغيرها ، ولعل الفقرة لأحد هؤلاء المؤلفين ، وهاك نصها :

« إنّ الدهر هو عدد الأشياء الدائمة والزمان هو عدد الأشياء الزمانية ، وهذان العددان يعدّان الأشياء فقط ، أعنى الحياة والحركة . فإن كل عادّ إما أن يعدّ جزءاً بعد جزء وإما أن يعدّ الكل معاً . فإن كان هذا على ذاك قلنا : إنّ الشيء الذى يعدّ الكل هو الدهر ، والشيء الذى يعدّ الأجزاء جزءاً بعد جزء هو الزمان . فقد استبان الآن وصحّ أنّ العدد اثنان فقط ، أحدهما يعدّ الأشياء الدائمة الروحانية وهو الدهر ، والآخر يعدّ الأشياء الجزئية الواقعة تحت الزمان وهو الزمان وهو عدد حركات الفلك »

دهر را رفتن نیست البته بلکه آن يك حال است از بهر آنكه
او زندگى وثبات چیزىست كه حال او گردنده نیست. و چون مر این
حق را تصوّر کرده شود زمان را بر روحانیات گفته نیاید وجوینده ۳
متحیر نماند

(۳) روحانیان ب

الترجمة

ذهاب البتة بل هو في حال واحدة لأنه حياة وثبات للأشياء التي لا تتغير حالها . وإذا كان
إنسان يتصور هذه الحقيقة فلن يطلق اسم الزمان على الأشياء الروحانية ولن يبقى الباحث متحيراً

٥

كتاب المطالب العالية لفخر الدين محمد بن عمر الرازى (المتوفى سنة ٦٠٦) . وقد انتخبنا
فيما يلي بعض فصول من المقالة الأولى من الكتاب الخامس منه وموضوع تلك المقالة البحث في
الزمان . وكتاب المطالب العالية آخر وأنضج ما ألفه فخر الدين في الفلسفة الإلهية ابتداء تأليفه في
سنة ٦٠٣ اى ثلاث سنين قبل وفاته ولم يتمه (١)

اعتمدنا في نشر الفصول التالية على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت
رقم ٤٥٥ م توحيد (ورقة ٢٠٧ ظ وما يليها) وهى نسخة حديثة التحرير مملوءة بالأخطاء
واجتهدنا في تصحيحها على قدر الامكان . واطلعنا أيضاً على تلخيص كتاب المطالب العالية (٢)
لمحمد بن تاماور بن عبد الملك الخوانسارى (المتوفى سنة ٦٤٦) (٣) غير أن فائدته في تصحيح
النص قليلة

(١) راجع ما قاله فيه أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده في كتاب مفتاح السعادة (حيدر آباد

١٣٢٨) ج ١ ص ٤٤٧

(٢) محفوظ في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٣ عقائد (وهى محررة

في سنة ١٢٠١ هـ ومنقولة عن نسخة المؤلف المكتوبة سنة ٦٤٣ هـ

(٣) راجع طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٥ ص ٤٣

من الفصل الثاني

في تقرير قول من يقول العلم بكون المدة والزمان
موجوداً علم بديهىّ أوّلى لا يحتاج إلى الحجة والدليل

٣

ظ ٢٠٧

اعلم أنّ المثبتين | للعدة فريقان منهم من يدعى أن العلم بوجوده علم بديهى
ضرورى غنى عن البيان والبرهان ، ومنهم من حاول إثباته بالبيينة والبرهان . أما
الفريق الأول فنههم محمد بن زكرياء الرازى وقوم آخرون
وقال مولانا الإمام الداعى إلى الله : إني وإن كنت ما وجدت لهم إلا ادعاء
البديهة والضرورة إلا أنى أقرر قولهم تقريراً أحسن واكمل مما ذكره وأقول لهم
أن يحتاجوا على صحة قولهم بوجوده :

٩

(الحجة الأولى) إنا لو فرضنا شخصاً غافلاً عن وجود الأفلاك والكواكب
وعن طلوعها وغروبها بأن كان أعمى أو كان جالساً في بيت مظلم وقدرنا أنه قصد
تسكين الحركات بأسرها حتى الطرف والنفس فإن هذا الإنسان يجد المدة أمراً مثبتاً
لا يحدث ويمر دائماً بلا وقوف ولا انقضاء . والعلم بذلك ضرورى حتى إنه إذا
اعتبر هذه الحالة من البكرة إلى الضحوة ثم اعتبرها من الضحوة إلى وقت الظهر
فإنه مع غفلته عن حركة الشمس والقمر وسائر الكواكب والأفلاك يعلم بالبديهة
أن علمه بهذا الاعتبار لا يتوقف على علمه بأن فلاناً تحرك أو كوكباً تحرك . وهذه
الاعتبارات تدل على أن العلم بوجود المدة والزمان علم بديهىّ أوّلى غنى عن
البيان والبرهان

١٨

(الحجة الثانية) إن كل أمر يشير العقل إليه سواء كان موجوداً أو معدوماً
فإن ذلك الأمر إما أن يعتبر حال حدوثه وتبدله أو حال دوامه واستمراره . فإن
اعتبرناه حال حدوثه فهاهنا العقل حكم بإثبات حال وحين وزمان جعله ظرفاً

٢١

(٥) من حاول انبيائه خ — (٧) انا وإن كنت خ — (١٢) امراً شيئاً خ —

(١٣) وم دائماً خ — (٢٠) وسدله خ — (٢١) طرفاً خ

لحدوثه ، وإن اعتبرناه حال دوامه فهذا الدوام لا يعقل منه إلا إذا كان موجوداً في الأزمنة المتقدمة مع أنه موجود في الزمان الحاضر ، < وإن > رفعنا اعتبار الزمان والمدة عن العقل عجز العقل حينئذ عن تصور معنى الحدوث وتصور معنى الدوام . ولما كان هذان المعنيان متصوران بديهيات ثبت أن تصورهما لا يتقرر إلا عند الاعتراف بوجود الزمان من العلوم البديهية الأولية . والذي يزيد هذا الكلام تقريراً أن المتكلمين قالوا العرض لا يبقى زمانين والباقي هو الذي استمر وجوده زمانين وأكثر . فهم لا يعقلون البتة معنى الحدوث ومعنى البقاء < إلا > بالقياس إلى المدة والزمان ، وهذا يدل على أن العلم بوجود المدة علم بديهي غني عن الحجة والبرهان (الحجة الثالثة) على أن العلم بوجود المدة علم بديهي هو أن نقول : إنا إذا قلنا إن آدم عليه السلام كان قبل محمد عليه السلام فإننا لم نعقل من هذه القبلية إلا أن بينهما مدة مخصوصة وزماناً مخصوصاً ، وإذا قلنا الأخوان التوأمان وجداً معاً لم نعقل من هذه المعية إلا أنهما حصلا في زمان واحد . ولو رجعت إلى جميع العقلاء الذين بقوا على فطرتهم الأصلية وسلامة عقولهم الغريزية لم يفهموا من هذه القبلية ولا من هذه المعية إلا ما ذكرناه . فعلمنا أن العلم بوجود المدة والزمان علم مقرر في بدائنه العقول وغرائز الأذهان . فإن قيل فلم لا يجوز أن يكون المراد من هذه المعية والقبلية نفس ذاتيهما ، قلنا لأننا جعلنا ذاتيهما ووجوديهما مورداً للتقسيم لهذه المعية وهذه القبلية ومورد التقسيم مغاير لما به حصل ذلك التقسيم وذلك معلوم بالضرورة

(الحجة الرابعة) أن كل عاقل يعلم ببديهية عقله أن الجسم إما أن يكون متحركاً وإما أن يكون ساكناً . والمقول من كونه متحركاً < أنه > إنما يكون متحركاً إذا حصل في مكان بعد أن كان حاصلًا في غيره ، وهذه البعدية إشارة إلى أن هذا الجسم كان حاصلًا في حيز ثم حصل في زمان آخر في حيز آخر . وهذا يدل على أنه

(١) إلا أنه كان خ — (٤) وثبت خ — (٦) تقرير ان خ — الغرض خ —

(٧) لا يعقلوا خ — (١٣) الذين تقوا خ — (١٥) بداية العقول خ —

(١٦) ووجود فيهما خ

لا يمكن تعقل معنى الحركة والتغير إلا بعد الاعتراف بوجود المدة والزمان . وأما
السكون فالمعقول منه هو استمرار الجسم في الحيز الواحد زمانا طويلا وهذا
أيضا إشارة إلى وجود المدة والزمان . فلما كان العلم بحقيقة الحركة وبحقيقة السكون
علما بديهيا أوليا جليا > وثبت < أن العلم بهما لا يتقرر إلا عند التسليم بوجود
المدة والزمان وثبت أن الذي | يتوقف عليه الأولى أولى أن يكون أوليا ثبت أن
العلم بوجود المدة والزمان علم بديهي أولى

(الحجة الخامسة) ان كل عاقل يعلم ببديهية عقله أن الموجود إما أن يكون
قديما أو محدثا ، ثم إنه لا يعقل من القديم إلا أنه الذي لا أول لوجوده ولا يعقل
من الحادث إلا أنه الذي يحصل لوجوده أول . ثم إذا فسرنا قولنا انه لا أول
لوجوده < و > هو أننا إذا اعتبرنا حاله في الأزمنة السابقة فإننا لا نصل بعقولنا
إلى زمان إلا وقد كان موجوداً قبله ، وإذا فسرنا الحادث وهو أنه الذي لوجوده
أول ثم يفهم منه [إلا] أن عقولنا تنتهي إلى وقت يحكم عقلنا بأنه حدث فيه ، فيثبت
أن صريح العقل حاكم بأن الشيء إما أن يكون قديما وإما أن يكون محدثا ويثبت أنه
لا يمكن تصور معنى القديم ومعنى المحدث إلا عند الحكم بوجود الزمان . وذلك
يفيد أن العلم بوجود المدة والزمان علم بديهي

(الحجة السادسة) ان صريح العقل حاكم بأنه يمكن قسمة الزمان إلى السنين
وقسمة السنين إلى الشهور وقسمة الشهور إلى الأيام وقسمة الأيام إلى الساعات ،
ويعلم بالضرورة أن الساعة جزء من اليوم الذي هو جزء من الشهر الذي هو جزء
من السنة التي هي جزء من المدة . والعلم بمحصل هذه التقديرات والتقسيمات علم
ضروري والعلم بكون بعضها أقل من بعض أو أكثر من بعض علم ضروري . ومن
المعلوم بالضرورة أن المحكوم عليه بقبول التقسيمات مغاير للسواد والبياض والحجر

(١) تعقل معنى خ — (٤) > وثبت < : يياض في خ — عند تسليم لوجوه خ —
(٨) لا تعقل ولا تعقل خ — (١٠) فاننا لا يصل لقولنا خ — (١٢) ينتهي خ —
لعل الصواب : تحكم عليه بانه — (١٣) ان صريح العقل ثابت بأن (راجع س ١٦) —
(٢١) ومن العلوم بالضرورة خ

- والمثلث وأن ذلك الأمر ما لم يكن متحققاً في الأعيان امتنع كونه مورداً لهذه التقسيمات في الأعيان . فيثبت أن العلم بوجود الزمان والمدة علم بديهي
- (الحجة السابعة) ان كلّ أحد يعلم بأنّ هذه المدة قصيرة وتلك المدة طويلة ،^٣ فانه يقال بقى إلى وقت الظهر زمان طويل ثم يقال بعد ذلك انه لم يبق < من > تلك المدة إلا القليل ، والعلم بمحصول هذه الأحوال علم بديهي . ومتى كان العلم بصفة الشيء بديهياً كان العلم بأصل وجوده أولى أن يكون بديهياً ، فيثبت أن^٦ العلم بوجود المدة والزمان علم بديهي . لا يقال لم لا يجوز أن يقال هذه القلة وهذه الكثرة فرضان واعتباران لا حصول لهما إلا في الذهن والخيال ، لأننا نقول هذا الفرض الذهني إن كان مطابقاً للأمر الخارجى حصل المطلوب وإن لم يكن مطابقاً^٩ كان فرضاً كاذباً وحكماً باطلاً وكان جارياً مجرى ما إذا فرضنا هذا الحجر ياقوتاً مع أنه في نفسه ليس كذلك . ومعلوم أن تقسيم الزمان بالأجزاء العظيمة والصغيرة ليس من هذا الباب فبطل قول من يقول انه محض الفرض والاعتبار^{١٢}
- (الحجة الثامنة) ان جميع الجهال والعوام يؤرخون ويعلمون أن السنين تتوالى وتتعاقب ويميزون ببدائنه عقولهم بين الماضي والمستقبل والحالى . وهذه الصفات لا شك أنها صفات المدة ، والصفة إذا كانت معلومة بالضرورة كان الموصوف أولى أن^{١٥} يكون كذلك . واعلم أن هذه الوجوه متقاربة وهى بأسرها دالة على أن العلم بوجود المدة ضرورى
- (الحجة التاسعة) انا قد نحكم على حركتين بأنهما ابتدأتا معاً وانقطعتا معاً^{١٨} ويكون علمنا بهذه المعية في الابتداء وفي الانقطاع علماً ضرورياً ، وقد نقول في حركتين أخريين ان إحداها ابتدأت قبل الأخرى وانقطعت قبلها أو بعدها ، وعلمنا

(١) كونه مودداً خ — (٣) تعلم خ — (٤) فانه تعالى بقى خ — إلى وقت الظهور خ — (٧ - ٨) وهذه الكثرة امران اعتباران لا حصولهما خ — (٩) هذا الفرض خ — (١١) ان يقسم الزمان خ — (١٤) ببداية عقولهم خ — والحال خ — (١٥) معلومة الضرورة خ — (١٦) بأسرها دله خ — (١٨) ابتدأ خ — (١٩) وقد يقول خ — (٢٠) آخرين ان احدهما خ — وبعدها خ

٢٠٨ ظ بهذه التقدم والتأخر علم ضروري . ثم لا نعقل من هذه المعية إلا أنهما حصلتا في زمان واحد ولا نعقل من هذا التقدم والتأخر إلا أن إحداهما حصلت في الزمان السابق على زمان حدوث هذه الأخرى ، وكل ذلك يدل على أن العلم بوجود | المدة والزمان بديهي

(الحجة العاشرة) انا نحكم حكماً بديهياً بأن هذه الحركة أبطأ من تلك الأخرى مثل قولنا إن ذهاب النملة أبطأ من طيران <...> ثم إنه لا يمكننا تفسير الحركة البطيئة والحركة السريعة إلا بأن نقول السريعة هي التي تقطع مسافة مساوية لمسافة البطيئة في زمان أقل من زمانها ، أو التي تقطع مسافة أطول من مسافة البطيئة في زمان مساو لزمانها . فلما ثبت أن العلم بكون الحركة بطيئة وسريعة علم بديهي وثبت أنه لا يمكن فهم تصور ماهية الحركة السريعة وماهية الحركة البطيئة إلا بعد الاعتراف بوجود المدة والزمان علمنا أن العلم بوجود المدة والزمان علم بديهي

١٢ واعلم أنا قد نهينا بهذه الوجوه العشرة التي ذكرناها على كثير من الوجوه المغايرة لها مع < ما > في الواحد منها كفاية في إثبات هذا المطلوب . ولما ثبت أن العلم بوجود المدة والزمان علم بديهي أولى فنقول : هذه المدة لا يجوز أن تكون عبارة عن حركة الفلك ولا عبارة عن صفة من صفات شيء من حركات الفلك *

من الفصل الرابع

في البحث عن ماهية الزمان

٢١٣ ظ

الذي ذهب إليه أرسطوطاليس وارتضاه المفسرون كآبي نصر الفارابي

(١) بهذا التقديم والتأخير خ — (٢-١) لا تعقل . . . ولا تعقل خ — (٢) ان أحدها حصل خ — (٦) ان ذهب النملة خ — (١٣) لهذه الوجوه خ — (١٥) فيقول خ — (١٩) وارتضاه المتعبرون خ

* أورد فخر الدين في بقية هذا الفصل عدة براهين على أن الزمان ليس عبارة عن حركة الفلك

وأبى على بن سينا أنه مقدار حركة الفلك الأعظم . وقال الشيخ أبو البركات
 البغدادي صاحب المعتبر انه مقدار الوجود . وقال قوم آخرون انه عبارة عن نفس
 حركة الفلك الأعظم . وقال آخرون لا معنى الزمان إلا مجرد التوقيت على ما فسرناه ^٣
 وكشفنا عن معناه . وقال آخرون كما أن النقطة تفعل بحركتها الخط فكذلك الآن
 يفعل بحركته الزمان ، وكما أن النقطة إذا فعلت بحركتها الخط كانت واصلة وإذا
 وقعت تلك النقطة على الخط الذي وجد أولا كانت فاصلة فكذلك الآن إذا فعل ^٦
 بحركته الزمان كان آنا واصلا وإذا حدث في الزمان المتصل كان آنا فاصلا .
 وقالت طائفة عظيمة من قدماء الحكماء الزمان جوهر أزلي واجب الوجود لذاته
 ولا تعلق له في ذاته ولا في وجوده لا بالفلك ولا بالحركة وإنما الفلك بحركته يقدر ^٩
 أجزاءه كما أن الفئجانة تقدر بسبب أحوالها المختلفة أجزاء الليل والنهار . ثم قالوا
 هذا الجوهر القائم بنفسه إن حصل فيه شيء من الحركات ويقدر امتداد دوامه
 بسبب تلك الحركات سمي زمانا ، وأما إن خلا عن مقارنة | الحركات ولم يحصل ^{١٤٢٠}
 فيه شيء من التغيرات فهو المسمى بالدهر والأزل والسرمد . فهذا تفصيل مذاهب
 الناس في هذا الباب ولنتكلم الآن في الزمان هل يعقل أن يكون مقدارا للحركة
 الفلكية كما هو قول أرسطاطاليس وأتباعه . فنقول هذا المذهب عندنا باطل ^{١٥}
 ويدل عليه وجوه . . .

من الفصل السادس

ظ ٢١٨

في تتبع سائر المذاهب والأقوال في ماهية الزمان

أما مذهب من يقول الزمان عبارة عن الحركة الفلكية فقد بالغنا في تقرير
 الوجوه الدالة على فساده . وأما مذهب من يقول انه عبارة عن مقدار الحركة

(٤) تعقل بحركتهما خ — (٥) تعقل بحركته خ — (٦) كانت في أصله
 فكذلك خ — (٧) كان اناء فاضلا (مرتين) خ — (٨) وقال خ — من قد الحكماء
 خ — (١٠) الفخاته خ — (١١) القائم بالنفس خ (راجع ص ٢٧٨ س ٢٠٤ ، ٢٠٥) —
 (١٤) في أن الزمان هل تعقل خ

الفلكية فقد كشفنا عن فساد كشاف لا يبقى للعاقل فيه ريبة . وأما قول أبي البركات ان الزمان عبارة عن مقدار الوجود فهذا كلام مبهم مجمل ، وأحسن أحواله أن يقال المراد منه أن الزمان مقدار امتداد الوجود . فإن كان المراد ذلك فهو باطل

وأما قول قدماء الحكماء وهو أنه جوهر قائم بنفسه مستقل بذاته فالتأخرون أبطلوا ذلك بأن قالوا الزمان شيء سيال متجدد الوجود ، وما يكون كذلك فإنه يمتنع أن يكون جوهرًا قائمًا بذاته مستقلاً بنفسه ، هذا غاية الإلزام في إبطال هذا المذهب . ولجيب أن يجيب عنه فيقول لا نسلم أنه في ذاته وماهيته سيال متبدل منقض ، ولم لا يجوز أنه جوهر باق أزلي أبدي إلا أنه إذا حدثت الحوادث صارت تلك الحوادث المتعاقبة مقارنة له وحينئذ يلزم من وقوع التغير والتبدل وقوع التغير والتبدل في نسب ذلك الجوهر إلى تلك الحوادث ، والحاصل أن السيال والتبدل ما وقعا في ذات الزمان في جوهره بل وقعا في نسبه إلى الحوادث المتعاقبة

فإذا عقل هذا المعنى في حق واجب الوجود فلم لا يعقل مثله في ذات الزمان وجوهره ؟ فظهر <أن> هذه الحجة التي ذكرها المتأخرون في إبطال مذهب القدماء في ماهية الزمان حجة ضعيفة ساقطة ، بل عندي أن هذا القول أقرب الأقوال المذكورة في ماهية الزمان وحقيقته وهو مذهب الإمام افلاطون . وظهر بهذه المباحث الغامضة التي أوردناها والبيانات الغائصة الكاملة التي قررناها أن الحق في حقيقة المكان والزمان | فلافلاطون الإلهي لا ما اختاره أرسطاطاليس المنطقي

ولما نلخص هذا الكلام فنقول : القائلون بأن الزمان جوهر قائم بنفسه مستقل بذاته فريقان منهم من <قال> أنه وإن كان كذلك لكنه ممكن بذاته واجب بغيره للدلائل الدالة على أن واجب الوجود لذاته ليس إلا الواحد ، ومنهم من قال بل الزمان جوهر واجب الوجود لذاته ممتنع لعدم لعينه واعلم أن القائلين

ان الزمان موجود واجب لذاته فريقان منهم من بالغ وأفرط وزعم أنه هو <واجب> الوجود الذى هو إله العالم وهو المدبر لكل الممكنات . واحتجوا عليه بأنه ثبت أن كل ما سوى المدة والزمان فإنه لا يتقرر دوامه إلا بدوام المدة ٣ والزمان وثبت أن دوام المدة والزمان غنى عن دوام كل ما سواه . وهذا يوجب كون كل ما عداه مفتقراً إليه في الوجود وكونه غنياً عن كل ما عداه في الوجود . فيثبت أن المدة هى الشئ الذى يصدق عليه أنه واجب الوجود لذاته ٦ فقط

ثم قالوا : ولهذا جاء في بعض الأخبار النبوية « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » . وجاء أيضاً في بعض الأدعية العالية « يا هو يا من لا هو إلا هو يا من لا يدري أحد كيف هو إلا هو يا من لا إله إلا هو يا أزل يا أبد يا سرمد يا دهر يا ديهار يا ديهور يا من هو الحى الذى لا يموت » . فهذا قول قال به طائفة من الخلق ومذهب ذهب إليه قوم . وقال الا كثرون جل إله العالم عن أن يكون هو الدهر ١٢ والزمان . قالوا بل القدماء الواجبة الوجود خمسة : مؤثر لا يتأثر وهو إله العالم ، ومتأثر لا يؤثر وهو الهيولى ، وشئ يؤثر ويتأثر وهو النفس فإنها تؤثر في الهيولى وتتأثر عن واجب الوجود ، < و > شئ آخر لا يؤثر ولا يتأثر وهو الدهر ١٥ والفضاء . وهذا المذهب منسوب إلى قدماء الفلاسفة

القول في النفس والعالم

كان الرازي في كتاب العلم الإلهي (١) وغيره من الكتب (٢) بحث في قدم النفس الكلية واشتياقها إلى الهیولی وهبوطها فيها وتشبثها بها وادعى أن في هذا الاعتقاد برهان قاطع فلسفی على حدوث العالم (٣) إذ كان العالم ليس سوى نتيجة تعلق النفس بالهیولی وتصورها فيها . وقد أودع ناصر خسرو كتابه المعروف بـ زاد المسافرين فصلين يدوران حول هذا البحث أوردناهما فيما يلي (٤) كما أن أبا حاتم الرازي عالجها في كتاب أعلام النبوة عند مناظرته مع أبي بكر الرازي (٥) وذكر ابن سينا وفخر الدين الرازي (٦) وغيرها (٧) ما يدلنا على أن الرازي بقوله في حدوث العالم قصد إلى مخالفة أرسطوطاليس

-
- (١) راجع من فوق ص ١٧٠ وأيضاً ص ٢٠٦ ٦ ٢١٠
 (٢) ومن أهمها كتاب النفس الكبير والصغير اللذان ذكرهما أصحاب التراجم ، راجع رسالة البيروني رقم ١٣١ و ١٣٢
 (٣) راجع أيضاً تأليفاً للرازي ذكره ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ٣٢١ س ٦) عنوانه « كلام جرى بينه وبين المسعودي في حدوث العالم »
 (٤) القطعة الأولى والثانية
 (٥) راجع الفصل الحادي عشر (ص ٣٠٨ وما يليها)
 (٦) القطعة الثالثة والرابعة
 (٧) راجع من فوق ص ١٨٢

١

كتاب زاد المسافرين لناصر خسرو ، طبعة كاوياني ١٣٤١ ، ص ١١٤-١١٦ (*)

نقل كلام محمد زكريا

١١٤

که عالم از صانع حکیم بطبع است یا بخواست

و آنگاه گفته است بودش عالم از صانع حکیم از دو روی بیرون
نیست یا عالم از او بطبع بوده شده است و مطبوع محدث است ،
پس لازم آید که صانع نیز محدث باشد از بهر آنکه طبع از فعل فرو
نیایستد ، و آنچه بودش از باشاننده او بطبع باشاننده باشد میان

(٣) از دو وجه ك — (٤) ومطبوع محدث است ، وعلى هامش ك : بتقدير اينست که
مطبوع التبة محدث است تا صانع بطبع را حدوث لازم آید و اگر مطبوع محدث نباشد حدوث
صنع لازم نیاید — (٦) از باشنده او بطبع باشنده باشد میان باشنده وبوده ك

الترجمة

نقل كلام محمد بن زكرياء في أن العالم يصدر عن
الصانع الحكيم إما بالطبع وإما بالارادة

و هاهنا قال : لا يخلو حدوث العالم عن الصانع الحكيم من وجهين ، إما أن العالم حدث عنه
بالطبع فقد كان مطبوعاً محدثاً ولزم أن يكون الصانع أيضاً محدثاً لأن الطبع لا يقع دون الفعل .
وما كان حدوثه عن محدثه بطبع محدثه (وجب أن) يكون بين محدثه وحدثه عنه بالطبع مدة

(*) راجع H. H. Schaefer في مجلة ZDMG ج ٧٩ (١٩٢٥) ص ٢٣٢ ،
وأيضاً L. Massignon, *Recueil de textes inédits relatifs à la mystique musulmane*, Paris 1929, p. 181,
وأيضاً في مجلة *Revue du Monde Musulman* ج ٦٢ ص ٢١٨ ، راجع أيضاً
S. Pines, *Beiträge* p. 59.

باشاننده و بوده شده از او بطبع مدتی متناهی باشد چنانکه اندر آن مدت ممکن باشد که آن چیز بوده شده از آن چیز که از او بوده شود بیاشد ، چنان که میان خاستن ماهی از آب <و آب> گیر بطبع مدتی ۳ متناهی باشد . پس واجب آید که عالم از صانع خویش بمدتی متناهی سپس تر موجود شده باشد ، و آنچه او از چیزی محدث بمدتی متناهی قدیمتر باشد او نیز محدث باشد . پس واجب آمد که صانع عالم که عالم ۶ از او بطبع او بوده شود محدث باشد

و اگر عالم از صانع بخواست او بوده شده است و با صانع اندر ازل چیزی دیگر نبوده است که مر او را بدین خواست آورده ۱ است تا مر عالم را بیافریده است از آن خواست که او اندر ازل بر آن بود از نا آفریدن عالم پس مر عالم را چرا آفرید ؟ آنگاه

(۲) مدت متمکن باشد ب — (۲ - ۳) بوده شود نباشد ك — (۳) خاستن ، و علی هاشم ك : یعنی پیدا شدن — ماهی از آب گیر بطبع ب ، ماهی از آب و آنکه بطبع ك — (۴ - ۵) متناهی از بس ك — (۶ - ۷) عالم که آنچه از او ك — (۱۱) بر آن بود تا از نا آفریدن ب — چرا آفرید ، و علی هاشم ك : یعنی هرگاه در ازل خواست بود و عالم نیافرید بس عالم را درین حین چرا آفرید چون آفریدن عالم را وجهی نیافت قایل شد که در ازل قدیمی بود که او سبب آفریدن عالم شده و آن را نفس می گویند چنانکه از متن معلوم شود

الترجمة

متناهیة حتی یتمكن فی هذه المدة أن يحدث ذلك الشيء عن الشيء الذي حدث عنه ، كما أن بین ظهور السمك من الماء بالطبع و بین (وجود) إنباء الماء مدة متناهية . فقد وجب أن العالم تأخر وجوده عن وجود صانعه بمدة متناهية . وأما ما كان أقدم بمدة متناهية من شيء محدث فانه أيضاً محدث ، فقد وجب أن يكون صانع العالم الذي حدث عنه العالم بالطبع محدثاً و لأن كان العالم حدث عن الصانع بالإرادة ولم يكن مع الصانع في الأزل شيء آخر نقله من إرادة (عدم خلق العالم) التي كان عليها في الأزل إلى إرادة خلق العالم فلم خلق العالم بعد أن

١١٥ گفته است که چون همی بینیم که خدایتعالی از خواست نا آفریدن
عالم بخواست آفریدن | آمد است واجب آید که با خدایتعالی
نیز قدیمی دیگر بوده است و آن دیگر قدیم مر اورا بدین فعل
آورده است

علت آویختن نفس بهیولی

٦ آنگاه گفته است که آن دیگر قدیم نفس بود است که
زنده و جاهل بود است . و گفته است که هیولی نیز ازلی بود
است تا نفس بنادانی خویش بر هیولی فتنه شده است و اندر هیولی
٩ آویخته است و از او صورتها همی کرده است از بهر یافتن لذات
جسمانی از او . و چون هیولی مر صورت را دست باز دارنده بود
و ازین طبع گریزنده بود بر خدای قادر و رحیم واجب شد مر
نفس را فریاد رسیدن تا از این بلا برهد . و آن فریاد رسیدن از
١٢ او سبحانه مر نفس را آن بود که خدای مر این عالم را بیافرید و

الترجمة

لم يخلق ؟ وهاهنا قال : ولما رأينا أن الله تعالى انتقل من إرادة عدم خلق العالم إلى إرادة خلقه وجب أن يكون مع الله تعالى قدیم آخر وأن يكون ذلك القديم الآخر هو الذي بعثه على هذا الفعل

في علة تعلق النفس بالهيولى

وهاهنا قال : وذلك القديم الآخر هو النفس التي كانت حية جاهلة . وتال : ان الهيولى كانت أيضاً أزلية حتى إن النفس بسبب جهلها افتتنت بالهيولى وتعلقت بها وصنعت منها صوراً لكي تحصل منها على اللذات الجسمانية . ولما كانت الهيولى امتنعت عن التصوير وهربت من ذلك الطبع وجب على الله القادر الرحيم أن يساعد النفس ليخلصها من ذلك البلاء . وكانت تلك المساعدة منه

صورتهاى قوى ودراز زندگانی را اندر او پدید آورده تا نفس
 اندر این صورتها لذات جسمانی همی یابد . و مردم را پدید آورد
 و مر عقل را از جوهر الهیت خویش سوى مردم اندر این عالم^۳
 فرستاد تا مر نفس را اندر هیكل مردم بیدار کند از این خواب
 و بنمایدش بفرمان باری سبحانه که این عالم جای او نیست و مر او
 را خطائی اوقتاده است بر اینگونه که یاد کردیم تا این عالم کرده^۶
 شده است . و میگوید عقل مردم را که چون نفس بهیولی اندر
 آویخته است همی پندارد که اگر از او جدا شود مر او را هستی
 نماند ، تا چون نفس مردم از این حال که یاد کردیم خبر یابد^۹
 مر عالم علوی را بشناسد و از این عالم حذر کند تا بعالم خویش
 که آن جای راحت و نعمت است باز رسد
 و گفته است که مردم بدین عالم نرسد | مگر بفلسفه ، و هر که

(۷) بمردم که ك — (۱۲) مكر بعلم حکمت وهر که حکمت بیاموزد ك

الترجمة

سبحانه للنفس بانه خلق هذا العالم وأحدث فيه صوراً قوية طويلة العمر كي تحصل النفس
 في تلك الصور على اللذات الجسمانية . (ومن أجل ذلك) أحدث (الله) الانسان وأرسل
 العقل من جوهر إلهيته إلى الانسان في هذا العالم لكي يوظف النفس من نومها في هيكل
 الانسان ولكي يريها — بأمر الباريء سبحانه — أن هذا العالم ليس مكانها وأنه وقع لها
 خطأ — على النحو الذي ذكرناه — كان سبب خلق هذا العالم . وان العقل يقول للانسان
 إنه لما كانت النفس تملقت بالهيولى فلفتت فكر أنه إذا فارقتها لن يبق (لتلك الهيولى) وجود ،
 حتى إذا علمت نفس الانسان تلك الحال التي أشرنا إليها فانها تعرف العالم العلوى وتحدّر من هذا
 العالم إلى ان ترجع إلى عالمها الذي هو مكان الراحة والنعيم
 وقال : إن الانسان لا يصل إلى ذلك العالم إلا بالفلسفة ، وإن كل من تعلم الفلسفة وعرف

فلسفه بیاموزد و عالم خویش را بشناسد و کم آزار باشد و دانش آموزد از این شدت برهد . و دیگر نفوس اندر این عالم همی مانند تا آنگاه که همه نفسها اندر هیکل مردمی بعلم فلسفه ازین راز آگاه شوند و قصد عالم خویش کنند و همه بکلیت آنجا باز رسند . آنگاه این عالم بر خیزد و هیولی از این بند گشاده شود ٦ همچنانکه اندر ازل بوده است

٢

کتاب زاد المسافرین لناصر خسرو ، ص ٣١٨ - ٣١٩

و دیگر فرقه گفتند که نفس بر هیولی بنادانی و غافل خویش ٣١٧ فتنه شد است و از عالم خویش بیفتاد است و اندر هیولی آویختست تا

(٣) بعلم وحکمت ک — (٩) بنادانی و فاعلی ب — (١٠) آویختست بآرزوی

الترجمة

عالمه وصار قليل الاضطراب وكسب المعرفة فقد تخلص من تلك الشدة . وأما النفوس الأخرى فتبقى في هذا العالم إلى أن تنتبه جميع النفوس التي في هياكل الآدميين بعلم الفلسفة إلى ذلك السرّ وتقصد إلى عالمها وترجع هناك بكليتها . إذن فسيرتفع هذا العالم وتنطلق الهیولی من قيدها كما كانت في الأزل

وقالت فرقة أخرى : انّ النفس افتتنت بالهیولی بسبب جهلها وغفلتها فهبطت من عالمها وتعلقت بالهیولی لكي تجد نصيباً من شهوة اللذات الجسمانية (*). (وقالوا :) انّ للنفس عالماً غير هذا

(*) وفي نسخة ب : وتعلقت بالهیولی من أجل شهوتها إلى اللذات الجسمانية

- از آرزوی لذات جسمانی بهره یابد. و مر نفس را عالمی هست جزاین
 ٣١٨ عالم ، ولیکن | چون با هیولی بیامیخته است مر عالم خویش را
 فراموش کرد است . و باری سبحانه مر عقل را فرستاد است اندر ٣
 این عالم تا مر نفس را آگاه کند که این که همی کند خطاست و مر
 او را از عالم او یاد دهد تا دست ازین عالم کوتاه کند و بعالم خویش
 باز گردد . و گفتند این گروه که حکمت رهنماست مر نفس را ٦
 سوی سرای او ، و هر که حکمت بیاموزد نفس او ازین خطا آگاه
 شود و بسرای خویش باز گردد و بنعمت ابدی رسد . ولیکن نفس
 تا بعلم حکمت نرسد ازین راز آگاه نشود و از فتنه بودن بر هیولی ١
 نرهد . و علت پیوستن نفس بجسم مر زندگی و ارادت و غفلت نفس
 را نهادند این گروه

لذات جسمانی و مر نفس را ب — (٢) بیاویخته ك — (٩) تا بعلم فلاسفه ب —
 (١٠) و غفلت : سقط ك

الترجمة

العالم إلا أنها لما امتزجت (*) بالهيولى نسبت عالمها فأرسل البارى سبحانه العقل فى هذا العالم
 ليخبر النفس بأن ما فعلته خطأ وليذكرها بعالمها حتى تكف عن هذا العالم وترجع إلى عالمها .
 وقالت هذه الطائفة ان الحكمة هى المرشد للنفس نحو مقرها وان كل من تعلم الحكمة تنتبه
 نفسه إلى ذلك الخطأ وترجع إلى مقرها وتصل إلى النعيم الأبدى . ولكن قبل أن تصل النفس إلى
 علم الحكمة (x) لا تنتبه إلى هذا السر ولا تخلص من افتتانها بالهيولى . وأما علة تشبث النفس
 بالجسم فقد وضعتها تلك الطائفة فى حياة النفس وفى إرادتها وغفلتها

(*) فى ك : لما تعلق

(x) فى ب : إلى علم الفلاسفة

٣

مناظرات فخر الدين محمد بن عمر الرازي وهو تأليف يحتوى على ست عشرة مناظرة جرت بينه وبين علماء في بلاد ما وراء النهر ، طبع هذا الكتاب في مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميصر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ على حسب نسخة محفوظة بالمكتبة الأصفية (= ص) ، واعتمدنا منه على نسخة أخرى محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٠ معالم (= ت) (*)

وفي المناظرة الأخيرة (ص ٣٩ من الطبعة) رد فخر الدين على رجل فيلسوف من سمرقند اسمه الفريد الفيلاي يفتخر بتصنيف كتاب في حدوث العالم او حدوث الأجسام وفي اثنائها ذكر مذهب محمد بن زكرياء الرازي في الخلق

فقلت يا سبحان الله القول بأن الجسم قديم محتمل وجهين : الأول أن يقال الجسم في الأزل كان متحركا وهو قول أرسطوطاليس وأتباعه والثاني أن يقال الجسم في الأزل كان ساكنا ثم تحرك . فهب أنك أبطلت القسم الأول كما هو مذهب أرسطوطاليس وأبي علي إلا أن بمجرد إبطال ذلك القسم لا يثبت حدوث الجسم ، فما الدليل على فساد القسم الثاني وهو القول بأن تلك الأجسام كانت ساكنة ؟ فقال الفريد الفيلاي إني لا أتسكلم في هذه المسألة إلا مع أبي علي فلما أبطلت قوله بالحركات الأزلية كفاني ذلك في إثبات حدوث الأجسام . فقلت له فإذا جاءك محمد

(٢٥) أرسطوطاليس ت — (٣) في الأزل : سقطت — (٤) الا أن : سقطت — لا ثبات حدوث ت — (٥) الدليل على جواب ت — (٧) كفاني تلك ص

- ابن زكرياء الرازي وقال اشهدوا علىّ بأنّي لا أعتقد كون الأجسام متحركة في الأزل بل أعتقد أنها كانت ساكنة في الأزل ثم انها تحركت فيما لا يزال ، فكيف تبطل قوله وبأى طريق تدفع مذهبه ؟ فأصرّ الغيلاني على قوله اني لا ألزم إقامة البرهان على حدوث الأجسام وإنما ألزم إبطال قول أبي علي . فقلت فعلى هذا الطريق لا يكون هذا البحث بحثا علميا عقليا وإنما هو نوع من أنواع المجادلة مع إنسان معين على قول معين

٤

أجوبة الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا عن مسائل أبي الريحان البيروني ، الجواب عن المسألة الثانية (مجموعة جامع البدائع نشرها الشيخ محي الدين صبرى الكردى بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ هـ ، ص ١٢٦ - ١٢٧)

المسألة الثانية

- لم جعل أرسطوطاليس أقاويل القرون الماضية والأحقاب السالفة في الفلك ووجودهم إياه على ما وجدته عليه حجة قوية ذكرها في موضعين من كتابه على ثبات الفلك ودوامه ؟ ومن لم يتعصب ولم يصّر على الباطل تحقق أن ذلك غير معلوم ولا نعلم من مقداره إلا أقل مما يذكره أهل الكتاب بكثير ، وما يحكى عن الهند وأمثالهم من الأمم فهو ظاهر البطلان عند التحصيل لتعاقب الحوادث على مكان المعمور من الأرض إما جملة وإما نوبا . وأيضا فإن حال الجبال كلها كذلك في القدم وشهادة الأحقاب بمثل تلك الشهادة مع ظهور الحدث فيها

الجواب

يجب أن تعلم أن ذلك ليس منه بإقامة البرهان وإنما هو شيء أتى به في خلال

- الكلام ، على أنه ليس الأمر في السماء كالأمر في الجبال . فإن الأمم وإن شاهدت الجبال محفوظة في كليتها فلم تعر عن اختلافات العوارض في جزئياتها من انحطام بعضها وتراكم بعضها على بعض وانهدام أشكالها وما هو أيضاً فوق هذا مما يذكره افلاطن في كتبه في السياسات وغيرها . وكأنك أخذت هذا الاعتراض عن يحيى النحوى المموه على النصارى بإظهار الخلاف لأرسطوطاليس في هذا القول ، ومن نظر إلى تفسيره لآخر السكون والفساد وغيره من الكتب فما عسى يخفى عليه موافقته لأرسطوطاليس في هذه المسألة . أو عن محمد بن زكرياء الرازى المتكلف الفضولى في شروحه في الإلهيات وتجاوز قدره في بطل الجراح والنظر في الأبوال والبرازات * لا جرم فصّح نفسه وأبدى جهله فيما حاوله ورامه . . .

(١٨) في الطبعة : بسط الحراج

* أشار على بن زيد البيهقي في كتاب تنمية صوان الحكمة (نشره محمد شفيق ، لاهور ١٩٣٥) ص ٨ الى هذه الجملة قائلاً : « وقال أبو علي بن سينا في حقه هو المتكلف الفضولى الذى من شأنه النظر في الأبوال والبرازات ، وقد صدق لأنه (اى الرازى) بلغ الغاية في المعالجات الطبية وتكلم بالمعوراء والخبائث فيما سوى ذلك » . راجع أيضاً من فوق ص ١٦٩ تعليق ه

المناظرات بين أبي حاتم الرازي وأبي بكر الرازي

مقتبسة من كتاب أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي

هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسني أو الورساعي المتوفى سنة ٣٢٢هـ (١)، كان من كبار دعاة الإسماعيلية واشتهر بدعوته إلى المذهب الفاطمي ولعب دوراً عظيماً في الشؤون السياسية في طبرستان وفي أذربيجان وفي الديلم ولا سيما في أصفهان والري حتى استجاب له جماعة من كبار الدولة مثل أسفار بن شيرويه ومرداوج القائد وغيرها. وقد ذكره عبد القاهر البغدادي في كتاب الفرق بين الفرق (٢) ونظام الملك في سياستنامه (٣) وابن النديم في فهرسته (٤) وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (٥)، أما تأليفاته فقد بقي بعضها إلى اليوم في خزائن الطائفة الإسماعيلية البهروية في الهند (٦) ومن أهمها كتاب أعلام النبوة الذي نحن بصددده. وقد أطلعني صديقي الدكتور حسين الهمداني نزيل بمباي على نسخة مخطوطة منه وهذه النسخة تحتوي

(١) لم يذكر هذا التاريخ الا في كتاب لسان الميزان

(٢) ص ٢٦٧

(٣) ص ١٨٦ من نسخة C. Schefer

(٤) ص ١٨٨ س ١٣ وص ١٨٩ س ٢١

(٥) ج ١ ص ١٦٤

(٦) راجع W. Ivanow, A Guide to Ismaili Literature, London 1933, p. 32.

على ٢٨٠ ص وهى فى غاية الصحة وإن كانت حديثة النسخ (سنة ١٣٠٦ هـ) ، واستطعت مقابلة بعض أجزاءها الأولى بنسخة أخرى جاءتني أيضاً من الهند يردّ أبو حاتم فى كتاب أعلام النبوة على فيلسوف طبيب معاصر له أنكر النبوات ونقض الأديان وقال فى فلسفته الإلهية بقدم الحسنة . ويظهر أن هذا الشخص المسمى بالملحد هو محمد بن زكرياء الرازى غير أن مقدمة الكتاب التى لا بدّ أن ذكر أبو حاتم فيها اسم خصمه قد سقطت من النسخ المخطوطة بفقدان الصفحة الأولى منها مما يشككنا فى نسبة الفصول المذكورة باسم الملحد الى الرازى . على أن داعيا اسماعيلياً آخر أعنى الداعى أحمد بن عبد الله حميد الدين الكرمانى الذى عاش فى آخر القرن الرابع (١) يخبرنا فى كتابه الأقوال الذهبية (٢) أنّ « الشيخ أبا حاتم الرازى فى كتابه المعروف بأعلام النبوة ردّ على محمد بن زكرياء الرازى » وذلك عند اجتماعهما فى مجلس بالرىّ فى أيام مرداوج

وذكر الداعى اسماعيلى الهندى إسماعيل بن عبد الرسول الأجينى المعروف بالمجدوع (٣) (توفى حوالى سنة ١١٨٣ هـ) كتاب أعلام النبوة فى فهرسته للكتب الاسماعيلية التى كانت معروفة فى زمانه فى خزائن الهند وحلل موضوعاته المتفنة تحليلاً لا بأس به وأشار الى خصم أبى حاتم فيه بعبارة الملحد حسب مما يدلنا على أن الصفحة الأولى أو مقدمة الكتاب كانت قد ضاعت فى زمانه كما أنها عديمة فى النسخ الحديثة . قال إسماعيل المجدوع :

« ومنها كتاب أعلام النبوة لسيدنا أبى حاتم الرازى أعل الله قدسه . فى ابتداء الكتاب فصول فى ذكر ما جرى بينه وبين الملحد الذى ناظره فى أمر النبوة فى

(١) راجع من فوق ص ٧ وما يليها

(٢) راجع ابتداء القطعة الثانية (ص ٣١٣) وكذلك من فوق ص ١٠ س ٩ حيث طبعتنا

مقدمة كتاب الأقوال الذهبية

(٣) راجع Ivanow ص ٧٣

مجلس تارة بعد تارة . وذلك قول الملاحد من أين أوجبتم أن الله اختص قومًا بالنبوة دون قوم وفضلهم على الناس ومن أين أجزتم في حكمة الحكيم أن يختار لهم ذلك ويؤكد بينهم العداوة ويكثر المحاربات ويهلك بذلك الناس . فأجابه في ذلك وردّ عليه وفي غيره من قوله بقديم الخمسة الباري والنفس والهيولى والمكان والزمان . ثم فصول بعد ذلك في الردّ على ما ذكره أيضاً في كتابه واحتج به من قوله أنّ أهل الشرائع أخذوا الدين عن رؤسائهم بالتقليد ودفعوا النظر والبحث عن الأصول ، وطعنه فيما أتى من الروايات أنّ الجدل في الدين والمراء فيه كفر ، ومن عرض دينه للقياس لم يزل الدهر في التباس ، ولا تتفكروا في الله وتفكروا في خلقه ، والقدر سرّ الله فلا تخوضوا فيه ، وإياكم والتعمق فإن من كان قبلكم هلك بالتعمق ، وغير ذلك من أشباهه وما شاهده من الاختلاف بين قوم كل نبي مما احتج به على دفع النبوة . ثم نسكت فيما اختص به محمد صلى الله عليه وآله من مكارم الأخلاق وكذلك موسى وعيسى صلوات الله عليهما قبله ، ثم فصول في ذكر شيء من كلام الأنبياء في كتبهم ورسومهم مما يختلف ألفاظها ويتفق معانيها وما دلوا عليه وأمروا به من البحث عن معاني كلامهم المرموزة ليظهر صدقهم ويزول ما يدعيه الملاحدون عليهم من اختلافهم وتناقض كلامهم . ثم فصول في ذكر شيء من اختلاف الفلاسفة وتناقض كلامهم وأقاويلهم الشنيعة القبيحة والكشف عن المحالات والخرافات التي ابتدعوها وغير ذلك من أشباهه . ثم فصل في الردّ على الملاحد فيما قاله في باب المعجزات وضعف فيه حجج من ادّعى المعجزات للأنبياء عليهم السلام ، وفيه ذكر بعض دلائل محمد صلى الله عليه من الكتب المنزلة ومعجزاته التي ليس بوسع البشر أن يأتوا بمثلها إلاّ بتأييد من الله عزّ وجلّ ، وبيان ما في القرآن من المعجز العظيم حتى يعلم الملاحد أنه لا يقدر أهل الأرض أن يأتوا بمثله . ثم فصل في الردّ عليه أيضاً في ادّعائه أنّ الفلاسفة استدركوا هذه العلوم يعني ما في كتب الطب من معرفة طبائع العقاقير

والخصوصات التي فيها ومعرفة حركات الفلك والكواكب وحساب النجوم وغير ذلك من علم الهندسة ومعرفة مقدار عرض الأرض وطولها ومسافة ما بين السموات وغير ذلك من أشباهها بأرائهم واستنبطوها بدقة نظرهم وألمحوا ذلك بلطافة طبعهم ، فردّ قدّس الله روحه عليه في ذلك وثبت أنّ جميع العلوم الدينية والمنافع الدنيوية مأخوذة عن الأئمة والأنبياء عليهم السلام ومنسوبة إليهم »

هذا ونحن ننشر فيما يلي نص المناظرات الواردة في أول كتاب أعلام النبوة وتنبه بما ذكره حميد الدين السكرماني في كتاب الأقوال الذهبية من « الجواب عما أهمل أبو حاتم الجواب عنه من سؤال ابن زكرياء الرازي » في أثناء تلك المناظرات. أما ردود أبي حاتم على كتاب الرازي في النبوات وهي موضوع بقية كتاب أعلام النبوة فسننشرها في الفصل التالي إن شاء الله

١

كتاب أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي ص ١-٢٤ (= خ) ، وقابلنا به النص الوارد في كتاب
الأقوال الذهبية للكرماني (= ك) وهو يصل إلى ص ٢٩٩ س ٧ (*)

وفيما جرى بيني وبين الملحد أنه ناظرني في أمر النبوة وأورد كلاماً نحو
ما رسمه في كتابه الذي قد ذكرناه

فقال : من أين أوجبت أن الله اختصّ قوماً بالنبوة دون قوم وفضلهم على
الناس وجعلهم أدلةً لهم وأحوجَ الناس إليهم ؟ ومن أين أجزتم في حكمة الحكيم
أن يختار لهم ذلك ويُشلي بعضهم على بعض ويؤكد | بينهم العداوات ويُكثر
المحاربات ويهلك بذلك الناس !

قلت : فكيف يجوز عندك في حكمته أن يفعل ؟
قال : الأولى بحكمة الحكيم ورحمة الرحيم أن يُلهم عباده أجمعين معرفة
منافعهم ومضارهم في عاجلهم وآجلهم ولا يفضل بعضهم على بعض فلا يكون
بينهم تنازع ولا اختلاف فيهلكوا . وذلك أحوط لهم من أن يجعل بعضهم
أئمةً لبعض فتصدق كل فرقة إمامها وتكذب غيره ويضرب بعضهم وجوه بعض
بالسيف ويعتّم البلاء ويهلكوا بالتعادي والمجازبات . وقد هلك بذلك كثير من
الناس كما نرى

قلت : أأستتزعّم أن الباري جلّ جلاله حكيم رحيم ؟

قال : نعم

١٥

(٤) وجعلهم أئمة لهم ك — في حكمته ك — (٩) ولا يفضل ك : فلا يفضل خ —
(١٠) تنازع واختلاف ك — (١٢) ويهلكون ك — والمحاربات ك — (١٤) جل وتعالى ك

(*) كنت قد نشرت هذا الفصل في مجلة *Orientalia* ج ٥ (١٩٣٦) ص ٣٨ وما يليها ،
وأعيد هاهنا مصححاً

قلت: فهل ترى الحكيم فعل بخلقه هذا الذي تزعم أنه أولى بحكمته ورحمته، وهل احتاط لهم فألهم الجميع ذلك وجعل هذه الهبة عامةً ليستغني الناس بعضهم عن بعض وترتفع عنهم الحاجة إذ كان ذلك أولى بحكمته ورحمته؟ ٣

قال: نعم

قلت: أوجدني حقيقة ما تدعى! فإننا لا نرى في العالم إلا إماماً ومأموماً وعالمًا ومتعلمًا في جميع الملل والأديان والمقالات من أهل الشرائع وأصحاب الفلسفة التي هي أصل مقالاتك، ولا نرى الناس يستغني بعضهم عن بعض بل كلهم محتاجون بعضهم إلى بعض غير مستغنين بإلهامهم عن الأئمة والعلماء، لم يُلهموا ما ادّعت من منافعهم ومضارهم في أمر العاجل والآجل بل أُخْرِجوا إلى علماء يتعلمون منهم | وأئمة يقتدون بهم وراضة يروضونهم. وهذا عيان لا يقدر على دفعه إلا مباهت ظاهر البهت والعناد. وأنت مع ذلك تدعى أنك قد خصصت بهذه العلوم التي تدعيها من الفلسفة وأن غيرك قد حُرِم ذلك وأُخْرِجَ إليك وأوجبت عليهم التعلم منك والافتداء بك ١٢

قال: لم أُخصَّ بها أنا دون غيري، ولكنتي طلبتها وتوانوا فيها. وإنما حُرِّموا ذلك لإضرارهم عن النظر لا لنقص فيهم. والدليل على ذلك أن أحدهم يفهم من أمر معاشه وتجارته وتصرفه في هذه الأمور ويهتدي بحياته إلى أشياء تُدَقُّ عن فهم كثير منّا، وذلك لأنه صرف همته إلى ذلك. ولو صرف همته إلى ما صرفتُ همتي أنا إليه وطلب ما طلبتُ لأدرك ما أدركتُ ١٨

قلت: فهل يستوى الناس في العقل والهمة والفطنة أم لا؟

قال: لو اجتهدوا واشتغلوا بما يُعِينهم لاستَووا في الهمم والعقول

(١) الحكيم الرحيم ك — (٢) يستغني الناس بها ك — (٩) لم يلهموا على ما ك —

(١٠) يرضونهم ك — (١٤) أنا بها ك — (١٨) وطلب ما طلب غيره ك —

(٢٠) بما يعينهم ك

- قلت : كيف تُجيز هذا وتدفع العيان ؟ وإنّا نرى ونعاين أنّ الناس على طبقات وتفاوت مراتب ولستَ تقدر على دفع ما اتفق الناس عليه أن يقولوا :
 ٣ فلان أعقل من فلان وفلان عاقل وفلان أحمق وفلان أكيّس من فلان وفلان كيّس وفلان بليد وفلان لطيف الطبع وفلان غليظ الطبع وفلان فطن وفلان غبيّ . ومن دفع هذا فقد كابر وعاند . وإذا ثبت هذا فقد وقعت الخصوصيّة .
 ٦ وقد علمنا أنّ الأحمق البليد الطبع الغبيّ لا يدرك بفطنته ونظره ما يدركه العاقل الكيّس الفطن اللطيف | الطبع من العلوم الدقيقة والجليلة في باب المعاش والصناعات التي ذكرت أنّ الناس اشتغلوا بها عن النظر في العلوم الدقيقة وأنهم بلغوا في تلك الصناعات ما يدقّ عن أفهامنا . والناس في ذلك أيضاً يتفاوتون
 ٤ في المراتب والطبقات ويتفاضلون في كل صناعة . وفي كل طبقة من الناس فاضل ومفضول وعالم ومتعلّم ولا نرى أحداً يدرك شيئاً من الأمور بفطنته وكيّسه وعقله إلا بمعلم يرشده ومعاون يرجع إليه ثم يحتذى على مثاله ويبني عليه
 ١٢ أمره . وهذا ما لا مريّة فيه ولا يقدر أحد على دفعه . وإذا ثبت هذا فقد جاز أن يقع التفاضل في الناس والتفاوت في مراتبهم كما قد أجزت لنفسك ما تدعيه أنك أدركت من علوم الفلسفة بالعقل الكامل والهمّة البعيدة والطباع التامّة
 ١٥ ما لا يقدر على بلوغه من هو ناقص العقل متخلف في الهمّة ولا يتعلّمه وإن علّم ولا يتوجّه له وإن هدى إليه لبلادته ونقصان طباعه . وهذا موجود في جملة الناس أنّ البليد الجاني لا يبلغ معرفة ما يبلغه الفطن ولا يطيقه وإن تكسّف
 ١٨ واجتهد فيه . وإذا وجب هذا وثبت أن تختلف أحوال الناس في العقل والكيّس والفطنة فقد وجب أن يحوج بعضهم إلى بعض وأن يتعلّم بعضهم من بعض

(٢) عليه الناس ك — (٤-٥) وفلان عي ك — (٦) العي ك — (٨-٩) وانهم قد بلغوا ك — (٩) يدق افهامنا عنها ك — (١٢) ومعاون ك : وقانون خ — (١٣) فهذا ك — (١٥) والطبع التام ك — (١٨) بمعرفته ما ك — (١٩) فاذا ك

فيكون فيهم عالم ومتعلم وإمام ومأموم في جميع الأسباب في الدين ، في الأمور
 الدنياوية كما نشاهده عياناً . | وقد انتقض قولك انه لا يجوز في حكمة الحكيم
 ٣ ورحمة الرحيم أن يجعل الناس بعضهم أئمة لبعض وانه يجب أن يلهم عباده
 أجمعين معرفة منافعهم ومضارهم في عاجلهم وآجلهم وأن لا يُحَرِّج بعضهم إلى
 بعض ، وزعمت أن ذلك أحوط لهم وأولى بحكمته . وإن هذا غير موجود في
 ٦ جبلة الناس ونرى الحكيم الرحيم قد فعل بعباده خلاف ما تدعيه أنه أحوط لهم
 وأنه أولى بحكمته ، إلا ما نجد في طبائعهم من تساويهم في أشياء طُبِعُوا عليها كما
 طُبِعَ عليها سائر أصناف الحيوان من البهائم والسباع والطير ودواب الماء وجميع
 ٩ الأجناس من طاب الغذاء والتناسل وألهمت معرفة ما لها من المنافع والمضار
 في ذلك . فكل جنس من الحيوان لا تفاضل فيها ولا درجات بينها بل استوت
 في ذلك وهي مطبوعة عليه فلا درجات بينها ولا مراتب لأنها ليست بمأمورة
 ١٢ ولا منهيّة ولا مستعبدة ولا مكلفة ولا مثابة ولا معاقبة ومن أجل ذلك
 لا درجات بينها . وخُصَّ البشر بأن يكون فيهم عالم ومتعلم وإمام
 ومأموم وفاضل ومفضول ليقوم الأمر والنهي وتظهر الطاعة والمعصية
 ١٥ ويثبت الاستعباد ويقع الثواب والعقاب على حسب ما يكون من أعمالهم
 باختيار لا بإجبار . وهذا أوجب في حكمة الحكيم ورحمة الرحيم من أن
 يكون سبيل البشر سبيل البهائم وسائر الحيوان . وليس يخلو الأمر من إحدى
 ١٨ ثلاث خلال : إما أن تقول أن الحكيم ترك ما ادّعت أنه أولى به في حكمته ورحمته
 وأنه أعمّ نفعاً لبرئته وأحوط لهم | فلم يفعل بهم وهو يقدر عليه — فإن الذي
 ٦ تدعيه من هذا الباب هو معدوم في العالم — وانه فعل بهم ما هو أعمّ ضرر

(٢) نشاهدك — (٤) اجمعين : سقط خ — معرفة مضارهم ومنافعهم ك — (٧) في
 طباعهم ك — (١٠) وكل جنس ك — (١٢) ولا مستعبدة : سقط خ — فن أجل ك —
 (١٨) ثلاث خصال ك

- وأقرب إلى هلاكهم على زعمك فيكون قد فعل ما لا توجه الحكمة والرحمة ،
 فإننا نراه قد فعل بهم هكذا من إحواج بعضهم إلى بعض ، أو تقول أراد ذلك
 وأحبه فلم يقدر عليه فلزمه العجز ، أو تقول إن الأولى بحكمته ورحمته ما قد ٣
 فعله بهم على نحو ما ادّعيناه ، فترجع عن أصلك وتدع اعتقادك السقيم ودعواك
 البشعة التي قد نقضتها على نفسك حين زعمت أنك أدركت بفطنتك ودقة
 نظرك ما لم يدركه كثير من الفلاسفة القدماء وهم كانوا لك أئمة وفي أصولهم ٦
 نظرت وكتبهم درست وبها استدركت ما تدّعيه . فمرة تزعم أنه لا يجب أن
 يكون الناس أئمة بعضهم لبعض وأنه يجب أن يتساووا فلا يحوج بعضهم إلى
 بعض ، ثم تنقض على نفسك كما قد أجزت أن تتفاوت مراتب الفلاسفة حتى ١
 يدرك بعضهم ما لا يدركه البعض وأن يكون بعضهم أئمة لبعض ، كما انتفقت
 عليه الفلاسفة أن افلاطون كان إماماً لأرسطاطاليس وأن أرسطاطاليس كان
 تلميذاً له وكما ادّعت أنهم قد نقصوا عن مرتبتك حين أدركت ما تدّعي أنهم لم ١٢
 يدركوه من الصواب الذي زعمت أنهم أخطأوا فيه وأنه واجب عليهم الرجوع
 إلى قولك والافتداء بك . أوليس قد | أثبت بهذه الدعوى المراتب والدرجات ٧
 وأثبت أن يكون في الناس عالم ومتعلم وإمام ومأموم وأن بعضهم تعجز فطنته ١٥
 عن فطنة غيره وإن اجتهد ؟ أوليس قد انكسر عليك قولك الأول ؟ ولعمري
 أن هذا هو أشبه بالصواب وأثبت . وإذا ثبت هذا وجاز أن يكون في الناس
 عالم ومتعلم وإمام ومأموم وأن تكون فيهم مراتب ودرجات جاز أن يختص ١٨
 الله بحكمته ورحمته قوماً ويصطفيه من خلقه ويجعلهم رسلاً إليهم ويؤيدهم
 ويفضلهم بالنبوة ويعلمهم بوحى منه ما ليس في وسع البشر أن يعلموه ليعلموا
 الناس ويرشدوهم إلى ما فيه صلاح أمورهم ديناً ودنياً ويسوسوا الخلائق بمثل ما ٢١

نرى من هذه السياسة العجيبة التي يرتاض عليها الخاصّ والعامّ والعالم والجاهل
والكيس والبليد ويستقيم أمر العالم بهذه السياسة التي نشاهدها بالشرائع التي
٣ شرعوها واستغنى بها البليد الغليظ الطبع عن النظر في دقائق العلوم الفلسفية التي
يتحيزون فيها وتبهر عقولهم ويعجزون عن ضبطها وإن اجتهدوا . فأى الأمرين
أولى بحكمته ورحمته وأوجب عليك أن تأخذ به : أن يختصك بهذه الفضيلة التي
٦ ادّعيها لنفسك ونقضت بها دعواك الأولى فتثبت دعوى من يقول بأنّ في العالم
إماماً | ومأموماً وعالمًا ومتعلماً ؟ أو دعواك الأولى أنه لا يجوز في حكمته أن
٨ يكون في العالم إمام ومأموم وعالم ومتعلّم ؟ فأختر أيّهما شئت . فإن اخترت هذه
٩ الدعوى بطلت دعواك وانكسرت عليك وأنت نقضت عليك نفسك . وإن
اخترت الأخرى وأجزت في حكمة الحكيم أن يختصك بهذه الفضيلة دون غيرك
وأن يحوج الناس إليك وإلى التعلّم منك فلم أنكرت أن يختار عزّ وجلّ رسلاً
١٢ ويختصهم بالنبوة ويجعلهم أئمةً للناس ويحوج الناس إليهم وإلى التعلّم منهم
ليكونوا ساسةً للناس في أوّلاهم وقادةً لهم في أمر دينهم كما نرى أنه قد فعله ؟
ولمّ جاز أن يفيض عليك نعمته فيجعلك إماماً للناس وأنت لا تقدر على
١٥ سياسة رجلين ولم يحز أن يفيض على أنبيائه الذين اصطفاهم وجعلهم أئمةً للناس
حتى ساسوا العالم بأبنية شرائعهم وأحكامهم ؟
فهذا ما جرى في هذه مسألة ، وإن كان الكلام يزيد وينقص والألفاظ
١٨ تختلف كان جملته ومعانيه ما قد ذكرته . وقد كان ادّعى في غير هذا المجلس
ما احتججتُ به أنه أدرك من العلوم ما لم يدركه من تقدّم من الفلاسفة إلى غير
ذلك ممّا قد ذكرته من دعاويه

٢١ وطالبته في مجلس آخر وقلت له : أخبرني عن الأصل الذي تعتقده من
القول بقدم الخمسة : الباري | والنفس والهيولى والمكان والزمان أهو شيء

وافقك عليه التقدماء من الفلاسفة ام خالفوك فيه ؟

قال : بل للتقدماء في هذا أقوال مختلفة ، ولسكنى استدركت هذا بكثرة البحث والنظر في أصولهم فاستخرجت ما هو الحق الذي لا مدفع له ولا محيص عنه

قلت : فكيف عجزت فِظَن هؤلاء الحكماء واختلفت أقوايلهم وكانوا بزعمك مجتهدين قد صرفوا همهم إلى النظر في الفلسفة حتى أدركوا العلوم اللطيفة وصاروا فيها علماء وقُدوةً ، وأنت تزعم أنك أدركت ما لم يدركوا بكثرة نظرك في رسومهم وكتبهم وهم لك أئمةٌ وأنت لهم تبع لأنك درست رسومهم ونظرت في أصولهم وتعلت من كتبهم . فكيف يجوز أن يكون التابع أعلى من المتبوع والمأموم أتم في الحكمة من الإمام ؟

قال : أنا أورد عليك في هذا ما تعلم أن الأمر كما ذكرته وتعرف الصواب من الخطأ في هذا الباب . اعلم أن كل متأخر من الفلاسفة إذا صرف همته إلى النظر في الفلسفة وواظب على ذلك واجتهد فيه وبحث عن الذي اختلفوا فيه لدقته وصعوبته عِلِمَ عِلِمٌ مَن تقدمه منهم وحفظه واستدرك بفطنته وكثرة بحثه ونظره أشياء أخر ، لأنه مهر بعلم من تقدمه وفطن لفوائد أخر واستفصلها إذ كان البحث والنظر | والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل

قلت : فإن كان الذي استدركه المتأخر خلافاً على من تقدمه كما خالفت أنت من تقدمك فإن الخلاف ليس بفائدة بل الخلاف شرّ وزيادة في العمى وتقوية للباطل ونقض وفساد ، ونحن نجدكم لم تزدادوا بكثرة البحث والنظر بآرائكم إلا اختلافاً وتناقضاً . فإذا شرطت على نفسك أن المتأخر يدرك ما لم يدركه المتقدم كما زعمت أنك أدركته وأوردت الخلاف على من تقدمك لا تأمن أن يجيء بعدك من يجتهد فرق ما اجتهدت فيعلم ما قد علمت ويستفصل

ويدرك بفطنته واجتهاده ونظره ما لم تدركه أنت وينقض ما حكمت به ويخالفك في أصلك كما نقضت على من تقدمك وخالفته في أصله حين ادعيت قدّم الخمسة وزعمت أن من تقدمك قد أخطأ حين خالفك وكما قد خالف بعضهم بعضاً . وعلى هذه الشريطة فإنّ الفساد قائم في العالم والحق معدوم أبداً والباطل منتظم . والذين خالفوك قد مضوا على الباطل والضلال لأنّ الخلاف باطل والخطأ ضلال . ويلزمك أيضاً على هذه الشريطة أن تمضي على الباطل والضلال إذ كان الذي يحىء بعدك يأتي بفائدة ويصيب ما لم تُصِبْه على قياس قولك

٩ قال : ليس هذا باطلاً ولا ضلالاً لأنّ كل واحد منهما مجتهد . فإذا اجتهد وشغل نفسه بالنظر | والبحث فقد أخذ في طريق الحق لأنّ الأنفس إلا تصفو من كدورة هذا العالم ولا تتخلص إلى ذلك العالم إلا بالنظر في الفلسفة . فإذا نظر فيها ناظرٌ وأدرك منها شيئاً ولو أقلّ قليل صفت نفسه من هذه الكدورة وتخلصت . ولو أنّ العامة الذين قد أهلكوا أنفسهم وغفلوا عن البحث نظروا فيها أدنى نظر لكان في ذلك خلاصهم من هذه الكدورة وإن أدركوا القليل من ذلك ١٥

قلت : أليس أوجبت أنّ النظر في الفلسفة هو الوصول إلى الحق والخروج عن الباطل ؟

قال : نعم ١٨

قلت : فقد زعمت أنّ الناس هلكوا بالتعادي والاختلاف ، فعلى زعمك لا يزدد من ينظر في الفلسفة إلا هلاكاً لأنك قد أقررت أنّ للفلاسفة أقاويل مختلفة وأنّ الذي تعتقده خلاف ما كان عليه من تقدمك وألزمت على نفسك هذه الشريطة أنّ الذي يحىء بعدك يجوز أن يخالفك ويخالف غيرك . فعلى هذه

الشریطة یقوی سبب الهلاك فی كل یوم ویزداد الباطل والضلال
قال : أنا لا أعدّ هذا باطلاً ولا ضلالاً لأنّ من نظر واجتهد هو المحقّ
وإن لم یبلغ الغایة علی ما قد وصفته لك ، ولأنّ الأنفس لا تصفو إلاّ بالنظر
والبحث . هذا هو جملة القول فقط

قلت : أمّا إذا أصررت علی هذه الدعوی ورددت الحقّ وعاندته فأخبرنی
ما تقول فیمن نظر فی الفاسفة وهو | معتقد لشرائع الانبیاء هل تصفو نفسه
وهل ترجو له الخلاص من كدورة هذا العالم ؟

قال : کیف یكون ناظراً فی الفلسفة وهو معتقد لهذه الخرافات مقیم علی
الاختلافات مضراً علی الجهل والتقلید !

قلت : أولیس ادّعت أنّ من نظر فی الفاسفة وإن لم یتبحر فیها ونظر فیها
أقلّ قلیل منها صفت نفسه ؟

قال : نعم
قلت : فإنّ هذا الذی لم یتبحر ونظر فی القلیل قد اقتدى بمن تقدّم وقلده
ولم یحصل إلاّ علی الاقتداء بالخلاف وعلی التقلید . فأیّ خرافات أكثر
من هذه ، وأیّ تقلید فوق هذا ، وأیّ جهل أعظم منه ؟ وأیّ تصفیة لنفس
هذا وعلی ماذا حصل إلاّ علی رفض الشرائع والكفر بالله وأنبیائه ورساله
والدخول فی الإلحاد والقول بالتعطیل ! أولیس هذا أولى بأن یسمی جاهلاً
مقلداً معتقداً للخرافات والاختلاف من جمیع الناس ؟

قال : إذا انتهى الكلام إلى هذا یجب أن یسكت
وطالبته فی مجلس آخر وقلت له : أخبرنی ألسنت تزعم أنّ الخمسة قديمة
لا قديم غيرها ؟

قال : نعم

- قلت : فإننا نعرف الزمان بحركات الأفلاك وبمرّ الأيام والليالي وعدد السنين والأشهر وانقضاء الأوقات . فهذه قديمة مع الزمان أم محدثة ؟
- ٣ قال : لا يجوز أن تكون هذه قديمةً لأنّ هذه كلّها مقدّرة على حركات الفلك ومعدودة بطولع الشمس وغروبها ، والفلك وما فيه محدث . وهذا قول | أرسطاطاليس في الزمان وقد يخالفه غيره وقالوا فيه أقاويل مختلفة . وأنا أقول
- ١٣ أن الزمان زمان مطلق وزمان محصور ، فالماثل هو المدة والدهر وهو القديم وهو متحرك غير ثابت ، والمحصور هو الذي بحركات الأفلاك وجرى الشمس والكواكب . وإذا ميّزْتَ هذا وتوهّمت حركة الدهر فقد توهّمت الزمان المطلق ، وهذا هو الأبد السرمدي . وإن توهّمت حركة الفلك فقد توهّمت الزمان المحصور
- ٦ قلت : فأوجدني للزمان المطلق حقيقةً تتوهّمها . فإننا إذا رفعنا حركات الفلك ومرّ الأيام والليالي وانقضاء الساعات عن الوهم ارتفع الزمان عن الوهم فلا نعرف له حقيقةً . فأوجدني حركة الدهر الذي ذكرت أنّه الزمان المطلق
- ١٢ قال : ألا ترى كيف ينقضى أمر هذا العالم بمرّ الزمان : طف طف طف ، هو شيء لا ينقضى ولا يفنى . وهكذا حركة الدهر إذا توهّمت الزمان المطلق
- ١٥ قلت : إنما ينقضى أمر العالم بمرّ الزمان الذي هو بحركات الفلك . والعالم محدث والفلك محدث وأنت مُقرٌّ بذلك . والزمان من أسباب العالم فهو محدث معه ، ومرّ الزمان وانقضاؤه مع انقضاء أمر العالم كما أنّ حدوثه مع حدوثه . ولا نعرف للزمان حقيقةً إلا ما ذكرنا من حركات الفلك والشمس وعدد السنين والأشهر والأيام والساعات . فإذا رفعت هذه عن الوهم ارتفع الزمان فلا زمان كما ذكرنا . فإمّا أن تجعل هذه أيضاً قديمةً | مع الزمان حتى يكثر عدد الأشياء
- ١٤ القديمة ويكون الفلك وما يدبره داخلاً في هذه الجملة فيكون من ذلك الرجوع إلى القول بقديم العالم ، أو تُقرّ بأنّ الزمان محدث كما هذه محدثة ، أو توجدني
- ٢١

للزمان أنيَّة غير هذه ليكون واقعاً تحت الوهم كما أنه الآن واقع تحت الوهم
بوقوع هذه تحت الوهم . وهذه الألفاظ التي أوردتها قولك طف طف هو
أيضاً شيء يقع عليه العدد ، ولا يقع تحت الوهم إلا من جهة النطق والعدد والنطق
والعدد محدثان . وإذا كان كذلك فلم تورد بعد شيئاً حين أوردت هذه الألفاظ
التي يستحي العاقل < من > مثلها فهات ما تكون له حقيقة ويقع تحت الوهم !
قال : هذا لا ينقضى القول فيه . وقد عرفت أن أرسطاطاليس كان يعتقد
ما تقوله أنت وقد خولف فيه . وقول افلاطون لا يكاد يخالف ما نعتقده في
الزمان ، وهذا عندي أصوب الأقوال

قلت : فإذا رجعت إلى التقليد وإلى الاختلاف الذي أنكرته واقتديت
بافلاطون في هذا الباب وقلدته وتركت قول أرسطاطاليس وخالفته فقد سلمناه
لك . ويلزمك أيضاً في المكان ما يلزمك في الزمان

قال : كيف ؟

قلت : أخبرني عن المكان أهو محيط بالأقطار أم الأقطار محيطة به ؟

قال : بل الأقطار محيطة بالمكان

قلت : كيف لا تعدُّ الأقطار مع الخمسة التي زعمت أنها قديمة ، لأنه إن
كان المكان قديماً فمقد أوجبت أن الأقطار قديمة معه !

قال : | الأقطار هي المكان والمكان هو الأقطار ، وهما شيء واحد

لا فرق بينهما

قلت : كيف لا يكون الفرق بينهما وكيف يكونان شيئاً واحداً وقد
أعطيتني أن الأقطار تحيط بالمكان والمكان لا يحيط بالأقطار ! أوليس قد
فرقت بهذا القول بين المكان والأقطار ؟ ولعمري أن الصواب أن تفرق بينهما
ولكن قد اضطررت الأمر إلى أن تباهت وتقول انهما شيء واحد حين انتقض

عليك قولك بقدّم المكان دون الأقطار . فإمّا أن تجعل الأقطار الستة قديمةً مع المكان حتى يصير عدد الأشياء القديمة أحد عشر أو ترجع عن القول بقدّم المكان ٣ قال : قد اختلف قول الفلاسفة في الأقطار . فأنكر بعضهم أن تكون ستةً وقالوا في هذا أقوالاً كثيرةً

فلما رأيتّه قد فرغ إلى هذا القول يريد أن يخرج إلى كلام آخر قلت : لا ٦ نبالي اختلفوا في عددها أم اتّفقوا زادوا أم نقصوا قالوا إنّ أعدادها كثيرة أو قالوا هو قطر واحد . فإنّ تلك الكثيرة أو هذا الواحد هو مع هذا المكان . فإن كان المكان قديماً فإنّ القطر قديم ، وإن كان محدثاً فالمكان محدث . ولا بدّ ٩ للمكان من الأقطار لآنه إن لم تكن أقطار فلا مكان

قال : فإنّي أقول في المكان أيضاً انه مكان مطلق ومكان مضاف . والمكان المطلق مثاله مثال الوعاء الذي يجمع أجساماً ، وإن رفعت الأجسام عن الوهم لم يرتفع الوعاء كما لو أنا رفعنا الفلك عن الوهم لم يرتفع الشيء | الذي هو فيه عن الوهم بل هو باقٍ في الوهم ، كالدين الذي يفرغ من الشراب فارتفع الشراب عن الوهم ولم يرتفع الدين بته . والمكان المضاف إنما هو مضاف إلى المتمكّن ، فإذا لم يكن المتمكّن لم يكن مكان . وهذا مثل العرض الذي إذا رفعته عن الوهم ارتفع الجسم كما أنك إذا رفعت الخطّ عن الوهم ارتفع السطح عن الوهم ١٦

قلت : فإنّ السطح من الخطّ وليس مثاله مثال المكان من المتمكّن وإنما ١٨ المثال كقولك الأوّل في الفلك . ولكن الأمر خلاف ما ذكرت أنك إذا رفعت الفلك عن الوهم لم يرتفع المكان عن الوهم بل يرتفع المكان بارتفاع الفلك عن الوهم . والذي قلت في باب الدين والشراب هو أيضاً مثل الخطّ والسطح ٢١ لأنّ كليهما جسمان وليس مثل المكان والمتمكّن

قال : فأوجدني للأقطار أنيّةً يشار إليها

قلت : أجبني هل نحن في المكان ؟

قال : نعم

قلت : فأشير إلى المكان الذي نحن فيه لا يدفعه أحد ؟ ٣

قال : هذا الذي نحن فيه لا يدفعه أحد

قلت : قولا إن أشرت إلى الأرض قلنا هذه أرض ولها أقطار ، وإن

أشرت إلى الهواء قلنا هذا هواء وله أقطار ، وإن أشرت إلى السماء قلنا هذه ٦
سما ولها أقطار

قال : هذه كلها متمكنة في المكان ، والمكان ليس له جرم يشار إليه

إنما يعرف بالوهم ٩

قلت : وكذلك الأقطار التي تحيط بالمكان ليس لها جرم يشار إليه إنما

تدرك بالوهم . فإن ارتفعت الأقطار عن | الوهم ارتفع المكان . فإذا لا مكان ١٧

ولا أقطار وسيلهما في الوقوع تحت الوهم سبيل واحد ، وهذه المسألة مثل ١٢
ما جرى في باب الزمان

قال : أجل لعمرى ، والذي أقوله أيضاً في باب المكان هو قول افلاطون ،

والذي قد تشبّثت به أنت هو قول أرسطاطاليس . وأنا فقد وضعت في المكان ١٥

والزمان كتاباً ، فإن أردت الشفاء في هذا الباب فانظر في ذلك الكتاب

قلت : لست أدري ما في ذلك الكتاب ولا ما قاله افلاطون وأرسطاطاليس ،

فها على ما تدّعيه برهاناً ولا تحليني على كتاب ١٨

قال : هو ما قد قلت لك . — ثم سكّنت

قلت : قد انقضى هذا . ألسنت تزعم أنه لا قديم إلا هذه الخمسة وأن

العالم محدث ؟ ٢١

قال : نعم

قلت : وأى هذه الخمسة أحدث العالم ؟

قال : نعم

قلت : تسكلم في هذا الباب فإنه أنفع . فقد كثرت المطالبة من الدهرية لنا

بالعلة في حدث العالم

قال : للناس فيه أقاويل غير مُقنعة وليست عليهم حجة أو كد مما استدركته
ولا تثبت لأحد حجة في ذلك دون الرجوع إلى ما أعتقده

قلت : وما تلك الحجة المُقنعة ؟

قال : أنا أقول إنَّ الخمسة قديمة وإنَّ العالم محدث . والعلة في إحداث العالم

أنَّ النفس اشتتت أن تتجبل في هذا العالم وحرَّكتها الشهوة لذلك ولم تعلم ما

يلحقها من الوبال إذا تجبلت فيه واضطربت في إحداث العالم وحرَّكت الهوى

حركاتٍ مضطربة مشوشة على غير نظام | وعجزت عما أرادت . فرحمها الباري

جلَّ وتعالى وأعانها على إحداث هذا العالم وحملها على النظام والاعتدال رحمة

منه لها وعلماً أنها إذا ذاقت وبالاً ما اكتسبته عادت إلى عالمها وسكن اضطرابها

وزالت شهوتها واستراحت . فأحدث هذا العالم بمعاونة الباري لها . ولولا

ذلك لَمَا قدرت على إحداثه ولولا هذه العلة لَمَا أحدث العالم . وليست لنا

حجة على الدهرية أو كد من هذه . وإن لم يكن هكذا فلا حجة لنا عليهم بتة بتة

لأننا لا نجد لإحداث العالم علةً ثبتت بحجة ولا برهان

قلت : أمّا الحجج على الدهرية في إحداث العالم فكثيرة . ولكنها خفيت

عليك لأنَّ هواك فيما تدعيه قد غلب . وإن لم يكن على الدهرية حجة في

إحداث العالم إلا ما ذكرت فقد ضعف من قال بحدث العالم — ونعوذ بالله من

ذلك — لأن الذي تدعيه ينكسر عليك من وجوه كثيرة

قال : ومن أين ينكسر على ؟

قلت : أخبرني أأست تزعم أن النفس اشتت أن تتجبل فى هذا العالم فاضطربت فى إحدائه على ما حكيت من القول فأعانها البارى رحمة منه لها ؟

٣

قال : نعم

قلت : فهل علم البارى أن يلحقها فى ذلك الوبال إن تجبلت فيه ؟

قال : نعم

قلت : أليس لو لم يعاونها على إحداء هذا العالم ومنعها من التجبل فيه كان أولى بالرحمة | لها من أن أعانها وأوقعها فى هذا الوبال العظيم على زعمك ؟

١٩

قال : لم يقدر على منعها من ذلك

٩

قلت : قد ألزمت البارى العجز ؟

قال : لم ألزمته العجز

قلت : أأست تزعم أنه لم يقدر على منعها ؟ فقولك « لم يقدر » أليس

١٢

هو عجز ؟

قال : لم أعن أنه لم يقدر لأنه عجز عن منعها ولكنى أضرب لك مثلاً تعرف منه صواب ما أوردته . إنما المثل فى هذا كمثل رجل له ولد صغير يحبه ويرحمه

١٥

ويشفق عليه ويمنع منه الآفات . فتطلع ولده هذا فى بستان فرأى ما فيه من

الزهر والغضارة وفى البستان شوك كثير وهوام تلسع والصبى لا يعرف

ما فيه من الآفات إنما يرى الزهرة والغضارة . فتحرّكه الشهوة وتنازعه نفسه

١٨

إلى الدخول إلى هذا البستان ووالده يمنعه لعلمه بما فى البستان من الآفات وهو

يسكى وينزع إلى ذلك جهلاً منه بما يلحقه من الوبال من جهة الشوك والهوم .

فيرحمه والده وهو يقدر على منعه من الدخول ولكن يعلم أنه لا ينتهى حتى

٢١

لا يدخله فتشوكه شوكة أو تلسعه عقرب فعند ذلك ينتهى وتزول شهوته

وتستريح نفسه فيخلّيه حتى يدخله . فإذا دخله لسعته عقرب فرجع ثم لم تنازعه

نفسه بعد ذلك على العود إليه واستراح . فهكذا مثال النفس مع البارئ جل
وتعالى . وهذا معنى | قولي لم يقدر على منعها ولم ألزِمه العجز

٢٠

قلت : وهذا أيضاً منكسر من جهات

٣

قال : كيف ؟

قلت : أليس تقول أن البارئ جلّ وعزّ تامّ القدرة ؟

قال : نعم

٦

قلت : فكيف لم يُعرف النفس ما ينالها من الوبال إذا تجبّلت في هذا العالم
قبل أن تتجبّل فيه وهو قادر تامّ القدرة ؟ فإنّ ذلك أتمّ في الحكمة وأبلغ في

الرحمة من أن ألقاها في هذا الوبال الطويل هذا الدهر المديد . فإن زعمت أنه
لم يقدر أن يُعرفها إلا بعد تجبّلها في هذا العالم فقد عجزتَه لأنّ المخلوق أيضاً

٩

لا يقدر أن يُعرف الصبيّ إلا بعد دخول البستان . فإذا قد استوى الخالق
والمخلوق في القدرة وهذا هو العجز التامّ جلّ الله وتعالى عن ذلك . وإن زعمت

١٢

أنه قدر ولم يفعل فقد أدخلت النقص في رحمته وحكمته عزّ الله عن ذلك .
وينكسر أيضاً من جهات أخر : ألسنت تزعم أن النفس كانت جاهلة بما يلحقها

من الوبال إذا تجبّلت في هذا العالم وضربت المثل بالصبيّ والبستان ؟

١٥

قال : نعم

قلت : فقد وجدنا البستان مع وجود الصبيّ والصبيّ ينظر إليه وتحرّكه الشهوة
الغريزيّة للدخول إليه . فهل كان العالم موجوداً مع النفس حتى تطلّعت فيه

١٨

وحرّكتها الشهوة للتجبّل فيه ؟ فإن زعمت أن العالم كان موجوداً مع النفس فقد
رجعت عن القول بحدث العالم لأنك زعمت | أنه موجود مع النفس والنفس

٢١

عندك أزليّة قديمة . وإن زعمت أن العالم كان معدوماً فمن أين عرفت النفس
أنّ عالماً يكون بهذه الصفة حتى اشتبهت أن تتجبّل فيه والنفس جاهلة بما لها من

٢١

الوبال في ذلك ، فهي أن تجهل عالماً ليس بوجود أولى . وإن زعمت أنها علمت
أن عالماً يكون على هذا المثال قبل أن كان فقد قضيت على النفس بالعلم . فكيف
يجوز أن تعلم أن عالماً يكون بهذه الصفة ولم تعلم ما يلحقها من الوبال لما تجبّلت ٣
فيه ؟ وإن زعمت أن العالم ليس بقديم مع النفس وأنه أحدث بعد ذلك ثم
تطلعت النفس فيه فقد نقضت قولك أن علّة إحداث العالم أن النفس اضطربت
وحرّكتها الشهوة للتجبل في هذا العالم فأعانها الباري حتى أحدثته . وفي وجه ٦
آخر : أخبرني عن هذه الحركة التي بعثت شهوة النفس على التجبل في هذا العالم
هي غريزيّة أم قسريّة ؟ فإن ادّعت أنها غريزيّة فقد لزمك أن تقول أن هذه
الحركة والشهوة قديمتان مع النفس . وإذا كان كذلك فيجب أن تكون سبعة ٩
أشياء قديمة لأنّ الحركة والشهوة قديمتان . ويلزمك أيضاً أن يكون العالم قديماً
معها لأنّه إذا كانت علّة تجبلها في العالم الحركة والشهوة وهما قديمتان فالعالم إذاً
قديم مع علّته لأنّ الطبع لا يفر عن عمله والمعلول مضاف إلى علّته . وإن ١٢
زعمت أن الحركة التي بعثت الشهوة | محدثة غير طبيعيّة فلا بدّ أن تكون ٢٢
قسريّة ولا بدّ من قاسر قسرها ولا يجوز أن يكون شيء قسرها إلا الباري
جلّ وتعالى إلا أن تجعل القاسر لها الهيولى أو المسكان أو الزمان . وهذا خلف ١٥
غير ممكن

قال : فإنّي أقول أنّ هذه الحركة ليست طبيعيّة ولا هي قسريّة

قلت : فإنّ الفلاسفة اتفقوا على أنّ الحركة حركتان طبيعيّة وقسريّة ولا ١٨

ثالثة لها

قال : صدقت ، هذا قول القدماء ولكنّي قد استدركت في هذا شيئاً لطيفاً

واستخرجت منه ما لم يسبقني إليه أحد غيري . وأنا أقول ان الحركات ثلثة ٢١
طبيعيّة وقسريّة وفلتيّة

قلت : فهذه الثالثة لم نعرفها ، فعرفناها كيف تكون ؟

قال : أنا أضرب لك مثلاً يتصور لك وتعرف وجه الصواب فيه

٣ وجرت هذه المناظرة بيني وبينه في دار بعض الرؤساء وكان ذلك الرئيس

قاعداً مع قاضي البلد يتناظران في أمر بينهما وهما بحيث نراهما ، وحضر هذا

المجلس معنا المعروف بأبي بكر حسين التمار المتطبيب

٦ فقال الملحد في باب المثل الذي أراد أن يثبت به الحركة الفلتيّة التي أبدعها :

هل ترى هذا القاضي قاعداً مع الأمير ؟

قلت : نعم

٩ قال : رأييت لو أنه تناول طعاماً ريحياً فتحركت الرياح في جوفه

واشتدّت وهو يمسكها ويضبط نفسه وهو لا يُرسلها حذراً من أن يكون لها

وقع فيقتضح ، ثم تغلبه الرياح فتفلت منه فليست هذه حركة طبيعيّة ولا قسريّة

بل هي | فلتيّة

٢٣

قلت : أأست تزعم أن علّة الرياح التي انفلتت من القاضي هي الطعام

الذي تناوله ؟

قال : نعم

١٥

قلت : إذاً فيجب أن تكون لهذه الحركة الفلتيّة التي تزعم أنها حرّكت

شهوة النفس علّة قد تقدّمت الحركة حتى أحدثتها في النفس كما أن الطعام

١٨ علّة لهذه الرياح . وإذا كانت هنالك علّة قد تقدّمت فلا بدّ أن تكون قديمة

مع النفس أو أحدثها محدث . فإن كانت قديمة معها فهي طبيعيّة ويجب أن تكون

النفس أبداً متحرّكة بهذه الحركة لأنّ الطبع لا يفتر عن عمله ، ويجب أيضاً

٢١ أن تعدّها مع هذه الخمسة التي تزعم أنها قديمة . وإن كانت هذه الحركة محدثة

فهي قسريّة ، فمن الذي أحدثها وقسر النفس عليها ؟

فلما انتهى الكلام إلى هاهنا ضحك حسين التمار شامتاً به وكان يحضر هذه المناظرات فيُظهر الشماتة به إذا انكسر لما كان بينهما من الخلاف في قَدَم العالم وحديثه . فلما ضحك متعجباً لما أورده خجل الماحد من ضحكه وأقبل عليه وقال له : وأى مقدار للدهرى حتى يستهزء ويضحك ويُسِيء أدبه ؟ دع عنك الضحك وتكلم على مذهبك من القول بالدهر وقدم العالم لأعرفك مقدارك قال له حسين التمار : الآن بعد أن اقتضحت وانكسرت ولم يقنعك حتى ٦ ضرطت القاضى وفضحته عند الأمير وأوردت هذا السخف وهذه الحجّة الباردة أقبلت تسفه على وتسترخ إلى مخاصمتى ! دعنى ومذهبي وأجب الرجل فليس | هذا ممّا يعينك ويخلصك من هذه الفضائح والدعاوى الباطلة التى ٤ تُمخرق بها على الناس وبقيا ساعة فى نحو هذا التشاتم وانقطع الكلام

٢

كتاب الأقوال الذهبية لأحمد بن عبد الله الكرماني ، انقول الأول من الباب الأول منه (راجع من فوق ص ١١)

القول الأول فيما جرى بين الشيخ أبى حاتم الرازى وبين ابن زكرياء الرازى المتطّيب من الكلام على النبوة والامامة والجواب عما أهل أبو حاتم الجواب عنه من سؤال ابن زكرياء الرازى ٣

قال الشيخ أبو حاتم الرازى قدس الله روحه فى كتابه المعروف بأعلام النبوة ردّاً على محمد بن زكرياء الرازى إنه اتفق اجتماعهما فى مجلس بالرى فسأله محمد

المذكور وقال « من أين أوجبتم وبها استبركت ما تدعيه » (١)

نقول : إنَّ هذا فصّ قول الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي حكاية
 عما جرى بينه وبين محمد بن زكرياء المتطبب . ولئن كان ما أورده الشيخ في الإلزام
 ٣ لزماً آن لقائل من أمثال محمد بن زكرياء أن يقول : إنَّ الجواب عما سألت عنه من
 السبب الموجب في حكمة الحكيم تخصيص أنبياء بالفضيلة وإحواج الناس إليهم والأمر
 ٦ الموجب في الحكمة تقديم إمام فيصدقه قوم ويكذبه آخرون ويشلى بعضهم على بعض
 لم يأت بعد وهو باق على حالته ، وإنَّ ما أجاب به نسباً إليه ليس من قوله ولا مما
 يليق بمرتبته مع إمكان ابن زكرياء بالإجابة عما سأله بغير ما نسب إليه فيقول
 ٩ جواباً : إنَّ الأولى بحكمة الحكيم أن يتركهم كما قد خلقهم فيدبر كل منهم أمره بما
 هو أصلح له على ما عليه القفص القاطنون بجمال كرمان وأمثالهم في أقاصي البلاد في
 الآفاق في استعماهم فيما يدينهم سنناً في المناكحات والشرى والبيع والمعاملات والأخذ
 ١٢ والإعطاء وما يجري مجرى ذلك من الأمور التي فيها تقع المخاصمات بحفظ بعضهم من
 شرّ بعض فلا يقع بينهم بها خلاف . ونحن نجيب عما أهمل الشيخ أبو حاتم الجواب
 عنه من ذكر الموجب تخصيص الأنبياء من بين العالمين بالفضيلة وتقديمهم عليهم رداً
 ١٥ لكلام المعاند . فنقول :

إنما أوجبنا في حكمة الحكيم التخصيص لا من وجه واحد بل من وجوه .
 منها أنَّ التخصيص أمر به تصح حكمة من يكون حكماً ، إذ الحكيم إنما يكون
 ١٨ كذلك بكون ما يصدر عنه إلى الوجود من الأفعال التي هي أحد أقسام الحكمة ،
 وكل موجود منها هو غير الآخر على الغاية حبكاً ونظاماً وجودة صنعة وإحكاماً .
 وتلك الأفعال — الكائنة على الغاية في الانتظام والجودة والالتئام المقضى إياها وجوب
 ٢١ وجودها في الحكمة — متعلق وجودها كذلك بالتخصيص الفارق بينها إما في ذاتها
 أو فيما به وجودها الذي لولاه لامتنع وجود الكثرة التي هي آيتها . وإنه لما كانت
 أفعال الحكيم لا يصح وجودها إلا بالتخصيص ويمتنع ثبوتها إلا به كان من ذلك

الحكم بوجوب التخصيص من الحكيم — لوجوب التخصيص من الحكمة وكونه منها وعنهما — واجباً

- ومنها أن الله تعالى لما كان حكيماً وكان من حكمته فيما خلق أن خص كل ٣ جزء من أجزاء العالم الكبير الجسماني المرئي المحسوس بأمر من الأمور لم يخص به غيره ، كالشمس التي هي جزء من أجزاء العالم قد خصها بالنور وفضلها على القمر والقمر على غيره من الكواكب عظماً ونوراً ، والنار بالإضاءة والهواء باللطافة والماء ٦ بالرطوبة والسيلان والأرض بالكثافة والجود ، كالنبات الموجود من هذه الأمور على اختلاف أنواعه وثماره في الحلاوة العفوسة والحموضة وغير ذلك ، وكالذهب من المعدنيات في تفضيله على الفضة والفضة على النحاس والأسرب وغير ذلك ، وكنوع ١ البشر الذي خصه بالتمتع وشرفه على غيره من أنواع البهائم والوحوش والطيور ، وكان نوع البشر على كثرة أشخاصه من أجزاء العالم ، كان من ذلك الحكم القاطع بوجوب تخصيص من يجعله من نوع البشر نبياً ورئيساً بالفضيلة ويحوج الناس إليه ١٢ كما فعل في غيره ، وهو الذي توجبه الحكمة

- ومنها أن الله تعالى لما خلق نوع البشر عاطلاً من المعارف والمعالم خالياً منها — كما قال رب العالمين في كتابه الكريم ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون﴾ ١٥ شيئاً — وكان حكيماً وامتنع وصولهم إليه كما امتنع تشخصه لهم ليتولى هدايتهم بنفسه وجب عليه تعليمهم مضارمهم ومنافعهم في عاجلهم وآجلهم باصطفاء من يجعله إماماً لهم ويؤيده ليعلمهم ما يحتاجون إليه . وإذا كان واجباً عليه في الحكمة تعليمهم ١٨ وحفظهم لم يحز إلا أن يعلمهم باصطفاء من يقوم مقامه فيهم ، وهو الذي توجبه الحكمة

- ومنها أن الله تعالى لما خلق نوع البشر محباً للرياسة والظلم والقهر ومحبة المال ٢١ والجمع والتول وغير ذلك وكان جائزاً أن يقع بينهم التباغض والتعادى على حب الغلبة والرياسة فتتقد نار الفتن بينهم بإهلاك القوى منهم الضعيف على نيل المراد من مال ومحبوب وغير ذلك والأقوى من القوى القوى فيهلكوا عن آخرهم ، وجب في ٢٤

٣ حكمة الحكيم أن يحفظ جميعهم بتقنين رسوم وسنن بينهم تتحفظ بها دماؤهم وبالجرى على منهاجها والأخذ بها من جهة من يختاره من بينهم فيجعله رئيساً لهم ، فهو الواجب في الحكمة من دون أن يتركهم مهملين

ومنها أن الله تعالى لما كان حكيماً وكان ما خلقه من نفس البشر عقلاً قائماً بالقوة وكان في الحكمة إخراج ما في القوة إلى الفعل واجباً كان من ذلك الحكم بوجوب إخراجها إلى الفعل بإقامة من يجعله كذلك فيقوم بتعليمه وتهذيبه وتبليغه كماله فيكون قائماً بالفعل . وإذا ثبت ذلك في الحكمة فتخصيص من يصطفيه لذلك من عالم النفس — فيكون نبياً مؤيداً يقوم بأمره — واجب . ومن هذه الوجوه أوجبنا وجوب تخصيص الأنبياء من بين الناس بالفضيلة والوحي

٦ وأما قولك من أين أجزنا في الحكمة أن يختار من يختاره ويحوج الناس إليه فيكون توكيداً للعداوات بينهم حتى يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف ، فنقول : إن كل واجب جائز وليس كل جائز واجباً . ولما كان اختيار الله تعالى من بين خلقه من يجعله إماماً ويؤيده بتأييده ليسوسهم ويحفظ نظامهم ويعلمهم مصالحهم واجباً كما أوجبناه وأثبتناه كان قتل من خالف السياسة وأمر الله واجباً ، فلذلك قلنا « أجزنا »

١٥ وأما قولك أيها النائب عن ابن زكرياء أنه قد كان لابن زكرياء جواب غير ما نسب إليه بأن يقول كالقصاص والقاطنين في الآفاق في سننهم المقررة فيما بينهم فالحفظ بها كل منهم من شر صاحبه وهم آمنون فذلك تمويه منك وتلبيس . فتلك الرسوم والسنن لم تتقرر من ذاتها وإنما قررها القائم بها ، وسبيلهم في أمورهم واعتصامهم بالقوانين التي لهم كغيرهم من المتقدمين السالفين في تمسكهم بالشرائع التي بها انحفظت الفروج والدماء ، وتلك الشرائع المنسوخة كانت من جهة أولياء الله وأحبابه . والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

069E

CM

22

4.22

*Cairo. Université Gypcéenne. Faculté des Lettres
Publications. fasc. 22 1/2*

UNIVERSITATIS FOUADI I
LITTERARUM FACULTATIS PUBLICATIONUM
FASC. XXII

ABI BAKR
MOHAMMADI FILII ZACHARIÆ
RAGHENSIS
(RAZIS)

OPERA PHILOSOPHICA

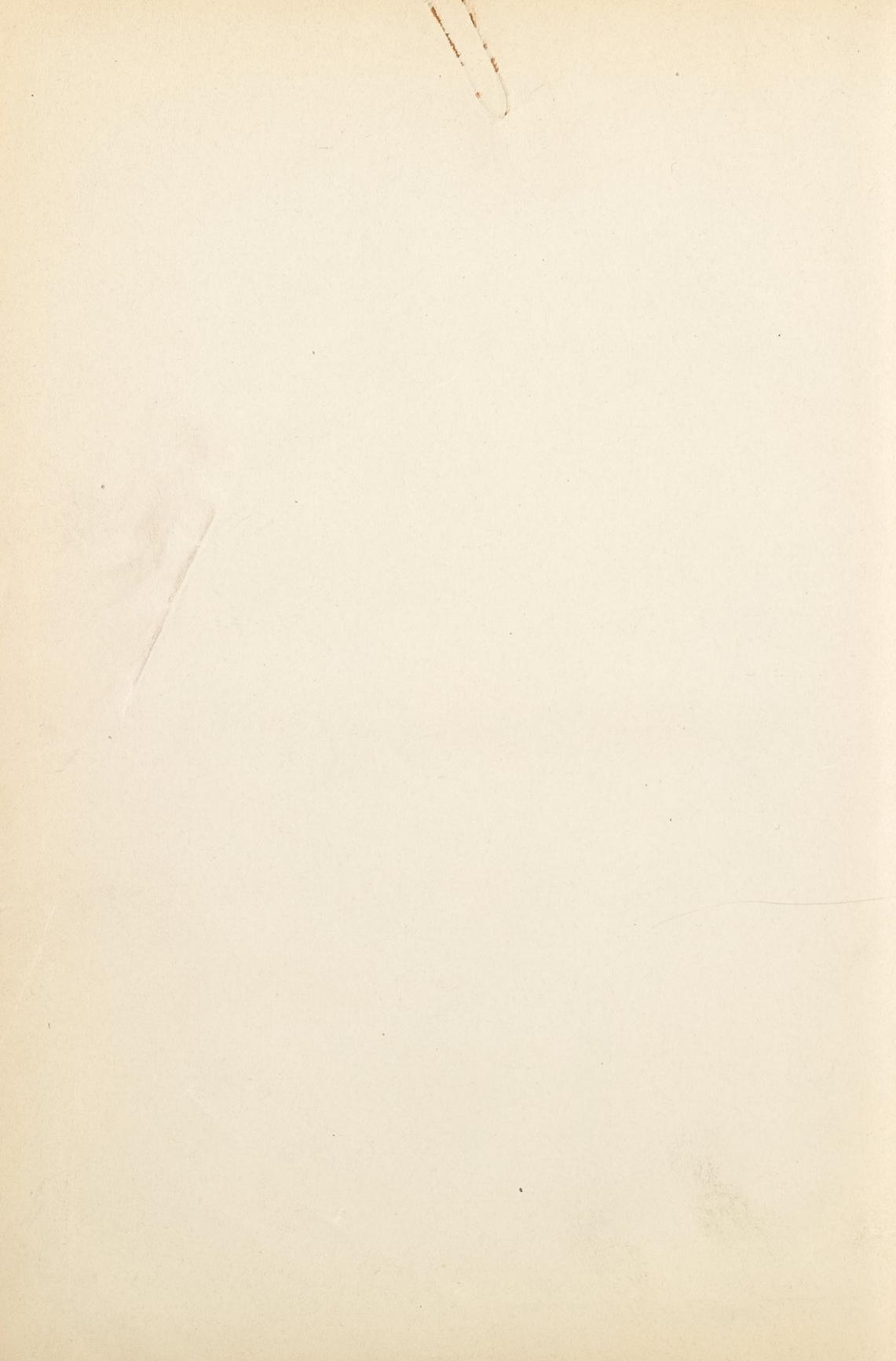
FRAGMENTAQUE QUÆ SUPERSUNT

COLLEGIT ET EDIDIT

PAULUS KRAUS

PARS PRIOR

CAHIRÆ MCMXXXIX



PUBLICATIONS OF FOUAD I UNIVERSITY

FACULTY OF LETTERS :

		P.T.
1	GRAINDOR, P. : <i>Athènes sous Auguste</i> , 1 vol. Le Caire, 1927	15.—
2	HASSAN, S. Bey : <i>Le Poème dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh</i> , 1 vol. Le Caire, 1929.	40.—
3	GUIDI, I. : <i>Summarius Grammaticae Veteris linguae Arabicae meridionalis</i> , 1 vol. Le Caire, 1930	5.—
4	VIKENTIEV, V. : <i>La Haute Crue du Nil et l'averse de l'an 6 du roi Taharqa</i> , 1 vol. Le Caire, 1930	30.—
5	GRAINDOR, P. : <i>Un Milliardaire Antique, Herode Atticus et sa famille</i> , 1 vol. Le Caire, 1930	20.—
6	GRAINDOR, P. : <i>Delphes et son Oracle</i> , 1 vol. Le Caire, 1930.	5.—
7	GRAINDOR, P. : <i>La Guerre d'Alexandrie</i> , 1 vol. Le Caire, 1931.	12.—
8	GRAINDOR, P. : <i>Athènes de Tibère à Trajan</i> , 1 vol. Le Caire 1931	75.—
9	TAYLOR, W. : <i>Etymological List of Arabic Words in English</i> 1 vol. Cairo, 1934	5.—
10	PEYRE, H. : <i>Shelley et la France, Lyrisme Anglais et Français au XIX^e Siècle</i> , 1 vol. Le Caire, 1935	30.—
11	GRAINDOR, P. : <i>Bustes et Statues-Portraits d'Egypte Romaine</i> , 1 vol. Le Caire, 1936	25.—
12	HOCART, A.M. : <i>Kings & Councillors</i> , 1 vol. Cairo, 1936 ...	20.—
13	SCHACHT, J. & MEYERHOF, M. : <i>The Medico-Philosophical Controversy between Ibn Butlan of Baghdad and Ibn Ridwan of Cairo, A Contribution to the History of Greek Learning Among the Arabs</i> . 1 vol. Cairo, 1937.	15.—
14	LALANDE, A. : <i>La Psychologie des Jugements de Valeur (Texte Arabe-Français)</i> , Le Caire, 1929	10.—
15	HUSSEIN, T. Bey et EL-ABADI, A. EL-H. : <i>Nakd An-Nathr by Dja'far Al Katib Al Baghdadi</i> , 1 vol. Le Caire, 1933 ...	10.—
16	GRAINDOR, P. : <i>Athènes sous Hadrien</i> , 1 vol. Le Caire 1934.	43,7
17	HASSAN, S. Bey : <i>Excavations at Giza, 1929-1930</i> , 1 vol. Oxford, 1932	100.—
	HASSAN, S. Bey : <i>Excavations at Giza, 1930-1931</i> , 1 vol. Cairo, 1936	300.—
18	SOBYH, G. Bey : <i>The Book of the Proverbs of Solomon in the Dialect of Upper Egypt</i> , 1 vol. Cairo, 1927	8.—
19	MENGHIN, O. & AMER, M. : <i>The Excavations in the Neolithic Site at Maadi Season 1930-31</i> . Cairo, 1932	25.—
	» <i>Season 1932</i> . Cairo, 1936	60.—
20	KOYRÉ, A. : <i>Trois Leçons sur Descartes (Arabe-Français)</i> , 1 vol. Le Caire, 1937	
21	CRAWFORD, D.S. : <i>Greek and Latin</i> , 1 vol. Cairo, 1938 ...	
22	الطب الروحاني تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي وتصحيح الاستاذ بول كراوس بكلية الاداب مجلد طبع مصر سنة ١٩٣٨	

*Cairo: Université d'Égypte. Faculté des Lettres.
Publications. fasc. 227*

UNIVERSITATIS FOUADI I
LITTERARUM FACULTATIS PUBLICATIONUM
FASC. XXII

ABI BAKR
MOHAMMADI FILII ZACHARIÆ
RAGHENSIS
(RAZIS)
OPERA PHILOSOPHICA

FRAGMENTAQUE QUÆ SUPERSUNT

COLLEGIT ET EDIDIT

PAULUS KRAUS

PARS PRIOR

CAHIRÆ MCMXXXIX

*069 E
CM
22*

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



